الفيصل

مجلة ثقافية شهرية

AL FAISAL MAGAZINE

ISSUE 18 NOVEMBER 1978

العدد (١٨) ـ ذو الحجة ١٣٩٨ هـ/نوفبر ١٩٧٨ م



صفحة مفقودة

بسم الله الرحمن الرحيم

الفيصل

مجلة ثقافية شهرية
تصدر عن
دار الفيصل الثقافية

رئيس التحرير
علوي طه الصافي

العدد (١٨) ذو الحجة ١٣٩٨ هـ — نوفمبر ١٩٧٨ م

هذا العدد



★★ في هذه الأيام تتجه أنظار العالم إلى الأراضي المقدسة في المملكة العربية السعودية بمناسبة الحج .. هذا التجمع الإسلامي الكبير .. والطرق المؤدية إلى الحج تعددت تاريخياً .. كما تطورت حديثاً ..

السؤال : ما هي طرق الحج والتجارة العربية في العصر الإسلامي؟ الاجابة على (ص ١٩).



★★ من مزاياها العديدة أنها مرسى مناسب لاستقبال الحجاج القادمين لأداء فريضة الحج .. وتعد أكبر مرفأ قديم في الحجاز لمنها صادراته وإليها وارداته .. تاريخها ضارب في الأعماق البعيدة .. شهدت أحداثاً جليلة .. إنها مدينة «جدة» إحدى مدن المملكة العربية السعودية .. وواحدة من مدن عالم اليوم الشهيرة .. (ص ٣٩)



★★ العمارة الإسلامية .. واحد من الكتب العالمية الصادرة باللغة الألمانية .. وهو إذا كان يركز على العمارة الإسلامية في مصر إلا أنه حقيقة يعكس تاريخ العمارة الإسلامية .. خطوطها العريضة .. أطرها العامة .. (ص ٨٣)

من كتاب هذا العدد
من كتاب هذا العدد
من كتاب هذا العدد



سعد البواردي

★ من مواليد مدينة «شقراء» في المملكة العربية السعودية عام ١٣٤٩هـ .

★ تخرج في دار التوحيد بالطائف .

★ أصدر مجلة «الاشعاع» الشهرية ، صدر منها ٢٣ عددا ثم توقفت .

★ له تسعة مؤلفات مطبوعة شعرا ونثرا .

★ لديه ١٧ مؤلفا مخطوطا يعدها للطبع .

★ عمل في عدد من الوظائف الحكومية .

★ يعمل حاليا كملحق تعليمي للشؤون الاعلامية في القاهرة .

د. محمود اسماعيل صيني

★ من مواليد المدينة المنورة عام ١٣٦٢هـ .

★ دكتوراه في علم اللغة التطبيقي .

★ نشر مجموعة من المقالات في الكتابة العربية ، ومشكلات تعليم العربية للعرب ، وطرائق تعليم اللغات الأجنبية ، وطرائق تعليم العربية لغير الناطقين بها .

★ له مؤلفان مطبوعان أحدهما «نظام الجملة العربية» دراسة في لهجات المدن الرئيسية بالمنطقة الغربية في السعودية ، والآخر «عربية القرآن» كتاب لتعليم المسلمين قراءة الحروف العربية .

★ يعمل حاليا مديرا لمعهد اللغة العربية في الرياض .





محمود شيت خطاب

● من مواليد الموصل في العراق عام ١٩١٩م .

● لواء ركن .

● تقلد عددا من المناصب العسكرية والوزارية في بلاده .

● اشترك في عدد من المؤتمرات العربية والاسلامية .

● تبلغ مؤلفاته نحو ١٢٦ كتابا ، وله نحو ٣٢٠ بحثا .

● قام برحلات إلى البلاد العربية .. وأوروبا .. والهند .. وباكستان .

● رئيس لجنة توحيد المصطلحات العسكرية للجيوش العربية ، ورئيس لجنة مباحث القرآن الكريم في مجمع البحوث الاسلامية بالازهر .

● عمله الحالي عضو المجمع العلمي العراقي ، وأستاذ غير متفرغ في الدراسات العسكرية العليا في العراق ، والبلاد العربية .

حسن محسب

★ من مواليد مصر عام ١٩٣٨م .

★ عمل محررا أدبيا بصحف (الشعب - الجمهورية - المساء - آخر ساعة) ويعمل حاليا محررا أدبيا بمجلة الاذاعة والتليفزيون المصرية .

★ صدرت له مجموعتان من القصص القصيرة .. كما أصدر سبع روايات طويلة تقريبا بعضها تحولت إلى أفلام سينمائية .. ومسلسلات اذاعية .. ودراسة عن القصة المصرية .

★ ترجمت بعض أعماله إلى لغات أجنبية كالألمانية .. واليابانية .



** من خلال هذا «الملف» سوف نحاول رصد الحركة الثقافية من اصدارات جديدة .. وندوات .. ومؤتمرات .. ومعارض .. ومناسبات .. وأحداث ثقافية .. وادبية .. وفنية بصورة نطمح أن تكون مسحاً شهرياً لمجريات الحركة الثقافية ليس في «الوطن العربي» فحسب، بل في «العالم» الانساني.

أملنا أن نجد من المؤسسات العلمية .. والتربوية .. والفنية .. الى جانب الأدباء .. والمفكرين كل عون في إمدادنا بالجديد الدائم من النشاطات لتحقيق الأهداف التي تسعى اليها المجلة لخدمة القارىء .. لإضافتها الى ما يزودنا به مندوبونا، والله الموفق **

- إدارة عالمية متخصصة للدعوة الاسلامية.
- ندوة في الرياض عن الاسلام .. وعلم النفس.
- دراسات عن اللغات السامية في جامعة حلب.
- الملتقى الثاني عشر للفكر الاسلامي في الجزائر.
- موسوعة علمية عن الصحراء الغربية.
- توزيع جوائز الدولة للآداب .. في الأردن.

- العمارة الاسلامية .. وروح العصر.
- كمبيوتر .. لفهرسة الكتب العربية.
- السلام للأطفال .. بـ ١٠ آلاف مارك.
- رائحة الكتب .. تجذبه لسرقتها.
- مكتبة عائمة على نهر التايمز للأطفال.



★ محمد عبد الله مليباري ★

السعودية

الاسلام .. وعلم النفس

تم في الشهر الماضي افتتاح ندوة « علم النفس والاسلام » التي تنظمها كلية التربية واستمرت خمسة أيام بالمركز الترفيهي بجامعة الرياض .. وكان من أهداف الندوة ـ الأولى من نوعها في المملكة ـ تنقية علم النفس من الأفكار التي تتعارض مع الإسلام .. ومحاولة ايجاد كيان مستقل للدراسات النفسية ، بحيث يمكن الاستفادة واستغلال علم النفس في إطار إسلامي .. واستبعاد المعلومات الواردة من المجتمعات غير الإسلامية .. وقد اشترك في الندوة عشرون عالماً مسلماً من خارج المملكة وعشرون من داخلها ، من المتخصصين في مجال علم النفس .

معامل حديثة لتدريس اللغات

ثلاثة معامل حديثة من معامل اللغات ، تعتزم كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة الملك عبد العزيز بجدة ، تأسيسها على أن تكون جاهزة لكي يستفاد منها في تدريس اللغتين ، الانجليزية والألمانية .. والعربية لغير الناطقين بها .

المعرض التشكيلي رقم (١)

افتتح المعرض الأول لفناني وفنانات المنطقة الشرقية للفنون التشكيلية .. بمدينة الدمام ، وكانت معظم اللوحات تعكس تأثر الفنان السعودي ببيئته .

كتاب .. وجائزة

« **أضواء حول الاستراتيجية العسكرية للملك عبد العزيز** » لمؤلفه العقيد أركان حرب محمد إبراهيم رحو ، فاز بجائزة الملك فيصل السنوية .

أول رسالة ماجستير تحصل عليها سيدة

حصلت على درجة الماجستير من جامعة الرياض ، « **نورة السكلاف** » ، وكان موضوع الرسالة عن « أبي ذؤيب الهذلي » حياته وشعره .

هذه أول رسالة ماجستير تحصل عليها سيدة من جامعة الرياض .

أول «عميدة» لكلية البنات

الدكتورة ابتسام عبد الرحمن البسام ، تم اختيارها عميدة لكلية البنات في الرياض ، وهذه هي المرة الأولى التي يتم فيها اختيار « عميدة » سعودية .

الفتنة في التاريخ

نوقشت رسالة الماجستير المقدمة من محمد سالم العوفي بقاعة كلية الشريعة بالرياض .. وموضوع الرسالة « فتنة بابك الخزمي وآثارها على الدولة العباسية » .

الأدب في المجتمعات النامية

أقيم في برشلونة مؤتمراً للكتّاب العالميين واستمر عشرة أيام ، تونس خلالها دور الأدب في المجتمعات النامية .. وقد مثل المملكة الدكتور عبد الله محمد الزيد .

المعرض التشكيلي الخامس والثلاثين عن التراث

في جدة أقام الفنان التشكيلي الدكتور عبد الحليم رضوي معرضه الخامس والثلاثين ، وقد ضم ٣٠ لوحة كلها تمثل رؤيته الشاملة للتراث الشعبي ، في أسلوب فني خاص .. والمعروف أن الفنان قد حصل مؤخراً على درجة الدكتوراه في الفلسفة من أكاديمية الفنون باسبانيا عن الفن العربي وتأثيره على فنون العالم .

إدارة عالمية متخصصة للدعوة الاسلامية

أوصت اللجنة الاستشارية للدعوة الإسلامية ، التي دعا إليها صندوق التضامن الإسلامي ، توصية بإنشاء إدارة عالمية متخصصة للدعوة الإسلامية .. كما أوصت اللجنة أيضاً بإصدار صحف إسلامية خاصة بالشباب والنساء والأطفال .

❋كتب جديدة❋

- « **قاتلة الشيطان** » مجموعة قصصية تأليف الأديب السعودي محمد عبد الله مليباري .
- « **الرحيل** » مجموعة قصصية للأديب السعودي حسين علي حسين .. وتعتبر هذه المجموعة باكورة إنتاجه القصصي .. وهو يعتبر أحد الكوكبة الشابة التي تابعت مسيرة القصة القصيرة في العالم العربي ومن خلال الترجمات العالمية .
- « **حصة زمن** » مجموعة قصصية ، تأليف علي حسون أحد كتّاب القصة القصيرة في المملكة العربية السعودية الشبان .. وهي أول مجموعة تصدر للقاص الشاب ، وقد برز تأثره الواضح بأسلوب القصة القصيرة الحديثة في الغرب .
- « **أمل باكر** » ، ديوان شعري للشاعر الغنائي ناصر بن جريد .
- « **سوق عكاظ في التاريخ والأدب** » .. إعداد لجنة الآثار التاريخية . الناشر مطبعة الزايدي بالطائف .
- « **أنت الرياض** » ديوان شعر للشاعر الدكتور الوزير غازي القصيبي .. وقد سبق أن صدرت له أربعة دواوين هي « أشعار من جزائر اللؤلؤ » ، « قطرات من ظمأ » ، « معركة بلا

إحصائية

مقارنة بين عدد الحجاج القادمين في المواسم ١٣٩٥هـ ، ١٣٩٦هـ ، ١٣٩٧هـ ، من الدول العربية

الجنسية	عام ١٣٩٥ هـ	عام ١٣٩٦ هـ	عام ١٣٩٧ هـ
سورية	٣١٧٧٧	٣٤٤٤٦	٢٤٨٢٩
مصر	٣٩٦٠٦	٢٨٠١٨	٣٠٥٩١
السودان	٢٩٨٠٢	٤١٦٩١	٣٣٣٨٣
اليمن	٣٣٧٧٤	١٨٠٨٧	٢٠٧٧٠
الجزائر	٢٨٨٦٤	٣١٨٩١	٥٣٣٣٠
المغرب	٣٢٤٢٨	١٨٠٤٤	٢٣٩٧٤
تونس	١٠٤٩٦	٧٨٣٨	٧٩١٤
العراق	٩٤٦٨١	٤٩٧٠٣	٣٩٨٤٢
الكويت	٨٠٩٤	٤٩٠٧	٣١٨٧
قطر	١٣٤٦	٨٤٧	١١٣٩
فلسطين	١٨٨٦	٦٨٩	١٤٣٤
الأردن	٢٨٨١٩	٢٣٤٤٧	١١٢١١
البحرين	٢٢٦٥	١٩٨٩	٢٩٩٩
الإمارات	١١٤٥	٤١٩٦	٣٥٦٠
اليمن الجنوبي	٢٠٤٦	٧٧٩٤	٦٥٩٩
اليمن الشمالي	٩١٢٨٠	٦١١١٠	٧٢٣٤٧
لبنان	٩٧٦٥	١٠٦٩	٢٨١٥
موريتانيا	٨٩٧	١٦٨٤	١٠٨٤
الصومال	٢٠٣٢	٧٨٠٨	٤٧٨٦
عمان	٣٨٩٨	٢٢٨٩	٢٤٣٩
المجموع	٣٣٣٩٩٢	٣٣٦٧٤٤	٣٤٩٨٢٢

المصدر : وكالة وزارة الداخلية للجوازات والأحوال المدنية السعودية ١٣٩٧هـ ـ ١٩٧٧م .



راية » ، « أبيات غزل » ، كما صدر له كتاب نثري بعنوان « من هذا وذاك » .

- يصدر عن « نادي جدة الأدبي » ديوانان من الشعر ، الأول للشاعر الفلسطيني أحمد يوسف الرعاوي .. والثاني للشاعر محمود عارف .
- « **أماس .. وأطلاس** » ديوان شعري للشاعر محمد حسن عواد ، طبعة جديدة .
- « **نقد أصول الشيوعية** » تأليف فضيلة الشيخ صالح بن سعد اللحيدان .
- « **جوانب صحيحة في التشريع الاسلامي** » تأليف حمد الدعيج .

سورية

دراسات عن اللغات السامية في جامعة حلب

وافق السيد وزير التعليم العالي السوري على مشروع جامعة حلب لإحداث دبلوم دراسات عليا في اللغات السامية القديمة وذلك لندرة المختصين في هذه اللغات في سورية والبلدان العربية الأخرى .

والجدير بالذكر أن سورية تعتبر من أغنى أقطار العالم بالمكتشفات الأثرية القديمة ، ولا سيما اللوحات المسمارية التي تم اكتشافها في مواقع عديدة خاصة لوحات (ايبلا) المكتشفة في **(تل مريدخ)** والتي يبلغ عددها (١٥) ألف رقم .

توسيع مسرح قلعة حلب

بدأ العمل في تنفيذ بناء مسرح مهرجانات قلعة حلب حيث يتوقع الانتهاء منه في أواخر العام الحالي .

وكان قد تم اعتماد مبلغ نصف مليون ليرة سورية لهذا المشروع ، وسوف يتسع مسرح القلعة إلى ثلاثة آلاف مشاهد ، كما سيتم استقدام أشهر الفرق المسرحية العربية والعالمية لتقديم أعمالها فيه .

معرض للفنانين السوريين

أقيم المعرض السنوي لفناني سورية وذلك بصالة العرض بالمتحف الوطني بدمشق .

ويعتبر هذا المعرض من المعارض الفنية التي تعكس الواقع الفعلي لحركة الفنون التشكيلية المعاصرة في سورية .

فيلم وثائقي عن ابن النفيس

تعد المؤسسة العامة للسينما في دمشق بالتعاون مع معهد التراث العلمي العربي بجامعة حلب فيلماً وثائقياً بالألوان عن الطبيب العربي **(ابن النفيس)** ، يعد المادة العلمية له الدكتور **(سلمان قطاية)** ويكتب السيناريو ويخرجه (صلاح دهني) ، وسيشترك فيه عدد من المختصين في سورية من أمثال الدكتور **(عبد الكريم شحادة)** نقيب أطباء حلب ، والطبيب البحاثة (نشأت حمارنه) .

من أجل الثقافة الاسلامية

عقد على مدرج جامعة كلية الطب بجامعة حلب اجتماع لجنة خبراء اليونسكو من أجل إعداد مؤلف عن مختلف مظاهر الثقافة الإسلامية ، تحدث فيه الدكتور (شاكر الفحام) وزير التعليم العالي ، والدكتور أحمد يوسف الحسن رئيس جامعة حلب وبعض خبراء اليونسكو .

معرض للصناعات التقليدية

قرر المكتب الدائم لاتحاد الحرفيين بدمشق إقامة معرض دائم في صالة الاجتماعات بمقر الاتحاد لعرض المنتوجات الشرقية والتقليدية التي تشتهر بها دمشق ، كما ستعرض أيضاً جميع المنتجات الحرفية على مختلف أنواعها .

كلمة

الترجمة .. مرة أخرى

يتقبل الكاتب أحيانا بعض التعليقات من الكتاب على كتاباته ، ويضطر في أحيان أخرى إلى الرد على تلك التعليقات ، ليس دفاعا ولكن للتوضيح وتعميق الفكرة ، انطلاقا من أن الكتابة التي تثير ردود فعل ، هي بالتالي قابلة للمناقشة .

وقد تفضل الأستاذ **عبد الله حمد القرعاوي** بالتعقيب الهادىء والموضوعي على ما نشرناه في العدد الخامس عشر ـ رمضان ١٣٩٨ هـ ، في زاوية « كلمة » تحت عنوان « **الترجمة وروح النص** » ، فاستشهد بثلاث فقرات من « كلمتنا » وتولى التعقيب عليها .. ويبدو أن لبساً قد صادف الأستاذ الفاضل ، ففسر ما قصدنا إليه تفسيراً مغايراً أدى بالتالي إلى تباعد وجهتي النظر والتوصل إلى نتائج مختلفة ، والدليل اتهامه لناقد التايمز بعدم التعمق في اللغة العربية !

فإذا كان قد وافق على ضرورة نقل الأسماء كما هي ، فكيف يقول : « **الترجمة الأمينة أننا لا نسمي الشمس قمرا والقمر شمسا** » الشيء الذي لم نتطرق إليه على الاطلاق ؟! .. وكيف يقول : « **إن التأنيث والتذكير لا أثر له في الترجمة وبالذات في اللغة الانجليزية** » ومن المعروف تماماً أن الضمائر « he و she و it » لم تلغ من اللغة الانجليزية كما أن نفس تلك الضمائر قائمة في اللغة الفرنسية « il و elle » مضافاً إليها أدوات التذكير والتأنيث « une, un, la, le » ثم « e » التأنيث التي تقابل في اللغة العربية « تاء التأنيث » ؟! .. وكيف يقول : « **إن الوزير ليس (قمرا) وشهرزاد ليست (شمسا) في اللغة العربية وإنما الوزير مذكر وشهرزاد مؤنثة** » ؟!

ونحن نعلم أن في تاريخنا وزيراً يدعى « **قمر الزمان** » وأن اسم « **شهرزاد يعني الشمس** » ولم نختلف حول « تذكير » الوزير وتأنيث شهرزاد ، تأكيداً لاتساق اللغة العربية مع نفسها دون أن تكون مطابقة بالضرورة للغات الأخرى .. وتلك هي **صعوبة الترجمة** من وإلى اللغة العربية ، بعكس ما يحدث في الترجمة بين اللغات الأخرى ، **وتلك هي المشكلة التي لم تجد لها حلا حتى الآن** ، الأمر الذي دعانا إلى إثارتها مساهمة منا في إعادة طرحها بهدف التوصل إلى بعض الحلول . وكنا نود لو ناقش الأستاذ القرعلوي الجدل الجزئي مبتعدين عن حقيقة المشكلة الكلية ، التي تبرز أكثر ما تبرز قضية « **ترجمة الشعر** » التي طرحت كجانب من جوانب مشكلة الترجمة ... ولنا أن نعترف بأنها مشكلة قائمة وليس لها حلاً ولن يكون .

وتبقى ملاحظات غير حاسمة من قبيل الاختلاف حول ترجمة معاني « **تحية الصباح** » في اللغات الفرنسية « Bonjour » وترجمتها الحرفية بالتأكيد « يوم جيد » ، والانجليزية « Good Morning » ، والألمانية « Guten Morgen » وترجمتها الحرفية بالتأكيد « صباح جيد » خلافاً لما نقول في العربية « صباح الخير » أو « صبحك الله بالخير » الأمر الذي ينسحب أيضاً على « **تحية المساء** » أو « **أي تحية أخرى** » ، كما ينسحب كذلك على صنيع الاستعارة والكناية والتشبيه البلاغية .

ومما لا شك فيه أن نقل « **المعنى** » عند الترجمة هو الأهم ، ولكنا قصدنا بتلك « **الملاحظات** » محاولة الاقتراب من « **روح النص** » محافظة على « **المبنى** » أيضاً ، **وحتى نتمكن من تذوق « الكلمات » كما نتذوق « أصناف الطعام »** التي تختلف هي الأخرى من بلد إلى آخر .. أليس كذلك ؟

ومع هذا فلا تزال قضية الترجمة بمشكلاتها ، مطروحة أمام الأستاذ القرعاوي وأمامنا جميعا !

المحرر



* «دون كيشوت» *

كتب جديدة

- «الأقوى» مجموعة قصصية للأديب المغربي محمد زنان، عن اتحاد الكتاب العربي في دمشق.
- «جرائم دون كيشوت» تأليف الدكتور هاني الراهب.
- «الحقيقة والرواية» دراسة للرواية الصهيونية بقلم منير الأصبحي.
- «هفوات الفلاسفة» تأليف إبراهيم الفاضل.
- الجزء الثامن من المجد الثاني لـ «الموسوعة الموجزة» وهو خاص بحرف «الدال»، إعداد بدر الدين الكاتب.
- «المهر» رواية للقصاص ياسين رفاعية.
- «ابتهالات» ديوان شعري للشاعر بندر عبد الحميد.
- «الحلم» تأليف كلود جوليان، ترجمة نخله كلاس.
- «الانسان والحضارة والمجتمع» تأليف هاري .ل. شابيرو، ترجمة عبد الكريم محفوظ.
- «التنمية والتخلف الثقافي» تأليف أوزيرس سيكوني، ترجمة عيسى عصفور.
- «اشراق الغروب» ديوان شعري للشاعر علي دمّر.
- «القائد الصغير» مجموعة قصصية للأطفال تأليف عبد الهادي طبل.

نشرة دورية

في مطلع عام ١٩٧٩م، ستصدر المنظمة العربية للتربية والثقافة - عن إدارة الإعلام - نشرة دورية علمية، فصلية للدراسات الإعلامية.

«مجلتي» .. للنساء

تصدر مجلة شهرية نسائية جديدة، تحت عنوان **مجلتي** .. وترأس تحريرها الصحفية زينب حسن.

مصر .. في العهد البطلمي

عقد المؤتمر الثاني عن مصر القديمة في العصرين، الروماني والبيزنطي، وقد عقد المؤتمر الأول منذ عامين في ألمانيا الغربية .. وكان الموضوع المطروح في المؤتمر هو: **«مصر .. في العهد البطلمي»**

«المنتدى» .. متخصصة

صدر العدد الأول من مجلة «المنتدى» .. وهي مجلة ثقافية متخصصة من نوعها في دراسة الحضارتين العربية والفارسية وما يربط بينهما.

بحوث علمية .. للوطن العربي

تم توقيع اتفاقية للتعاون الفني والعلمي في مجال الأجهزة العلمية .. بين أكاديمية البحث العلمي والتكنولوجيا والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم التابعة لجامعة الدول العربية بإنشاء مركز إقليمي لخدمة البحوث العلمية في مختلف دول الوطن العربي.

أول موسوعة عن الصحراء

بدأت أكاديمية البحث العلمي في إعداد أول موسوعة علمية عن الصحراء الغربية، تجدد كل خمس سنوات. وقد تقرر إنشاء مركز تنمية يصبح قادراً على المساهمة في تعمير المجتمعات الصحراوية، وهو أول مركز علمي جامعي في الشرق الأوسط لخدمة الدول العربية.

فقدت الألوان .. ظلا من ظلالها

الفنان جمال محمود، فقدته أسرة الفنانين التشكيليين في الشهر الماضي، وهو يعتبر واحداً من أخلص أبنائها الذين ظلوا يعملون في صمت بعيداً عن الأضواء، مكتفياً بأضواء الألوان.

المعروف أن الفنان جمال محمود، ظل طوال حياته رافضاً لفكرة التقليد، زاحفاً في صبر في ممرات التجريب، حيث اكتسبت أعماله طابعاً منفرداً مميزاً .. وكانت آخر أعماله إقامة معرض في واشنطن عام ١٩٧٧م.

نجيب محفوظ .. ورسالة الماجستير

رسالة ماجستير عن أدب نجيب محفوظ، تقدمت بها **فاطمة الزهراء، المعيدة بكلية البنات الاسلامية** .. وقد ناقش الرسالة د. عبد القادر القط، ود. صلاح فضل، ود. إبراهيم عبد الرحمن محمد.

حدث في مثل هذا الشهر

(الأحداث التالية بالتاريخ الميلادي الموافق للشهر الهجري الذي تصدر فيه المجلة)

أول نوفمبر
١٨٦٩ افتتاح دار الأوبرا المصرية.

٣ نوفمبر
١٩٥٤ وفاة الصحفي الدكتور محمود عزمي.

٤ نوفمبر
١٩٢٢ اكتشاف مقبرة توت عنخ آمون.

٥ نوفمبر
١١٨٨ وفاة أسامة بن منقذ.
١٩٣٣ وفاة الصحفي داوود بركات.

٨ نوفمبر
١٩٧٣ وفاة حسن الهضيبي.

٩ نوفمبر
١٩٥٣ وفاة الملك عبد العزيز آل سعود.

١٠ نوفمبر
١٩٦٩ وفاة الأديب علي أحمد باكثير.

١٤ نوفمبر
١٨٨٩ مولد الدكتور طه حسين (طالع تاريخ وفاته في العدد ١٦ من هذه المجلة).
١٨٠٣ وفاة المؤرخ علي مبارك.

١٧ نوفمبر
١٩٤٩ وفاة الشاعر علي محمود طه.

٢٤ نوفمبر
١٩٤٧ وفاة الشاعر إيليا أبو ماضي.

٢٥ نوفمبر
١٨٦٧ مولد الاقتصادي طلعت حرب.

٣٠ نوفمبر
١٩٦٥ وفاة الشاعر كامل الشناوي.

كتب جديدة

- «**إذا جاء الشفق**» رواية من تأليف عبد المقصود محمد .
- «**صفحات من حياة عرابي**» تأليف سمير كرم فريد .
- «**يوسف السباعي ضمير العصر**» تأليف عبد العزيز شرف .
- «**حتى لا تحزني**» .. ديوان شعر للشاعر فاروق مرتضى .
- «**ومضات**» ديوان شعري للدكتور جمال مرسي بدر .
- «**الانفجار السكاني**» تأليف روبيرت لافون ، وترجمة السيد نبيه الأصفهاني ، الناشر «دار الأهرام» .

- «**في انتظار ما لا يجيء**» ديوان شعري للشاعر فاروق شوشة .
- «**التعريف بالاقتصاد**» تأليف الدكتور حسين عمر .
- «**الرؤيا المقيدة**» دراسة في التفسير الحضاري ، تأليف الدكتور شكري عياد .
- «**الكتابة العربية**» تأليف محمد شوقي .

- «**مدخل إلى الفلسفة بنظرة اجتماعية**» تأليف عبد المجيد عبد الرحيم .
- «**الاسلامية والروحية في أدب نجيب محفوظ**» تأليف حسن عيد الله .
- «**أيام من حياتي**» مذكرات المجاهدة زينب الغزالي .
- «**دراسات في الشعر العربي**» دراسة ، تأليف الشاعر محمد إبراهيم أبو سنة .
- «**الظواهر الأدبية في العصر الصفوي**» تأليف الدكتور محمد السعيد عبد المؤمن .

- «**أثر التطور الاجتماعي في الرواية المصرية**» تأليف الدكتور محمود شريف أستاذ النقد والأدب العربي بجامعة القاهرة .

- «**أفكار ماركسية في الميزان**» تأليف الدكتور طارق احمد خجي يفضح من خلاله مساوىء الماركسية وعيوبها .
- «**أبطال الكفاح الاسلامي المعاصر**» تأليف الدكتور محمود دياب .
- «**زكي مبارك ناقدا**» تأليف كريمة زكي مبارك .
- «**نبوءة شاردة**» ديوان شعري للشاعر محيي محمود .
- «**القصة في الشعر العربي**» دراسة نقدية ، تأليف ثروت أباظة .
- «**إبراهيم القباني وأثره في الموسيقى العربية**» تأليف عبد السلام إبراهيم قباني .

- «**بيت في الريح**» مجموعة قصصية للأديب الراحل **ضياء الشرقاوي** (٣٨/٤/٢٠ ـ ٧٧/١١/٢م) ، صدرت له عن هيئة الكتاب المصرية مجموعتان قصصيتان «**رحلة قطار كل يوم**» ، «**سقوط رجل جاد**» ، كما صدرت له روايتان : «**مأساة العصر الجميل**» ، نشرت في مجلة الموقف الأدبي السورية ، و«**الحديقة**» ، نشرتها دار الهلال ، وله العديد من القصص والدراسات النقدية والفنية في معظم المجلات العربية .

الأردن

ندوة عن اللغة العربية

أقيمت ندوة ، اشترك فيها ممثلون من جميع الدول العربية ، لبحث مشكلة اللغة العربية خلال الربع قرن الأخير . حيث قدمت في الندوة دراسات عن موقف اللغة العربية وأسباب مشاكلها في السنوات الأخيرة .. من أجل تطويرها .

وفاة تيسير ظبيان

نعت الأوساط الثقافية والتربوية في الأردن الأستاذ المجاهد **تيسير ظبيان** . ولقد كان الفقيد من مجاهدي الرعيل الأول الذين أسهموا في تأسيس منابر العلم والصحافة ودعم **النشاطات الاسلامية** منذ تأسيس الأردن في العصر الحديث . ويعتبر الأستاذ تيسير ظبيان من القلائل العاملين في حقلي **الثقافة والتربية** الذين أنشأوا جيلاً ما زال يمسك بدفة تسيير الأمور في الأردن .

المعرض الثانـي للفنون الجميلة

أقيم **المعرض الثاني للفنون الجميلة في الأردن** ، حيث يتوقع مشاركة أكثر من خمسين فناناً . وجدير بالذكر أن هذا المعرض هو المقدمة لاختيار الفنان الذي سيمنح (**جائزة الدولة التقديرية في الفنون**) ، وهو أكبر سوق فنية يبيع فيها الفنانون المحليون أعمالهم .

معرض الصناعات المغربية الممتازة

أقيم في عمان معرض **للصناعات المغربية الممتازة** احتوى على **عشرين ألف قطعة** فنية من التحف الفضية والمزخرفات والجلود والمطرزات المطعمة بالذهب والأزياء التقليدية والخشب المخرم . وهذا المعرض الأول من نوعه تشرف عليه الجهات الرسمية في المغرب والأردن ، وقد كان الإقبال على حضوره وشراء القطع المخصصة للبيع إقبالا كبيراً مما دفع المشرفين على المعرض إلى تمديد فترته .

ندوة الموسيقـى الشعبية

يشترك الأردن في ندوة الموسيقى الشعبية التي ستعقد في مدينة سمرقند بالتعاون مع **اليونسكو** . وجدير بالذكر أن الموسيقى الشعبية في الأردن تحظى بنهضة ترعاها المؤسسات الرسمية والخاصة .

ألحان أردنية من إيطاليا

تم طبع أسطوانتين في **إيطاليا** (٣٣ لفة) تحتويان على الألحان الشعبية الأردنية الشائعة ، وقد عمل على جمعها وتبويبها وتوزيع الألحان فيها الموسيقار الفلسطيني **يوسف خاشو** ، المقيم في إيطاليا منذ عشرين سنة . وتلاقي هاتين الأسطوانتين صدى حسناً في الأوساط الفنية المحلية ، والأوروبية . والأوسطوانتان من إنتاج **وزارة الثقافة والشباب الأردنية** .

شخصية الشهر

عبد العزيز آل سعود
(١١٩٧هـ ـ ١٣٧٣هـ)

- ولد في التاسع والعشرين من شهر ذي الحجة عام ١٢٩٧هـ ديسمبر ١٨٨٠م بمدينة الرياض .
- رحل مع والده الامام عبد الرحمن الفيصل آل سعود ، حاكم الرياض ، إلى قطر ثم الاحساء ثم الكويت وهو في الحادية عشرة .
- في عام ١٣١٩هـ غادر الكويت متجهاً إلى الرياض حيث عسكر مع رفاقه الأربعين في الربع الخالي قرابة الخمسين يوماً حيث قام بمهاجمة الأعداء وانتصر عليهم ، وذلك باسترداد مدينة الرياض .. واستمر في انتصاراته المتوالية الأمر الذي تحقق معه استعادة ملك الآباء والأجداد فاسترد القصيم والاحساء وعسير .. أما الحجاز فقد دخلها عام ١٣٤٣هـ ونصب نفسه ملكاً عليها إلى جانب لقبه كسلطان لنجد .
- وعندما بلغ الخامسة والأربعين دانت له معظم أنحاء الجزيرة العربية بعد أن خيم الأمن والاستقرار على ربوع البلاد وخاصة أرض الحرمين مكة المكرمة والمدينة المنورة وجدة وينبع بوابتا المدينتين المقدستين .
- في عهد جلالته بدأت بشائر الخير باكتشاف البترول مما ساعد على السير بالبلاد نحو مدارج الحضارة والتقدم ، فعمد إلى الاصلاح مسترشداً بأحكام الشريعة .
- وفي عهده دخلت المملكة العربية السعودية في هيئة الأمم المتحدة وفي الجامعة العربية .
- فاضت روح جلالته في الثاني من ربيع الأول عام ١٣٧٣هـ عن ٧٦ عاما .



★ جلالة الملك عبد العزيز ★

ليلة صينية

استمتع الجمهور الأردني في عمان بليلة صينية رائعة قامت باحيائها فرقة صينية للألعاب البهلوانية . ومن الفقرات الممتعة ألعاب تعتمد على خفة اليد والحركات الرياضية واللعب على الحبال والدراجات . كما تضمنت الليلة عرضاً فنياً للتراث الشعبي الصيني ، وللأغاني الشعبية .

نقوش صفوية وثمودية

انتهت المرحلة الأولى من مشروع مسح البادية الأردنية لتوثيق **الآثار العربية والاسلامية فيها** . وقد عثر على **آلاف النقوش الصفوية والثمودية** لهذين الشعبين العربيين اللذين عمرا المنطقة قبل الإسلام . وستنشر مديرية الآثار العامة الأردنية هذه النقوش في مجلد ضخم .

قلعة مكاور

باشر فريق أثري عمليات التنقيب والترميم **لقلعة مكاور** غير البعيدة عن عمان . ولهذه القلعة أهمية تاريخية ترجع إلى عهد **الادوميين والأنباط** في القرن الأول قبل الميلاد والقرون الثلاثة بعد الميلاد . وجدير بالذكر أن هذه القلعة هي المكان الذي قتل فيه يوحنا المعمدان (يحيى في القرآن الكريم) على يد جماعة من اليهود وقدم رأسه على طبق هدية للراقصة سالومي اليهودية التي تزوجت من أخيها ، وذلك لأن يوحنا المعمدان وجه أوجع الانتقادات إلى تصرفات اليهود المنافية للأخلاق ومبادىء المسيح عليه السلام .

منطقة طبريا

تتعرض الآثار العربية والإسلامية في منطقة طبريا (فلسطين المحتلة) لأبشع عمليات التدمير والازالة على يد **سلطات الاحتلال الصهيونية** ، بحجة أنها تشكل عائقاً أمام إنشاء سلسلة من الفنادق السياحية على شواطىء بحيرة طبريا ، ولقد ذكر الخبر شهود عيان عرب قدموا إلى الأردن من الأراضي المحتلة ، كما ذكرته الصحيفة الصهيونية **هاآرتس** . وجدير بالذكر أن لهذه المنطقة اهمية تاريخية عربية وإسلامية ، فقد كانت عامرة بالمباني **الأموية والأيوبية والمملوكية** . وهي المنطقة التي انطلق منها السلطان **صلاح الدين الأيوبي** إلى **سهل حطين** القريب ، حيث شتت شمل جيوش الفرنجة الصليبيين وكسر شوكتهم وحرر **مدينة القدس** في عام ٥٨٣ هـ/١١٨٧ م .

جوائز الدولة في الآداب لعام ١٣٩٨ هـ/١٩٧٨ م

تشكلت اللجنة التي ستفحص النتاج الأدبي والثقافي المتقدم **لجوائز الدولة في الآداب** للعام الجاري . **وقيمة الجائزة ألف دينار أردني** ، تمنح لكل من الفائزين في مجالات **الشعر ، والقصة ، والدراسة الاجتماعية ، والتاريخية ، والثقافية العامة** . ويشترك هذا العام في المسابقة عدد كبير من الأدباء والمؤلفين الأردنيين ، وقد حجبت الجوائز في العام الماضي إلا عن مجال القصة الذي فاز فيه **فؤاد القسوس** عن روايته « العودة من الشمال » وعن مجال الدراسة التاريخية الذي اقتسمه **محمود الأخرس وسليمان الموسى** .

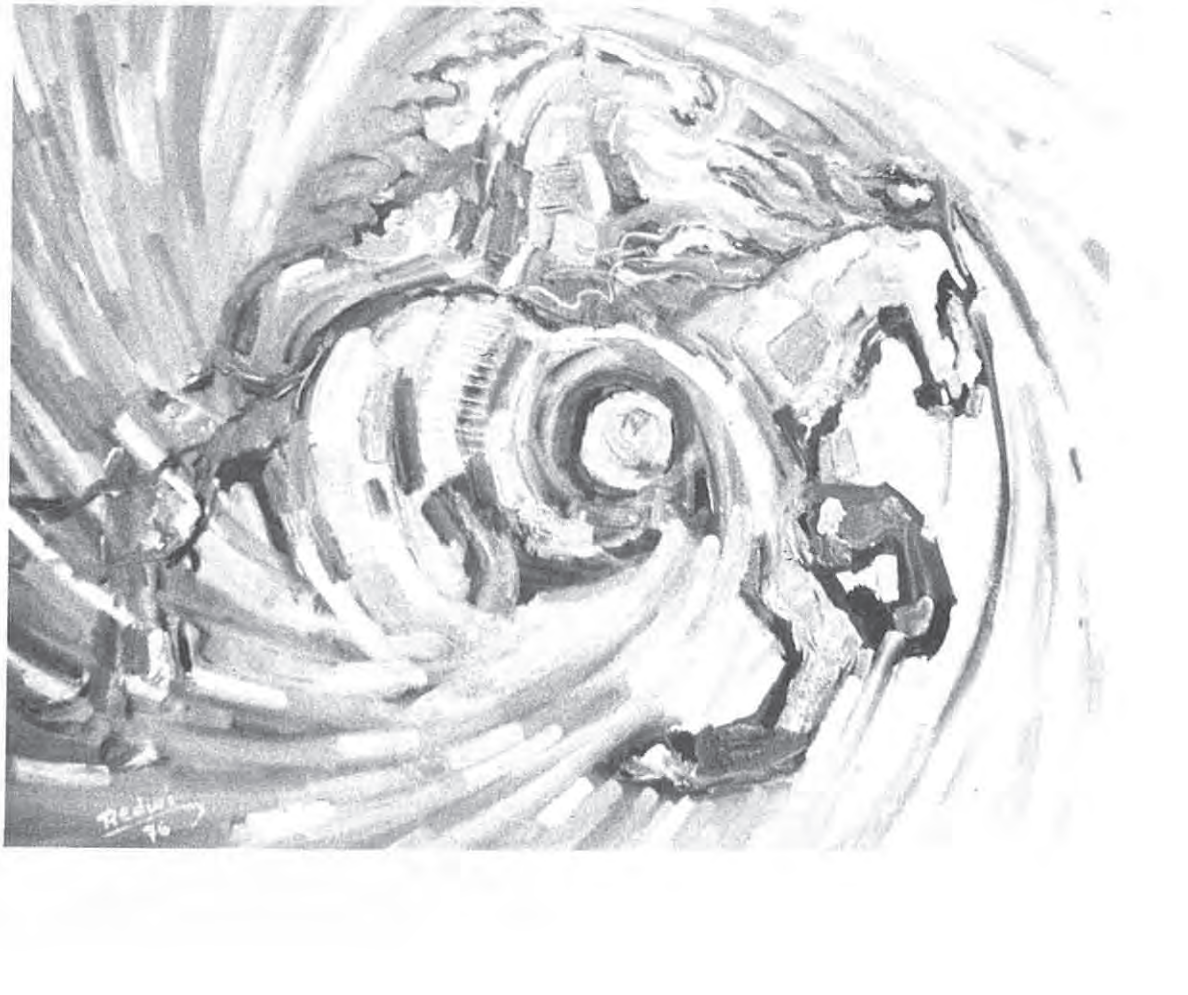
وجدير بالذكر أن اللجنة تتألف من الأستاذ **الدكتور ناصر الدين الأسد** ، رئيس الجامعة الأردنية وسفير الأردن في المملكة العربية السعودية سابقاً ، والأستاذ **الدكتور محمود السمرة** ، نائب رئيس الجامعة الأردنية للشؤون الأكاديمية ، والأستاذ **الدكتور ألبرت بطرس** ، رئيس الجمعية العلمية الملكية ، وعميد البحث والدراسات العليا في الجامعة الأردنية سابقاً ، **والدكتور هاني العمد** مدير دائرة الثقافة والفنون ، **والشاعر عبد الرحيم عمر** مدير عام مؤسسة جريدة الأخبار الأردنية ، والمستشار الثقافي في وزارة الثقافة سابقاً .

مكتبة صوتية للتراث الشعبي الأردني

أصبح بمقدور الباحثين في التراث الشعبي الاستفادة من مكتبة صوتية تحتوي على ألف وستمائة ساعة من التسجيلات الصوتية لمواد من التراث الشعبي الأردني .

وتتضمن المكتبة نصوصاً وافية متعلقة **بالخيل والابل** وموضوعاتها المختلفة . كما تتضمن هذه

لقطة



★ « الانطلاق » لوحة للفنان السعودي التشكيلي الدكتور عبد الحليم رضوي ★

المكتبة أكثر النصوص المروية للمراثي الشعبية ، والحكايات الشارحة للأمثال الشعبية . وقد رتبت المكتبة على أحدث أصول التصنيف ، وأودعت في قاعة خاصة مجهزة بالأجهزة الحديثة لتكون في متناول جميع الباحثين .

وتقوم **دائرة الثقافة والفنون** بهذا المشروع منذ سنة لتسجيل التراث الشعبي ضناً عليه من الضياع . وستلحق هذه المكتبة في العام القادم **بمتحف التراث الشعبي** الذي يحتوي على آلاف القطع النادرة من الأدوات المنزلية والزراعية والحلي والملابس وغيرها .

كتب جديدة

● **«الأردن»** باللغة الانجليزية ، من منشورات دار هتشيسون ـ لندن ، وزارة الإعلام الأردنية .

● **«من تاريخنا»** المجموعة الرابعة من تصنيف الكاتب محمود العابدي .

● **«آثار فلسطين والأردن»** كتاب جامع للآثار التي عثر عليها بعد عام ١٩٥٠م ، وفيه وجهات نظر تنقض آراء المستشرقين ، ويركز في الكتاب على الآثار العربية قبل الإسلام ، والآثار الإسلامية في الأردن .

● **«طه حسين مفكرا»** تأليف الدكتور عبد المجيد المحتسب ـ نشرته دار إحياء التراث العربي في بيروت .

لبنان

أمين الريحاني

احتفل الوسط الأدبي ، مؤخراً ، بالذكرى المئوية لرحيل الكاتب المعروف **أمين الريحاني** .

كتب جديدة

● **«مسرح التغيير»** دراسة حول منهج بريخت ، تأليف عادل قرشولي ، الناشر «دار ابن رشد» .

● **«حرب الشعارات»** تأليف ماريا شختورة .

● **«تقليد .. وتجديد»** مجموعة أحاديث إذاعية للدكتور طه حسين ، جمعت في كتاب أصدرته «دار الشروق» .

● **«اللزوميات»** لأبي العلاء ترجمها عن الانجليزية الأديب الراحل أمين الريحاني ، الناشر «دار الريحاني للطباعة» .

● موسوعة حديثة ، صدرت أخيراً ، وهي تضم السير الذاتية للمشاهير من العلماء والمخترعين في العالم والوطن العربي .

● **«انتقام الأرض»** تأليف هند عيتاني .

● **«طيور بعد الطوفان»** ديوان شعري للشاعر يامر بدر الدين .

المغرب

مهرجان أصيلة ينتهي

أسدل الستار على مهرجان أصيلة الذي شارك فيه أربعون مفكراً من عرب وأجانب ، أمثال ماكسيم ردونسن وجزيل حلمي ومحمد عزيزة وأحمد جعيط وسمير أمين ، وقد تناول المحاضرون في كلماتهم قضايا تتعلق خاصة بمفهوم الإسلام من منظور جديد ، ومفهوم المرأة في الإسلام .. وغير ذلك .

كتب جديدة

● **«عناقيد وادي الصمت»** ديوان محمد بن عمارة ، يحتوي الكتاب على ١٦ قصيدة ، أهداها الشاعر إلى فلسطين .. الأرض والإنسان .. والثورة .

● **«مولاي إسماعيل بن شريف : حياته ، سياسته ، مآثره»** تأليف د . عبد الله العمراني .

● **«فلسفة الملا صدرا»** للأستاذ فضل الرحمان ـ كتاب حول أعمال محمد بن إبراهيم بن يحيى المتوفى سنة ١٩٤١م ، والملقب بصدر الدين والمعروف باسم الملا صدرا .

● **«تطوان تحكي»** تأليف محمد الصباغ .

● **«صهيل الخيل الجريحة»** ديوان شعر لمحمد محمد الأشعري .

● **«أبراج المدينة»** تأليف محمد عز الدين التازي .

● **«من الخط العربي»** تأليف عبد الله الخطيبي .

على المنتهى

على المثقف السعودي أن يعيش مشاكل الناس في بلده ويتفاعل معهم .

حمد الجاسر
السعودية

الشاعر الموهوب يسيطر على المقاييس والموازين ، بل قد يزيد من عنده التزاماً إن أحس بأن الموضوع الذي يطرحه يتطلب كثيراً من الرونقة والتجميل .. أما الشاعر الضعيف فهو الذي يتعثر تحت وطأة المقاييس وبالتالي فهو الذي يعتبر أن موازين الشعر قيداً يحاول التخلص منه .

محمد الأخضر السائحي
الجزائر

إن تحديد الشعر بالوزن ، تحديد خارجي سطحي ، قد يناقض الشعر .. إنه تحديد للنظم لا للشعر ، فليس كل كلام موزون شعراً بالضرورة وليس كل نثر خالياً بالضرورة من الشعر .

أدونيس
لبنان

التراث يمثل حضارتنا الفكرية ، فإذا آل الأمر إلى أن نعيش في المختصرات ونترك الأمهات فمعنى ذلك أننا نتخلى عن حضارتنا الفكرية ، وفي التفسير بالذات لا تكفي الملخصات !

خالد محمد خالد
مصر

حمد الجاسر



★ أدونيس ★



وينمو الحلم في خيالنا ، كبرعم يحتاج للعناية ، ليزهر ويثمر .. ولكي نصل نتخطى الكثير من العقبات ، نصبر ونتعذب .. لكن في النهاية لا بد من الوصول ، ما دامت الإرادة ثابتة وما دام الاصرار موجوداً .

فاطمة فقيه
الكويت

مشكلة اللغة العربية مشكلة فكرية قبل أن تكون مشكلة لغوية ، ذلك أن اللغة ، أي لغة ، تتجدد بتجدد الفكر وتتخلف بتخلفه .

د . محمد خير الحلواني
سورية



★ فدوى طوقان ★

فلسطين

آثار

أنهت دائرة الآثار دراسة الوضع الأثري لمدينة نابلس حسب التخطيط لسنة ٣٣٠٠ قبل الميلاد ، بعد اكتشاف المئات من المواقع الأثرية الهامة في تاريخ المدينة خلال السنوات الماضية ، كما تم العثور على أروع عمل تاريخي يدل على مدى التقدم الحضاري الذي عاشته المنطقة في عهد الإمبرطورة «هيلانة» وهو ربط سبسطية بمدينة نابلس بقناة سحبت عبرها المياه من عشرة ينابيع في مدينة نابلس .

جوائز

منحت الشاعرة الفلسطينية «فدوى طوقان» المقيمة بمدينة نابلس ، جائزة «بالرمو» الأوروبية ، وتعتبر فدوى طوقان رابع أديب عربي ، وأول أديبة عربية تفوز بهذه الجائزة ، بعد أن فاز بها كل من نزار قباني ، عيسى الناعوري وميخائيل نعيمة .

❋كتب جديدة❋

● «كيف يمكن أن تحب» ديوان شعر بالعبرية للشاعر نعيم عرايدي .

● «أنغام ذات ايقاع واحد» المجموعة الشعرية الأولى للشاعر محمود عوض عباس .

● «خواطر من الزنزانة» مجموعة خواطر وقصائد تأليف محمد عبد السلام .

● «ستون عاماً على الحركة القومية العربية والفلسطينية» كتاب جديد للباحث الفلسطيني إميل توما ، صدر عن منشورات البيادر .

● «رحلة في بحر عاصف» ديوان شعري للشاعر شهاب محمد .

● «من الجرح يبتدي البرق» ديوان شعري للشاعر الفلسطيني حسن الباش .

الجزائر

الملتقى الثاني عشر للفكر الاسلامي

التأمت بمدينة بتنة ، عاصمة الأوراس ، الدورة الثانية عشرة لملتقى الفكر الإسلامي التي ساهم فيها باحثون عرب وأجانب ، من الجزائر والمملكة العربية السعودية وتونس ومصر والأردن والعراق .. وفرنسا والهند والدانمارك وغيرها . تناولت هذه الدورة بالبحث خمس نقاط ، تعلقت الأولى بتاريخ المنطقة نفسها ، أما النقاط الأخرى فدارت حول الدين والعلم ، والجامعة ودور الإسلام في تطويرها ، والأسرة في العالم ، ثم دراسات حول تاريخ الجزائر بصفة عامة .

حملة الحفريات بسيقة

شرع يوم ١١ سبتمبر (أيلول) بسيقة (بني ساف) ، في أشغال حملة الحفريات التي نظمت منذ سنتين ، ويشارك في هذه الأشغال التي ستدوم شهراً علماء آثار من الجزائر بمساعدة أخصائيين من روما وبون ، وتهدف الحفريات إلى مزيد من الكشف عن أسرار هذه المدينة القديمة عاصمة مملكة ماسايسيل (٢٠٥ ق . م) ، التي لعبت دوراً هاماً في علاقات نوميديا بقرطاج .

تونس

ملتقى القلصادي في العلوم والتكنولوجيا

انعقد مؤخراً بمدينة باجة الملتقى الثاني للعالم أبي الحسن علي القلصادي وذلك تحت شعار «العلوم والتكنولوجيا وتأثيراتها في النمو الاقتصادي» كما اشتمل الملتقى على ثلاث عشرة محاضرة .

وفاة الأديب محمد الحليوي

توفي يوم الجمعة أول سبتمبر (أيلول) ، الأديب التونسي محمد الحليوي الذي ولد سنة ١٩٠٧ م ، ويعتبر الأديب الراحل آخر أدباء «أهل النهضة» الذين لعبوا دوراً هاماً في الحياة الأدبية في المشرق والمغرب أمثال شوقي ، والشابي ، الذي كان من أكبر أصدقاء الأديب الراحل . ومن مؤلفات الحليوي : في الأدب التونسي ، ومباحث أدبية ، ودراسات ، ورسائل الشابي .

❋كتب جديدة❋

● «محمد البشروش ، حياته وآثاره» تأليف عبد الحميد سلامة ، نشر الدار التونسية للنشر ، تناول حياة وآثار المرحوم محمد البشروش (١٩١١ - ١٩٣٨ م) ، أحد أعلام الأدب التونسي .

● «العرب أمام قضية فلسطين» للأستاذ الشاذلي القليبي (وزير الشؤون الثقافية) ، الدار التونسية للنشر ، الطبعة الثانية ، أما الطبعة الأولى فصدرت سنة ١٩٦٧ م .

● «مباحث في علم الكلام والفلسفة» للدكتور علي الشابي ، نشر دار بوسلامة ، تحليل للأثر الشرقي عامة والفارسي خاصة في بعض مباحث الفلسفة الإسلامية بالرجوع إلى المصادر الأصلية .

قطر

معرض الباكر !

يستعد الفنان التشكيلي سمير الباكر لإقامة معرضه في السويد ، حيث يعرض من أعماله نماذج من الفنون الشعبية القطرية .

جريدة يومية جديدة .. بالألوان

تجري الاستعدادات حالياً لتركيب مطابع جديدة حيث سيتم في خلال شهرين صدور جريدة يومية جديدة في ٢٤ صفحة بالألوان .. ولم يتم للآن اختيار اسم لها .. وسوف يرأس تحريرها الكاتب المصري رجاء النقاش .

أسبوع ثقافي

تستعد إدارة الثقافة والفنون بوزارة الإعلام بإقامة أسبوع ثقافي تونسي ، يبدأ خلال الشهر القادم .. يستمر لمدة ستة أيام ، حيث يقدم في هذا الأسبوع معرض للكتاب والفنون التشكيلية .. ومحاضرات وعروض مسرحية .

العراق

ندوة عن التعليم الفني

سيقام في بغداد في الفترة ما بين ١٨ - ٢٢ فبراير (شباط) ، من العام القادم ندوة عن التعليم الفني والتقني العالي وسوف تناقش الندوة ، واقع التعليم الفني ودوره في التنمية والمعوقات والحلول المقترحة والأسس العامة للخطط والمناهج الدراسية .. وكذلك تأهيل الكوادر التدريسية والتدريبية لتشجيع الإقبال عليه .. وأساليب التعاون بين الدول العربية .

❋كتب جديدة❋

● «اسأل الشرطي ماذا تريد» رواية - تأليف شوقي الصوري ، الناشر - دار الكاتب في بيروت .

● عن سلسلة «الموسوعة الصغيرة» صدر كتاب جديد بعنوان «الإنسان .. آخر المعلومات العلمية عنه» .

الكويت

❋كتب جديدة❋

● «أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة» تأليف الدكتور نايف خرما .

اليمن

❋كتب جديدة❋

● «الأرض يا سلمى» رواية تأليف محمد أحمد عبد الولي .



★ ألبير كامي ★

نسخة من القرآن الكريم .. على جلد الغزال

نسخة نادرة من القرآن الكريم ، عرضت أخيراً في المتحف الوطني بمدينة كراتشي .. يرجع تاريخها إلى عهد الخليفة عثمان بن عفان ثالث الخلفاء الراشدين .. وهي مكتوبة على جلد الغزال بالخط الكوفي .

حسن بن مطهر .. وعصره

المجلس الأعلى للثقافة والفن ، يستعد لاقامة مؤتمر عالمي ، وذلك **بمناسبة مرور ستمائة وخمسين عاما على وفاة العلامة حسن بن مطهر الحلي** ، أحد أركان الفقه الإسلامي .. والجدير بالذكر أن ذلك المؤتمر ، ستتناول المحاضرات فيه حياة هذا الفقيه الكبير وعصره .

* أحدث الكتب *

- «**نظرة إلى تاريخ العالم**» تأليف الزعيم الهندي جواهر لال نهرو ، ويعتبر هذا الكتاب تكملة لكتاب «رسائل أب إلى ابنته» ، صدر عن دار أمير كبير ، وهي الطبعة السادسة . وقد ترجم الكتاب إلى الفارسية محمود تفضلي ويقع في ثلاثة مجلدات .
- «**تاريخ أذربايجان**» تأليف أحمد كسروي .
- «**دار الخلافة بطهران**» تأليف ناصر نجمي .
- «**أصفهان**» تأليف الدكتور لطف الله هنرفر .

بموسيقاه .. يحتفل بعيد ميلاده !

الملحن المشهور **كارل هاينز شتوتكاوزن** ، بمناسبة عيد ميلاده الخمسين ، قامت مدينة بون بتوجيه الدعوة إليه للاشتراك في المهرجانات الفنية التي تقام في الهواء الطلق والحدائق ، حيث إنهم يطلقون على هذه المهرجانات «صيف بون» .. وقد وافق الملحن المشهور على تلبية الدعوة ، وقدم مقطوعته الموسيقية الجديدة لأول مرة في المهرجان بعنوان «سيريوس» .. أو «النجم الشعري» .. وقد سبق أن قدم نفس المقطوعة في واشنطن بمناسبة الاحتفال بمرور ٢٠٠ سنة على قيام الولايات المتحدة الأمريكية .

السلام للأطفال بـ ١٠ آلاف مارك

مؤلفة قصص الأطفال السويدية المشهورة «**استريد ليندجرين**» ، تلقت جائزة السلام لتجارة الكتب الألمانية للعام العالمي ١٩٧٨م ، وقيمة الجائزة عشرة آلاف مارك .

الحاسب الالكتروني .. والطباعة العربية

تمكنت إحدى شركات الطباعة المحلية من التوصل إلى استخدام حاسب إلكتروني للغة العربية ، يستطيع تكوين أكثر من ستمائة علامة من حروف الأبجدية العربية البالغ عددها ٢٩ حرفاً .. وأيضاً .. سيتمكن من تكوين الكتابة العربية كما لو كتبت بيد خطاط عربي .

أصغر كتاب في العالم

كان أصغر كتاب عرض في معرض للكتب الصغيرة حيث بلغ حجمه **٣,٥ملم × ٢,٥ملم** .. كما ضم المعرض ٤٠٠ كتاب من الحجم الصغير ، تقدمت بها ١٢ دولة .

عيد ميلاد .. دار نشر

احتفلت دار النشر الألمانية «**فيليب ركلام جونيور**» بمرور ١٥٠ عاماً على تأسيسها . هذه الدار تطبع سنوياً حوالي اثني عشر موضوعاً متنوعاً ، بين التاريخ والفنون والفلسفات والآداب العالمية .. والسير الشخصية .

معرض الكتاب العالمي

أقيم في مدينة فرانكفورت معرض الكتاب العالمي .. هذا المعرض الذي تشترك فيه كل دول

حدث في مثل هذا الشهر

أول نوفمبر
١٩٧٢ وفاة الشاعر أزراباوند (طالع شخصية عالمية) ، (طالع تاريخ مولده في العدد ١٦ من هذه المجلة) .

٢ نوفمبر
١٩٥٠ وفاة الأديب جورج برنارد شو (طالع تاريخ مولده في العدد ١٤ من هذه المجلة) .
١٨٦٩ وفاة الأديب لامارتين (طالع تاريخ مولده في العدد ١٦ من هذه المجلة) .

٤ نوفمبر
١٨٤٧ وفاة الموسيقار فيليكس مندلسون .
١٩٤٦ إنشاء منظمة اليونسكو .

٥ نوفمبر
١٨٨٥ مولد الكاتب ويلي ديورانت .



★ برنارد شو ★

٦ نوفمبر
١٨٩٣ وفاة الموسيقار تشايكوفسكي .

٧ نوفمبر
١٨٦٧ مولد ماري كوري (طالع تاريخ مولدها وترجمة حياتها في العدد ١٣ من هذه المجلة) .
١٩١٣ مولد الأديب ألبير كامي .

٨ نوفمبر
١٦٧٤ وفاة الشاعر جون ميلتون .

٩ نوفمبر
١٨١٨ مولد الأديب تورجنيف .
١٩٧٠ وفاة ديجول (طالع تاريخ مولده في هذه الزاوية) .

١٠ نوفمبر
١٤٨٣ مولد مارتن لوثر .
١٧٥٩ مولد الشاعر شيللر .
١٨٩١ وفاة الشاعر رامبو (طالع تاريخ مولده في العدد ١٧ من هذه المجلة) .

١١ نوفمبر
١٨٢١ مولد الروائي دوستويفسكي .

١٢ نوفمبر
١٨٣٤ مولد الموسيقار الكسندر بورودين .
١٨٤٠ مولد المثال رودان (طالع تاريخ وفاته في هذه الزاوية) .

١٣ نوفمبر
١٨٥٠ مولد الأديب روبرت ستيفنسون .

١٤ نوفمبر
١٢٦٥ مولد الأديب دانتي .
١٨٣١ وفاة الفيلسوف هيجل (طالع تاريخ مولده في العدد ١٥ من هذه المجلة) .

١٥ نوفمبر
١٨٨٧ مولد الكاتبة ماريان مور .

١٧ نوفمبر
١٩١٧ وفاة المثال رودان .

١٩ نوفمبر
١٨٢٨ وفاة الموسيقار فرانز شوبرت .

٢٠ نوفمبر
١٩١٠ وفاة الروائي تولستوي .

٢١ نوفمبر
١٦٩٤ وفاة المفكر فولتير .



★ فولتير ★

٢٢ نوفمبر
١٨١٩ مولد الأديب جورج اليوت .
١٨٦٩ مولد الأديب أندريه جيد .
١٨٩٠ مولد ديجول .
١٩٦٣ وفاة الكاتب الدوس هيكسلي (طالع تاريخ **وفاته** في العدد ١٤ من هذه المجلة) .

٢٣ نوفمبر
١٩٢٢ مولد الكاتب مانويل فراجا .



★ بالوما ★

العالم حيث يتم فيه عرض نشاطاتها في عالم الكتب والاصدارات في مختلف العلوم والفنون والمعارف الإنسانية ، وذلك في الفترة الواقعة بين ١٨ ـ ٢٣ أكتوبر (تشرين الأول) .

*** أحدث الكتب ***

- **«نيتشه .. وشقيقته اليزابيث»** تأليف هـ . هف بيترز .

الأرجنتين

الاحتفال به .. خارج موطنه

«كلو ديو سانتشس» مؤرخ .. ووزير سابق .. وأيضاً مدير سابق لجامعة مدريد المركزية ، استكمل هذا العام الثمانين من عمره .

سفير إسبانيا في الأرجنتين أقام وليمة غداء على شرف المؤرخ الإسباني الكبير ، احتفالا به بعيداً عن موطنه .. وقد حضر الحفل رئيس المجمع الأرجنتيني للآداب .. وشخصيات كبيرة في عالم الفن والثقافة .

الهند

*** أحدث الكتب ***

- **«ذكريات عهد نهرو»** تأليف .. م . ماتاي .

شخصية عالمية

لوميس أزراياوند
(١٨٨٥ ـ ١٩٧٢م)

- شاعر أمريكي له أثر عميق في الشعر الانجليزي الحديث .
- ترك أميركا عام ١٩٠٧م ، إلى إسبانيا وفرنسا وإيطاليا .
- استقر في انجلترا وقاد حركة التصويريين في الشعر الحديث .
- أقام في إيطاليا بين عامي ١٩٢٤ و١٩٤٥م .
- دخل مستشفى الأمراض العقلية بعد أحداث الحرب العالمية الثانية .
- من أهم دواوينه «شخصيات» عام ١٩٠٩م ، و«الأغاني» الذي كتبه بين عامي ١٩٢٥ و١٩٤٨م .
- يتميز شعره بالربط بين الحياة المعاصرة والأساطير القديمة الشرقية والصينية بصفة خاصة .
- كما يتميز بالبراعة اللفظية والموسيقى .
- ويتم شعره بصفة عامة عن التفقه وسعة الاطلاع .
- له مقالات عديدة وهامة في النقد الأدبي .
- وقد تأثر كثيراً بشعر صديقه ت . س . اليوت .

فرنسا

التجريد .. والموتى !

كاندنسكي دولوني ، هانس آرب ، موندريان ، جياكومتي ، غابو ، نيكولسون ، وغيرهم من الفنانين الإنجليز والأمريكان والبولونيين والسويديين والإيطاليين والهولنديين ، الذي يبلغ عددهم خمسة وثمانون فناناً ، جميعهم موتى ومن رواد الفن التجريدي في العالم .

كل هؤلاء يقام لهم معرض بمتحف الفن الحديث بمدينة باريس .

.. والتجريدية .. أيضا !

في قاعة **كاليري** ، أقيم معرض للفنان التجريدي **«جان هيليون»** .. وهو من طليعة التجريديين ، الذين يمتاز أسلوبهم بمزج الخيال بالحقيقة .

«بالوما» .. تنتظر !

قررت **«بالوما»** ابنة الفنان العالمي **«بيكاسو»** أنها عندما تمتلك لوحات والدها فإنها ستعير بعض لوحات والدها لبعض المتاحف .. والآخر تحتفظ به لنفسها في المنزل .. وجزء آخر ستودعه في خزائن مصفحة !

تغيير الحياة

توفي الكاتب جان جيهينو رئيس تحرير مجلة «أوروبا» سابقاً بأزمة قلبية مفاجئة ، عن ٨٨ عاماً .. وهو صاحب رواية «تغيير الحياة» التي كتبها عام ١٩٦١م .

(٤٠٠) لوحة جديدة

أقيم في **«ليون»** معرض للنحت المعاصر ، اشترك فيه اتيان مارتن وجوان ميرو .. وأرمان وسيزار وارنست .

ضم المعرض حوالي (٤٠٠) لوحة فنية للفنان ميرو ، لم يشاهدها الجمهور من قبل .

ألبومات «الفن في العالم»

شرعت مؤسسة السفيبي Elsevier في نشر سلسلة جديدة تتكون من تسعة ألبومات تحتوي على مختلف مظاهر الفن في العالم وتطوره عبر العصور والحضارات . خصص المجلد الأول لفن مصر والشرق الأوسط ، الذي عهد به إلى مجموعة من المختصين في تاريخ الفن ، أما التقديم فهو لماكس ـ بول فوشي .

معرض للرسم القطري

أقيم خلال شهر سبتمبر معرض للرسم القطري بمتحف باريس للفن المعاصر . أما في متحف كارنفالي بنفس المدينة ، فقد أقيم معرض بعنوان : باريس في نظر الرسامين ، ودام المعرض إلى ٤ أكتوبر (تشرين الأول) .

جوائز شعرية

منحت جائزة كاسترمان السنوية الخاصة بالشعراء الذين لم يبلغوا سن الخامسة والعشرين ، لفريفوار بولانجي وهو من لوزان بسويسرا . أما جائزة ليل دي فرانس للشعر ، فقد منحت هذه السنة ١٩٧٨م ، لجان فويات .

مؤتمر لطب الأطفال

بمناسبة عام الطفل العالمي ١٩٧٩م ، عقد في مدينة مرسيليا مؤتمر لطب الأطفال لبلدان الشرق الأوسط .. وكان الموضوع الرئيسي للمؤتمر هو **«الصحة الاجتماعية»** .

وفاة جان لوماروا

توفي أخيراً الكاتب الفرنسي جان لوماروا Le Marois في سن الرابعة والثمانين . وهو شاعر وكاتب مسرحي وفيلسوف وروائي .

*** أحدث الكتب ***

- **«القضية النسائية»** تأليف سيمون دي بوفوار ، سيصدر في نهاية هذا العام .

● «قصائد» تأليف صمويل بيكيت ، وهي القصائد التي كتبها بالفرنسية منذ عام ١٩٣٩ م ، الناشر دار فيوي .

● «داخل المغرب» للمستشرق جاك بيرك ، الناشر دار جاليمار .

● «كاندينسكي وأنا» ، نشر فلاماريون ، كتاب تتحدث فيه نينا كاندينسكي عن زوجها الرسام الراحل . وفيه نصائح تربوية توجهها الكاتبة إلى اللواتي يتزوجن من فنان ، تلك المهمة الصعبة .

● «دراسة في البرابسيكولوجيا» تأليف دوني سودر ، نشر بايو . قيمة هذا البحث تاريخية خاصة ، لأنه قدم في مؤتمر اوتراشت الذي أبرز لأول مرة مسألة البحث في الظواهر النفسية الغيبية .

● «فرويد ، انطولوجيا وتعاليق» تأليف د . جان ديركنز ، نشر لابور . عمل علمي موجه لغير المختصين ويجانب مختلف النزعات .

● «إسرائيل ـ فلسطين : ما عسى أن تفعل السينما ؟» نشر شركة إفريقيا للنشر . عمل مشترك يحلل فيه سينمائيون يهود وعرب السينما الإسرائيلية ويتناولون قضية فلسطين بصراحة وجرأة ،

الكاتب يفتح على حوار طويل مع ماكسيم رودنسن .

● «مجلة N.R.F.» تضمن عدد شهر سبتمبر (أيلول) ، بعض «الأوراق الملتصقة» للشاعر جورج بيرروس G. Perros صاحب كتاب «حياة عادية» الذي توفي أخيراً ، وقد اجتمع للحديث عن هذا الشاعر في نفس العدد ميشال بوتور وإليزا كانتارال ، وجورج لمبريش وغيرهم .

● «موسوعة جديدة عن التاريخ» تأليف ميشيل مور ، الناشر دار «بورداس» .

● «لويس الرابع عشر» تأليف أرنست لافيس .

● الفيلسوف «جان جاك روسو» كتاب اشترك في تأليفه عدد من الشخصيات المختلفة ، منهم المؤرخ جارك جروجان والصحفي جورج هوروان والأستاذ الجامعي فرنسوا شيرياز ، . . وقد صدر الكتاب بمناسبة مرور ٢٠٠ سنة على مولده .

● «الاسلام وعلم الاجتماع الديني» للمؤلف جان بول شارقي ، يتناول المجتمعات العربية بعد ظهور الاسلام .

● «المعتقدات . . والأفكار الدينية» ، هو اسم الكتاب الجديد للكاتبة المعاصرة ميرسيا الياد . . ، الذي تتناول فيه نشأة الأفكار الدينية الأولى وظهور الديانات الشرقية .

البرازيل

رسامون صغار من الدول النامية

يقام معرض عالمي للأطفال يشترك فيه ٦٠ دولة ، أغلبها من الدول النامية . . وسوف يشارك فيه أطفال العراق ـ فقط ـ بخمس عشرة لوحة .

أمريكا

العمارة الاسلامية . . وروح العصر

بدأت الاجراءات في بناء مركز إسلامي في مدينة نيويورك . . وذلك على غرار المركز الاسلامي في واشنطن .

يأتي المبنى متكاملاً ، مستوعباً لروح العمارة الإسلامية ، فقد طافت بعثة من المهندسين بجميع بلدان العالم للتشبع بروح العمارة الإسلامية بالإضافة إلى روح العصر .

تجربتي . . في دراسة اللغة العربية

عندما ذهبت إلى الجامعة لدراسة اللغة العربية ، لم يكن عندي أي معلومات سابقة عنها إلا أنني كان من مادتي وأنا طالب في المدرسة الثانوية أن أستمع إلى مختلف الإذاعات الخارجية التي لها برامج في الموجات القصيرة وكان هناك برامج بلغات أعرفها وبرامج بلغات أفهم منها الشيء القليل ثم برامج بلغات أجهلها تماماً وجميع هذه البرامج كانت تثير انتباهي ومنها البرامج بغير اللغات المعروفة فحاولت بقدر الامكان محاكاة الأصوات الغريبة التي كنت أسمعها ومنها (**الحاء**) مثلاً الواضحة جداً في الكلام العربي وكنت أمارس نطقها قبل أن أعرف أنها حاء العربية ، **فمن المدهش أن الحرف الذي صعب علي نطقه في المرحلة الابتدائية للدراسة الجامعية لم يكن من (أصوات الحلق) وإنما هي (الراء) التي صرفت بعض الأسابيع في سبيل التمرين على نطقها .**

من حسن الحظ كان معلمي الأول هو من أبناء العرب وهو الأستاذ **الدكتور رشاد الحمزاوي التونسي** فساعدني ذلك في الوصول إلى نوع من الالتصاق الحقيقي بصوتيات العربية .

الصعوبة الكبيرة التي وجدتها في أثناء الدراسة وقعت عندما سافرت إلى **القاهرة** سنة ١٩٦٥ م **ومعي شهادة جامعية تشهد بمعرفتي باللغة العربية وإذا بي لا أستطيع أن أعبر عن نفسي أمام المصريين ولا أفهم كلامهم ، ولم تتحسن هذه الحالة بشكل ملحوظ إلا بعد الاقامة بالقاهرة لخمسة أشهر .** فابتدأت أفهم من كلام المصريين ما يسمح بالحديث البسيط وبالإجابة على أسئلتهم ، إلا أن هذه الأسئلة كانت تقتصر على «**أيوه**» و«**لا**» وغيرها من التعابير ذات الكلمة المفردة في معظم الأحيان .

أما الصعوبات الحقيقية فلم أجدها إلا عندما طلب إليّ أن أدرس اللغة العربية في **كلية الآداب بجامعة ليدن** فعندئذ اتضح لي مشاكلها وصعوباتها وتعقيداتها الأمر الذي دفعني إلى البحث في حلول مناسبة لهذه المشاكل .

المستشرق الهولندي وليم شتوتسر

وقد صرح مدير المركز ، بأن المبنى بعد اكتماله ، سيكون واحداً من روائع مدينة نيويورك التي يعيش فيها عدد كبير من المسلمين نسبة لعدد مسلمي الولايات المتحدة .

كمبيوتر لفهرسة الكتب العربية

الكمبيوتر ، ستضاف إلى أعبائه العملية ، أعباء أخرى جديدة ، منها أنه سيستخدم في فهرسة الكتب العربية الموجودة في مكتبة الكونجرس والمكتبات الأخرى المنتشرة في الولايات المتحدة .. **وقد رصدت مكتبة الكونجرس ٣٠٠ ألف دولار من أجل فهرسة الكتب العربية** .. والكتب التي تستخدم الأبجديات العربية ، كالفارسية والأفغانية .

«نافذة الخيال» .. اغلقت ؟!

عن ٨٩ عاماً ، توفي الكاتب اللبناني المهجري **«نعمة الحاج»** في مدينة **«جرينفلد»** ... وكان الشاعر قد هاجر إلى الولايات المتحدة الأمريكية منذ عام ١٩٠٤ م ، حيث أصدر ديوانه الأول في نيويورك عام ١٩١٦ م .. وطوال هذه السنوات لم يزر لبنان سوى مرة واحدة .. وكان ذلك في صيف ١٩٥٩ م ، حيث طبع ديوانه الثاني **«نافذة الخيال»** .

«لايف» تعود بـ ٤٠ محررا !

كانت مجلة **«لايف»** التي تصدر عن مؤسسة «تايم» الصحفية قد توقفت عن الصدور في ديسمبر (كانون الأول) ١٩٧٢ م ، بعد عمرها الذي وصل إلى ١٨٦٤ عدداً أسبوعياً .

وقد عادت للصدور .. ولكن مرة كل شهر ، محتفظة بشكلها القديم وعدد صفحاتها ١٤٠ صفحة .. ولكن الجديد في الأمر .. أن المجلة كانت تستخدم ٣٤٠ محرراً في عمرها القديم ،.. وقد انخفض هذا العدد الآن إلى ٤٠ محرراً فقط .

«المجانين» بمبلغ ٢٥٥ ألف دولار

الكاتب المعروف **«ماريو بوزو»** ، عرضت عليه إحدى دور النشر مبلغ ٢٥٥ ألف دولار مقابل موافقته على نشر روايته الجديدة **«المجانين يموتون»** . والمعروف أن **«بوزو»** هو صاحب رواية «العراب» ، التي حققت نجاحاً كبيراً .. وهي تتناول حياة عصابات المافيا .

* أحدث الكتب *

- **«الأصوات البشرية»** تأليف العالم اللغوي مايكل رود .
- **«وهم الكينيك»** تأليف الباحث الفيلسوف المعاصر ولیم باریت .
- **«التحليل الكمي»** تأليف ايرا هورو ويتز ـ الطبعة الثانية ـ جامعة انديانا .
- **«نمو الديمقراطية الصناعية»** تأليف جون اليوت وكوجان بيج .
- **«أغنية سولومون»** رواية .. تأليف الكاتبة الزنجية «توني موريسون» .

الدانمارك

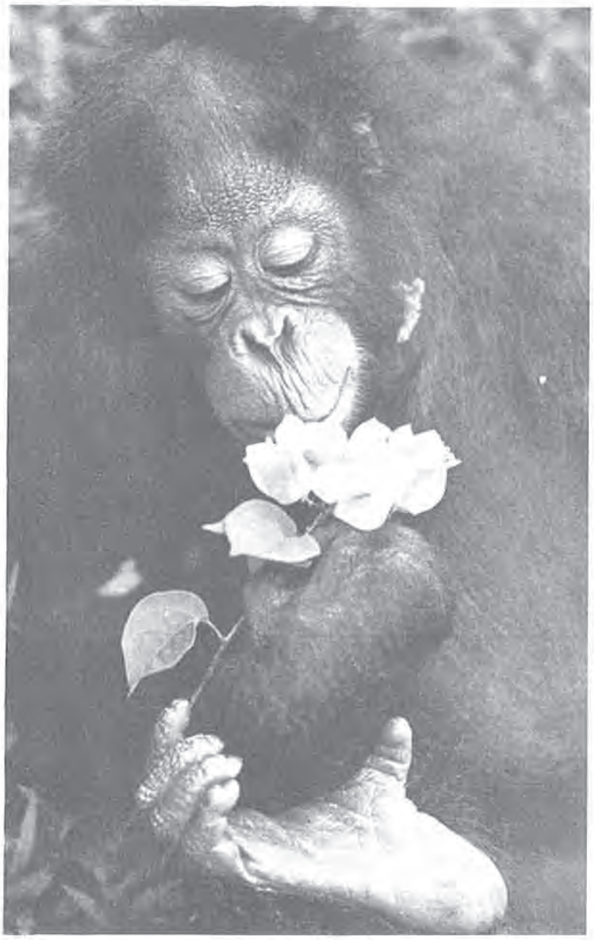
الفنان الفقير .. واللوحة الغنية !

الرسام الدانماركي «بيتر سيفيرن كروير» (١٨٥١ ـ ١٩٠٩ م) ، بيعت إحدى لوحاته في مزاد علني بمبلغ مائة ألف دولار .. والمعروف أن هذا الفنان قد مات فقيراً .. واستطاع الجوع أن يقضي عليه وعمره ٥٤ عاماً .

ايطاليا

«العشاء الأخير» بـ ٢٥٠ مليون ليرة

٤٨١ سنة مرت على «لوحة العشاء الأخير» التي رسمها الفنان ليوناردو دافنشي ، وقد بدأت



كاميرا

* عجيب هذا القرد .. ؟!

إنه يحاول أن يحب ويعشق الحياة .. وأن يستمتع بما حوله من مظاهر الطبيعة .

ترى .. هل من حقه كـ «حيوان» أن يهيم بهذه الوردة ، مستغرقاً في «حلم» هو وحده الذي يعرفه ، في الوقت الذي يدوس الإنسان بقدميه كثيراً من الورود ؟! *

عوامل الزمن تعبث بها ، بحيث أصابها التشقق ، وقد أمر وزير الثقافة الإيطالي بترميمها .. وسوف يتكلف ذلك ٢٥٠ مليون ليرة إيطالية .

أسبانيا

«هذا ما قاله آرتورو»

الكاتب البيروني المقيم في باريس **«خوسه مانويل غوتيرس سوسا»** ، أسعده الحظ بالحصول على الجائزة الثالثة عشرة للقصة .. وهي جائزة يطلق عليها اسم **«بلاسكو ايبنيس»** ، تقدمها دار النشر **«ايبنيس»** .

وقد كانت القصة التي اشترك بها **«خوسه»** في المباراة تحمل عنوان «هذا ما قاله آرتورو» .

حفلة تكريم لواحد من شيوخ أدب الأطفال

«انطونيو روبليس» يطلقون عليه شيخ أدب الأطفال والشباب الإسباني ، ويعتبر من

أحسن كتّاب قصص الأطفال بعد الحرب العالمية الثانية .

هذا الكاتب ، أقيمت له حفلة تكريم عشية الاحتفال بعيد كتاب الأطفال على نطاق دولي في الاسكوريال .

تكريم فنان

الفنان **« خوان ميرو »** ، بلغ الخامسة والثمانين .. وبهذه المناسبة ، منحه الملك خوان كارلوس واحداً من الأوسمة .. وذلك في احتفال كبير ومهرجان تشكيلي ضخم أقامته بلدة « بالمادي ماجوركه » .. ثم يستمر الاحتفال لمدة أربعة أسابيع ، حيث تبدأ فرقة مسرح برشلونة عرض مسرحية **« الملك ميرما »** وهي أول عمل مسرحي لخوان ميرو الذي صمم ديكوراتها وملابسها كما اشترك في كتابة السيناريو .

* أحدث الكتب *

● **« قمر المظلات »** رواية من الخيال العلمي ، تأليف الكاتب المعاصر خوزيه كاميلو .

كندا

عراقي يفوز بجائزة الموسيقى العالمية

رشح المكتب التنفيذي للمجلس الدولي للموسيقى، في اجتماعه خلال شهر أغسطس (آب) الماضي ، على هامش مؤتمر الموسيقى في كندا ، الموسيقار العراقي محمد قباني للحصول على جائزة الموسيقى العالمية لسنة ١٩٧٩ م . وسوف تمنح هذه الجائزة خلال مؤتمر المجلس العالمي للموسيقى الذي سينعقد باستراليا في صيف ١٩٧٩ م ، وقد قبل ترشح الموسيقي العراقي إلى جانب أربع شخصيات موسيقية أخرى .

بلجيكا

« جاكوب » .. بعد ٣٠٠ عاما !

الفنان التشكيلي الشهير ، « جاكوب جوردان » ، الفنلندي الأصل ، تحتفل به الأوساط الثقافية في بلجيكا بمناسبة مرور ٣٠ عاماً على وفاته .

بلغاريا

مات .. تحت « المظلة » ؟

الكاتب « جورجي ماركوف » ، الذي أعلنت وفاته في الشهر الماضي ـ عن ٤٩ سنة ـ أكدت الدوائر البوليسية في « اسكوتلانديارد » أن الكاتب قد مات مقتولا .. وذلك من خلال ضربة قوية على قدمه من « مظلة » كانت مسمومة .

سويسرا

* أحدث الكتب *

● **« يد وضعية فوق إفريقيا »** ، تأليف عالم الاجتماع السويسري جان زيجلر .

زائير

معرض تشكيلي لثريا البقصمي

الفنانة الكويتية ، **ثريا البقصمي** ، أقامت معرضاً تشكيلياً تحت رعاية وزارة الإعلام الزائيرية حيث عرضت ٥٨ لوحة مختلفة الأساليب .

هذه هي المرة الأولى التي يقام فيها معرض عربي في زائير .

إحصائية

● مقارنة بين عدد الحجاج القادمين في المواسم ١٣٩٢هـ ، ١٣٩٦هـ ، ١٣٩٧هـ ، من أغلب دول العالم ●

الجنسية	عام ١٣٩٢ هـ	عام ١٣٩٦ هـ	عام ١٣٩٧ هـ
أفغانستان	٢٧٤٤٧	٨٣٠٨	٦٨٩٠
أندونيسيا	١٤٥٧٩	٢٥٧٩٤	٣٥٧٠٣
إيران	٤٥٣٩٨	٢٩٩٨٦	٣٢٨٠٩
باكستان	٨٩٣٧٣	٤٨٣٣٧	٤٧٥٩٦
بنغلاديش	٦٨٩٥	٣٤٩٠	٥٨١٤
تركيا	٩٧٨٣٥	١٣٧٢٩٦	٩١٤٩٧
سنغافورة	٤٦٥	٤٢٤	٧٢٠
الصين الوطنية	٢٥١	٦١٠	٦
[illegible]	١٠٢٩٥	٣٣٧٣	٤٢٧٨
الهند	١٨٣٠٦	١٧٨٥٠	٢٦١١٣
[illegible]	٢٨٤٣	٢٢٤٢	١٧٧١
[illegible]	٨٩٦	٢٤٨١	١٦٢١
[illegible]	٤٠٠٣	١٣٥٢	١٧٢٧
[illegible]	٣٣١٢	٨٩١	١٠٨٢
جنوب إفريقيا	٢٩٨٩	١٢٦٥	٧٦٥
السنغال	٣٣٥٨	٤١٦٨	٥٨٩٥
مالي	٥٩١٩	٣٠٧٢	٢٧٤١
نيجيريا	٤٨٩٨١	٦٦٨٧٢	١٠٩٥٧٧
النيجر	٢٩٧٨	١٣٥٩	٦٨٨٤
[illegible]	١٢٣	٤	٥٢
بريطانيا	٢٠٥٣	٧٥٧	١٣٠٩
[illegible]	٤٩٧	٥٦٢	٦٤٣
[illegible]	٢٨٤	١٤٤	١١٧
أمريكا	١١٢	٨٠	٢٤٣
[illegible]	٥٠	٣٢	٩٢
استراليا	١٤	٣٢	١٩
دول العالم الأخرى	٢٢٥٧٠	١٥٨٠٨	١٣٨٧٠
المجموع	٣٢١٩٦٩	٣٨٣٣٨٦	٣٨٩٢٠٩

اليابان

تدريس الحساب عن طريق الدمى !

أقيم أضخم معرض لألعاب الأطفال **في طوكيو** .. ضم جميع أنواع اللعب التكنولوجية التي تواكب العصر .. والتي تدخل البهجة إلى قلوب الصغار ، من ضمن الألعاب التي قدمت ، لعبة عن طريقة تدريس الحساب الحديث ، عن طريق آلات على هيئة دمى تتحرك أوتوماتيكياً .

بريطانيا

رائحة الكتب .. تجذبه لسرقتها ؟!

الإيطالي **« برونو باجونو »** ، المحاضر الجامعي ، حكم عليه بغرامة ٨٠٠٠ دولار ، ذلك لقيامه بسرقة بعض الكتب الثمينة النادرة التي يصل ثمنها إلى ٥٠,٠٠٠ دولار من إحدى مكتبات اكسفورد .



★ توت عنخ آمون ★

الغريب أن «برونو» لم ينف سرقته، مبرراً ذلك بأن رائحة أي كتاب تجذبه دون أن يدري للاستيلاء عليه.. وأعلن أن سلوكه ذلك لن يقدره ويفهمه إلا من يعشقون الكتب القديمة النادرة.

مكتبة عائمة للأطفال

افتتح في الأسابيع الأخيرة، أول مكتبة من نوعها، مكتبة عائمة فوق نهر «التايمز» وتضم مجموعة كبيرة من الكتب للأطفال، تقوم بإدارتها «كريستين بيرس».. والمكتبة عبارة عن باخرة.. ترسو حالياً قرب برج لندن حيث يفصلها عن النهر والرصيف جسر خشبي صغير.
فكرة هذه المكتبة، تكلفت (٧٥) ألف جنيه استرليني.. وتسع المكتبة (١٠) آلاف كتاب.

* أحدث الكتب *

- «أسباب هجرة الطيور»، اشترك في تأليفه مجموعة من خبراء معهد أبحاث الطيور.
- المجلد الثالث لمجموعة رسائل بيرون إلى تريزا.. للشاعر لورد بيرون.
- «البحث عن القناع الذهبي لتوت عنخ آمون» تأليف أرنولد براكلمان، في ثلاثة أجزاء.
- «الظروف التي صنعت هتلر»، من تأليف أوجني أودلف.

من أقوالهم

لا يشعر بالسعادة إلا إنسان ناضج.. ومن أسباب السعادة التجارب القاسية التي يمر بها الإنسان والتي تساعد على نضجه، فلا بد للإنسان من قدر من المعرفة والمعاناة ليفهم كيف يتقبل الحياة ويتقبل الآخرين.

جين كالود
أمريكا

عندما يصطدم الأديب بعدم قدرته على طبع كتابه، يستولي عليه نوع من اليأس قد يصل إلى كسر قلمه والاضراب عن الكتابة.. فلكي يجيد الأديب الكتابة لا بد من وجود الدافع القوي بعد وجود الموهبة الذاتية والحافز النفسي والتحصيل المستمر والممارسة الدائمة.

نواف حردان
البرازيل

الرواية هي وسيلة التعبير الوحيدة التي تجعلنا ندرس الواقع بدقة أو ما يخيل إلينا أنه الواقع.

ميشيل بيتور
فرنسا

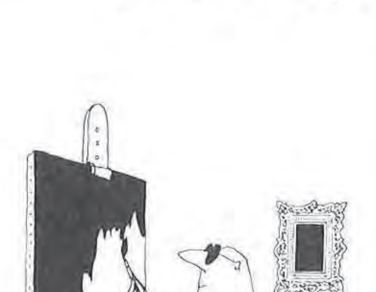
على الكاتب أن يصعب الأمر على قرائه حتى يفكروا ملياً فيما يقرأون.

فولف ديتريش
ألمانيا

إن آثار الأمم الباقية لا ينبغي أن تتحول إلى حلي وديكورات، فهي تحمل في صميمها تاريخ وثقافة هذه الأمم، بل هي تعبير ماثل عن حضاراتها.

آمادو مهتر بو
مدير عام اليونسكو
سويسرا

كاريكاتير





فريدريك ستادر

- ولد في ٢٦ مايو ١٩٢٦م، بمدينة مورالدو السويسرية.
- عمل بين عامي ١٩٤٤ و١٩٤٨م، بفن الليثوجراف أو الطبع على الحجر.
- اهتم برسم الكاريكاتير منذ عام ١٩٥٣م، بالمجلة المصورة «سويسرا».
- انتقل إلى باريس وعمل بمجلة باري ماتش إلى جانب مساهمته في عدد من المجلات أبرزها «لوزان».
- له برنامج كاريكاتيري في تليفزيون سويسرا، يقدمه بنفسه كل أسبوع.
- أصدر عام ١٩٥٩م، ألبوماً يضم كل رسوماته السابقة على هذا التاريخ.. كما أصدر عام ١٩٦٤م، ألبوماً آخر يضم مائة لوحة كاريكاتيرية.
- رسوماته الكاريكاتيرية أقرب إلى اللوحات الزيتية واللقطات التذكارية التي تطبع عادة على ورق مقوى في حجم الكارت بوستال.
- تميل رسوماته إلى موضوعات الحياة التي تدعو إلى الحب والتفاؤل، وينفر من موضوعات الحرب والمشكلات السياسية.
- يقيم علاقات ثنائية واضحة ونقية سواء بين الرجل والمرأة أو بين الإنسان والحيوانات الأليفة وخاصة الكلاب.
- يحتك بالناس ويعيش بينهم ولكنه يفضل الوحدة والانعزال لا لشيء إلا لتسجيل انطباعاته وأحاسيسه بعيداً عن الضوضاء، ليعود مرة أخرى إلى نبع فنه الأصيل، المجتمع.
- ولعل هذا الكاريكاتير الذي يمثل فناناً مسناً يرسم لوحة لنفسه «أوتوبورتريه» خير دليل على أسلوبه التصويري ورؤيته الفنية الواضحة.

طرق الحج

والتجارة العربية في العصر الإسلامي

بقلم : د. أمين محمود عبد الله

في بداية هذا المقال يجمل بنا أن نذكر أن التجارة حرفة عربية أصيلة ، مارسها العرب بالوساطة منذ أقدم العصور ، عندما كان عرب الجنوب من يمنيين وحضارمة وعمانيين وسطاء تجاريين بين الشرق والغرب ، وكانوا يسيطرون على طرق التجارة البحرية في المحيط الهندي والخليج العربي والبحر الأحمر منذ الألف الأولى قبل الميلاد ، كما استخدموا طرق القوافل في شبه الجزيرة العربية منذ القرن الثاني عشر قبل الميلاد على الأرجح ، وعلى رأسها طريق البخور القديم بين اليمن والشام ، وهو الطريق الذي تحول قسمه الشمالي فيما بعد إلى طريق للحج بين الشام والحجاز ، هذا فضلا عن طرق برية كثيرة أخرى تربط بين شبه الجزيرة والمناطق المتاخمة ، كالطريق المؤدي إليها من مصر والطريق المؤدي إليها من العراق ، وكان كلاهما طريقين للتجارة قبل الاسلام ثم تحولا إلى خدمة التجارة والحج معا بعد ذلك .

كذلك لا بد لنا أن نذكر أن العالم العربي ، بحكم توسط موقعه بين قارات العالم القديم ، كان مركزاً لالتقاء طرق التجارة بين هذه القارات ، وفضلاً عن ذلك فإن طبيعته كمنطقة أمضيبية (**برمانية**) جعلته يضع قدماً في الماء وأخرى في اليابس . **فالمحيط الهندي** - إلى الجنوب منه - يمد ذراعيه (**الخليج العربي والبحر الأحمر**) نحو الشمال ، ولكنهما تقصران عن بلوغ **البحر المتوسط** . والبحر المتوسط بدوره يمد أذرعه في كل اتجاه (البحر الأسود وبحر ايجه والبحر الادرياتي) ولكنه يقصر عن ادراك البحر الأحمر والخليج العربي . وقد كان لعدم اتصال الماء في أرض العرب تأثير كبير في تكييف حياتهم ، فلو كان البحر المتوسط متصلاً بالخليج العربي أو بالبحر الأحمر والمحيط الهندي (قبل حفر قناة السويس) لاستطاع العالم أن يتصل بعضه ببعض دون أن يمس اليابس العربي ، ولاستطاع الملاحون أن يتجاهلوا العرب وأن يستغنوا عن وساطتهم بأن يتخذوا لأنفسهم القواعد والمحطات في بعض الجزر يكتفون بها عن السواحل . وبالتالي يصبح العرب في شبه عزلة عن المواصلات العالمية . ولكن انفصال الماء وتداخله في اليابس في المنطقة العربية ، قد اضطر المواصلات العالمية دائماً إلى أن تعبرها وأن تغير من وسائلها ، فكانت السفن عند شواطئها ، ثم يقوم العرب بقوافلهم بنقل حمولاتها من الثغور الشمالية إلى الجنوبية أو العكس ، ولهذا **أصبح العرب وسطاء بين الناس منذ أقدم العصور ، ولقد لعبت التجارة دورا هاما في تطور الحضارة العربية في العصور الوسطى ، ولم يكن التجار وسطاء نقل للسلع فقط ، وإنما كانوا أيضا وسطاء فكر وثقافة ، فكانوا دعاة للاسلام وحملة للمعرفة ، يسيران في ركابهم حيثما حلوا .**

وفي القرن الثالث (التاسع) كان **يهود فرنسا** يسيطرون على التجارة البحرية بين الشرق والغرب لا سيما في حوض البحر المتوسط ، وكانوا يلقبون بتجار البحر . هؤلاء التجار اليهود (**الراذانية**) - كما ذكرهم **ابن خرداذبة** الجغرافي المعاصر في كتابه «**المسالك والممالك**» أو (الراهدانية) كما ذكرهم **ابن الفقيه الهمداني** الجغرافي المعاصر أيضاً في كتابه «**مختصر البلدان**» ، وقد أوضح ابن خرداذبة تحت عنوان «مسلك التجار اليهود الراذانية» الطريق التجاري الذي يسلكه هؤلاء التجار والذي كان يربط بين **أوروبا وآسيا** ، وكذلك السلع التي يحملونها من الشرق أو الغرب ، واللغات التي كانوا يتحدثون بها ، على النحو التالي : «مسلك التجار اليهود الراذانية .. الذين يتكلمون بالعربية والفارسية والرومية والافرنجية والأندلسية والصقلبية ... ويسافرون من المشرق (آسيا) إلى المغرب (أوروبا) ومن المغرب إلى المشرق براً وبحراً ، يجلبون من المغرب الخدم والجواري والغلمان والديباج وجلود الخز والفراء والسمور

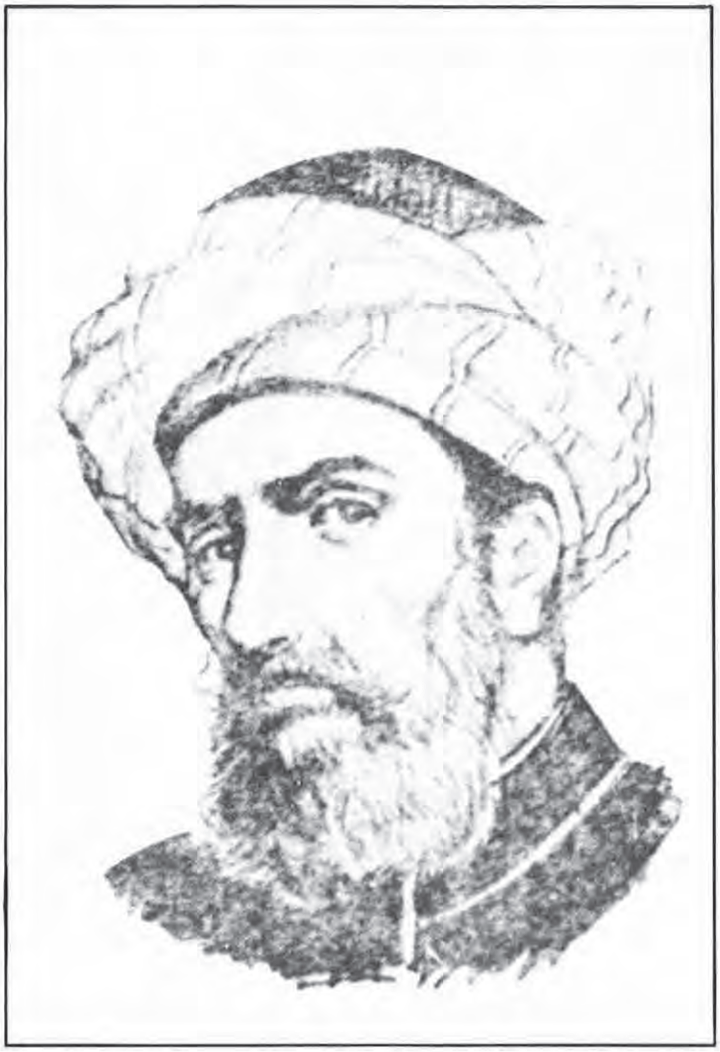


★ ابن بطوطة ★

والسيوف ، ويركبون من فرنجة (أي فرنسا) في البحر الغربي (أي المتوسط) فيخرجون بالفرما (**بور سعيد حاليا**) ويحملون تجارتهم على الظهر (أي الابل) إلى القلزم (**السويس حاليا**) وبينهما خمسة وعشرون فرسخاً (٧٥ ميلاً تقريباً عبر برزخ السويس) ثم يركبون إلى البحر الشرقي (الأحمر) من القلزم إلى الجار (**ميناء المدينة القديم قرب ينبع**) وجده . ثم يمضون إلى **السند والهند والصين** ، فيحملون من الصين المسك والعود والكافور والدارصيني (الخزف أو البورسلان) وغير ذلك مما يحمل من تلك النواحي ، حتى يرجعوا إلى القلزم ، ثم يحملونه إلى الفرما ثم يركبون في البحر الغربي فربما عدلوا بتجاراتهم إلى القسطنطينية فباعوها إلى الروم وربما ساروا بها إلى ملك فرنجة فيبيعونها هناك . وإن شاءوا حملوا تجاراتهم من فرنجة فيخرجون **بأنطاكية** ويسيرون على الأرض ثلاث مراحل إلى الجابية ، ثم يركبون في **الفرات** إلى **بغداد** ، ثم يركبون في **دجلة** إلى **الأبلة** (جنوب البصرة) ، ومن الأبلة إلى **عمان والسند والهند والصين** . كل ذلك متصل بعضه ببعض (١) .

ولكن ما إن حل القرن الرابع (العاشر) حتى اختفى ذكر هؤلاء التجار اليهود الذين كانوا يتخذون من **اقليم الرون** في فرنسان موطناً لهم فلم يعد أحد من الكتاب يشير إليهم . ولم يكن انقطاع ذكرهم من قبيل التجاهل أو المصادفة ، فقد شهد هذا القرن نهضة التجارة العربية الإسلامية وازدهارها على يد العرب أنفسهم ، وصحب ذلك بالضرورة طرد الوسطاء الأجانب ، وكان هذا أول نجاح حققته التجارة العربية .

أما النجاح العظيم الثاني الذي أحرزته **التجارة العربية الاسلامية** في القرن الرابع الهجري فكان فتح طريق الشمال إلى أرض الصقالبة (اقليم البلغار أو جنوب روسيا الحالية) . وكان الروس ـ أو التجار النورمان ـ في القرن الثالث (التاسع) يأتون بتجاراتهم من جلود السمور والقندس والثعلب الأسود والعسل والشمع من المناطق السلافية النائية إلى بحار اليونان ، أو يبحرون بها إلى أدنى نهر الدون ـ وهو نهر السلافيين ـ ثم يسيرون بها عبر (**خامليج**) ـ عاصمة



★ المسعودي ★

الخزر ـ حتى يصلوا إلى **بحر قزوين** حيث ترسو مراكبهم في أية نقطة يختارونها وكانوا غالباً ما يحملون بضائعهم بعد ذلك على ظهور الابل من (**جورجان**) إلى بغداد حيث يقوم الخصيان السلافيون بخدمتهم كتراجمة (٢) .

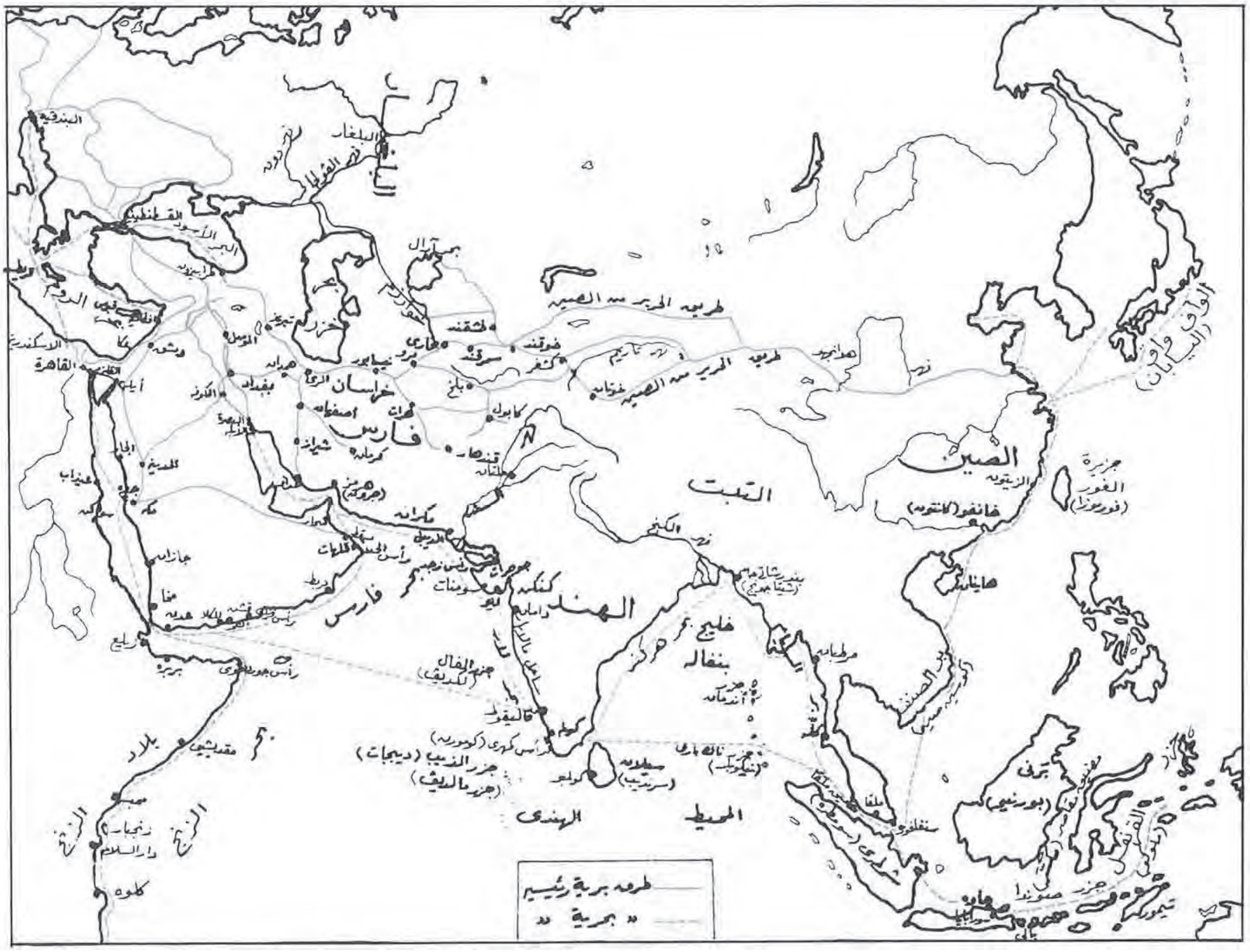
فإذا اتجهنا نحو الشرق ، وجدنا القوافل التي تحمل الحرير والخزف من الصين ، والفراء من التبت ، **والمنسوجات والأحجار الكريمة والعطور** من الهند عبر طريق الحرير . كذلك كان الطريق البحري الذي يصل الهند وفارس بشرق **افريقيا وعدن** ، وكانت افريقيا تزود الأسواق **بالرقيق الأسود والتبر والعاج** ، بينما كانت تأتي الأخشاب من أرخبيل الملايو (**جزر الهند الشرقية**) . وكانت خانفو (**كانتون**) أكبر ميناء تتجمع فيه تجارة الشرق الأقصى . أما المسلمون فكانوا يصدرون **مصنوعات العاج والنحاس والسلع الزجاجية والخيول** إلى مناطق آسيا الشرقية .

ولم تكن الطرق التجارية ـ البرية منها والبحرية ـ في العصر الإسلامي على درجة واحدة من الأهمية ، إذ كان ثمة طرق دائمة وأخرى وقتية أو فصلية ، فضلاً عن طرق رئيسية ثابتة بدرجات متفاوتة . ويأتي على رأس هذه الطرق جميعاً : طريق الحرير ، وطريق خراسان الكبير وما يتفرع منه ، وطريق المغرب أو شمال إفريقيا ، وطريق الحج من مصر ، وطريق الشمال إلى بلاد البلغار ، وجميعها طرق برية . أما الطرق البحرية فأهمها الطريق البحري العالمي الذي يمتد من **طنجة** بالمغرب إلى **خانفو** بالصين ، ومنه تتفرع طرق بحرية عديدة . وسوف نتناول هذه الطرق كلاً على حدة بشيء من التفصيل :

أولا : الطرق البرية (أو طرق القوافل) Overland Trade Routes

١ ـ طريق الحرير

وهو الطريق التجاري البري عبر القاري Transcontinental الذي كان يخترق وسط آسيا ويصل



بين الصين وشرقي البحر المتوسط . ويبدأ هذا الطريق من وادي (**هوانجهو**) شمال الصين ثم يتفرع بعد ذلك إلى فرعين ، أحدهما يتجه إلى جنوب هضبة سنكيانج (**حوض نهر تاريخ**) ويمر ببلاد (**شرشن**) و(**خوتان**) و(**كشغر**) ، والثاني يتجه إلى الشمال منه ويسير عبر ممر (**زنجاريا**) الذي ينحصر بين جبال (**ألتاي**) وجبال (**تيان شان**) . ثم يعود الفرعان إلى الالتحام معاً في طريق واحد عند (**خوقند**) حيث يواصل امتداده عبر واحات الصغد -(**سمرقند وبخارى باقليم التركستان**) ، ومنها يتجه إلى (مرو) ثم يمر باقليم خراسان متجهاً إلى جنوبي بحر قزوين ، ثم يتحول جنوباً إلى (**الري**) - وهي الآن ضاحية من ضواحي **طهران** - ثم يمر **بهمدان** ومنها إلى **بغداد** حيث يتفرع مرة أخرى إلى فرعين أحدهما يتجه إلى القسطنطينية ماراً ، **بالموصل** ، والآخر يتجه إلى **المدينة المنورة ومكة المكرمة ماراً بالكوفة** . (٣)

وقد كان الحرير من أشهر السلع التي كانت تنقل من الصين على هذا الطريق ، وقد ازداد الاقبال عليه بصورة مطردة مع زيادة أسباب الترف ، وأصبح لبس ثياب الحرير الخالص في العصر الإسلامي مألوفاً سواء في الحياة المنزلية أو الحياة العامة . ومع ذلك لم يكن الحرير وحده ينقل على هذه الطريق ، فقد كانت هناك منتجات صينية أخرى كالخزف والفراء والأواني المعدنية المطعمة بالفضة والذهب . وفي مقابل ذلك **كان المسلمون يصدرون بعض مصنوعاتهم من النحاس والعاج والزجاج ، كما كانوا يصدرون الخيول** . وكانت هذه التجارة - الصادرة والواردة - تمر عبر المدن المشهورة : **سمرقند وبخارى وخيوة (خوارزم) ومرو وبغداد وحلب** ، وكذلك سائر مرافىء البحر الأبيض المتوسط الشرقية ، وكلها تمثل أسواقاً هامة على طريق الحرير ، وعلى اتصال بالصين بصفة دورية منتظمة ، كما كانت على اتصال بالهند -بواسطة القوافل لدى مرورها **بفارس وكشمير** وموانىء الخليج العربي ، وعلى رأسها (**سيراف**) (٤) .

ولقد قام التجار المسلمون بدور رئيسي في نشر الاسلام بين القبائل التركية والمغولية في هذه المراكز التجارية المنتشرة على طول طريق الحرير في وسط آسيا .

ورغم وجود طريق آخر بحري لنقل الحرير عبر المحيط الهندي إلى البحر الأحمر والبحر المتوسط فإن طرق القوافل البرية كانت أقصر وأيسر وأوفر من طرق الملاحة البحرية .

٢ - طريق خراسان الكبير وما يتفرع منه

يعتبر هذا الطريق أحد مراحل أو أقسام طريق الحرير ، وهو الجزء الذي يخترق اقليم خراسان شمال شرقي فارس (**إيران**) ويمتد جنوبي بحر قزوين ماراً **بنيسابور** . وقد قدم **ابن رسته** (القرن ٣/٤) في كتابه «**الأعلاق النفيسة ، ج ٧**» وصفاً لهذا الطريق حتى مدينة طوس (بالقرب من مشهد الحديثة) يعتبر ذا أهمية كبيرة . كذلك قدم ابن رسته وصفاً لبعض الطرق المجموعة من طريق خراسان الكبير والمتجهة إلى **أصفهان** ثم **شيراز** ثم الخليج العربي ، أو المتجهة إلى **هرات** ثم **قندهار** ومنها إلى **السند** ، أو المتجهة إلى بغداد ثم الكوفة ومنها إلى المدينة المنورة ثم مكة المكرمة . **وكان هذا الفرع الأخير طريق الحج من العراق وفارس** . وكثيراً ما كانت قوافل التجار تصحب قوافل الحجيج لما كانت تجده في كنفها من أمن وحماية (٥) .

٣ - طريق المغرب (شمال إفريقيا)

وهو طريق عبر قاري آخر ، يخترق شمال إفريقيا من الشرق إلى الغرب . وفي القرن الثالث

(التاسع) كان معظم طرق القوافل في شمالي افريقيا يأخذ في اتجاه **القيروان** . وفي ذلك الوقت أيضاً أصبح حكم الأغلبية مستتباً ، وقد عملوا على اقرار الأمن والنظام في ربوع هذه المنطقة ، كما أولوا اهتماماً خاصاً بالطرق ، وبثوا نقط الحراسة عليها فأصبحت المواصلات آمنة ، وكان هناك طريقان رئيسيان يبدآن من أسفل الأرض (**دلتا النيل**) ويتجهان إلى الغرب : أحدهما يمتد على طول الساحل - وهو طريق قديم - والثاني يمتد إلى الجنوب منه . وفي أول الأمر كان البريد يتبع الطريق الجنوبي الذي كان يطلق عليه (**طريق السكة**) ، ثم تحول إلى الطريق الشمالي فيما بعد ، فأصبح يمر بطرابلس ومن ثم يتجه مباشرة إلى القيروان ، ثم يتبع الساحل بعد ذلك . وهذا هو الطريق الذي كان يصل بين المشرق والأندلس . وقد حددت المسافات عليه ، فكان ما بين القيروان و(**سوس الأدنى**) على **المحيط الأطلسي** مسافة ٢١٥٠ ميلاً . أما الطريق الجنوبي فكان يمتد عبر الواحات الداخلة والكفرة إلى **السودان الغربي** ، متجهاً إلى جناح **وأودا جشت** . وفي القرن الرابع (العاشر) هجر هذا الطريق بسبب العواصف الرملية وغارات بدو الصحراء (٦) .

٤ - طريق الحج من مصر

تحدث **اليعقوبي** (٢٨٤ / ٨٩١) عن (**طريق مكة من مصر**) فقسمه إلى منازل أو مراحل تبلغ الثلاثين ، لكل مرحلة يوم واحد . فكأن طريق الحج البري من مصر كان يستغرق ثلاثين يوماً بالقوافل . يقول اليعقوبي : «ومن أراد الحج من مصر وخرج إلى مكة فأول منزل يقال له (**جب عميره**) به يجتمع الحجاج يوم خروجهم ، ثم منزل يقال له (**القرقره**) في صحراء لا ماء فيها (صحراء الشرقية) ، ثم منزل يقال له (**عجرود**) به بئر قديمة زعقة الماء ، ثم إلى جسر القلزم (السويس) ، لمن أراد أن يدخل مدينة القلزم وهي مدينة على ساحل البحر عظيمة ، فيها التجار الذين يجهزون المسيرة من مصر إلى الحجاز وإلى اليمن ، وبها مرسى المراكب وأهلها أخلاط من الناس ، وتجارها أهل يسار ، ومن القلزم ينزل الناس في برية وصحراء (**شبه جزيرة سيناء**) ست مراحل إلى أيلة (**العقبة**) ، ويتزودون الماء لهذه الست مراحل . ومدينة أيلة مدينة جليلة على ساحل البحر المالح وبها يجتمع حجاج مصر والمغرب ، وبها التجارات كثيرة وبها أخلاط من الناس . . . ومن أيلة إلى **شرف البعل** ومن شرف البعل إلى **مدين** ، وهي مدينة قديمة عامرة بها العيون الكثيرة والبساتين والنخيل وأهلها أخلاط من الناس . ومن أراد أن يخرج إلى مكة المكرمة أخذ على ساحل البحر المالح إلى موضع يقال له (**عينونة**) فيه عمارة ونخل وبه مطالب يطلب الناس فيها الذهب ، ثم إلى **العويند** وهي مثلها ، ثم إلى **الصلا** . . ثم إلى **النمك** ، ثم إلى **القصيبة** ، ثم إلى **البحرا** ، ثم إلى **المغيثة** ، ثم إلى **ظبة** (**ضبا**) ثم إلى **الوجه** ، ثم إلى **منخوس** ، وبمنخوس غاصة يخرجون منها **اللؤلؤ** ، ثم إلى **الحوراء** ، ثم إلى **الجار** ، ثم إلى **الجحفة** ، ثم إلى **قديد** ، ثم إلى **عسفان** ، ثم إلى **بطن** مر بمكة ومن أراد أن يسلك على طريق مدينة الرسول ﷺ أخذ من مدين إلى منزل يقال له **اغراء** ، ثم **قالس** ، ثم إلى **شغب** ، ثم إلى **بدا** ، ثم إلى السوقية ، ثم إلى **ذي المروة** ، ثم إلى **ذي خشب** ثم إلى المدينة . فهذه المنازل من مصر إلى مكة والمدينة» (٧) .

وقد ظلت هذه هي منازل الحج على الطريق البري من مصر طوال **العصر العربي والمملوكي والعثماني** ، يتضح ذلك من وصف الرحالة (**الشيخ عبد الغني النابلسي**) وقد سار بهذا الطريق في حجه من مصر في مطلع القرن الثاني عشر الهجري ، وقسمه إلى تلك المنازل أو المراحل السابقة (٨) .

ولكن هذا الطريق تقلبت عليه ظروف وأحداث قللت من أهميته في بعض العصور ، فقد أهمل تماماً زمن **الحروب الصليبية** بعد أن استولى الصليبيون على أيلة عام ١١١٦م ، واستمر هذا الاهمال طوال القرنين الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين (السادس والسابع الهجريين) . وفي هذه الفترة تحول طريق الحج - والتجارة - إلى البحر الأحمر من ميناءي **القصير وعيذاب** . وفي أواخر الدولة الأيوبية - بعد زوال الخطر الصليبي - عاد الحجاج القادمون من مصر وما وراءها من أقطار شمال إفريقيا الإسلامية يسلكون الطريق البري المار بالقلزم وأيلة ، فعادت الحركة والازدهار إلى هذا الطريق مرة أخرى . وفي عهد دولة المماليك الجراكسة ، وجهت العناية إلى اصلاح هذا الطريق ، فاستعاد أهميته كطريق رئيسي لحجاج مصر وشمال افريقيا . وفي سنة ٦٦٦هـ ، سير الملك **الظاهر بيبرس** قافلة الحجاج من هذا الطريق ومعها **كسوة الكعبة** ، فاكتسب بذلك أهمية لازمته إلى عصور متأخرة (٩) .

٥ - الطريق الشمالي إلى بلاد البلغار

والبلغار كانت تطلق ، عند العرب ، على بلاد الصقالبة - وهم الروس - وعلى الشعب نفسه وعلى عاصمتهم التي كانت تقع شرقي نهر **الفولجا** الذي كان يسمى عند الجغرافيين المسلمين باسم (**أتل**) (١٠) . وكان **ابن فضلان** أول من وصل من المسلمين إلى هذه البلاد على رأس وفد أرسله **الخليفة المقتدر بالله** سنة ٣٠٩هـ (٩٢١م) إلى ملك البلغار . وقد كتب ابن فضلان عن بلاد البلغار - الواقعة إلى الشرق من نهر الفولجا - تقريراً كان عمدة المؤلفين والجغرافيين العرب أمثال **الاصطخري والمسعودي وياقوت** وغيرهم مدة طويلة . وفي أعقاب رحلة ابن فضلان أخذ التجار العرب يرتادون هذه الأصقاع ويمدون نطاق نشاطهم إلى أرجائها ، وخاصة جنوبي روسيا وبولندا ، ثم إلى **الاقاليم الاسكندينافية** بعد ذلك . **ومما يثبت نشاط المسلمين التجاري العالمي في تلك الفترة وما تلاها من الزمن ما كشف عنه حديثا من العملات العربية المتعددة في المناطق الشمالية حتى روسيا وفنلندا والسويد والمانيا** . (١١)

ثانيا : الطريق البحري نحو الشرق Sea Trade Route

يعرف هذا الطريق بطريق الهند ، وإن لم تكن الهند الجهة الوحيدة التي يؤدي إليها ، وكان في معظمه طريقاً ساحلياً ، محاذياً إلى حد كبير سواحل البحر المتوسط والأحمر وشرق افريقيا وجنوب شبه الجزيرة العربية والخليج العربي والمحيط الهندي وبحار الصين . ويتضح من كتابات رحالة البحر المسلمين : **سليمان التاجر ، وبزرك بن شهريار ، وابن ماجد ، وسليمان المهري** وغيرهم ، وكذلك من رحلات **ابن بطوطة** (القرن ١٤م) واشاراته إلى النقل بالسفن ، سيادة المسلمين المطلقة في ميدان النشاط البحري على مياه تلك البحار لأكثر من ستة قرون (من التاسع إلى الخامس عشر) ، وإن كانت سيطرتهم السياسية المباشرة لم تتجاوز نهر السند الأدنى على أية حال . وهذا ما يفسر لنا اهتمام كتاب (المسالك والممالك) وغيرهم من الجغرافيين من العرب بالطرق البحرية بين بلادهم والصين ، فنرى ابن خرداذبة يصف مسالك السفن من مصب دجلة عند (الابلة) إلى الهند والصين ، ويذكر أن السفن العربية كانت تسير بمحاذاة الساحل العربي وساحل الهند حتى **مالابار** ، كما يحدد طول الطريق البحري من القلزم (السويس) إلى بلاد (الواق واق) - أي اليابان - بأربعة آلاف وخمسمائة فرسخ . كما تعرض هؤلاء الكتاب لكثير من الموانىء والمراكز التجارية الواقعة على هذا الطريق ، والتي اصطبغت تماماً بتقاليد العرب الدينية والاجتماعية ، كالموانىء الواقعة في **كنكان وسواحل مالابار وكروماندل وجزر مالديف وسيلان** . وقد امتد نشاط العرب التجاري حتى **جزر أندمان ونيكوبار وساحل أركان والملايو وسومطرة وجاوه** ، ووصل الإسلام على أيدي التجار العرب إلى هذه الأقاليم دون عون سياسي من أي نوع .

ورغم خضوع التجار المسيحيين وغيرهم لبعض القيود في الموانىء الاسلامية فإن معظم المبادلات الاقتصادية كانت تجري على أساس المساواة والاحترام المتبادل ، وكانت السفن تحمل على متونها الناس من كل دين وجنس دون تعصب . وقد استخدم ابن بطوطة نفسه سفناً جنوية وقطلونية في رحلاته . كذلك كان يستخدم الطريق البحري - الذي يسيطر عليه المسلمون - تجار من الصين والهند لنقل تجاراتهم إلى الخليج العربي والبحر الأحمر وشرق إفريقيا .

وفي الحقيقة أننا نجد لأول مرة في تاريخ الملاحة طريقاً بحرياً عالمياً يربط بين الشرق والغرب يترامى على هذا النحو ، فيبدأ أوله في خانفو (كانتون الحالية على ساحل الصين) وينتهي آخره في طنجه (على ساحل المغرب قبالة الأندلس) ، وله فروع تتجه إلى أرخبيل الملايو وخليج البنغال والخليج العربي وساحل البنادر (شرقي افريقيا) وبحر ايجه والبحر الادرياتي .

ونظراً لطول هذا الطريق وأهميته وكثرة ما يطوف من السواحل والموانىء والجزر والخلجان . ولكي يسهل استخدامه وتتجنب أخطاره على الملاحين ، قام (الأستاذ الماهر المعلم) **سليمان بن أحمد بن سليمان المهري** في كتابه (**العمدة المهرية في ضبط العلوم البحرية**) بتقسيم المناطق الساحلية التي يمر بها ابتداء من البحر الأحمر وانتهاء بالصين واليابان إلى ١٤ قسماً ، وفصل في كل قسم سواحله وخلجانه وجزره وبنادره (موانيه) وأفضل أوقات السنة بالنسبة للاقلاع منه أو الارساء به اعتماداً على حسابات فلكية ومناخية ، وفي الحق ، يعتبر تقسيم المهري من أجود التقاسيم التي تناولت الجزء الأكبر من هذا الطريق البحري العظيم في المؤلفات العربية التي رماها هو بالنقص والتقصير في هذه الناحية . ولهذا فإننا نقدم فيما يلي موجزاً له ، بعد تحقيق الأسماء الواردة فيه (١٢) :

●● القسم الأول :

بر الزنج والسفال والجزر المقابلة لها : يشمل هذا القسم ساحل شرقي افريقيا ابتداء من جنوب موزمبيق إلى رأس جردافوي . ومما ذكر في هذا القسم : ملبيوني (**موزمبيق**) ، وسفالة (**صوفالا**) ، وملى القمر (**ساحل مدغشقر**) ، وبندر (**ميناء**) مالندي ، وبندر منبسة (**ممبسة**) ، وبندر مقدبشو (**مقديشيو**) .

●● القسم الثاني :

بر الزيالع وبر السومال والجزر المقابلة لها : ويشمل هذا القسم : الساحل الشمالي للقرن الافريقي المطل على خليج عدن وباب المندب ، ابتداء من رأس جردافوي إلى جيبوتي على باب المندب . وقد قسم هذا الساحل جزءين : **بر الزّيالع** (وهو الجزء الشمالي من هذا الساحل ، المطل على باب المندب) ، **وبر السومال** (وهو الجزء الجنوبي المطل على خليج عدن) . ومن المواقع التي ذكرت على هذا الساحل بجزئيه : **زيلع ، وبربرو ، والسومال** (الصومال) ، **وجزيرة سقطرى .**

●● القسم الثالث :

بر العجم الافريقي وجزره من أم عيسى إلى غبة (خليج) تجره : ويضم هذا الساحل أريتريا وساحل السودان على البحر الأحمر . ومما ذكره المهري على هذا الساحل : **أم عيسى** (شمال أريتريا) ، **وبر موسى ، وبر العجم ، وسواكن ، وجزر دهلك .**

●● القسم الرابع :

بر العرب في الحجاز واليمن والجزر المقابلة من جده إلى باب المندب : وقد ذكر على هذا الساحل عدة مواقع ما زالت باقية وهي : **جده ، وجازان ، وجزر فرسان ، والحديدة ، وكمران ، والمخا ، وموشج .**

●● القسم الخامس :

بر العرب الجنوبي والجزر المقابلة له من باب المندب إلى رأس الحد : ومن المواقع المذكورة على هذا الساحل وما زالت باقية حتى الآن - من الغرب إلى الشرق : **باب المندب ، وعدن ، والمكلا ، والشحر ، وقشن ، ورأس فرتك ، ومربط ، ورأس مربط ، وجزر خوريا موريا ، وظفار ، ومدركة ، ومصيرة ، ورأس الحد .**

●● القسم السادس :

بر العرب الجنوبي الشرقي من رأس الحد إلى رأس مسندم : وهو ساحل خليج عدن ، وقد ذكرت في : **صحار ، ومسكت ،** (مسقط) ، **وقلهات ، ومسندم ،** وما زالت هذه المواقع باقية .

●● القسم السابع :

بر العجم الآسيوي من جرون (بندر عباس) إلى رأس زجد (إلى الشرق من مصب السند) : وقد قسم هذا الساحل إلى جزءين : بر العجم - الممتد من جرون (بندر عباس) إلى ديول السند (دلتا نهر السند وربما الديبل - كراتشي الحالية) ، وبر السند الممتد من ديول السند إلى رأس زجد (شرقي دلتا السند) . ومما ذكر في الجزء الأول من هذا الساحل : **هرموز** (هرمز الواقعة على مضيق هرمز) **ومكران .** ومما ذكر في الجزء الثاني : السند ورأس كراشي **(كراتشي) .**

●● القسم الثامن :

بر الهند أو ساحل شبه جزيرة الدكن الغربي (مالابار) ، من رأس زجد إلى رأس كمهري (رأس كومورن) : بعبارة أخرى يمتد هذا القسم الساحلي على طول ساحل مالابار . ومن المواقع المذكورة والباقية على هذا الساحل - من الشمال إلى الجنوب : **جوزرات** (جوجرات) ، **كمباية** (كمباي) ، **ودمن** (دامان) ، **وقاليقوط** (كاليكوت) .

●● القسم التاسع :

البر الغربي أو ساحل خليج البنغال الغربي ، من رأس كمهري (كومورن) إلى جزيرتي سرنديب وفارديب : وعلى هذا القسم يقع بندر صاد جام (سا تجام) وبندر ميلافور (ميلابور) .

●● القسم العاشر :

البر الشرقي أو ساحل خليج البنغال الشرقي من جزيرة سرنديب وفارديب إلى بر السيام : وقد ذكر في هذا القسم : بندر شاتي جام (شيتا جونج إلى الشرق من مصب الجانج) ، وبندر مرطبان (جنوبي رانجون) .

●● القسم الحادي عشر :

جزر الفال وجزر الذيب : وتشمل : جزر الفال **(لاكاديف)** ، وجزر الذيب **(مالديف)** وجزر فالات منيبار **(مالديف مالابار) ، وجزر هود .**

●● القسم الثاني عشر :

جزيرة سيلان (سرنديب) : وهي الآن **سري لانكا** ، وقد ذكر بها بندر كلنبو **(كولمبو) .**

●● القسم الثالث عشر :

جزر أندمان وجزر ناك باري (جزر نيكوبار) : وهي في خليج البنغال .

●● القسم الرابع عشر :

بر السيام وجزر تاكوا وجزيرة شمطرى وجزيرة جاوة والجزر الجنوبيات الشرقيات وبر الصنف والصين : وينقسم هذا القسم بدوره إلى خمس مناطق :

١ - **بر السيام وجزر تاكوا :** ومما ذكر به : أورنج ساله (أو كونج سالانج أو **جانسيلون**) ، وبندر تناصري **(تناساريم)** ، وبندر ملاقة **(ملقا)** ، وجزر تاكوا ، ستجافور **(سنغافوره) .**

٢ - **جزيرة شمطرى (سومطرة) والجزر المجاورة لها :** وبها بندر شمطرى (سومطرة) .

٣ - **جزيرة جاوة :** ويتبعها فالي **(بالي)** ، وبندر **جاوة** ، وبندر **سريايه** (سورابايا) ، وسندا **(صوندا)** ، وبندر توبن **(توبان) .**

٤ - **الجزر الجنوبيات الشرقيات ، وهي :** باندن **(باندا)** ، **وتيمور** ، وجزر برني **(بورنيو)** ، **وجزر مقاصر** (مكسر الواقعة بين بورنيو وسليبز) ، وجزر **القرنفل** (ملوكو أو مولاكاس الواقعة إلى الشرق من سليبز) .

٥ - **بر الصنف والصين :** ويضم : **بر الصين** (ساحل الصين) ، **بر الصنف** (كوشين صين وهي الساحل الجنوبي للهند الصينية) ، **وبندر أيم** (هاينان) **وجزيرة الغور** (جميع الجزر المواجهة للصين من فورموزا إلى اليابان ، وخاصة فورموزا نفسها) .

ونحن لا نستطيع في هذه الصفحات القليلة أن نتناول أو نتتبع جميع تلك المواقع أو المواضع التي أوردها سليمان المهري على الطريق البحري بالتفصيل ، ولهذا فسنكتفي بأكثرها أهمية وشهرة :

ميناء خانفو (كانتون)

لقد كانت خانفو (كانتون) أشهر موانىء الصين في ذلك الوقت ، والنهاية الشرقية للطريق البحري الاسلامي ، وكانت مستودع منتجات الصين entrepot port **، إليها يأتي التجار العرب بمنتجات بلادهم من منسوجات صوفية وكشميرية وخيول وعطور ومرجان ، مع نفائس أوروبا كالأجواخ القرمزية الزاهية الألوان التي اشتهرت بها البندقية ،** ليبادلوا بها منتجات الصين كالمصنوعات الحريرية المختلفة ومنها الفرند **(الحرير الملون)** والكيمخا **(الحرير المشجر)** فضلاً عن **المسك والعود وسرج الخيل والسمور** (الفراء) والخزف والأواني الصينية المزركشة والمطعمة بالذهب والفضة والأواني البللورية وغيرها مما نجد آثاره في البلاط العباسي لا سيما في أوج عظمة الدولة وفي **أطلال الفسطاط** (ابن خرداذبة - المسالك والممالك ، والغزولي - ٨١٥م : مطالع البدور في منازل السرور) . وكان أهل الصين وملوكها يحترمون التجار المسلمين فلا يؤخذ منهم أعشار **(ضرائب)** في بيع ولا شراء ولا مكس (تحفة الألباب) ، **وكانوا يطلقون كلمة (تاشي) على العرب ، وأغلب الظن أنها محرفة عن كلمة تاجر أو عن كلمة (تازي) الفارسية ومعناها العرب .** بل ومما ذكره **سليمان التاجر السيرافي** أن رجلاً من المسلمين كان يتولى الحكم في خانفو بمجمع التجار ، من قبل ملك الصين **(أخبار الصين والهند)** (١٣) .

ميناء قاليقوط

وعلى الطريق البحري أيضاً كانت تقع (قاليقوط) ، **وهي أهم موانىء الهند على ساحل مالابار في ذلك الوقت . ، حيث تجتمع مراكب الصين واليمن وفارس وتجار الآفاق من كل مكان .** وقد أورد **البيروني** (٣٦٢/٤٤٢ هـ) معلومات كثيرة عن أهمية هذا الميناء وغيره من موانىء الهند مثل **(سومنات)** و**(لوهراني)** من حيث انها موانىء لها قيمتها وتعتبر مخارج للصادرات الهندية من منسوجات وعطور وأحجار كريمة ، ومعابر للمرور إلى افريقيا الشرقية أو جزر الهند الشرقية ، فيذكر مثلاً عن (سومنات) أنها «فرضة للسابلة في البحر ومنزل للمترددين بين سفالة بلاد الزنج (وهي موزمبيق) والصين» (١٤) . كذلك أورد البيروني

معلومات قيمة عن سفالة الزنج (موزمبيق) وافريقيا الجنوبية نقلاً عن التجار المسلمين، إذ كان الطريق البحري في المحيط الهندي يتصل بشرقي افريقيا، حيث نمت عدة مراكز تجارية عربية إسلامية على ساحل البنادر (وهو ساحل شرقي افريقيا) أهمها **ممبسة** على ساحل كينيا **ودار السلام وكلوة** على ساحل تنزانيا، **ومقديشيو** على ساحل الصومال، **وجزيرة زنجبار**. بل إن الطريق البحري أخذ يطول نحو الجنوب حتى اتصل **بجزر القمر**. ومما يدل على النشاط البحري المتزايد للمسلمين في المحيط الهندي في ذلك الوقت انتشار الخزف الصيني (أواني كيلادون) في شرقي افريقيا وجنوبها، حيث وجدت أوان من طراز أسرة (سونج) الصينية ـ التي كانت تحكم الصين فيما بين القرن العاشر والقرن الثالث عشر الميلاديين ـ في ميناء جيدي الإسلامي شمال شرقي ممبسة. كما عثرت (مس كيتون تومبسون) Miss Caton Tompson على بعض قطع خزفية صينية في أرض زمبابوي بروديسيا، وقد استمر هذا الاتصال التجاري على يد الوسطاء العرب المسلمين بين الصين وشرقي إفريقيا في عهد أسرة (**مينج**) في القرن الرابع عشر الميلادي (١٥).

موانىء عربية إسلامية

كذلك اشتهرت على الطريق البحري عدة موانىء عربية إسلامية ذات أهمية خاصة، فكانت (**سيراف**) على الساحل الفارسي من الخليج العربي أكبر ميناء في تلك المنطقة في الفترة الواقعة بين قيام الدولة العباسية والقرن الخامس (الحادي عشر). وكان لتجار سيراف وكلاء في شرقي إفريقيا والهند وخانفو. كما كانت موانىء البصرة والابلة وكلّه من الموانىء التي تنتهي إليها المراكب القادمة من الصين والهند. وعند كلّه ينتصف الطريق إلى الصين، وعندها أيضاً تنتهي مراكب سيراف وعمان في النصف الأول من القرن الرابع الهجري قادمة بمتاجرها من الصين. وعندما دمرت **الزلازل** سيراف انتقل نشاطها التجاري إلى (**كيش**) وهي جزيرة في الخليج لا تبعد كثيراً عنها (١٦).

فإذا تحركنا إلى الغرب، التقينا **بعدن**، أهم مركز تجاري عربي على الطريق البحري بين الشرق والغرب، وقد أطلق عليها التجار العرب (**دهليز الصين**) لأنها كانت ملتقى السلع emporuim الوافدة من الصين والهند بحراً وكذلك السلع الوافدة من شرقي افريقيا، آخذة طريقها في البحر الأحمر إلى القلزم والإسكندرية وموانىء الشام، حيث يأتي أرباب التجارة من جنوة والبندقية وفلورنسا وبيزا وقطالونيا لنقل متاجر الشرق وكنوزه إلى أوروبا التي كان يبهرها بريق الطرائف الشرقية أياً كان نوعها ومصدرها. كما كانت التجارة الأوروبية تمر بعدن في طريقها إلى الشرق الأقصى.

وقد أشاد ابن خرداذبة بميناء عدن فجعلها «من الموانىء العظام»، وأن «بها العنبر والعود والمسك ومتاع السند والهند والصين والزنج والحبشة وفارس والبصرة وجده والقلزم» (١٧). واستمرت عدن تؤدي دورها كوسيط تجاري وسوق تتجمع فيه تجارات الشرق والغرب طوال القرون التالية، يدل على ذلك وصف **ياقوت الحموي** لها في **معجم البلدان** (١١٧٩/١٢٢٩م)، بأنها «مدينة مشهورة على ساحل بحر اليمن... وهي مرفأ مراكب الهند والحجاز والحبشة والتجار يجتمعون إليه كذلك». ويبدو أن أهمية عدن على الطريق البحري الإسلامي قد استمرت حتى غزو البرتغاليين لها بقيادة (البوكرك) والحصار الذي فرضوه على مدخل البحر الأحمر عام ١٥١٣م (١٨).

البحر الأحمر كحلقة في هذا الطريق

وكان البحر الأحمر يمثل حلقة رئيسية في الطريق البحري التجاري في العصور الوسطى. وقد ظل يؤدي دوره القديم كممر للتجارة بين الشرق والغرب، ولكنه أصبح بعد **الفتوحات الاسلامية** بحيرة عربية تتوسط العالم الإسلامي الأفرو آسيوي، كما أصبح يمثل أحد المسالك الرئيسية التي تربط بين أجزاء هذا العالم، فضلاً عن ظهور أهمية جديدة له كطريق للحج يسلكه المصريون والمغاربة.

وكان أول عمل قام به العرب لبعث الحركة التجارية في البحر الأحمر مبادرة **عمرو بن العاص** إلى اعادة فتح قناة (تراجان) باسم خليج أمير المؤمنين عام ٦٤٢م، لكي يسير عن طريقها عشرين سفينة محملة بالقمح من ميناء (**بابليون**) النهري إلى القلزم، ومنها إلى **ميناء الجار بالحجاز** عن طريق البحر الأحمر، وقد ظل هذا الطريق الملاحي الذي يربط بين مصر والحجاز مستخدماً قروناً عديدة، وإن كانت الامدادات قد تحولت عن الجار إلى **جده** على عهد **عثمان** لقرب الأخيرة من مكة مقصد الحجاج المسلمين من جميع أنحاء العالم. ولهذا أصبحت جده أكثر موانىء البحر الأحمر حركة ونشاطاً (١٩).

وبالرغم من أن القمح المصري كان يصدر عن طريق البحر الأحمر من القلزم إلى الجار أو جده، فقد كان الحجاج من مصر وشمالي افريقيا يؤثرون السفر براً عبر سيناء ثم ساحل الحجاز، إذ كانوا يفضلون أن يجتنبوا ما أمكن أخطار البحر الأحمر الذي يصفه الكتّاب العرب ـ ومن قبلهم اليونان ـ بأنه مليء بشعاب المرجان، عنيف الرياح، شواطئه مجدبة خالية من المأوى، يحتاج الأمر فيه إلى دليل محنك، ولا بد فيه من القاء المراسي بالليل (٢٠).

ومع ذلك فقد تذبذبت قيمة الطريق التجاري البحري عبر البحر الأحمر في العصور الإسلامية نتيجة لارتباطها بانتقال العاصمة أو المدينة الأولى في العالم الإسلامي. **في صدر الاسلام والدولة الأموية**، كان طريق البحر الأحمر أهم من طريق الخليج العربي، وظهرت القلزم لا سيما مع حفر خليج أمير المؤمنين للربط بين الحجاز ومصر. ولكن مع انتقال الحكم إلى **الدولة العباسية** وتحول العاصمة إلى بغداد، برزت أهمية الخليج العربي وموانئه على طريق البحر الأحمر وموانئه. فلما انحدرت أهمية بغداد في أواخر القرن العاشر الميلادي وكثرت أخطار القرصنة في الخليج العربي عن طريق **القرامطة** وثورات **الزنج**، تحولت طرق التجارة الشرقية مرة أخرى إلى البحر الأحمر. ومع ارتفاع أهمية **القاهرة في العهد الفاطمي**، استعادت القلزم تبعاً لذلك أهميتها. حتى إذا كانت **الحروب الصليبية** التي هددت أخطارها موقع القلزم والعقبة في أواخر القرن الحادي عشر الميلادي هاجرت التجارة ـ كما تحول الحج أيضاً ـ من الطريق الشمالي (طريق القلزم) نحو الجنوب إلى ميناء **القصير** ثم ميناء **عيذاب**، وساعد على ذلك خراب الدلتا أثناء **الشدة المستنصرية**. وعندما زالت تلك الأخطار الصليبية استعاد الطريق الشمالي أهميته السابقة ابتداء من القرن الرابع عشر الميلادي (٢١).

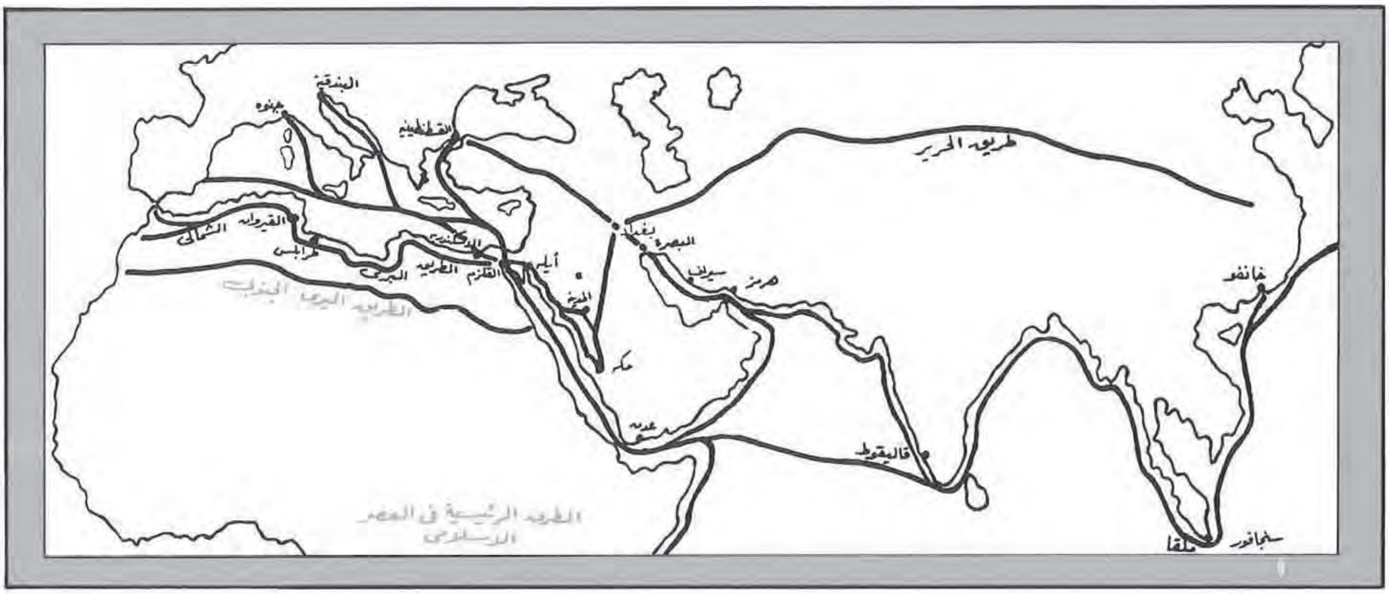
ويمثل البحر المتوسط الحلقة الأخيرة في الطريق البحري. وقد دان هذا البحر للسيادة الاسلامية بعد انتصار الأسطول العربي في معركة ذات الصواري البحرية، ومع ذلك فقد ظلت تجارة هذا البحر في أيدي التجار من اليهود (الراهدانية) كما سبق القول حتى القرن الثالث الهجري، ثم انتقلت بعد ذلك إلى أيدي المسلمين. وأصبحت موانىء الإسكندرية والفرما (بور سعيد) في **مصر وغزة وعسقلان وعكا وطرطوس** في الشام منافذ للتجارة الإسلامية على هذا البحر، وكان يواجهها على الجانب الأوروبي موانىء **البندقية وجنوه وقطالونيا**، التي كانت لها صلات تجارية وثيقة مع الشرق بوجه عام والعالم الإسلامي بوجه خاص. وكانت بدورها بداية للطرق البرية في أوروبا. كذلك كانت صقلية وقبرص وغيرهما من جزر البحر المتوسط ملتقى السفن والملاحين القادمين من المياه الشمالية والمحيط الأطلسي والبحر المتوسط.

وتلقي رحلات **ابن جبير والأدريسي** (في القرن السادس الهجري) ضوءاً هاماً على النشاط التجاري الإسلامي في حوض البحر المتوسط في ذلك الوقت.

ولكن أهمية طريق البحر المتوسط الملاحي أخذت تتدهور نتيجة للاضطرابات التي صاحبت الحروب الصليبية في القرنين الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين. واستمر هذا التدهور في القسم



★ الادريسي ★



الغربي من هذا الطريق في القرن الرابع عشر نتيجة للفتن التي ثارت بالمغرب وضعف السيادة العربية في الأندلس . ثم ما لبث البحر المتوسط أن فقد أهميته كلية في نهاية القرن الخامس عشر عقب اكتشاف **رأس الرجاء الصالح** ، وتحول مجرد زقاق مغلق أو بحيرة آسنة ، واستمر كذلك إلى أن كان حفر قناة السويس عام ١٨٦٩م فعاد إليه بعض شأنه القديم .

وبعكس ما كان من أمر القسم الغربي من البحر المتوسط في القرن الرابع عشر ، كان القسم الشرقي - أو المشرق العربي - يتمتع بازدهار في الحركة التجارية نتيجة لانحسار المد الصليبي عن ديار الشام على يد المماليك الذين أرسوا قواعد حكم قوي وإن لم يكن صالحاً دائماً في مصر والشام والحجاز ، وكذلك نتيجة لدخول **المغول** في الإسلام واتساع الرقعة الإسلامية على أيديهم . ومن ثم فقد كان الإسلام في المشرق في فترة قوة [٢٢] . وكان لهذا أثره على النشاط التجاري الذي شمل القسم الشرقي من البحر المتوسط والبحر الأحمر والمحيط الهندي ، وكان للمماليك صلات تجارية قوية بالبندقية وجنوه من ناحية وجنوبي شرقي آسيا وشرقي إفريقيا من ناحية أخرى ، حققوا عن طريقها ثروات ضخمة ، واستمر هذا الازدهار حتى قدوم البرتغاليين وتحول الطريق البحري التجاري إلى جنوبي افريقيا .

الهوامش

١ - ابن خرداذبة ص١٥٣/١٥٤ .
٢ - Ziadeh, The Arab Routes.
٣ - Muir's Historical Atlas, p. 25
٤ - Ziadeh, op. cit.
٥ - الأعلاق النفيسة ج٧ .
٦ - Ziadeh, op. cit.
٧ - اليعقوبي - ص٣٤٠/٣٤١ .
٨ - السباعي - ج١ ص٣٠٠ .
٩ - حمدان - ص١١٨ .
١٠ - مجلة المجمع العلمي العراقي م٢ ، ١٩٥٢م .
١١ - نفيس أحمد - ص٣٣/٣٤ .
١٢ - المهري - فهرس توزيع الأماكن - ص٢٦٦/٣٠٨ .
١٣ - زيتون - ص١٥ ، ١١٣/١١٤ .
١٤ - Sachau; vol. II, p. 104.
١٥ - بيك وفلير - ص٣٥٥/٣٥٦ .
١٦ - زيتون - ص١٠٤ ، والمسعودي (مروج الذهب) - ج١ ، ص١٥٨ ..
١٧ - ابن خرداذبة - ص٦٠/٦١ .
١٨ - بيرين - ص٧٦ .
١٩ - حوراني - ص١٨٨ .
٢٠ - حوراني - ص٢٨٤/٢٨٥ .
٢١ - حمدان - ص١١٧/١١٨ .
٢٢ - Ziadeh, op. cit.

المراجع العربية :

١ - ابن جبير - الرحالة - ليدن ١٩٠٧م ، والقاهرة ١٩٥٥م .
٢ - ابن خرداذبة - المسالك والممالك - ليدن ١٨٨٩م .
٣ - ابن الفقيه الهمداني - مختصر كتاب البلدان .
٤ - الادريسي - نزهة المشتاق في اختراق الآفاق - ليدن ١٨٦٤م .
٥ - أمين عبد الله - الجغرافيا التاريخية لحوض البحر الأحمر ١٩٧١م .
٦ - برنار لويس - العرب في التاريخ - تعريب نبيه أمين فارس - بيروت ١٩٥٤م .
٧ - جاكلين بيرين - اكتشاف جزيرة العرب - ترجمة قدري قلعجي - بيروت ١٩٦٣م .
٨ - «الجغرافيا عند المسلمين» - مجلة المجمع العلمي العراقي - م٢ - ١٩٥٢م .
٩ - جمال حمدان - جغرافية المدن - القاهرة ١٩٦٠م .
١٠ - جورج حوراني - العرب والملاحة في المحيط الهندي في العصور القديمة .
١١ - سليمان التاجر السيرافي - أخبار الصين والهند .
١٢ - سليمان المهري - العمدة المهرية في ضبط العلوم البحرية - تحقيق إبراهيم خوري - دمشق ١٩٧٠م .
١٣ - محمد زيتون - الصين والعرب عبر التاريخ - القاهرة ١٩٦٤م .
١٤ - نفيس أحمد - جهود المسلمين في الجغرافيا - ترجمة فتحي عثمان - القاهرة .
١٥ - نقولا زيادة - الرحالة العرب .
١٦ - ياقوت الحموي - معجم البلدان .
١٧ - هارولد بيك ، جون فلير - الأزمنة والأمكنة (ترجمة محمد غلاب) - القاهرة ١٩٦٢م .

المراجع الأجنبية :

1 - Coon; Caravan, The story of the Middle East. New York, 1951.
2 - Danvers : The Portuguesein India.
3 - Encyclopedia of Islam, vol. 2.
4 - Encyclopedia Britanniea, vol. 19 - Red sea.
5 - Muir's Historical Atlas, Medievial and Modern, 11 thed. 1949.
6 - Sachau, Al- Bairni's India.
7 - Ziadeh :'Ararb Trade and Commerce in themiddel ages', Bull. of the university of Libya, 1970.

جوانب من جغرافية الحج والزيارة إلى مكة المكرمة.. والمدينة المنورة

بقلم: د. عمر الفاروق السيد رجب

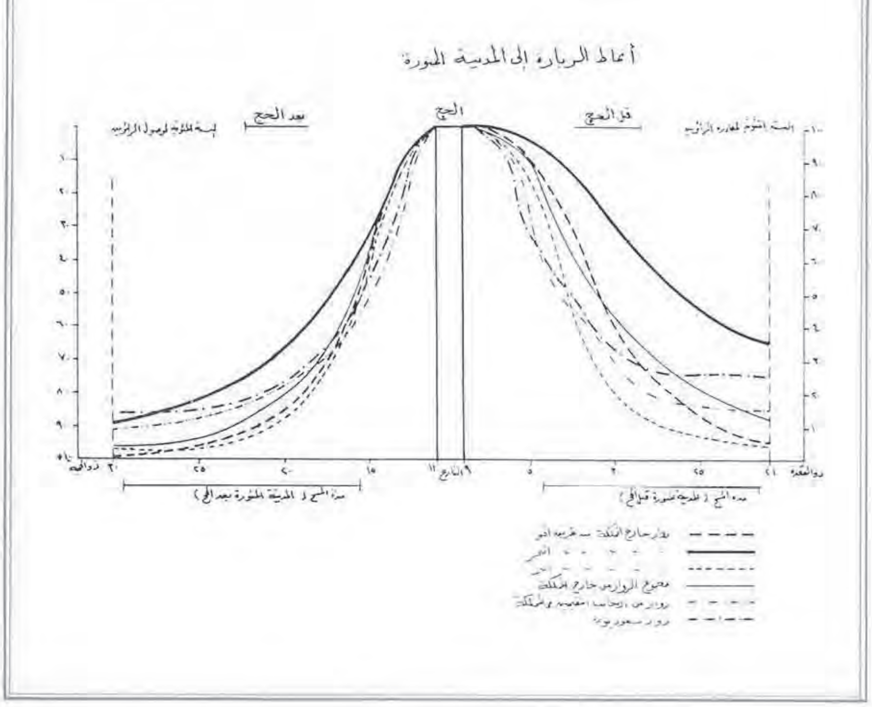
يمثل موسم الحج والزيارة عاملا مؤثرا خاصا للغاية بالنسبة للمدن ذات المكانة الدينية، ويمتد تأثيره إلى حياة هذه المدن متخللا نسيجها السكاني والاقتصادي والعمراني بدرجات مختلفة من العمق والانتشار.

وتعني خصوصيته.. اقتصار تأثيراته ونتائجه على مجموعة معينة من المدن من ناحية، وخلال فترة محددة أو أكثر في السنة من ناحية ثانية، وخلال هذه الفترة - أو الفترات - قد تتحول هذه المدن - من زوايا عديدة - إلى غير صورتها العادية وتكوينها المعروف عنها بقية السنة، وتتوقف درجة التحول والتغير على أهمية المدينة الدينية وجاذبيتها وحجم حجاجها وزوارها من جهة.. وعلى أهمية موسم الحج والزيارة بالنسبة لسكانها وموقعه من اقتصادياتها من جهة ثانية، وبغض النظر - مؤقتاً - عن الزاوية الاقتصادية لهذه الأهمية.. فإن **التغيرات السكانية** المؤقتة التي تطرأ على المدينة، تعد من أهم النتائج - التي يمكن قياسها - والمرتبطة بفترة الحج والزيارة، حيث يزيد حجم المدينة.. ويختلط تركيب سكانها الوافدين.. كما قد تعمد نسبة من هؤلاء الوافدين إلى إطالة مدة إقامتهم لأسباب شتى.. وقد تستقر نسبة أخرى منهم جزئياً أو كلياً.. عندئذ **يمكن اعتبار «الحج والزيارة» بمثابة نوع من الهجرة الخارجية التي تؤثر في بنيان المدينة الدينية بدرجات وظلال عديدة ايجابية وسلبية**، ومن ناحية أخرى.. فإنه غالباً ما تتحول نسبة من سكان المدينة الأصليين عن أعمالها إلى أخرى متصلة بخدمة الوافدين من الحجاج والزوار بمستويات متداخلة من الأهمية والاستمرار.. كما قد تترك نسبة أخرى منازلها وشققها الواسعة إلى أخرى ضيقة في المدينة أو هوامشها أو حتى خارجها، لكي يقيم الوافدون في الأولى بدرجة تزاحم عالية غالباً.. خاصة في الموسم الرئيسي وبالأخص في ذروته، وتشتد حركة المرور في الشوارع من المارة والآليات.. إلى غير ذلك من المظاهر السكانية الدالة على زيادة حجم المدينة السكاني.

أما من **الزاوية الاقتصادية**.. فإن وضوح آثارها وأهميتها تتباين من مدينة دينية لأخرى.. حسب موقع الموسم من اقتصادياتها عامة، ودرجة انتشار نتائجه بين قطاعاتها السكانية المختلفة، ونسبة العاملين من سكانها في نواحي الخدمات المتصلة به، وحجم الانفاق المرتبط بالزيارة داخل المدينة ذاتها.. وتوزيعه على مجالاتها.. إلى غير ذلك من العناصر.

والواقع أن المكانة الدينية السابقة لمدينتي «**مكة المكرمة، المدينة المنورة**»، لم تمنحهما وظيفة مدنية عالمية بفضل الحج والزيارة اليهما من حجيج العالم الإسلامي فحسب، بل هي - أيضاً - قد حفظتهما مذكورتين مشهودتين دائماً.. ويعد المسجد (**الحرام في مكة والنبوي في المدينة**).. بمثابة نواة لهذه الوظيفة وقطباً لها.. فمع ايقاع حركة الحج والزيارة اليهما، ونبض الحلقات العلمية والمدارس الفكرية بهما، وما يتصل بهما من عطر التاريخ الإسلامي وأجواء الأحداث الأولى والشخصيات والفتوح.. التي يسري أريجها في كل شارع وحارة وزقاق ورباط.. استمرت المدينتان في القيام بوظائفهما عبر السنين كائنتين من أقدم المراكز الحضرية في التاريخ رسوخاً ودواماً، **وتأثر «بالمسجد» تكوين المدينتين وتحددت بوجوده مجالات خطة مبانيهما واتجاهات نموها**.. فالتف عمران كل منهما حول المسجد يكتنفه ويحميه، واتجهت اليه في كل منهما شوارعها وحاراتها تنتهي إليه وتصب في ميدانه، وقد أخلت معه الأحياء، ومع المسجدين الرئيسيين (الحرام في مكة والنبوي في المدينة).. ظهرت عشرات أخرى منها، وأصبحت المساجد من أهم المظاهر التركيبية في المدينتين.. فضلاً عن المدن الإسلامية عامة.. صورة منهما وتكراراً لهما.. لا يخلو منها حي من أحيائها.. وأحياناً.. شارع من شوارعها، وهو - المسجد - يشغل من الأحياء القلب - تكرار لصورة المدينة ككل - ومن الشوارع الرأس، ومن الميادين الوسط.. وهي - المساجد - معالم الاحياء وأسماء الشوارع والحارات، اليها تتجه الطرق، وحسب مواضعها

شكل (١)



توضع خطط المباني وتنظيم المداخل ، فهي نـوايات تخـطيطية يعسر تجـاوزها . . وتظهر حولها الأسواق ، وتتحدد أثمان الأراضي ، وهي عن بعد تمثل خـط أفـق المدينة Sky Line ، واذا كانت أشجار النخيل قد توارت أو اختفـت مـن هـذا الأفق في العصر الحديث . . فقد بقيت المآذن عالية بـازغة دائمـاً تحـدد المدينـة الإسلامية وتقود إليها .

الحج والزيارة

تمثل فترة الحج المحددة . . الوقت الذي يصل فيه عدد القادمين الى «**مكة المكرمة**» والمقيمين فيها الى ذروته ، وبالنسبة «**للمدينة المنـورة**» . . فـإن هذه الفترة نفسها تمثل أهم مواسم زيارتها ، باستثناء أيام الحـج ذاتها . . الـتي تخلو أثناءها من الزوار . . الذين يكونون آنذاك في مكة المكرمة وما حولها مـن أماكن تتصل بأداء شعائر الحج ، **ويـوضح شـكل (١) نمـط الـزيارة الى المدينة المنورة** . . قبل أيام الحج وبعدها مباشرة ، والواقع أن هناك فـترات زيارة أخرى للمدينتين خلال السنة مرتبطة بتـواريخ معينـة خـلال السـنة الهجرية ، أو متصلة بتواريخ خاصة ذات أهمية معينة لجماعـات خـاصة مـن المسلمين ، غير أنها لا تقارن من حيث العـدد أو الأهميـة للمـدينتين . . بفـترة الحج والزيارة الرئيسية ، وعلى أية حال . . فإن الارتباط بين المدينتين في معظم هذه الفترات يعد عالياً ، إذ نادراً ما تتم زيارة إحـداهما دون الأخـرى ، اللهـم إلا بالنسبة لسكان المملكة والمقيمين فيها ، الذين قد يزورون مدينة منهما في مرة والثانية في مرة أخرى باعتبار أن لديهم من الفرص ما يسـمح بـزيارة أيهما أكثر من مرة .

عدد الحجاج

وقد تزايد **عدد الحجاج** وزوار المدينتين زيادة فائقة خلال عقـود السـنين الثلاثة الماضية ، خاصة العقد الأخير منها . . فحسـب أرقـام مـوسم حـج ١٣٥١ هـ ـ ١٩٣١ م ، بلغ عدد الحجاج القادمين من خـارج المملـكة ٢٠١٨١ حاجاً ، وقد بلغ عددهم بعد أقل مـن ربـع قـرن (١٣٨٣ هـ ـ ١٩٦٣ م) نحـو ٢٥٠ الف حاج ، وقد استمرت الأعـداد في تـزايدها . . حـتى **بلغـت في ١٣٩١ هـ ـ ١٩٧١ م أكثر من مليـون حـاج (١,٠٤٢,٠٢٧ على وجـه الدقة)** . . غير أن هذا الرقم الأخير يشمل الحجاج من خارج المملكة ومـن داخلها ،**وقد بلغ عدد الحجاج القادمين من خارج المملكة ٤٧٩٣٣٩ حاجاً** . . أي نحو ٤٨ ٪ من جملتهم العامة . . أما الباقي فمن داخل المملكة . . هذا ولم تتوفر الأرقام الخاصة بعدد الحجاج من داخل المملكة إلا منـذ مـوسم ١٣٨١ هـ ـ ١٩٦١ م . . وقد أجريت في سنة ١٣٩١ هـ ـ ١٩٧١ م . . دراسـة عن توقعات موسم الحج في ١٣٩٥ هـ ـ ١٩٧٥ م ، (الحج . . دراسـة خـاصة من مناطق العمل المختارة) . . وتبعاً لأرقامها . . فقد قدر عدد المتوقع قـدومهم إلى مكة المكرمة للحج بنحو ١,٠٨ مليون حاج . . من بينهـم ٤٥٥ الفـاً مـن خارج المملكة (٤١ ٪) ونحو ٦٢٥ ألفاً من الخـارج (٥٩ ٪) ، غـير أن أرقـام الحجاج الفعلية في موسم حج ١٣٩٥ هـ ـ ١٩٧٥ م ، قد فاقت هذه التوقعات بكثير . . حيث قد بلغت جملتهم في السنة المذكورة ما يـزيد عـن ١,٥ مليـون حاج ، أي بنسبة زيادة قدرها نحو ٥٠ ٪ عن المتوقع ، وقد بلغت جملة الحجـاج من الخارج في هذا العام (١٣٩٥ هـ) ٨٩٤٥٧٣ حاجاً ، أي بنسبة ٥٩,٦٠ ٪ من جملة الحجاج العامة هذا الموسم ، أما حجاج الداخل . . فقد بلغ عـددهم ٦٦٣,٢٩٤ حاجاً (٤٠,٤٠ ٪ من جملة الحجاج العامة) .

ويوضح الجدول الآتي تطور عدد الحجاج إلى مكة المكرمة بـين ١٣٨٥ ـ ١٣٩٥ هـ ـ ١٩٦٥ ـ ١٩٧٥ م ، علماً بأن هـذه الأرقـام تخص الحجـاج مـن خارج المملكة فقط (الأرقام مقربة للألف) :

١٣٨٥	٨٦	٨٧	٨٨	٨٩	٩٠	٩١	٩٢	٩٣	٩٤	١٣٩٥
٢٩٤	٣١٦	٣١٨	٣٧٥	٤٠٦	٤٣١	٤٧٩	٦٥٤	٦٠٨	٩١٨	٨٩٥

وهكذا .. فإن أعداد الحجاج إلى مكة المكرمة قد تضاعفت عدة مرات .. خاصة خلال الخمس عشرة سنة الماضية.

وفي دراسة حديثة أخرى عن توقعات الحج إلى مكة المكرمة .. قدمت بعض الأرقام الأخرى عن توقعات أعداد الحجاج في موسم ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م. حيث قد بلغت بها **نحو مليوني حاج** .. من بينهم ١,٢ مليون حاج من خارج المملكة (١٪)، وتشير دراسة الأرقام الفعلية لحجاج موسم ١٣٩٧هـ - ١٩٧٨م. إلى أنهم قد يحققون أيضاً هذه التوقعات، حيث قد بلغت جملتهم في الموسم المذكور قرابة ١,٥ مليون حاج، ورغم أن الاتجاه العام لعدد الحجاج هو نحو الزيادة سنة بعد سنة، إلا أن هناك استثناءات في بعض السنوات التي يقل بها عدد القادمين للحج عن سنة سابقة لها، وذلك لأسباب خاصة عديدة، والملاحظ أن جملة عدد الحجاج تدور منذ ثلاث سنوات حول رقم ١,٥ مليون حاج، غير أنه من المرجح أن تتخطى هذه الجملة دائرة هذا الرقم في السنوات القليلة المقبلة.

عـدد الزائرين

والواقع أن الأرقام الخاصة بعدد زوار «**المدينة المنورة**».. ليست في مثل دقة أرقام حصر الحجاج إلى «**مكة المكرمة**»، حيث إن تحركات الحجاج داخل المملكة يعسر ضبطها بشمول عملية حصرهم عند دخول المملكة أو الخروج منها، وقد أتاحت دراسة خاصة عن «المدينة المنورة».. أثناء موسم حج ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م بعض المعلومات والأرقام المتصلة بموسم الزيارة الرئيسي اليها والمرتبط زمنياً بموسم الحج إلى مكة المكرمة (شكل ١).. وحسب أرقامها فقد بلغت جملة زوار المدينة في الموسم المذكور نحو المليون زائر، ينقسمون إلى زوار من خارج المملكة بنسبة ٦٦,٤٠٪ (٦٣٦ الف شخص)، ومن السعوديين ١٦٧ الف شخص (١٧,٤٧٪)، ومن المقيمين داخل المملكة من غير السعوديين ١٦,١٧٪ (١٥٥ الف شخص).. فتكون جملتهم على وجه التحديد ٩٥٨ الف شخص في هذا الموسم.

وتشير نفس الدراسة عن «**المدينة المنورة**».. إلى أن معظم القادمين إلى «مكة المكرمة» من خارج المملكة لأداء فريضة الحج (٩٩٪ منهم) قد قاموا أيضاً بزيارة «المدينة المنورة»، وقد زارها **قبل الحج** نحو ٤٠٪ منهم، وقام بالزيارة بعد الحج ٤٨٪ منهم، وأدت النسبة الباقية (١١٪) الزيارة قبل الحج وبعده أيضاً.. أي قاموا بزيارة المدينة المنورة مرتين أثناء فترة الحج، وبالنسبة للحجاج السعوديين والمقيمين بالمملكة من غير السعوديين، فإن زيارتهم للمدينة المنورة لا ترتبط بموسم الحج فقط.. بل إنهم غالباً قد يؤجلونها.. حيث تحضر النسبة الكبرى منهم إلى «المدينة المنورة» لزيارتها أكثر من مرة خلال العام.

وسائل القدوم للحج والزيارة

لا شك أن زيادة عدد القادمين للحج والزيارة بهذه المعدلات الكبيرة في السنين الأخيرة، إنما تعود في نسبة هامة منها إلى تطور وسائل القدوم للمدينتين والتسهيلات الفائقة المرتبطة بهذا التطور.. فالحج والزيارة نية كامنة في نفوس المسلمين جميعاً.. كان في استطاعة البعض منهم - في الماضي - أن يحققها بوسائل شتى يكتنفها العسر والمشقة في معظمها.. وكانت تظل مجرد رغبة عميقة في نفوس البعض الآخر.. وكانت صعوبة المواصلات تمثل أهم ما يواجه القادمون للحج والزيارة من عسر ومشقة، كما أنها كانت أشد أسباب احجام من لم يستطع تحقيق نيته ورغبته في الحج والزيارة، ورغم ذلك.. فلم تنقطع تيارات الحجاج والزوار قط.. بل استمرت متدفقة في نبض سنوي تمتد شرايينه إلى **مسلمي إفريقيا وآسيا**.. الذين قد يهبون عمراً بأكمله لأداء الفريضة.. فيسعون إليها سيراً على الأقدام أو على الدواب.. يجمعون نفقات الرحلة بالعمل أثناءها بضع سنوات، وقد يتوقفون عدة مرات أزماناً متفاوتة في مناطق معينة.. ثم يواصلونها باحساس ضارب في أعماق نفوسهم، ثم هم قد يستقرون نهائياً في محطة الوصول.. حيث قد لا تسمح بقية العمر بإمكانية العودة إلى بلادهم الأصلية.. كما قد تستهوي الإقامة بعضهم الآخر.. فيمد جذوره حيث وصل.. متشجعاً بأجيال من الحجاج سابقة عليه، قد اتخذت نفس قراره بالاستقرار حيث وصلوا.. فأصبحت المدينتان بوتقة تذوب في حرارة القدوم إليهما والإقامة بهما عناصر شتى وثقافات عديدة وتختلط وتنصهر مشكلة مزيجاً فريداً من سكان العالم الإسلامي، كما كانت قوافل الحجاج تأتي إليهما بانتظام شبه كامل.. من **مصر والشام والعراق واليمن وشمال افريقية**.. في اطار من الحماية والنظام والأمن، حسب الحالة الحضارية للمكان الوافدة منه القافلة، فقد كانت قوافل حجاج الشام إبان **العصر الأموي**.. غاية في اكتمال الرواء والنظام.. وفي **العصر العباسي**.. كانت القوافل تأتي من العراق في أبهة يفيض في وصفها المؤرخون، وكانت قوافل الحجاج المصريين في العصرين **الفاطمي والمملوكي**.. أشبه بمهرجانات بدايتها في القاهرة ونهايتها في مكة المكرمة.. محروسة محمية آمنة.. وما تزال أسماء «المناخات» حيث تنيخ جمال القوافل.. شائعة في المدينة المنورة ومكة المكرمة، تحمل أسماء مصرية وشامية وعراقية ويمنية.. وما تزال الأبواب القديمة في المدينتين تشير إلى اتجاه وصول القوافل.. فهذا **باب الحجيج المصري** وهذا **باب الحجيج الشامي.. وللحجيج العراقي واليمني والمغربي أبوابه** أيضاً في أسوار المدينة القديمة التي أسست خلال العصر التركي.

الحج والزيارة .. ووسائل المواصلات

غير أن هذه الصورة التاريخية الفضفاضة.. كانت مكونة في جملتها من أعداد من الحجاج لا يتجاوزون بضعة آلاف.. وقد استمرت بصورتها هذه تقريباً حتى قبل ربع قرن من الآن.. ثم طفرت الأعداد إلى بضعة عشرات من الآلاف، ثم إلى بضع مئاتها.. وهي الآن تجاوز دائرة المليونين.. بين حجاج من خارج شبه الجزيرة ومن داخلها.. وإلى جانب أسباب عديدة أخرى.. كانت **المواصلات** وتطوراتها وتيسيراتها من أهم أسباب هذه الطفرة، لقد تعددت وسائل القدوم والوصول.. براً وبحراً وجواً.. فأصبحت رحلة الحج لا تستغرق سوى أيام ما بين السفر وأداء الفريضة والعودة، وتداعى عن ذلك عدد كبير من النتائج الاقتصادية والسكانية الهامة.. التي تختلف كثيراً عن نتائج رحلة حج طويلة تستغرق شهوراً وأعواماً.. وقد تنتهي بالاستقرار النهائي لعناصر الحجاج في مكة المكرمة والمدينة المنورة.

ويوضح الجدول الآتي أعداد القادمين للحج بين ١٣٨٥ - ١٣٩٣هـ (الأرقام مقربة للألف) وذلك حسب وسيلة الوصول.

السنة / الوسيلة	١٣٨٥	٨٦	٨٧	٨٨	٨٩	٩٠	٩١	٩٢	١٣٩٣
براً	١٠٢	٩٣	١١٥	١٥١	١٧٠	١٣٨	١٤٢	١٨٠	١٢٠
بحراً	١٠١	١١٣	٨٤	٩٤	٩١	٨٥	٩٩	١٣٧	١٣٠
جواً	٩١	١٠٧	١١٩	١٣٠	١٤٥	٢٠٩	٢٣٩	٣٢٨	٣٥٧

ويبين الجدول بوضوح الزيادة الكبيرة في عدد الحجاج عامة بين ١٣٨٥ - ١٣٩٣هـ، غير أنها تتفاوت في معدلاتها بين وسائل القدوم المختلفة ... فهناك تطور حاسم (لصالح السرعة) بالنسبة لوسائل الانتقال المذكورة، فبينما كانت **المواصلات الجوية** تستوعب نسبة أقل من ٣٠٪ من جملة عدد القادمين للحج في ١٣٨٥هـ، فإنها تتزايد زيادة مطردة فائقة .. حتى ليبلغ عدد القادمين عليها في ١٣٩٣هـ، نحو ٤ مرات عددهم في ١٣٨٥هـ، كما تتزايد نسبة استيعابها إلى نحو ٥٧,٢٪ من جملة عدد الحجاج في ١٣٩٣هـ، وتمتد شبكة خدماتها لتحيط بمعظم إن لم يكن جميع أجزاء العالم الإسلامي .. وتحقق المواصلات الجوية في الواقع هذه الزيادة على حساب المواصلات البرية والبحرية .. حيث كانت الأولى (البرية) .. تنقل العدد الأكبر من الحجاج في ١٣٨٥هـ .. (٣٤,٩٠٪ من جملة الحجاج)، ورغم الزيادة العامة الفعلية التي تحققت بالنسبة لهذه الوسيلة .. إلا أن أعداد القادمين عليها قد تذبذبت ارتفاعاً وتناقصاً خلال المدة المحددة ١٣٨٥ - ١٣٩٣هـ، فهي لا تنقل من الحجاج سوى نسبة أقل من ٢١,٦٠٪ من جملة حجاج ١٣٩٣هـ، وهي تتراجع تماماً عن مرتبتها الأولى بين وسائل قدوم الحجاج بداية من موسم ١٣٩٠هـ، لتحتلها المواصلات الجوية، وكذلك الأمر بالنسبة **للمواصلات البحرية** .. التي تأتي باستمرار - عدا موسم ١٣٨٦هـ - في المرتبة الثالثة والأخيرة بين وسائل القدوم الثلاث، ورغم زيادة عدد القادمين بواسطتها عامة - مع تذبذب أرقامها - إلا أن نسبة استيعابها للحجاج قد تناقصت من نحو ٣٤,١٠٪ في ١٣٨٥هـ، إلى نحو ٢١,٢٠٪ فقط في موسم ١٣٩٣هـ .

وبالنسبة لوسائل زيارة «المدينة المنورة» فهي تختلف في طبيعتها عن تلك السابق تحديدها بالنسبة لمكة المكرمة .. حيث تأتي زيارة «المدينة المنورة» بعد الوصول الفعلي لأراضي المملكة .. ومن ثم فهي تختلف - أي الوسيلة - ما بين القادمين من الخارج .. وما بين المقيمين في الداخل سعوديين وغير سعوديين .

وتشير الدراسة السابق تحديدها عن «**المدينة المنورة .. ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م**» إلى اختلاف وسائل القدوم إلى المدينة من فئة إلى أخرى .. وكذلك داخل الفئة الواحدة لاعتبارات شتى، فقد وصل معظم المقيمين بالمملكة (سعوديون وغيرهم) إلى المدينة عن **طريق البر** بوسائطه المختلفة (السيارات الخصوصية والتاكسيات ٦١٪، بالأوتوبيسات واللواري وغيرها ٢٨٪) أما النسبة الباقية فقد وصلت عن طريق الجو .. أما القادمين من الخارج فقد وصل ٥٠٪ منهم إلى المدينة بالجو، وقدم نحو ٣٠٪ بطريق البر، أما النسبة الباقية ٢٠٪ فقد وصلت بطريق البحر، ولا شك أن اختلاف جهة القدوم وراء هذا التنوع في استخدام وسائل المواصلات لزيارة المدينة .

وتتيح مثل هذه الأرقام والبيانات إمكانية دراسة الطاقة الاستيعابية لوسائل النقل المختلفة من وإلى المدينة المنورة، وتطوير كل منها بحيث تناسب عدد الزوار الحالي والمحتمل، وتظهر في المدينة الحالية بعض الاختناقات المتصلة بمواصلات المدينة، لعل أهمها بالنسبة لها توفير المساحات اللازمة لوقوف السيارات التي قد يصل عددها إلى عشرات الألوف في ذروة الموسم، ولا يمكن أن تتناسب طاقة المدينة الحالية على استيعاب المزيد منها دون توفير التجهيزات المناسبة، ويجد زائر المدينة بعض المشقة عند زيارة أماكن معينة يود رؤيتها أثناء وجوده .. إما لعدم وجود مواصلات كافية ومناسبة ومنتظمة .. أو لارتفاع أسعارها ارتفاعاً كبيراً، خاصة في موسم الحج .. وتحتاج كل هذه التفصيلات إلى تنظيم للفئات والأسعار .. كما يجدر توسيع مداها بحيث تشمل المدينة ومنطقتها .. تلك التي تزخر بكل ما هو محبب لنفس زائر المدينة .. فضلاً عما تمنحه إياه رموزها ومعانيها من دفقات معنوية تربطه بالمدينة .. وترفع من احتمالات تكرار زيارته لها، وفي هذا المجال .. يمثل **الخط الحديدي** - المتوقف - والذي **يربط المدينة بالحجاز وشمال المملكة .. وبالشام كله وتركيا (سكة حديد الحجاز - الشام)** والذي تمثل محطته النهائية في **ميدان العنبرية** الرئيسي دعوة لإعادة إحياء الخط .. الذي يمكن أن ييسر زيارة الحجاج لجملة المناطق المذكورة التي يمرون بها ليجوسوا خفافاً في أنحائها دون آليات .. فضلاً عن رخص المواصلات الحديدية عامة .. **وليس ما ذكر سوى نماذج محدودة لزوايا من موضوع المواصلات من وإلى داخل المدينة ذاتها . وهي وان أبرزت المشاكل التي تواجهها (وأيضا مكة) فهي قد أوضحت - بدرجة ما - أيضا .. ما يمكن ان يحققه حل هذه المشاكل ومواجهتها تنظيميا من مزايا اقتصادية تعود للمدينة ذاتها .. وتنعكس في راحة زوارها مجيئا وعودة .**

الاقامة في الحج والزيارة

اختفت أنظمة واطارات عديدة قديمة .. كانت تقوم بتنظيم عملية الإقامة (السكن خاصة) أثناء أيام الحج والزيارة، وبقيت فئة «**المطوفين**» ما تزال، تساهم بالنصيب الأكبر بالنسبة لمعظم الوافدين على اختلاف جنسياتهم، **ويوضح الجدول الآتي «النسب المئوية» لتوزيع حجاج موسم ١٩٧٣م حسب نوع الاقامة في مكة المكرمة .**

	مطوفون	أقارب	أصدقاء	فنادق	مقاه	قرب الحرم	مبنى حكومي	منزل	غير ذلك
عرب	٦٥	٧	٩	١	٢	١	١	٦	٨
آسيويون	٨٧	٢	١	١	١	١	٢	٢	٣
افريقيون	٨٤	٤	٢	١	١	٢	١	٢	٣
عناصر أخرى	٩٣	١	١	١	-	-	-	١	٣

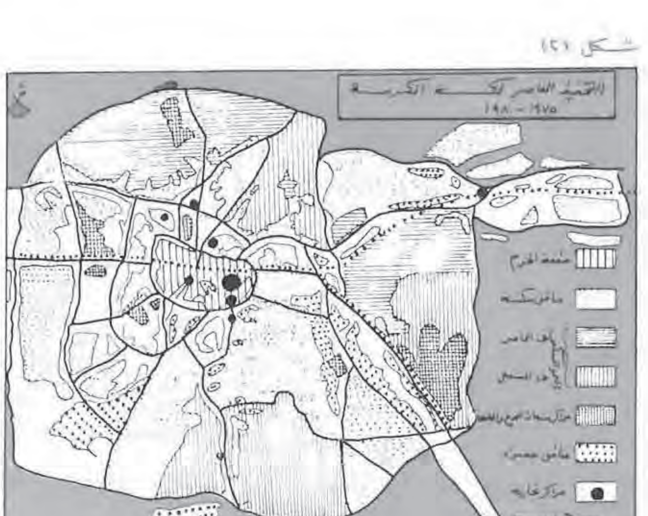
وتشير الدراسات الخاصة عن المدينتين إلى قيام بعض سكان المدينتين بتأجير مساكنهم خلال أيام الحج للقادمين إليهما .. وينظم المطوفون الإقامة بأساليب شتى .. غير أن الإقامة في الخيام الواسعة ذات الأعداد الكبيرة تمثل شكل المسكن الأكثر شيوعاً واستعمالا .. وتختلف الصورة

في « المدينة المنورة » حيث قد اتضح أن النسبة الكبرى من زوارها (٨٥٪) قد سكنوا أثناء مدة إقامتهم بها في غرف قاموا باستئجارها من أصحاب المساكن في المدينة ، وأن نسبة منهم تقدر بما بين ٣ ـ ٤٪ قد أقاموا في **المخيمات** ، بينما توزع الباقون بين أنواع أخرى من المساكن .. هي غالباً مساكن أصدقاء أو أقارب لهم من سكان المدينة ذاتها .

ويمكن القول بشكل عام إن هناك مناطق معينة يفضلها الحاج أو الزائر عن غيرها .. والمعروف أن **المنطقة الوسطى المحيطة بالمسجد الحرام أو بالمسجد النبوي ..** أكثر اجتذاباً من غيرها من المناطق لزوار المدينة ، حيث يتركز بها وحدها .. نحو ٥٥٪ من جملة الزائرين .. وهي بالفعل منطقة الفنادق الرئيسية فضلاً عن المساكن التي يخصصها أصحابها بأكملها لإقامة الزوار خلال موسم الزيارة ، فضلاً عما يحوطها من أجواء روحانية فياضة وامكان قضاء الفروض في أوقاتها دون عناء ، ويقل عدد الزوار تدريجياً في اتجاه **الهوامش والأطراف** .. حتى لتخلو بعض أجزائها تماماً من أي زوار .. حتى في ذروة موسم الحج أو الزيارة ، والمتوقع أن تختفي هذه الصورة من التركز تدريجياً مع زوال أسبابه ، حين يصبح الوصول من هوامش المدينة إلى قلبها ميسوراً في دقائق .. مع اتمام شبكة الشوارع الداخلية العريضة التي تصل بينها ، خاصة وأن هذه الشوارع ستصبح بمثابة المحاور الحديثة لنمو المدينة .. واتساع خدماتها ومرافقها المتصلة بخدمة زوارها .. خاصة من الفنادق والمطاعم وغيرها **(شكل ٢)** .

ومن حيث **مدة الاقامة** .. فهي تتمثل في «مكة المكرمة» في أيام الحج ذاتها بصفة أساسية ، وقد تسبقها بضعة أيام وتعقبها بضعة أيام أخرى ، غير أن الحاج قد يفضل أن يكون « بالمدينة المنورة » قبل الحج أو بعده ، فهو ينتقل بالسيارة أو بالطائرة بين المدينتين .. وتتلقى « المدينة المنورة » أعداداً متفاوتة من الزوار متزايدة في السنين الأخيرة ، في غير موسم الحج لقضاء العمرة في أوقات محددة .. والواقع أن الزيارة إلى مكة والإقامة بها فترات متفاوتة ظاهرة لا تنقطع طوال السنة تقريباً .. غير أنها تشتد في الأوقات المحددة من الشهور

شكل (٢)



الهجرية ، اتصالا بسنن إسلامية معروفة .. **وتشير الدراسات إلى أن اقامة الحجاج الآسيويين أطول مدة من اقامة الحجاج الافريقيين ، وأن الأخيرين يمكثون فترة أطول من الحجاج العرب** ، ومن ناحية أخرى .. **فإن حجاج البحر يميلون للاقامة مدة أطول من حجاج البر . وأن مدة اقامة حجاج الجو هي أقصرها .**

وتتراوح مدة اقامة معظم زوار « المدينة المنورة » أثناء موسم الحج بين ٧ ـ ١٠ أيام **(شكل ١)** ، وذلك بالنسبة للزيارات التي تسبق الحج أو تليه ، ولقد بلغ متوسط مدة الزيارة قبل الحج ١٠ أيام وبعده ٨ أيام ، ويوضح الشكل الأخير المذكور المجموع اليومي لعدد الحجاج القادمين إلى المدينة المنورة أثناء فترة الذروة قبل الحج وبعده ، وقد فاق عددهم ٢٠٠ ألف حاج خلال أي يوم بين ٢٥ ذو القعدة و٢٥ ذو الحجة ، وبلغ عددهم أقصاه (٢٧٦٢٧٥ شخصاً) يوم ٢٠ ذو الحجة ، والمعروف أن هذا الشهر هو موسم الزيارة الرئيسي للمدينة المنورة .

وتبعاً لتوقعات زيادة عدد الحجاج إلى « مكة المكرمة » في السنوات القادمة ، فقد اتخذت السلطات المشرفة على الحج وتنظيمه بها ، سلسلة من الإجراءات الفعالة المتصلة بمواصلاتها (بداية من مدخلها الرئيسي جدة) وبشوارعها الداخلية ، وبالطرق التي تصلها بأماكن آداء الشعائر **(منى ، مزدلفة ، عرفات)** .. وبفنادقها وبالنظم المتبعة بين مطوفيها ، وبمسائل الصحة والأمن والتموين ، إلى غير ذلك من الإجراءات التي يسرت ـ وما تزال ـ الإقامة بها أثناء الحاج .. أما بالنسبة « للمدينة المنورة » .. فربما ما تزال أقل تجهيزاً .. خاصة بالنسبة لتوقعات المستقبل ، ولا شك أن مدة الزيارة وعدد مراتها خلال السنة وللفرد الواحد ، تتجه جميعها للزيادة في المدينة المنورة .. شأنها في ذلك شأن عدد الزوار ، والثابت أن للمدينة تقاليدها الراسخة في استقبال زوارها وتهيئة الظروف المناسبة لهم خلال فترة إقامتهم ، غير أن اتساع مدة الزيارة وحجم الزائرين قد يفرض على المدينة في المستقبل القريب مقياساً يختلف عما تتبعه فنادقها ومنازلها المعدة لاستقبال الزوار من إجراءات واستعدادات في الفترة الراهنة ، فالواقع أن جاذبية المدينة للزوار متصاعدة بمعدلات كبيرة ، خاصة مع شبكة مواصلاتها الجيدة بجميع مدن المملكة ، ومع انشاء مطارها الحديث لاستقبال زوارها من الخارج ، ومع ما ينتظر ميناء ينبع من انتعاش قريب ، وهكذا .. فإن المدينة قد تستقبل خلال أقل من عقدين من السنين ما لا يقل عن مليونين من الزوار سنوياً من خارج المملكة ، وقد تترابط زيارة نسبة هامة منهم مع زيارتهم لمكة المكرمة أثناء الحج ، غير أن المرجح أن تتزايد نسبة زوار المدينة في غير موسم الحج .. وأن تطول فترة إقامتهم بها .. خاصة وأن ما يحيطها من ذكريات العهد الإسلامي الأول .. ومن أريج ديني متميز متداخل في صميم شخصيتها وتركيبها .. قد جعل لها مكانتها الخاصة في قلوب زوارها .. فضلاً عن رغبتهم في البقاء بها أطول فترة ممكنة ، لكل هذه الأسباب الموضوعية والنفسية .. يبدو أن المدينة تتهيأ للدخول في مرحلة تختلف عما سبقها ـ من حيث المقياس ـ بالنسبة لمدى الزيارة وجملة الزوار ـ وأن هذه المرحلة تتطلب الاستعداد لها مسبقاً بما يناسبها من تجهيزات دون أن تفقد المدينة طابعها الخاص . ذلك أن الواضح ـ حتى الآن ـ أن مواجهة هذه الزيادة في حجم الزوار ومدة الزيارة تتم دون تنسيق وتبعاً لمبادرات متفاوتة الكفاءة ، غير أن

انعاش اقتصاديات المدينة باستثمار مزاياها العميقة هذه وما يمكن أن يمثله ذلك لسكانها ، قد يكون مبرراً - ضمن أخرى - لمواجهة أكثر تنسيقاً وتكاملاً مما يجري الآن (**شكل ٣**) .

نفقات الحج والزيارة

لأسباب عديدة متشابكة ، فقد صاحب تيسيرات الحج والزيارة في السنوات الأخيرة زيادة كبيرة في النفقات يصعب تحديدها ، خاصة بعد أن امتلأت أسواق **جدة ومكة والمدينة** بمنتجات العالم كله .. معروضة في دكاكينها العتيقة ومحلاتها الزاهية الحديثة وفي الشوارع وعلى الأرصفة وفوق المنصات الخشبية والعربات الآلية واليدوية ، وقد أتيحت أمام الحاج أو الزائر فسحة من الوقت قبل آداء الفريضة وبعدها .. لكي ينتشر في الأسواق ويشتري من الهدايا والذكريات .. ما يجعل هذه الفترة ماثلة حية في ذاكرته ، وذلك بغض النظر عن تلك النسبة المتزايدة التي تتجاوز مشترواتها نطاق التكاليف والانفاقات العادية للحاج أو الزائر ، وفيما يلي جدولا يبين وجوه انفاق الحاج في مكة المكرمة (١٣٩٣هـ) ، علماً بأن هذه الأرقام قد تضاعفت عدة مرات منذ ذلك التاريخ .. وهي للفرد الواحد في المتوسط (بالريال السعودي) .

	الغذاء	التنقلات	السكن	رسوم	هدايا	نفقات أخرى	جملة
غير المقيمين	١٩٠	١٢٠	١١٣	٨٢	٥٤	١٦٣	٧٢١
المقيمين	١١٢	١٤٩	١١٥	٤٦	٦٣	٥٨	٥٤٣

وتعني فئة **غير المقيمين** .. الحجاج من خارج المملكة .. أما **المقيمين** .. فهم فئة القادمين من أنحاء المملكة من السعوديين وغيرهم .. وكما سبقت الاشارة فإن إجمالي النفقات وتفصيلاتها قد تضاعفت ٣ مرات على الأقل خلال الخمس سنوات بين ١٣٩٣ - ١٣٩٨هـ تلك الفترة التي شهدت ارتفاعاً حاداً في الأسعار .. خاصة بالنسبة لبندي «**السكن والتنقلات**» وتشير التقارير إلى أن بضع مئات من ملايين الريالات تتداول في أسواق مكة القادمين إليها . تلبية لهاتين الحاجتين فقط خلال فترة لا تتجاوز خمسة أيام .. أما بالنسبة للبنود الأخرى .. مثل «**الهدايا والنفقات الأخرى**» فهذه يصعب حصرها .. غير أنها لا تقل - إن لم تزد - عن تلك السابق تحديدها عامة بالنسبة لبندي «السكن والتنقلات» .

ويقوم الحاج زائر المدينة المنورة بالانفاق على مختلف الجوانب الحياتية أثناء فترة إقامته .. بالاضافة إلى نفقات أخرى تتصل بالوصول إلى المدينة والعودة منها .. وأخرى ما تدخل في باب النفقات غير المنظورة أو التي لا تدخل تحت بند واضح من بنود الانفاق ، ويبين الجدول الآتي معدلات الانفاق (بالريال) للحجاج الوافدين من الخارج لزيارة المدينة المنورة (١٣٩٣هـ) :

	الطعام	السكن	التنقلات	واجبات العبادة	هدايا شخصية	جوانب أخرى
قبل الحج	٥٢	٧١	٨	١٣	٣٣١	٩٩
بعد الحج	٤٢	٥٦	٨	[illegible]	٣٠٢	٥١

شكل (٣)



إتجاهات النمو الحالية والمستقبلية في المدينة المنورة

ولا توضح الدراسة - وهذا من عيوب بياناتها - حجم الوحدة التي تتحمل هذه النفقات ، وهل هي أسرة (متوسط عدد أفرادها ؟) ، أم هي مجموعة محددة ؟ .. أم هي نفقات الفرد الواحد ؟ .. وما هي طول الفترة التي تحتاجها هذه النفقات ؟ ، والغالب أنها - تبعاً للمعلومات الشخصية - تمثل نفقات الفرد الواحد لمدة أسبوع ، علماً بأن الأسعار قد ارتفعت بنسبة تتراوح بين ١٠٠ - ٢٠٠٪ بالنسبة لبنود الانفاق هذه .. بين ١٩٧٣م ، حين أجريت هذه الدراسة والوقت الحاضر ، على أية حال .. فإن الأرقام المذكورة - تبين أهمية الزيارة بالنسبة لانتعاش سوق التجارة الداخلية في المدينة ، حيث يمثل بند «**هدايا شخصية**» أهم وجوه الانفاق خلالها .. **حيث يقبل الزوار على الشراء بركة وذكرى** .. وربما لإحساسهم بأن الأسعار أقل نسبياً في المدينة عن غيرها ، ثم إن لهذه الزيارة - خاصة مع الأعداد الكبيرة للزائرين - أهميتها أيضاً بالنسبة للفنادق والمطاعم والمواصلات وغيرها من وجوه الانفاق التي تأتي تحت «**جوانب أخرى**» ، والغالب أن نفقات واجبات العبادة أكبر مما هو مذكور .. لأن الحاج الزائر قد يتحرج من ذكر هذه النفقات كاملة ولا يجد مبرراً لاعلانها .

هذا وتحدد الدراسة أن جملة انفاقات الحجاج من خارج المملكة في المدينة المنورة يزيد عن ٣٣١ مليون ريال ، وأن أكثر من ثلثي هذا المبلغ أنفق في شراء الهدايا الشخصية ، غير أن المعروف أنه مهما بلغت دقة وسائل استقصاء تفصيلات الانفاق وجملته - والمرجح أنها أكبر مما ذكر بكثير - فالمؤكد أن ما ينتظر المدينة في المستقبل القريب من هذه الناحية .. هو بمقاييس أكبر بكثير مما هو عليه الآن ، ليس فقط لاحتمال زيادة عدد زوارها إلى نحو مليوني زائر من خارجها سنوياً ، بل أيضاً لاحتمال زيادة مدى الزيارة ومدتها ومراتها ، تلك التي تشير معدلاتها الحالية إلى استمرار زيادتها بنسبة متصاعدة ، ولا شك أن ما يمثله ذلك بالنسبة لاقتصادياتها .. إنما يندرج تحت إطار الموارد الذاتية للمدينة ، وهي تلك الموارد المرتبطة مع خصائصها كمدينة متميزة ، وهي تختلف في نتائجها بالنسبة للمدينة عن تلك الموارد التي تصب في أسواقها ومدخراتها ، من حيث كونها تمنح اقتصاديات المدينة رسوخها وصلابتها وتمدها بعوامل نموها واستمرارها .

خواطر حول الحج

بقلم: د. محمد سلام مدكور



الحج من العبادات التي تتطلب من الانسان استعمال قلبه وبدنه وماله .. والعبادات التي يتقرب بها العبد إلى ربه من شأنها كلها أن تطهر القلب وتزكي النفس وتبعث على الامتثال لأوامر الله واجتناب نواهيه وتقرب الناس بعضهم من بعض وقد غسلت من قلوبهم الضغينة والحقد وجعلتهم متعاونين متحابين كالبنيان يشد بعضه بعضا وكالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر وبذا يتم الترابط والتآلف بين أفراد وشعوب المسلمين وتجتمع كلمتهم ويعتصمون بحبل الله جميعا .

كان تشريع **الحج** آخر الفرائض العملية لما فيه من جمع عبادة النفس والبدن والمال معاً ، ولا غرو فإن الحج عبادة شاقة مجهدة تظهر فيها عدة تضحيات في سبيل تحقيق أمر الله ، فإنه **يجمع بين معاني العبادة البدنية والمالية فوق ما فيه من اتجاهات روحية** ، فهو يشارك العبادة البدنية كالصلاة وهو أشق منها على الجسد وأكثرها تحاملاً على النفس ولذا فإنه **لم يفرض إلا على القادرين وعند الأمن ومرة واحدة في العمر .**

والحج يكون بالنية والاحرام من مراقبته مع التجرد من لبس المخيط ومن كل صنوف الزينة والترف وبالطواف حول الكعبة والسعي بين **الصفا والمروة** والوقوف **بعرفة** والمشعر الحرام **بالمزدلفة ورمي الجمار** وسوق **الهدي .**

وهذه المناسك والأفعال تلقاها المسلمون جيلاً بعد جيل عن **الرسول صلوات الله عليه** حيث أخذت عنه المناسك ، لكل نسك حكمته وغايته ، وكلها تحقق معنى العبودية لله تعالى ، وقد روي عنه ﷺ أنه قال : « **خذوا عني مناسككم فإني لا أدري لعلي لا أحج بعد عامي هذا ..** » .

السعي والطواف

وما **السعي والطواف** في الواقع إلا اظهار لالتفاف القلوب حول تقديس الله تعالى والتعلق به والتماس المعونة والغفران منه ، ففي المسعى ذكرى للأحداث التي وقعت لأبي الأنبياء **إبراهيم عليه السلام وزوجه هاجر وولدها إسماعيل** لما أحضرها إلى هذا المكان وتركها واشتد بها الخوف والعطش وأخذت تتردد هاجر بين الصفا والمروة بحثاً عن جرعة ماء كان إبراهيم قد دعا ربه بما حكاه عنه القرآن الكريم : ﴿ **ربنا إني اسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل افئدة من الناس تهوي إليهم وأرزقهم من الثمرات** ﴾ ، فاستجاب الله وانثبق **ماء زمزم** قال رسول الله ﷺ فيما رواه **ابن عباس : « فلذلك تسقى الناس »** .

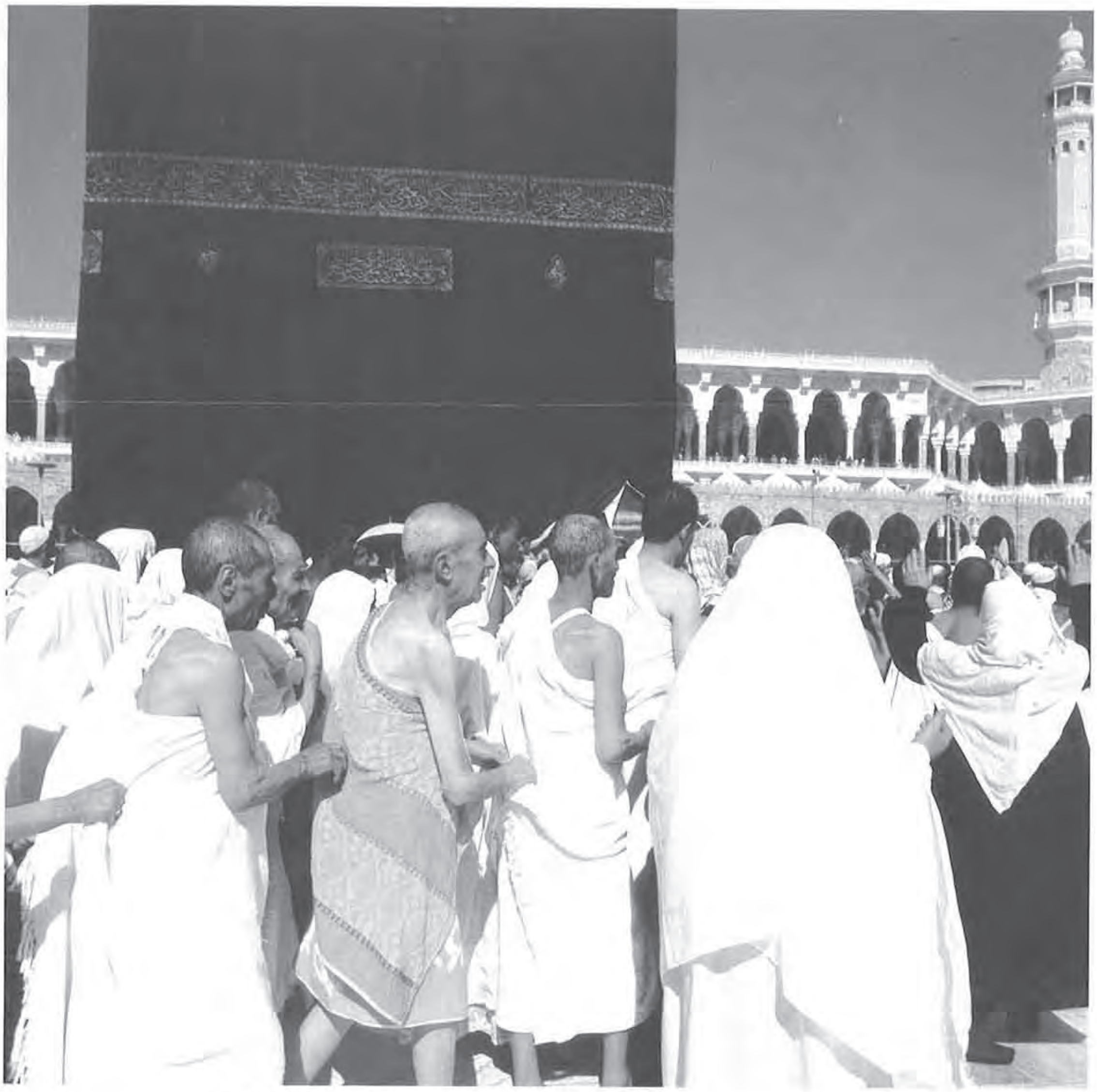
الحجر الأسود

وكذلك **الحجر الأسود** الذي وضعه إبراهيم عليه السلام ليحدد به مبدأ الطواف فهو كغيره من أحجار الكعبة لا يتميز إلا بهذه الذكرى الكريمة ، وما تقبيله أو لمسه أو الاكتفاء بالاشارة إليه عند الزحام إلا اشعاراً بالطاعة والخضوع لأوامر الشرع ، وما الكعبة بسائر أحجارها إلا رمزاً للطاعة يلتف حولها المسلمون تحية لها واجلالا .

وإذا كان الناس قد تفانوا في الاقبال على الحجر الأسود لدرجة التزاحم الضار ، فإن منشأ ذلك ما قيل حول الحجر من اعتبارات يعوزها الدليل وإن من واجب العلماء أن يجردوا الحقائق مما أحاط بها من صور الخيال ويبصرون الناس بحقائق الدين .

رمي الجمار

وما **رمي الجمار** إلا نبذاً للمعاصي وتخلصاً منها ، وإذا كان المسلم قد طاف حول الحجارة وقبلها بأمر الشرع فإنه يتخلص منها أيضاً بأمر الشرع وليس لها في نفسه قداسة ذاتية لبعده بعقيدته عن الوثنية .



★ الطواف حول الكعبة ★

★ السعي بين الصفا والمروة ★



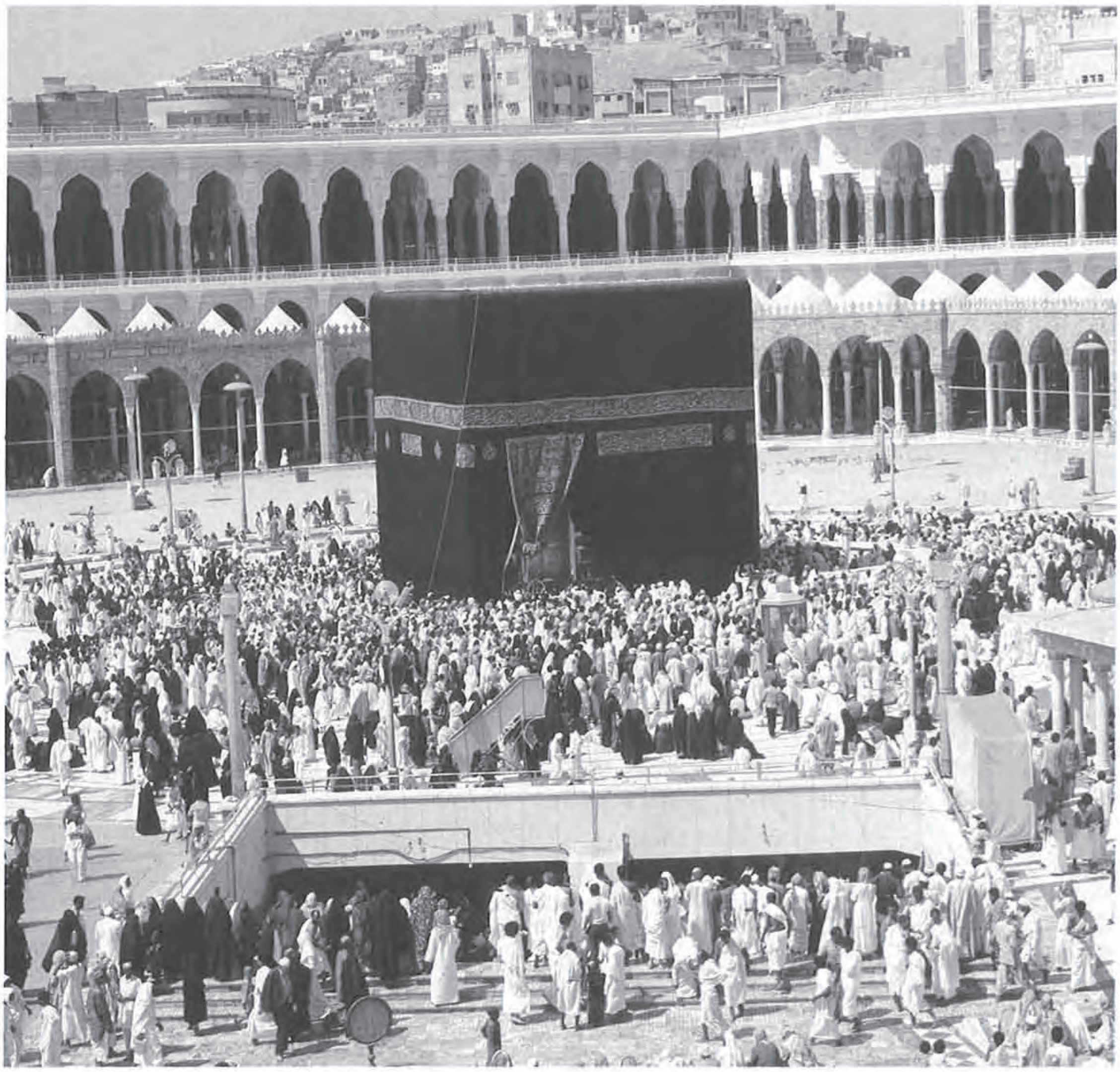
الهدي

كما أن **الهدي** الواجب على الحاج شعيرة من شعائر الله يلزم فعلها ويحرم اهمالها وفي هذا احياء لسنَّة إبراهيم عند افتداء ابنه إسماعيل كما أنه رمز التضحية والفداء واعلان اراقة دم الرذيلة بعد أن تم تطهير الروح والجسد على ما فيه فوق ذلك من التوسعة على الفقراء والمحتاجين .

وما دام الهدي من شعائر الله واراقة الدم أمر مطلوب ولا يمكن استبداله بغيره فلا أقل من أن يفكر المسلمون في هذه الرؤوس من الماشية التي تذبح كل عام دون أن يستفيد المجتمع الإسلامي الاستفادة الكاملة بلحومها وجلودها ودمائها ، بل قد تترك أحياناً في الأرض حتى تصيبها العفونة ، ويحتاج الأمر لنفقات أخرى لازالتها واعدامها منعاً من الأوبئة وحرصاً على سلامة الناس .

انشاء مصنع للحوم الهدي

فما المانع من انشاء **مصنع لتجفيف اللحوم ودبغ الجلود وصنع الأسمدة العضوية الناتجة عن هذا وبيعها في البلاد الاسلامية**



★زمزم .. وتبدو الكعبة في الصورة★

★الحجر الأسود★



بسعر التكلفة دون تحقيق ربح أو مع تحقيق ربح ينفق في زيادة التحسينات التي تيسر سبيل الحج أو في أعمال الخير التي تعود على المسلمين بالنفع والخير العميم .

وإذا لم يمكن اقامة مثل هذا المصنع فلا أقل من جمع هذه الذبائح ووضعها في مبردات كبيرة لحفظها حتى يتم توزيعها على المحتاجين للانتفاع بها ، وكذلك بالنسبة للجلود والأسمدة العضوية الناتجة عن الذبائح فإنه ينبغي جمعها والاستفادة بها بما ينفع . أما أن يبقى الأمر على ما هو عليه من ضياع هذه الثروة الحيوانية مع حاجة كثير من الأفراد في مختلف البلاد الإسلامية للتغذي بها فإنه أمر لا يقره الدين فضلاً عن ما يوجه إلينا من نقد لاذع من غير المسلمين .. وبخاصة أن الاقبال على الحج ـ والحمد لله ـ يتزايد ويتبع ذلك تزايد الذبائح في الوقت الذي تقل فيه الثروة الحيوانية عن اشباع الأفواه المحتاجة .

من الواضح أن الإسلام يحارب في عصرنا بعنف وينكل بالمسلمين في كثير من البلاد أمام الضمير العالمي ، ومن المؤسف أن يسخر أعداء الإسلام أعواناً لهم ممن يوصفون في السجلات بأنهم مسلمون والله أعلم بحقيقة إيمانهم فهانت عليهم أنفسهم وعقيدتهم ، فالمسلمون يحاربون من داخل صفوفهم بل ومن أنفسهم بما هم عليه من استسلام وتهاون ويحاربون من عدوهم بالحديد والنار والغدر والانتقام .

وإذا كانت بلاد إسلامية كثيرة وأفراد من المسلمين في غير البلاد الإسلامية في حاجة إلى مزيد من التوعية وبخاصة بعد أن بدأت موجات الالحاد تزحف إليها ألا يكون من الواجب أن نركز جهودنا في مقاومة ذلك وأن نعمل على اظهار حقائق الإسلام ومقاومته ما يوجه إلى تصرفاتنا من نقد؟

الواقع أن رحلة الحج فيها حركة كثيرة وتنقل متتال وطواف وسعي وهرولة .. عمل كله نشاط يجدد القوة ويبعث الهمة ويعود الانسان على الامتثال والصبر والطاعة والخشونة وتقوية العزيمة وغرس روح الجندية وتعويد الاعتماد على النفس وحط الرحال وسرعة الترحال وضبط النفس من السب والفسوق .

ولهذا لا يستطيع القيام بحقوقه على وجهها ولا الانتفاع بها إلا القوي السليم الصحيح ، فتحسن المبادرة بالحج عند الاستطاعة ، وإذا كان الفقهاء يتفقون على أن التعجيل أفضل عند القدرة فإن منهم من يرونه واجباً يأثم المرء بتأخيره إذ في تأخيره بعد التمكن من تعريض لفوات أدائه ، كما شارك الحج العبادة البدنية كالصلاة فإنه يشارك العبادة المالية كالزكاة لأن فيه تضحية مالية جسيمة وراءها إيمان قوي بأن الله هو الرزاق وأنه هو المعطي والمخلف لكل انفاق في سبيله ، وليس من هذا أن يتكبد المسلم فوق طاقته أو أن يضحي بضروريات حاجاته كما يصنع كثير من الناس الذين لا يقدرون الأمور الدينية قدرها لبعد هذا عن روح الإسلام الذي فرض الحج على المستطيع فقط مما فضل عن حاجته وحاجة أهل بيته دون أن يوقعه ذلك في استدانة أو تقصير في حق من الحقوق ، ولذا وسّع الشارع مداه وأمده حتى يتوخى من تتشوق نفسه إليه أنسب الأوقات وأشبهها بتيسير التفرغ لشعيرته من الناحية المادية والصحية والعائلية .

الحج فريضة .. والحج تطوعا

وقد يكون من المناسب أن نشير هنا إلى أن الحج ، ما دام قد فرض مرة واحدة في العمر ، فإن تكراره لا يكون على سبيل الوجوب والالزام وإنما هو من قبيل التطوع ، فإذا كانت حاجة المجتمع الاسلامي تتطلب انفاق المال الزائد في مصلحة أعم كوقف التيارات الالحادية والاعداد لمقاومة العدو في كل النواحي أو كانت هذه الحاجة تقتضي افساح المجال لمن لم يسبق له الحج حتى يشعر بالراحة ويتمكن من أداء فريضته وهو مطمئن النفس . فدرء المفاسد كما هو معلوم مقدم على جلب المصالح .

وليس معنى هذا أني أصد عن **حج التطوع** الذي حث عليه الشرع وأثاب على فعله ، ولكني أقول إذا ضاق المكان في موسم الحج فإن أمام المتطوع أن يرتاد هذه الأماكن المقدسة لأداء العمرة في أي وقت من أوقات السنة .. فإذا ما تصورنا تزايد أعداد المسلمين وتزايد البشرية تباعاً واقبال الشباب بخاصة على القدوم لأداء فريضة الحج مع حرص الشيوخ على أداء الفريضة تبعاً لانتشار الوعي الإسلامي واتجاه الشعوب الإسلامية وطوائف المسلمين في كل مكان إلى الحكم الإسلامي والحرص على الاستجابة إلى أحكامه حتى قامت صيحات قوية في كثير من الأقطار الإسلامية تطالب الحكومات بتطبيق أحكام الشريعة كاملة ، إذا تصورنا ما ينتج عن هذه الصحوة الناجمة عن هذه الصيحة والافاقة من الغفوة مما يمكن معه أن يكون الراغبون في الحج مستقبلاً أضعافاً مضاعفة لمن يفدون للحج في هذه الأعوام فإن المكان مع هذا يضيق بالحجيج .. والحج له وقت معين والوقوف بعرفة له يوم محدد وكذلك المبيت بمنى ورمي الجمار .

وقد يترتب على هذا التجمع الهائل المبارك الذي قد يصل إلى الملايين المتعددة من المؤمنين ازدحام كثيف تضيع معه بهجة الحج ويصرف الضيق بالناس عن التأمل الروحي والصفاء وقد تسبب المضايقات الناجمة عن التزاحم الشديد الذي يضيق به المكان آلاماً في نفوس الحجاج أو في أبدانهم .

والمتطوعون بالحج ممن سبق لهم أداء الفريضة يتزايدون أيضاً نتيجة الوعي الإسلامي والتعلق بهذه البقاع الطاهرة التي كانت مهبط الوحي ومصدر اشعاع النور للبشرية ، وهذه ظاهرة طيبة لا شك واتجاه حميد هم مثابون عليه ما دامت صادقة خالصة .

لكن إذا ما ضاق المكان وساء الحال ذلك ، **ألا ينبغي أن يفسح من سبق له الحج لأخيه في الاسلام الذي لم يسبق له الحج حتى ييسر له أداء الفريضة في هدوء واطمئنان وراحة نفسية وفي امكان المتطوع أن يعتمر في أي وقت من أوقات السنة ويزور كل هذه المعالم والأماكن ويجدد ذكرياته بأحداثها وهو هادىء النفس ويتم له بهذا تلبية داعي الروح ويروي ظمأ نفسه المطمئنة العامرة بالايمان ويؤكد صلته بالله سبحانه ويبرز طاعته وعبوديته له جل شأنه .**

ويكون بهذا قد تعاون مع جماعته وآثار الراغب في أداء الفريضة على نفسه ولا شك أن **الفرائض مقدمة على النوافل** وأعتقد أنه يثاب على هـذا ، ولذا فإنه قد يكون **من المستحسن أن تلاحظ الحكومات عند النـظر في طلبات الراغبين في الحج تفضيل من لم يسبق لـه الحج بـل قصر ذلك في سني الزحام الشديد عليهم والتصريح للآخرين بالعمرة في غير وقت الحج .**

لقد كان المكان الذي يحج إليه المسلمون من مختلف بقـاع العـالم قفـراً لا يصلح للسكنى والمقام فشاءت إرادة الله عمارته فأنبع فيه ماء زمزم وأهـوى إليـه بافئدة الناس الذين نزلوا حول البيت ثم صار مراحاً ومغدى للأنبياء الصـالحين فكان موطن ذكريات تجلى عنها الإيمان الصادق وصـار كل مسـلم يحـن إليـه ويتلمس الوصول إليه .

ولهذا يشعر كل مؤمن صادق حين ينتهي إلى ذلك الحرم الأمين أنه دخـل مَدْخل الصدق واستقر في مهبط الوحي ، فيشعر بـالسكن والـراحة ، ويتعلـق هناك بكل مكان وساحة كأنما هو مسقط رأسه الأول لأنه مسقط رأس عقيدته ، والعقيدة عند المؤمن الصادق أعز عليه من نفسه وكل ما يملك .

فتشريع الحج في الحقيقة تلبية لداعي الروح وارواء لظمأ النفس المطمئنـة ، وما أعظم ما يشعر به المسلم من القوة في إيمانه حين يجدد عهـده بـذكريات الجهاد من الرعيل الأول . . جهاد النفس وجهاد العـدو تحـت رايـة محمـد صلوات الله عليه ، وحين يجدد عهده بذكريات الجلاد الذي بدأ فيـه الإسـلام غريباً واضطهد فيه المسلمون حتى أعلن الحق عن نفسه واستعلن الإسلام بقوة دعوته فهنالك يجد أنه لا بأس من انتصـار الحـق وأن الله مـع الصـابرين الصادقين الصامدين .

كل هذا وما يحث به يستشعره الناسك وهو يتردد لأداء مناسك الحج بـين تلك المعاهد الكريمة المقدسة فيزداد إلى إيمانه إيماناً ويعـود وقـد غسـل نفسـه وطهرها من كل معاني الإثم والشر ، لأن الإيمان إذا انبثق مـن القلـب وفـاض من جوانبه لم يعد هناك مجال لمسلك من مسالك الشر يلـج إلى هـذا القلـب المؤمن الصادق مصداقاً لقول الرسول عليه الصلاة والسلام : « مـن حـج فـلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه » .

شرع الله تعالى فريضة الحج في **السنة التاسعة من الهجرة** على أصـح الروايات وكان ذلك التأخير في تشريع الحج والالزام به عنـد الاسـتطاعة لمعـنى خاص فيما نرى ، لأن الحج فريضة قديمة منذ أمـر الله نبيـه إبـراهيم أن يـرفع القواعد من البيت وأن يؤذن في الناس بالحج ، ولكن العرب قديماً وقد غـيروا في شعائره ونسكه وأشركوا بالله أصنامهم ووضعوها في البيت الحرام ، فقد وجه النبي ﷺ همته أولا إلى تطهير البيت مـن دنس الشرك للـطائفين حتى يـكون الدين لله وحده وحتى تكون العبادة مبنية على أساس التوحيد الذي هـو دعـوة الرسل أجمعين ، فلما تم للنبي تحطيم هذه الأوثان حق لـه ولأصحابه أن يـؤدوا المناسك ويقوموا بالشعائر على الوجه الإسلامي .

فالإسلام لم يقر الحج إلا بعد أن محا كل آثار الوثنية الـتي كانـت تضـمها هذه الأماكن ومن عجب أمر الانقياد في هذه الشعيرة أن الإسلام ، وقـد طهـر معتنقيه من عبادة الأوثان ونهاهم عن التمسـح بـالأحجار وتقـديسها لما في ذلك من وثنية وشرك واستهانة بالعقل ، فانقادوا وحطموا كل ما عندهـم من أوثان ، عاد سبحانه فطوفهم بأمر منه حول أحجار الكعبة ، وسعى بهـم سـبحانه بـين الصفا والمروة على أن الطواف والسعي من شعائر الله .

فإذا كان المسلمون يطوفون حول هذه الأحجار ويسعون بينها ويلمسون بعضها فذلك بأمر الله ، وليس في قلوبهم أدنى ذرة مـن الاعتقاد في غير الله ولا يرون لها قداسة وتقديرا إلا بتوجيه الدين مع علمهم وإيمانهم بـأنها أحجـار لا تضر ولا تنفـع ، فـالانقياد والعبودية هما من أبرز مظاهر الحج التربوية وهي الـتي تتفـق مـع غرس روح الجندية ، وإذا كان الكثير من مناسك الحج غير معقـول المعنى وعز على الفقهاء تعليلها وعيا كثير منهم باستخراج حكمتها على وجه الضبط، فإن الكثير من الأحكام في الاسلام جاءت معللة حتى يفسح المجال للرأي والنظر .

وفهم الحكمة وإن كان ينشط النفس عن الأداء ويحمي المكلَّف مـن الشُبَه التي يوجهها الأعداء إلا أن العبادة المؤداة في هذا الجو تشوبها شائبة المنفعة التي لولاها ما توجهت النفس إليها ولا تحملت ما فيها من تـكليف وهـي في درجـة الإذعان لله ، ليست هذه العبادة كالعبادة التي يؤديها المؤمن لمجرد أنها أمر مـن الله غير متطلع إلى ما وراءها من نفع .

ومن هنا نستطيع القـول بـأن الله سبحانه احتفـظ بسر بعض التكاليف فلم يبينه ولم يشر إليه ليمحص إيمان المؤمنين ويميز الخبيث من الطيب وقد مثل العلماء لهذا بأوائل السـور ويـرمي الجمـرات والطواف والسعي .

وفي هذا يقول **الامام الغـزالي** : « واجبات الشرع ثـلاثة أقسـام قسم هو تعبد محض لا دخل للحظوظ والاغـراض فيـه ، فمتصور الشرع فيـه الابتلاء بالعمل ليظهر العبد رِقَّهُ وعبوديته بفعل ما لا يعقل له معنى » ويقول في موضع آخر : « إن ما لا يُهتدى إلى معانيه أبلـغ أنـواع التعبـدات في تـزكية النفوس وصرفها عن مقتضى الطباع والأخلاق إلى مقتضى الاسترقاق » .

عنى الإسلام بفريضة الحج عناية بالغة ولبى الناس الدعوة وشهدوا منـافع لهم بتزكية نفوسهم وتطهير أرواحهم وتقوية أبـدانهم وتنـوير بصـائرهم بتـداول الرأي والمشورة بالاضافة إلى ما في موسم الحج من سـوق تجـارية كبـيرة تـروج اقتصادياتهم ويصرفون في موسمه الكثير من منتجاتهم عن طريق عرضها وتعريف الأقوام بها .

ولو أحسنت **الحكومات الاسلامية** لأقامت لها معارض صـناعية وتجـارية وزراعية وثقافية بمختلف ألوان المعرفة في مـوسم الحـج . . كل دولـة تعـرض نموذجاً لما عندها ، فيعم النفع برواج السلع ونشر سبل الحضارة النافعة في هذا الجو الروحي حيث لا غش ولا خديعة فيطمئن كل على سلامة ما أقـدم عليـه ويتم التعاون بين المسلمين على خير وجه ، فإن مـن أهـم أغـراض الحـج أن يتعارف المسلمون فيما بينهم وأن يستطيعوا مجتمعين لأدوائهـم وأن ينتفـع كل واحد منهم بمواهب غيره وكل طائفة بتجارب الأخرى وما لديها من خبرة وعلوم ومعرفة .

ولقد كان الحج في الأزمنة السابقة موسما عظيما ومؤتمرا سياسيا كبيرا يجمع كل ما لديه من مشاكل ليعرضها على بساط البحث فكانوا يجدون في تلك المجتمعات حلولا لمشاكلهم .وتوحيدا لأفكارهم وعلاجا واحدا مشتركا تعود به كل جماعة إلى وطنها مما حفظ كيان المسلمن وعالج أمراضهم فكانوا في أمن وطمأنينة واجتماع كلمة ووحدة صف وهدف .

الحج أكبر مؤتمر إسلامي

ولا شك أن الحج يمثل **أكبر مؤتمر إسلامي** يجتمع فيه المسلمون وقد صفت قلوبهم فتعرضت لنفحات الله واستقبلت تجلياته ورحماته ، وهناك يشعرون بالتجرد من الفوارق فتعود إليهم معاني الاخاء الصادق ويتعارفون فيما بينهم مؤتلفين متفاهمين ، ويكون من أثر اجتماعهم على هذا الصفاء أن يتذاكروا شؤونهم ويتجاذبوا أمر النظر فيما يصلح كلاً منهم أفراداً وجماعات فَيُطِبُّ كل منهم لداء أخيه انسياقاً في معاني الإيمان الصحيح .

وفي تاريخ المسلمين الأوائل ما يعزز ذلك المعنى حق التعزيز ولا سيما ما في **خطبة الوداع** إذ جمع الرسول ﷺ الحجيج ووجههم إلى مهام أمور دينهم ودنياهم وما كان يتسنى لداعي الأمة وولي أمرها أن يُسْمِعَ المسلمين توجيهاته لولا شعيرة الحج وبخاصة في ذلك الحين .

ولا موضع أقوى تأثيراً في **التشاور واسداء النصح ومدارسة المشاكل الهامة** من هذا الوقت الذي يتجلى فيه ولاية بعض المسلمين لبعض في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر التي هي أكثر معنى من معاني المؤتمر الإسلامي يتحقق به استصلاح شؤون المسلمين على أكمل وجه . يقول الرسول عليه الصلاة والسلام : «لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم شراركم» .

وما كان أحرى المسلمين في زماننا هذا ، وقد اتسعت رقعة الإسلام وتطلع الكثيرون إلى التعرف عليه على وجهه الصحيح ، أن يقوم المتميزون من بينهم من العلماء والدعاة والساسة بتنظيم أمر ذلك المؤتمر قبل القيام بتلك الرحلة فيستشرفوا أمور المؤمنين في كل بقاع الأرض وأقطارها ويدرس بعضهم أحوال بعض ويدون كل منهم ما في جماعته من مشاكل حتى إذا جمعهم ذلك الصعيد في جوه الطاهر عقدوا الاجتماعات هناك بنظم ومواعيد تحت راية الحق وفي كنف الله وظل التناصح والطهر مقدرين أن ذلك هو العبادة الحقة حتى يجمعوا كلمتهم على الاخاء الإسلامي الصادق وعلى التناصح لمقاومة كل ما يمكن العدو منهم ، وعند ذلك يبذل كل منهم ما عنده من نصح ويقدم كل منهم ما عنده من عون فيشعر كل منهم أنه عضو في جسد واحد مترابط الأوصال .

وحين ينظر في قول الله سبحانه وتعالى : ﴿ **وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله** ﴾ نجد أن الله سبحانه نص على **حكمتين من**

حكم الحج وهما : **شهود المنافع ، وذكر الله في أيام معلومات على أنه سبحانه قدم شهود المنافع** التي تتضمن أن الحج مؤتمر تتبادل فيه المنافع وتتداول فيه الآراء للأخذ بالمنافع من جميع الأشياء والحذر من الضار وحل جميع مشاكلهم فيما بينهم أولا وبذلك يُرَوِّج بعض الدول الإسلامية بعضاً ويُغني بعضهم بعضاً عن الاستعانة بأمة غير إسلامية في بعض الأمور .

والواقع أن تلك المنافع التي جاءت مجملة في الآية الكريمة ليست هي التجارة وحدها كما توهم البعض ولكنها كل ما يهم المجتمعات الاسلامية ومن أبرزها الناحية الاقتصادية والثقافية والسياسية .

ولو أن المسلمين اليوم قَدَّروا هذا المعنى في الحج وفكروا في أن تبعث كل دولة مندوبين رسميين عنها للعمل على تحقيق تلك الأغراض لتمخض ذلك المؤتمر الكبير عن تصفية الشؤون على اختلاف أنواعها بفضل التناصح والتعاون في هذا الجو الطاهر الذي تصفو فيه النفوس فتزول العقبات من طريقهم ويستطيعون بجمع الكلمة مقاومة كل مناوىء ويشعر الجمع بأنهم قوة لا سبيل إلى النيل منها أو التأثير في وحدتها .

ولقد كان **الخلفاء الراشدون والولاة** من بعدهم في **صدر الاسلام** وفي عهد قوة المسلمين يقدرون هذا المعنى قدره ويوجهون الجانب الأكبر من عنايتهم إلى الانتفاع بشؤون النابهين من المسلمين والاستفادة بأفكارهم ثم تتبع نواحي النقص في كل بلد لعلاجها ، وكان لكثير من العلماء المخلصين مواقف كريمة مع الخلفاء والأمراء يقولون فيها كلمة الحق وكانت الكثرة من الحكام تشعر بمتعة نفسية من هذه الروح الإسلامية .

ولا ننسى أن قوة المسلمين في صدر الإسلام قامت على أساس من الإيمان الكامل بعقيدتهم ولم تقم على وحدة الجنس أو القوة المادية ، ولا ننسى هذا المثل الحي المعاصر ، فقد قامت **اسرائيل** على أساس من العقيدة فتجمعوا بعد تفرق وأصبحت لهم دولة نزحوا إليها من مختلف البقاع دولة اغتصبوا أرضها من أيدي المسلمين في غفلة منهم ويتآمر الدول الأخرى التي تخشى على سلطانها من أن يعود الإسلام في نفوس المسلمين إلى قوته وأصالته وأن يصبح للمسلمين بهذه العقيدة إن تمكنت من نفوسهم قوة لا يقف أمامها الحديد والنار ولا ننسى أنه ما كان للجيوش الإسلامية في الحرب الرمضانية ١٩٧٣م ، من نصر إنما كان بواقع من ايقاظ الإيمان في نفوسهم فقد كان نداؤهم عند الهجوم واختراق المواقع الحصينة «**الله أكبر .. الله أكبر**» .

نسأل الله أن يجمع كلمة المسلمين على الحق وأن يوحد صفوفهم وأن يكتب لهم التوفيق والنصر . اللهم هيء نفوسنا بأحكام الدين واملأ قلوبنا بالإيمان ويسر أمورنا واهدنا إلى الصراط المستقيم وانصرنا على داعي الهوى في نفوسنا واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين .





★ منظر عام يجمع بين القديم والجديد في البناء ★

مدينة وتاريخ

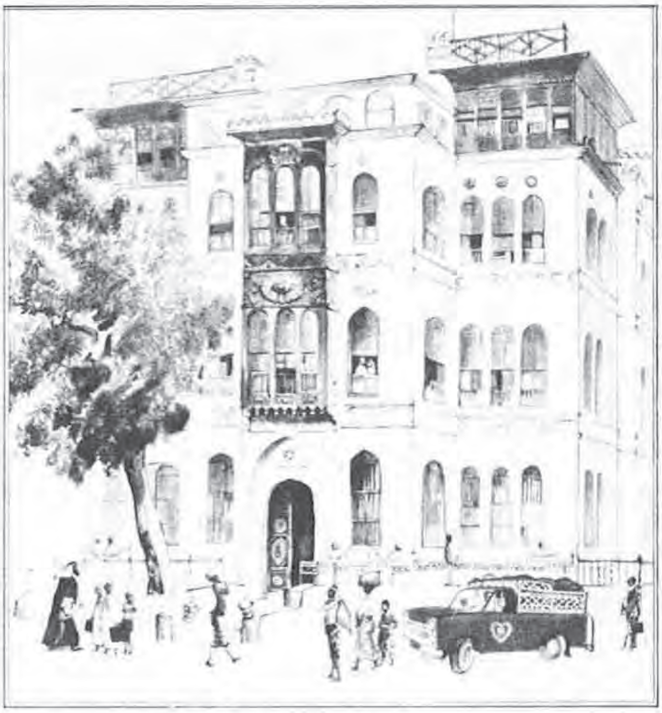


جدة شجر الرمان

بقلم: عبد القدوس الأنصاري



★ خارطة ابن المجاور ★



★ بيت نصيف من البيوت العتيقة ★

جدة .. في الكتب

جاء في كتاب «**أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**» لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر البناء الشامي المقدسي المعروف بالبشاري، أن «جدة مدينة على البحر».

وجاء في «**معجم ما استعجم**» أن جدة ساحل مكة معروفة سميت بذلك لأنها خاضرة البحر، والجدة من البحر والنهر ما ولى البحر، وأنها تحد جزيرة العرب غرباً.

وجاء في «**تاريخ المستبصر**» لجمال الدين أبي الفتح يوسف بن يعقوب بن محمد المعروف **بابن المجاور الشيباني الدمشقي**، أن «جدة بنيت على البحر».

وقد رسم هذا المؤلف خريطة ساذجة لجدة ضمن كتابه وجعلها بشكل مستدير، وقد وضع الناحية الغربية من المدينة في المكان الذي توضع فيه الناحية الشمالية بالنسبة للخرائط الحديثة.. كما وضع الناحية الشرقية منها في المكان الذي تكون فيه حديثاً بناحية الجنوب، والناحية الشمالية في موضع ناحية الشرق، والجنوبية في مكان الغربية.. بالنسبة للخرائط العصرية (الخارطة يطالعها القارىء منشورة).

وبعد هذا التعريف الوجيز بخريطة ابن المجاور نقول: إننا لم نعثر على خريطة خاصة بمدينة جدة مثلها وفي تاريخ وضعها أو أقدم منها، وهي وإن لم تكن فيها المعالم الكافية للمدينة في عهد المؤلف إلا أنها بحسبها أنها أعطتنا صورة تقريبية لوضع جدة إبان رسم المؤلف لها في القرن الهجري السابع.

وترى جدة فيها لاصقة بالبحر كما هو الحال الآن، ومساحتها محدودة غير ممدودة في الأرض الفيحاء التي تقع في منطقتها. وقد لاحظنا أن المؤلف عنى باثبات أمرين: **أحدهما** القبر المزعوم أنه **لحواء أم البشر**، والمؤلف يعتقد أنه حقيق، ويبدو من منظر الرسم أنه كان خارج البلد يومئذ، بعيداً عن العمران، بعض الشيء، مما يفهمنا مقدار ضآلة حجم المدينة وقتها. والأمر **الثاني** الذي عنى به راسم الخريطة الأثرية هو هذه السبخة التي تقع بين البحر والجبال، وقد سماها باسم «**منية الحديبية**»، وهذا الأسم غريب على أماكن الحجاز ويبدو أنه وفد إلى هذا المكان من القطر المصري، لأن «المنية» - بكسر الميم وسكون النون بعدها ياء مثناة مفتوحة فهاء تأنيث - هي من أسماء الأماكن بمصر خاصة، ومنها «منية أبي الخصيب» وغيرها، على أن هذه التسمية قد اندثرت فيما يبدو.

وجاء **أحمد بن علي الفزاري القلقشندي** المتوفي سنة ٨٢١هـ، فوصف لنا في كتابه: «**صبح الأعشى**» جدة، وعدها من قرى مكة قال: «جدة - بضم الجيم وتشديد الدال المهملة ثم هاء - وهي فرضة مكة على ساحل بحر القلزم «**البحر الأحمر**» وموقعها في أول الاقليم الثاني من الأقاليم السبعة وهي في الغرب عن مكة بميلة إلى الشمال، قال في (الأطوال): طولها ست وستون درجة وثلاثون دقيقة وعرضها إحدى وعشرون درجة وخمس وأربعون دقيقة، وقال في (رسم المعمور): طولها ٦٥ درجة و ٣٠ دقيقة وعرضها ما تقدم، وهي ميناء عظيمة محل حط واقلاع. **إليها تنهى المراكب من مصر واليمن وغيرهما ومنها تصدر**. قال في تقويم البلدان: وهي من مكة على مرحلتين، وقال **الادريسي**: «بينهما أربعون ميلاً وهي ميقات من قطع البحر من جهة عيذاب إليها».

ويقول **بوركهارت**: «إن جدة تنقسم إلى قسمين جزء عال من الأرض وجزء واطىء، ويبلغ طول هذه المساحة «١٥٠٠» متر والعرض أقل من ذلك وهي محاطة بسور كبير في حالة سيئة، يحتاج إلى إصلاح وهو غير قوي، وقد بناه السلطان **قانصوه الغوري** سنة ٩١٧هـ ضد البرتغال، وفيه بين كل ٥٠ ياردة، مدفع صدىء على برج».

وفي «**دائرة المعارف**» لبطرس **البستاني**، أنها بلدة من الحجاز في بلاد العرب على البحر الأحمر على بعد ٥٦ كيلومتراً من مكة وفي عرض ٢٨ و٢١ شمالا وطول ١٣ و٣٩ شرقاً، وقال: إنها مبنية على حافة البحر في صحراء مجدبة، وعلى بعد نحو عشرة أميال منها إلى الوراء سلسلة تلال منخفضة خالية من الشجر والنبات **ويحيط بها أسوار يتخللها أبراج حصينة وخندق ولها تسعة أبواب**، ستة منها إلى جهة البحر، والبحر هناك آخذ في الابتعاد بالتدريج عن المدينة وذلك من جراء الصخور المتولدة هناك.

ونرى أن في قول البستاني: إن المسافة بين جدة ومكة هي ستة وخمسون كيلومتراً، شيئاً من عدم التمحيص، فقد ثبت أخيراً أن المسافة بينهما هي ٧٥ كيلومتراً. كما أن في قوله باحاطة خندق بها، دقة في الوصف، وهو أمر مشاهد ومعروف، وقد سبق البستاني إلى ذكر الخندق، ابن المجاور الدمشقي الذي أورد أنه حينما بناها **الفرس** حفروا حولها خندقاً من وراء سورها إمعاناً في الحياطة، وبذلك أعاد التاريخ نفسه.. إلا أن الخندق الذي ذكره ابن المجاور كان مملوءاً بماء البحر، والخندق الأخير كان يابساً ليس به ماء. وقد كان هذا الخندق يابساً ومن وراء السور بقصد زيادة الدفاع عن البلدة في أوائل القرن الهجري الثالث عشر من الأعداء والسيول. وقد أدرك المعاصرون هذا الخندق اليابس.

وقالت **دائرة المعارف البريطانية**: «جدة مدينة في الجزيرة العربية على شاطىء البحر الأحمر بين خطي ٢١° ٢٨ شمالا و ٣٩° ٢٠ شرقاً. وأهميتها الرئيسية ترجع إلى أنها **مرسى مناسب لاستقبال الحجاج إلى مكة** التي تبعد حوالي ٤٦ ميلاً.. وهي تقع في سهل رملي منخفض خلفه سلسلة من التلال طولها ١٠ أميال إلى الشرق، ووراء تلك التلال جبال عالية، وتمتد المدينة على طول الساحل، حوالي ميل، وهي محاطة بسور له أبراج عند المداخل والزوايا في اتجاه البحر تعضدها طابيتان في الشمال من السجن والمباني العامة، ولها ثلاثة أبواب: **باب**



المدينة شمالا ، **وباب مكة** شرقاً ، **وباب اليمن** جنوباً . كما توجد ثلاثة منافذ على الجانب الغربي ويؤدي أوسطها إلى الميناء ، وأمام باب مكة ضاحية للنزهة بها دكاكين ومقاه وسوق مزاد علني . ويوجد قبل باب المدينة ثكنات عسكرية ، وخلفها : « **قبر أمنا حواء** » ، وهو محاط بجبانة خاصة . وأحسن جزء في المدينة هو جهة البحر ، والمباني مرتفعة ومبنية بناءاً متقناً من الأحجار المرجانية الخشنة التي تظهر على طول الشاطىء ، والشوارع ضيقة ومنحنية ، كما يوجد مسجدان في حجم كبير ، وعدد آخر أصغر حجماً . والضواحي الخارجية مجموعات أكواخ مصنوعة من جذوع النخل وسعفه ليس غير . وتمون الأسواق بالمواد الغذائية المجلوبة من طريق البحر ، وبالفواكه والخضروات من **الطائف ووادي فاطمة** . أما تموين الماء فمحدود وهو ملح ، ويوجد مع ذلك بئران حلوتان ونبع يبعد سبعة أميال ونصف الميل عن المدينة . ومعظم البيوت بها **صهاريج لتخزين مياه المطر** ، والطقس حار ورطب » .

وفي **دائرة المعارف الاسلامية** : ـ الترجمة العربية بمصر ـ « أن جدة فرضة على البحر الأحمر على طول خط ٢١° ٢٨ شمالا وخط عرض ٣٩° ١٦ ٤٥ شرقاً ويحيط بها صحراء » .

وفي « **مرآة الحرمين** » لابراهيم رفعت باشا : « أنها بلدة كبيرة وميناء مكة العظيمة على الساحل الشرقي للبحر الأحمر وواقعة على الدرجة ٣٦ والدقيقة ٥٠ من خطوط الطول الشرقية وعلى الدرجة ٢١ والدقيقة ٢٨ من خطوط العرض الشمالية ، ويحيط بها سور ذو خمس أضلاع ، يقطعها راكب الحصان بالسير المعتاد في ٤٥ دقيقة ، وارتفاع السور ٤ أمتار ، وبه تسعة أبواب : ستة في الجهة البحرية وثلاثة في الجهات الأخرى ، وأول من بناه السلطان الغوري ، وبها حوالي (٣٣٠٠)(1) منزل مبنية بالحجر الأبيض المستخرج من البحر ، ويتكون المنزل من طبقتين إلى خمس .

ويصف لنا **لورانس** في كتابه : (الثورة العربية) جدة « بأنها مدينة غريبة حقاً ، شوارعها أزقة ضيقة وسوقها مسقفة بالخشب وبيوتها مبنية من أربع طبقات أو خمس من الصخور المرجانية » وقال : « إنه لم ير بها زجاجاً ولم يصادف عجلة في طريقه ، لأن الشوارع ضيقة لا تستطيع العجلات أن تمر بها ، ولم يسمع جلبة ، أينما سار ، بل كان كل شيء صامتاً » .

وإذا علمنا أن لورانس إنما قدم جدة خلال الحرب العالمية الأولى ، وفي ذروة شبوبها سنة ١٣٣٥ هـ ١٩١٦ م ، أدركنا أن له بعض الحق فيما رواه من الصمت السائد في جدة . أما قوله إنه لم ير زجاجاً ولا عجلة في طريقه ، فيبدو أنه سلك طريقاً خاصاً في وقت لا تسير فيه العجلات ، مثل « العربات الكارو » وأية عربات في وقت الحرب ؟ وماذا تحمل ؟ أما الزجاج فموجود في بيوت جدة القديمة في عهده ومن قبله ولا يزال .

ويصف **عمر رضا كحالة** جدة في كتابه : (**جغرافية شبه جزيرة العرب** ، بأنها « مدينة ساحلية واقعة على الشاطىء الشرقي للبحر الأحمر ويقع مرفؤها في منتصف طول البحر الأحمر تقريباً ، وهو مرفأ مكة ، والمسافة بينهما خمسة وخمسون ميلاً . وتقع على الدرجة ٣٦ والدقيقة ٥٠ من خطوط الطول الشرقية ، وعلى الدرجة ٢١ والدقيقة ٢٨ من خطوط العرض الشمالية . **وطبيعة ساحلها أنه كله شعاب صخرية تتخللها شعاب مرجانية حمراء وسوداء** . وترى على سطح مياهه في كثير من جهاته أوراق نبات مائي شكله أشبه شيء بالبشنين في بحيرات مصر . **وهذا النبات لونه أحمر قاتم** ، ويوجد بكثرة على شاطىء الخليج العربي ، وربما كان له تأثير فيما يعيش في جدة من الأصداف الحمراء ، ومن الأسماك المرجانية التي توجد فيها بكثرة ولتغذيتها منه . وربما أتت من ذلك تسميته بالبحر الأحمر ، ويساعد على هذه التسمية ذلك اللون السنجابي الذي يشاهد قبل شروق الشمس فيما يلي الشاطىء من مياه البحر عند انحسار كتلة المياه عنه ، وقت الجزر الذي يحصل فيه يومياً حيث يتراءى لك الشعب على طول الشاطىء ضارباً في البحر بلونه الأحمر الذي يتشرب بالزرقة شيئاً فشيئاً حتى يتصل بكتلة الماء الكبرى .

« وقعر البحر هنا ليس بعيداً ، وفيه أضلاع مكسوة نباتاً بحرياً متنوع الألوان والأشكال . وهذه الأضلاع ناتئة قريبة من سطح الماء ، فتنعكس مناظرها إلى الخارج ، ويزيدها نور الشمس رونقاً واشعاعاً . ولأن ملوحة البحر زائدة تكونت هذه الشعاب الكثيرة فيه ، مما جعل مسالكه خطرة ، وهي تنمو وتعلو حتى تقارب سطح الماء . . ومنها ما يبرز عن سطح الماء فيكون جزيرة . وهذه الشعاب متكونة من أعشاب وحيوانات بحرية من طبقة الاسفنج ، وهي ذات ألوان شتى ، كلها ناصع ، ومنها ما هو **أحمر** ساطع ، **وأخضر** فاقع ، ومنها ما هو دون ذلك . وقد يقتلع الملاحون والغواصون منها أشجاراً تسمى « **شجر المرجان** » ، وهي في غاية الجمال ، ومن أبهى ما يوضع في المنازل للزينة .

« فهذه الشعاب هي التي تنعكس ألوانها على سطح الماء فتكون أشبه بذيول الطواويس أو بقسي السحاب « يعني قوس قزح » ، وهي في الوقت نفسه الأخطار الدائمة على السفن ، والغيلان المتحفزة لابتلاعها » .

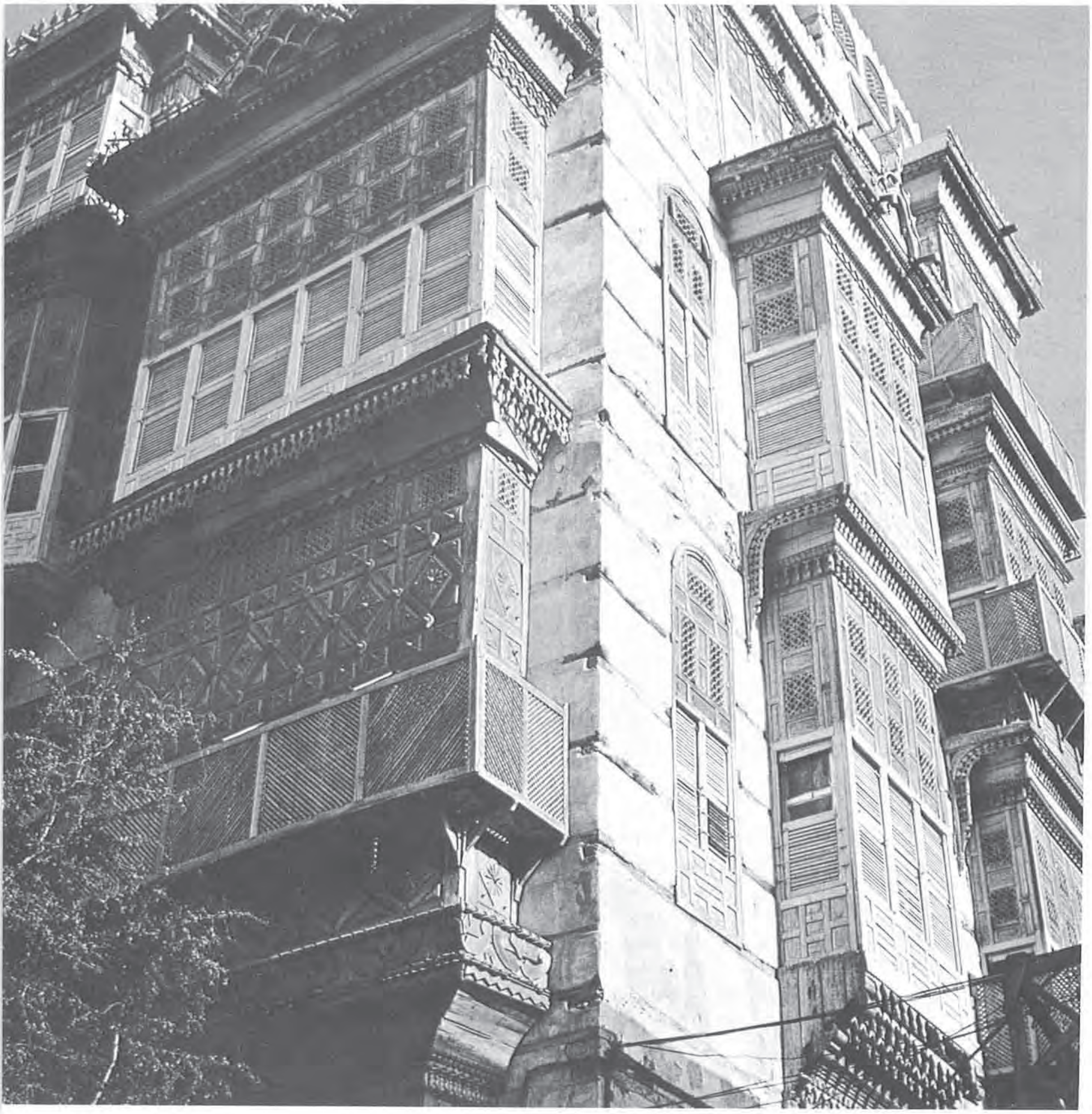
ويقول عمر رضا كحالة : « إن درجة الحرارة العظمى بجدة تبلغ بمقياس سنتيغراد في شهر آب (أغسطس) ـ « ٤١ » . والحرارة الصغرى في شهر كانون الثاني (يناير) ـ « ٩ » فوق الصفر . وقد وضع لنا في كتابه جدولا شاملاً لتبدلات الحرارة بجدة خلال الاثني عشر شهراً . بمقياس فهرنهيت ، ودرجة الحرارة به تساوي ٩° من درجة مقياس سنتيغراد » .

ويضيف عمر رضا كحالة إلى ذلك قوله : « وليس بجدة نهر ولا عين لشرب السكان ، وبالبيوت صهاريج تملأ بماء ينحدر إليها من سقوف البيوت ، وهذه المياه غير صحية ، ولهذا كان الأغنياء يجلبون ماءهم من الآبار البعيدة .

« وكانت بها « مقطرة مياه » **كنداسة** قديمة أبدلتها الحكومة السعودية لما خربت بمقطرتين .

« ويزرع بجدة **البطيخ** بماء المطر في البراح الفاصل بينها وبين الجبال البعيدة عنها بنحو الساعتين أو الثلاث ، وتجلب إليها الخضروات من **وادي فاطمة** » .

ووصف السور باحاطته بها . وبأن له خمس أضلع : البرية منها على البر ، وطولها « ٥٧٦ » متراً ، والبحرية « ٦٧٥ » متراً ، والشرقية « ٥٠٤ » متراً ، والشرقية الجنوبية « ٨١٠ » متراً ، وارتفاع السور أربعة أمتار ، وبه تسعة أبواب : ستة في الجهة البرية وثلاثة في الجهات الأخرى(1) .



★ الرواشية .. من مميزات بيوت جدة القديمة ★

وتختلف سعة شوارعها من ثمانية أمتار إلى خمسة عشر متراً ، وحاراتها ضيقة وغير منتظمة ، وأبنيتها مبنية بالحجر الجبلي الذي يأتون به من الجبال القريبة ، أو الحجر المائي الذي يقطعونه من شعاب البحر ، وهو خفيف جداً وفي غاية المتانة وفيه خطر قبول الالتهاب لما يحتويه من المادة الفسفورية .

وقال : « **إن مساكنها كمساكن مكة والمدينة ، يتكون المنزل من طبقتين إلى خمس ، وتوضع الشرفات في جهاتها الأمامية من الخشب الهندي الأحمر المخروط ..**

« **وكانت في القرن الماضي مركزا تجاريا عالميا تجلب إليه البضائع من الهند وغيرها ، ومنها توزع إلى بلاد العرب ومصر والسودان ..**

« وهي **المرفأ الأكبر للحجاز** ، فمنها صادراته وإليها وارداته . وضعف مركزها بعد فتح قناة **السويس ومرفأ بورسودان** ، وأصبح المرفأ الأول في البحر الأحمر » .

وذكر أنه « يحيط بجدة قرى صغيرة في الجنوب والشمال أكثرها مؤلف من بيوت صغيرة أو أكواخ يسكنها البدو والزنوج والجمالة » .

هذا وإن كل ما أشار إليه عمر رضا كحالة عن جدة كان في عهد تأليفه لكتابه ، وهو سنة ١٣٦٤ هـ ١٩٤٤ م . وكما أشرنا إليه فيما مضى قريباً فإن أكثر المعالم قد تغيرت بل تطورت ، حتى إن مركز جدة التجاري العالمي قد عاد إليها شيء منه في الوقت الحاضر ، بدليل مئات الشركات الأجنبية والوطنية التي أسست فيها ، وبدليل وارداتها السنوية البحرية الضخمة وصادراتها الضخمة أيضاً ، ولم تعد **بورسودان** الآن هي المرفأ الأول في البحر الأحمر ، والتاريخ يعيد نفسه بأشكال وألوان .

ولكننا نعقب على المؤلف في قوله : إن أبنية جدة في عهده ، كانت مبنية بالحجر الجبلي الذي يأتون به من الجبال القريبة ، فما شاهدت فيها بيتاً مبنياً بهذا الحجر الأسود ، وكل ما رأيته من بيوتها قبل ، عهد التطور الحالي ، هو مشيد بالصخور الرملية التي تستخرج من باطن أرضها وتشذب وتنحت ويبنى بها ، وتسمى في عرف أهل جدة : « الحجر المنقبي » لأنه ينقب عنه . ويبنى بالحجر المائي نادراً . أما الحجر الأسود فلم يبن به سوى محل أرضي واحد في برحة عاشور بمحلة اليمن(٢) .



★ الأطفال .. يحتفلون بالعيد ★

ويتفق عمر رضا كحالة مع دائرة المعارف البريطانية في «عالمية» ميناء جدة قبل فتح قناة السويس، وأنه كان منها توزيع البضائع الصادرة من الهند وغيرها إلى بلاد العرب ومصر والسودان.

ونضيف إلى هذه **الصورة التاريخية والجغرافية** التي أعطانا إياها **المؤرخون والجغرافيون** عن جدة القديمة، أن البحر كان يلامس الشارع المعروف اليوم **بشارع الملك عبد العزيز** في ناحيته الغربية الموالية للبحر، وأنه كان هناك جسر خشبي فوق سطح البحر، وأن البحر في هذا المكان وما حوله قد ردم ابتداء من مقر إدارة الحجر الصحي القديمة: «الكورنتينا» وألقي فيه تراب وحجارة كثيرة، وحضر مهندسون إيطاليون لهذه المهمة وجلبوا الاسمنت من الخارج، وألقوا بأعمدته التي هي مثل الصخور الضخمة في جوف البحر[٣]. **وإذا أضفنا إلى هذا، انحسار البحر التدريجي الذي سبق أن أشار إليه بطرس البستاني في دائرة معارفه، ندرك أن جزءا مهما من مدينة جدة أنشىء على أرض كانت بحرا فيما مضى من الزمان.** وقد كان البحر - بحر الطين - يمتد حتى يلامس مشارف مقر وزارة الخارجية الحالي. ويكون ذلك في الشتاء. كما أن السور الذي كان يحيط بجدة القديمة قد أزالته الحكومة السعودية سنة ١٣٦٧هـ، ١٩٤٧م، أي بعد نشر كتاب عمر رضا كحالة بثلاث سنوات فقط[٤].

هذا وقد أعد المكتب الهندسي الاستشاري بالخبر في سنة ١٣٨١هـ ١٩٦١م، ١٩٦٢م، تقريراً تمهيدياً لدراسة مشروع تصريف المجارير لمدينة جدة، ووصف المدينة بأنها على ساحل البحر الأحمر على طول ٣٩ درجة و ١٢ دقيقة شرقاً، وخط عرض ٢١ درجة و ٣٠ دقيقة شمالا، بارتفاع يتدرج من سطح البحر إلى اثني عشر متراً. وتتعرض لمناخ حار قد تصل الحرارة القصوى فيها إلى (٤٧) درجة سنتيغراد، أيام الصيف، ولكن معدلها الأعلى يتراوح بين ٣٩ درجة صيفاً و٢٧ درجة شتاء، ومعدل الرطوبة النسبية الأعلى، يتراوح بين ٩٢٪ في أيام الخريف و ٧٥٪ في أيام الشتاء، والحدود القصوى للرطوبة النسبية قد ترتفع إلى ١٠٠٪ وتنخفض أحياناً إلى ١٠٪، كما أن اتجاه الرياح السائدة، غالباً ما يكون بين الشمال الغربي والشمال[٥].

ويقول التقرير: «إن المدينة تقسم إلى عدة أحياء رئيسية تتوسطها جدة القديمة التاريخية التي



★ خارطة توضح موقع مدينة جدة ★

تقع إلى شمالها ، أحياء **الرويس والبغدادية** ، وإلى شمالها الشرقي أحياء **العمارية والشرفية** ، وإلى شرقها أحياء **الصحيفة والكندرة** ، وإلى جنوبها **حي الهنداوية** ، وإلى جنوبها الشرقي أحياء **السبيل والنزلة** ، وأما من الغرب فيحدها البحر الأحمر » .

ويضيف التقرير إلى ذلك قائلاً : « إن الرقعة المبنية من المدينة قبل الحرب العالمية الثانية ، كانت صغيرة جداً بالنسبة لما هي عليه اليوم ، لأنها كأنها تقتصر على المدينة القديمة التي كان يحيط بها سور تهدم خلال السنوات القليلة الماضية ، وبعض الأحياء كالبغدادية والهنداوية والنزلة .

« وللمدينة أهمية خاصة ، فمع كونها المرفأ الرئيسي للمنطقة الغربية من المملكة فهي الميناء الجوي العالمي الذي يستقبل مع مرفئها مئات الآلاف من التجار والحجاج في مختلف فصول السنة خاصة في الأشهر الحرم » .

وجدة ـ **طبوغرافيا** ـ مسطحة نسبياً بانحدار طفيف من الشرق إلى الغرب ، وتتفاوت المناسيب فيها من الصفر في الطرف الغربي قرب البحر ، إلى اثني عشر متراً ، شرقي المدينة قرب المطار ، والقصر الملكي . . ويتبدل الانحدار بشكل طفيف جداً ولمسافات محدودة فيتجه نحو الشرق الجنوبي والشمال الغربي في بعض الأماكن .

وتحوي جدة بعض المنخفضات التي تسهل ركود الأمطار فيها ، وتشكل مستنقعات لا تجف مياهها إلا بعد بضعة أيام ، مما يشكل خطراً صحيا قديماً ، بسبب توالد البعوض ، إلا أن وزارة الصحة تقوم بمقاومة البعوض بأنواع المبيدات ، كما تسرع البلدية إلى تجفيف المستنقعات فور نزول الأمطار .

وتتكون « **جدة القديمة** » من تل مرتفع . ويعتقد الخبراء أن ذلك ناجم عن قدمها ، لأن من الظواهر المألوفة أن يرتفع منسوب الأماكن المأهولة مع الزمن بالنسبة إلى قدمها ، وذلك بسبب جلب المواد دواماً إليها ، وخاصة مواد البناء . . وكانت تأتيها السيول قديماً غزيرة بعض الأحيان ، وهو أمر لا يزال يشاهد حتى الآن . ومن هذه السيول تمكن أهلها من بناء الصهاريج ، ليفيض فيها هذا الماء العذب الوفير ويختزن بها طيلة العام .

وتتكون تربة البلدة من الرواسب الرملية المنقولة بعوامل الرياح والمياه ، وتحمل هذه الرمال فتات صخر الغرانيت الموجودة بكثرة في المنطقة والذي يتكون منه معظم جبال الحجاز .

وتتكون تربة الشاطىء من السبخة ، أي من النوع الرملي « الدلغاني » مع نسبة عالية من الأملاح وذلك في الناحيتين : الشمالية والجنوبية .

وتتكون التربة بمحاذاة جدة القديمة بصورة عامة من الردم الذي يتخلف بنوع مواده من الرمال والأتربة والحجارة والأنقاض إلى الأوساخ وبقايا أخرى . ويندر وجود الصخور بجدة وربما تعترض الحفريات قرب الشاطىء فقط على مستوى سطح البحر أو ما دونه ، وتلك الصخور هي نوع من رواسب البحر للحيوانات المتحجرة ، أو من نوع الصخور المرجانية وهي سهلة الحفر على وجه العموم(٦) .

التطور العمراني

ونرى من خلال البحث العلمي المقارن أن الأساس في نشأة جدة لأول مرة ربما كان من طائفة من « حواتين » عرب مجاورين لهذه المنطقة التي بنيت فيها . . اتخذوا العرائش مساكن متواضعة لهم ، ليأووا إليها بعد رحلاتهم الصيدية في عرض البحر .

ثم جاء **قضاعة** وأبناؤه وهم من **معد بن عدنان** ، على رأي ، فأقاموا بهذه المنطقة وعرفوها وعرفت بهم ، حتى إن أحد أبنائهم سموه بها ، وهو **جدة بن جرم بن ريان** (بكسر الراء وبعدها باء مفتوحة مخففة فألف فنون) ابن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة .

وأرى أنه قبل سكنى قضاعة بها اتخذت **ميناءاً لمكة المكرمة** ، تنزح منها السفن إلى **الحبشة** وإلى الشمال والجنوب ومن ثم تذهب إلى الشرق إلى **ديار فارس** وترد منها .

وإذا تذكرنا أن قضاعة هو الابن الثاني لمعد بن عدنان ، والأول هو نزار ، وتذكرنا أن معدا هو الجد التاسع عشر لرسول الله عليه الصلاة والسلام ، حينئذ ندرك قدم اتخاذ جدة منزلا لقضاعة وأبنائه .

وحينما استعاد **كسرى أنو شروان حفيد يزدجرد وابن قباذ** ، السيطرة لنفسه ، رنت أبصار الفرس إلى ما وراء ديارهم غرباً وشمالا وشرقاً . . وقد روى ابن المجاور ، أنه في عهد حفيد يزدجرد ، بنيت جدة من قبل الفرس ، وكسرى أنو شروان هو الذي ينطبق عليه هذا الوصف ، وقد روى **الطبري** في ترجمته أنه بعد انتصاره على الروم وخضوعهم له انصرف نحو **عدن** ، فسكن ناحية من البحر هناك بين جبلين مما يلي أرض الحبشة ـ **باب المندب** ـ بالسفن العظام

والصخور وعمد الحديد والسلاسل وقتل عظماء تلك البلاد ، وملك **المنذر بن النعمان** على العرب وأكرمه . ولا بد أنه ، أو أن بعض من معه ، انحدر إلى الشمال بحراً أو براً حتى وصلوا جدة فراقتهم فاتخذوها مدينة لهم .

وقد ذكر **لويس معلوف** أن كسرى هذا ، هو أعظم ملوك بني ساسان ، حارب البيزنطيين ، وعلى أيامه حمل الفرس بالحرب إلى اليمن وغزوا الحبشة وفتحوا تركستان ، ويوافق تاريخ ملكه ٥٣١ ـ ٥٧٩ م . **ومن هذا كله يمكننا أن نحدد بناء الفرس لجدة بأنه كان في القرن الميلادي السادس ، إن صحت رواية ابن المجاور ، ولا نرتاب في أن بناء جدة كان أقدم من هذا التاريخ بكثير ، فقد سكنتها قضاعة قبل الاسلام بقرون .** وقضاعة هو الابن الثاني لمعد بن عدنان ، ومعد هذا هو الجد التاسع عشر **لرسول الله ﷺ . فإذا حسبنا سني كل جيل قصصا ، فإننا نخرج من هذا الحساب التقريبي بأن جدة بنيت قبل الاسلام مرة بنحو ثمانية قرون ، وبعد سكنى قضاعة بها جاء إليها أبو خزاعة أو رئيسها عمرو بن لحي ، وذلك قبل البعثة النبوية بخمسة قرون .**

هذا وقد أوضح لنا ابن المجاور ، أن **الفرس بنوا جدة بالحجارة الكاشور**(٧) ، وبانتقال مرفأ مكة إلى الشعيبة بعد تقلص فارس ، لم يبق من أخبار عمارتهم لجدة إلا هذا الشريط من الأخبار المقتضبة ، الذي يعرضه علينا بعض المؤرخين عرضاً سريعاً خاطفاً أثناء حديثهم عن تاريخ هذا البلد .

ونرى أنه لو أجريت حفائر عميقة من قبل بعثات أثرية علمية في بعض مناطق جدة المرتفعة ، أي في داخل البلد القديم ، لربما يعثر في طبقات الأرض على بعض ما قد يكشف لنا الغامض من تاريخ جدة .

ويتراءى لنا أنه حينما أعيدت جدة ميناءاً وبلداً في عهد **الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه** ، كان بناؤها لأول مرة ساذجاً ، وقد يكون من خصاص وأكواخ وبيوت أرضية من اللبن ، ثم تطور عمرانها وتدرج حتى أصبح طبقات عالية بالحجر وذلك حينما استفحل ثراؤها من واردات الحجاج ومن المراكب التجارية المتتابعة في مواسم الحج المتتابعة وغيرها .

وقد نال جدة تقدم وتأخر ، وانبساط وانكماش عمرانيان ، تبعاً للظروف والملابسات السياسية التي تغمرها من داخل ومن خارج . . شاهدها ابن جبير في القرن السادس الهجري وهي في دركات من الانحطاط والركود العمراني والاجتماعي . . ورآها **جون لويس بوركهارت** عام ١٨١٤ م (١٢٣٠ هـ) ، على حالة تشبه الحالة التي رآها عليها **ابن جبير** قبل ستة قرون .

واتخذ بناؤها طريقة البناء الشرقي المعتاد في العالم الإسلامي(٨) . . الغرف واسعة والسقوف عالية ، والرواشن مزخرفة منقوشة في وجوه الدور ، والأبواب مزخرفة والشرفات رائعة ، وكانت السقوف تبنى إما من خشب الهند أو من جذوع نخيل وادي فاطمة . ويقول جون لويس بوركهارت الذي زارها في أوائل القرن التاسع عشر الميلادي : « إن مبانيها أحسن طرازاً من مباني تركيا ، وإنها عالية وصحية جداً ومعظمها ذو طبقتين ونوافذ صغيرة متعددة ومن خشب ، وفي مداخل المنازل دهاليز باردة ، يستقبل فيها الضيوف ، ويستعمل المقعد الأرضي مجلساً في أيام الحر ، وهو أبرد جزء في المنزل بسبب رش أرضه دائماً بالماء » ، ويضيف إلى ذلك أن تقسيم غرف منازل جدة كتقسيم غرف منازل **القاهرة وسورية** ، وقال : « إن مباني هذه البلدة تكلف الكثير لما فيها من الزخرف بالالوان الجميلة ، ومسكن الزوجة منفرد ، وللخدم محل منفرد أيضاً ، وعندما تطلى الجدران الخارجية باللون الأبيض المفضل يترك الخشب بلونه الطبيعي كي يجمل المنظر(٩) » .

وظل العمران فيها جارياً على هذه الوتيرة حتى جاءت سنة ١٣٤٨ هـ ١٩٢٩ م ، فبني ـ على رأي ـ أول منزل بجدة بمادة جديدة لم يكن البناء بها معهوداً من قبل . . الا وهي مادة الاسمنت المسلح ، وكانت التجربة الأولى بالبناء بها في جدة على الرأي المشار إليه آنفاً ـ في تلك السنة بالذات ـ **فكان أول منزل ذي طبقات عمر بهذا الطراز الجديد المشكوك في تحمله للطقس وملاءمته للسكان ، هو منزلا لآل زينل يقع قريبا من باب المدينة المنورة المعروف بباب جديد .**

ومن علامات التقدم العمراني بجدة ، زحف العمران إلى « **أبحر** » في أقرب نقطة إلى جدة وهي الناحية الشرقية ، وفي أبعدها وهي الناحية الغربية . لقد أقيمت الدارات من أسمنتية وخشبية به ، في ناحيتيه فبدت تطوق هذا الخليج الجميل كالسوار يطوق معصم الحسناء .

ولـ « أبحر » قصة مجهولة رواها لنا ابن جبير في رحلته ، فقد كانت مرسى للسفن ، وكانت مرسى عجيباً لطيفاً استهوى منظره وجماله الرحالة العربي الأديب ، فأضفى عليه وصفاً أدبياً ماتعاً ، قال : « وفي عشي يوم الأحد ثانيه ، أي ثاني ربيع الآخر ، رسينا بمرسى يعرف بأبحر وهو على بعد يوم من جدة ، وهو من أعجب المراسي وضعاً ، وذلك أن خليجاً من البحر يدخل إلى البر ، والبر مطيف به من كلتا حافتيه ، فترسي الجلاب منه في قرارة مكنة هادئة .

وتبعد أبحر هذه عن جدة بنحو ٣٠ كيلومتراً إلى ٣٩ كيلومتراً ، وتتصل إلى الشرق الشمالي بكراع الغميم المعروف في السيرة النبوية(١٠) » ، وقد عمل مكتب التخطيط في جدة لأبحر خريطة نظمها تنظيماً حديثاً ، والهواء هناك عليل بارد بسبب إحاطة البحر بأبحر من غربه وجنوبه .

ومما رفع معنوية جدة ما قامت به الحكومة السعودية من انشاء مينائها الجديد على الطراز الحديث ، إذ ترسو عليه السفن التجارية الكبرى والصغرى مباشرة ، وتفرغ حملها من البضائع والوافدين والحجاج إلى البر رأساً .

أصل التسمية وصحتها

ضبط كتاب « **لسان العرب** » لمحمد بن مكرم بن منظور الانصاري ، و « **معجم البلدان** » لياقوت الحموي صيغة « جدة » ، التي هي اسم جدة ـ **بضم الجيم وتشديد الدال** بعدها تاء مربوطة ـ .

وورد في كتاب (لسان العرب) أن « جدة النهر ـ بضم الجيم وكسرها ـ ما قرب منه من الأرض ، وقيل : ضفته وشاطئه ، وقد روى المعنيان عن اللغويين : **ابن الأعرابي والأصمعي** » . ومع ذلك ضبط (لسان العرب) اسم مدينة جدة بضم الجيم ، وقال : إنها « ساحل البحر لمكة » . وأردف ذلك بقوله : « الجدة بضم الجيم ، الطريقة في الماء والجبل . وقيل : الجدة الطريقة ، والجمع جدد ، وقوله عز وجل : ﴿ جدد بيض وحمر ﴾ ، أي طرق تخالف لون الجبل . وقال **الزجاج** : كل طريقة جدة وجادة .

وذكر أبو محمد الحسن بن يعقوب بن يوسف الهمداني ، مدينة جدة في كتابه : « **صفة جزيرة العرب** » عدة مرات ، مضبوطة بضم الجيم .

وقال **البكري** في معجمه : « جدة بضم أوله ساحل مكة ، سميت بذلك لأنها حاضرة البحر ، والجدة من البحر والنهر ما يلي البر . وأصل الجدة الطريق الممتد » .

وقال **الهمداني** في مكان آخر من (صفة جزيرة العرب) : « **وفي الخبر أن آدم عليه السلام تمنى رؤية حواء بمنى ، فسميت (منى) بذلك ، وأقبلت من جدة فتعارفا بعرفات** » .

وممن ضبطها بضم الجيم من المتقدمين ، **محمد بن أحمد البشاري** قال : « جدة بضم الجيم مدينة على البحر ، منه اشتق اسمها » .

وقد أوردها **ابن المجاور الدمشقي** بضم الجيم ، وقال : « **إنما سميت جدة بجدة لأنها دفنت بها أم البشر حواء عليها السلام ، فهي جدة جميع العالم ، فلما بني هذا البلد عرف باسم جدة ، أي حواء زوج أبي البشر عليه السلام** » .

ويلاحظ أن ابن المجاور ضعف الرواية القائلة بتسمية جدة باسم أم البشر حواء ، حيث ساقها بصيغة : (ويقال) . والحقيقة أنها رواية (أسطورية) محضة ، فقد نفاها الثقات نفياً باتاً ، ولا يعقل أن يظل قبر أم البشر معروفاً حتى اليوم . . وابن المجاور نفسه وقع من هذه الرواية في تناقض لم يشعر به ، فهو ضبط اسم البلدة بضم الجيم ، ثم أورد أنها سميت بهذا الاسم المضموم الجيم ، لدفن أم البشر بها ، أي جدة البشر (بفتح الجيم) ، فهذا تناقض واضح يدل على سقوط الرواية الأسطورية .

هذا وقد أورد **ابن جبير** ما يدل على تأييده لما أورده الهمداني من اقبال « جدة البشر حواء » من جدة إلى عرفة على آدم عليهما السلام بعرفة ، وتعارفهما بها . وقال في هذا الصدد : « وبها ـ أي جدة ـ موضع فيه قبة مشيدة عتيقة يذكر أنه كان منزلا لحواء أم البشر عند توجهها إلى مكة فبني ذلك المبنى عليه » .

ويجب أن نلاحظ أن ابن جبير في روايته حدد ما أجمله الهمداني ، إذ قال : إن موضع القبة هذه كان منزلا لحواء .

كما يجب أن نلاحظ أن كلا من الهمداني وابن جبير ، نفيا ضمناً أن تكون القبة على قبر حواء ، وإنما أوردا أن الموضع كان منزلا لها فقط تسكنه في حياتها ، وهو أمر يخالف رواية الزاعمين أنه موضع قبرها على كل حال . أما **الحميري** فيقرر أنه كان بجدة نزول حواء وبعرفات تعرفت بآدم ، وقيل إن قبرها بجدة .

ويرى **محمد لبيب البتنوني** ، أن موضع هذا القبر المزعوم ، كان هيكلاً عبدته قضاعة قبل الإسلام ، وبقي أثره في النفوس بعد الإسلام ، فأقام له الناس هذا القبر .

وممن ضبط اسم جدة بضم الجيم من المتأخرين ، **محمد فريد وجدي** في « دائرة معارف القرن العشرين » ، وكذلك صنعت دائرة المعارف الإسلامية : ـ الترجمة العربية ـ .

أما دائرة المعارف البريطانية ، فإنها ضبطت الاسم بكسر الجيم . والجدة ، بكسر الجيم لغة ، هي مثل الجدة ـ بضمها ـ الطريقة . . وعلى هذا فاستعمال الصيغة بكسر الجيم في اسم (جدة) يبدو أنه صحيح لغة لولا أن اللغويين تتابعوا على ضبط هذا الاسم لهذا البلد بأنه بضم الجيم فقط . وقد يكون منشأ ما عمدت إليه دائرة المعارف البريطانية ، هو الأخذ من أفواه الحجازيين المعاصرين الذين ينطقون هذا الاسم بكسر الجيم تخففاً من ضمها لثقله على ألسنتهم ، وهذا دأب كثير من العلماء الغربيين في تلقفهم أسماء البلدان وغيرها من العامة .

★ واحد من أزقة المدينة ★





★ منظر
لمدينة
جــدة
حيث يبدو المكان
الذي دفنت فيه
أمنا «حواء»، (لاحظ السهم)
حسب بعض الروايات
أو . . .
أنه كان منزلا لها في روايات أخرى ★

ومما يدل على ذلك ـ خلافاً لما نعرف صحته من اللغة ـ أن محمد لبيب البتنوني ذكر أن أهل البلاد يسمونها الآن سنة ١٣٢٧ هـ «جدة» بكسر الجيم، وأضاف إلى ذلك أن المصريين يسمونها «جدة» بفتح الجيم، وعطف على القولين بأنه «يرى صحتهما معاً، وعلل ذلك بأن الجدة بكسر الجيم هي اليمن والسعادة، وهذا الثغر بلا شك، منه المادة التي تقوم بحياة هذه البلاد كلها. وأي شيء أسعد مما يقوم بحياة الإنسان ووجوده؟ كما أن «الجدة» بالفتح، الطريق الواسعة، وليس من طريق أوسع من هذا».

ولنا أن نناقشه فيما صححه من صيغة (الجدة) بكسر الجيم وفتحها، على أنها اسم للبلد، بأن **المعاجم اللغوية والتاريخية العربية** أجمعت كلها على القول بضم الجيم مع معرفة المكسورة الجيم، والمقصود بها لغوياً الطريق. أما (جدة) بفتح

أصحابها وإيرادهم لصيغة «جدة»

الجيم كما ينطقها **المصريون**، فلا نراه يزيد عن مثيله في الحجاز. إذ تنطق هنا (بكسر الجيم) وكلا الأمرين كان للتخفف من الضم. ولم تطلع فيما اطلعنا عليه من **المراجع اللغوية** ما يقول: إن معنى (الجدة) بفتح الجيم بعدها مباشرة دال هو الطريق الواسعة. كما أورد البتنوني، وإنما هي (الجادة) أي بجيم مفتوحة بعدها ألف، فدال مشددة.. وشتان بين الصيغتين.

هذا وقد قال المرحوم رشدي ملحس في تعليقاته على كتاب: (**أخبار مكة لأبي الوليد الازرقي**): «جدة بضم أوله وفتح ثانيه.. ويلفظها الناس اليوم بفتح أوله وهو خطأ». فإذا كان يريد بالناس أهل مصر فذلك هو الواقع، وأما أهل الحجاز بله أهل المملكة العربية السعودية، فكلهم يلفظها بكسر الجيم وهو خطأ أيضاً كما سبق إيضاحه.

قدم مدينة جدة

قد لا نكون ممعنين في الخيال إذا قلنا بأن جدة من أقدم بلاد العالم.. ودلائلنا على هذه النظرية تتمثل فيما يأتي:

● أولاً: ما أورده المؤرخون من أنها من بناء الفرس، وذلك أنه حينما خربت (**سيراف**) الفارسية انتقل أهلها ـ في رواية لابن المجاور الدمشقي ـ إلى سواحل البحر، فوصل قوم منهم جدة فسكنوا بها، وأداروا على البلد سوراً من الحجر انضم بالجص، فلما ابتدأوا في المقام بها بنوا السور وجعلوا عرضه عشرة أشبار، ثم بنوا على وجه السور سوراً ثانياً من الحجر الكاشور منحوت مربع بالجص وجعلوا عرض الحائط خمسة أشبار، فصار عرض الحائطين الملتصقين بعضهما إلى بعض، خمسة عشر شبراً، وركب عليها أربعة أبواب وحفر حولها خندق عظيم في الوسع والعمق، فكان حامياً لجدة، إذ يدور ماء البحر حول البلد ويرجع ما فضل منه إلى البحر فيصير البلد شبه جزيرة في وسط لجج البحر. فلما حصن الفرس البلد غاية التحصين، خافوا من ضيعة الماء فبنوا بداخلها ثمانية وستين وخمسمائة صهريج في باطن البلد ومثلها في ظاهره».

ومن الملاحظ على بناء جدة حسب ما رسمه ابن المجاور في خريطته وأشار إليه هنا، أن هذه البلدة كانت مستديرة الشكل، وهذا يتفق مع حفر الخندق حول سورها.

ومعلوم أن حفر الخنادق للأغراض الحربية كان يمارسه الفرس في التاريخ القديم، بدليل ما روي في **غزوة الخندق**، من أن **سلمان الفارسي** أشار على **النبي** ﷺ بحفر الخندق، وأن بعض قريش أقبلوا على المدينة تعنق(١١) بهم خيلهم حتى وقفوا على الخندق فهالهم، فقالوا: والله إن هذه لمكيدة ما كانت العرب تكيدها.

وفي مكان آخر من كتاب ابن المجاور حدد لنا تاريخ بناء جدة بأنه كان في عهد حفيد يزدجرد. وحفيد يزدجرد هو كسرى أنو شروان الذي كان ملكاً لفارس حوالي منتصف القرن الميلادي السادس كما سبق أن أشرنا إليه.

وهذا البناء على ما نرى من الفرس لجدة، إن صح ما ذكره عنه ابن المجاور، فهو للمرة الثانية لا الأولى بالنسبة لها، وإلا **فمن المعلوم لدينا تاريخيا، أنها كانت معروفة قبل القرن الميلادي السادس، بدليل سكنى قضاعة بها، وهو الابن الثاني لمعد بن عدنان. وبين معد، ورسول الله عليه الصلاة والسلام، تسعة عشر أبا. فإذا جعلنا معدل عمر كل واحد منهم أربعين عاما، فإن ذلك يعني أن جدة كانت معروفة ومأهولة منذ القرن الثاني قبل الميلاد أو نحو ذلك.**

● ثانيا: فإذا أضفنا إلى ذلك ما رواه **هشام بن محمد بن السائب الكلبي** من «أن رئياً جنياً قال **لعمرو بن لحي وهو أبو خزاعة**، القبيلة التي أجلتها قريش عن مكة: «ايت ضيف جدة.. تجد فيها أصناماً معدة، فأوردها **تهامة** ولا تهاب، ثم ادع العرب إلى عبادتها تجاب».. فأتى شط جدة فاستثارها ثم حملها حتى ورد تهامة وحضر الحج فدعا العرب إلى عبادتها قاطبة فأقبلوا على عبادتها». إذا أضفنا ما ذكر فإن بوسعنا أن نستخلص من هذا النص الأسطوري حقيقة مهمة لموضوعنا، ذلك أنه **يدل على أن جدة أعرق في القدم مما كان يتصور، وأن أهل الجاهلية كانوا يعرفونها باسمها ومسماها**. واتيان عمرو بن لحي إليها واستثارته لأرضها، لاخراج ما دفن بها من الأصنام بسبب عوامل قدم الزمان، وتقلب الأحوال، فيه دليل واضح على مدى قدم جدة، وعلى أنها كانت مدينة تتمتع بعمران زاخر وسكان وافرين مترفين نحتوا الأصنام وعبدوها من دون الله تعالى، لما طال بهم الأمد وقست قلوبهم.. على أن في هذا النص الأسطوري دلالة على أن جدة كانت مأهولة بأناس أقدم من الفرس وأنهم كثيرون بدليل كثرة الأصنام.

و «الاستثارة» في اللغة العربية من معانيها «التنقيب عنها في داخل الأرض واستخراجه».

ووجود الأصنام في جدة بعد الحفر عنها، يشبه وجودها على أثر الحفائر التي تجري أو أجريت في العصر الحديث بأرض مصر والعراق والبحرين والكويت وسورية وغيرها من بلاد العرب. (والصنم) في اللغة العربية هو كالوثن، ما كان تمثالا مصنوعاً من خشب أو ذهب أو فضة على صورة إنسان.

والصنم والتمثال فن ونقش صناعي دقيق، ويدل وجوده في بلد بهذه الكثرة على وجود فنيين من النقاشين والرسامين به، وتشاهد هذه التماثيل المحكمة الصنع والضخمة والصغيرة والمتوسطة، فيما يستخرج من أعماق الأرض اليوم من آثار مدنيات عريقة اندثرت في بلاد العرب وغيرها.

وقد يبدو أن جدة بعد ذلك الازدهار العمراني والثقافي والاجتماعي والاقتصادي، أصابها ما أصاب سواها من الاندثار، بعوامل قد يكون من بينها الجفاف العام الذي سيطر على بلاد العرب في سالف الحقب.. من جراء التبدلات التي طرأت على قشرة الأرض بسبب عوامل تبدل المناخ وتقلص المياه واندفاق البحار إلى جهة، وانحسارها عن جهة أخرى، وما إلى ذلك. وقد بقيت آثار حضارتها الزائلة الممثلة في أصنامها وغيرها. والأصنام فقط هي التي عنى عمرو باستخراجها، والعرب بابقائها.. أقول: بقيت آثار حضارتها محفوظة في طيات أرضها للباحثين. وقد يكون من أسباب اندثار حضارتها وباء مجتاح



★ أحد تجار جدة في عيون فنان، عام ١٨٤٤م ★



★ صورة نادرة لمدينة جدة عام ١٩٤٠م .. والسور يحيط بها ★

وفد إليها من خارج أو من داخل ، كحمى البرداء « الملاريا »[١٢] مثلاً ، فمات من مات منهم به وهرب آخرون منهم إلى جهات أخرى ، وهكذا أصبحت جدة خراباً ، ثم انطمرت تحت عوامل الجو من أعاصير ورياح وأمطار .

وقد يكون سبب اندثارها ناتجاً من اجتياح غزاة طامعين في ثرائها أو ناقمين عليها بسبب هذا الثراء ، وقد يكون بإحدى الآفات السماوية التي يسلطها الله عز وجل على من طغى وبغى من عباده من الأمم السالفة والخالفة . وبذلك أصبحت جدة القديمة ذات المدنية الزاهرة ، أثراً بعد عين ، ولكن صيتها بقي عالقاً في الأذهان إلى عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه .

وبالمناسبة فإننا نستنتج من صنيع عمرو بن لحي الأزدي أبي خزاعة في احتفار أرض جدة ، لإخراج ما تحتوي عليه طبقات أرضها من الأصنام ، أن البحث عن الآثار المدفونة في أعماق التراب كان معروفا منذ القدم ، وليس بالمبتكر في العصر الحديث ، وكان العرب يعرفونه ويمارسونه في أيام جاهليتهم الغابرة بدليل صنيع عمرو بن لحي .

ولو الفت **لجنة أثرية**[ب] **لهذا المشروع** : « مشروع البحث عن الآثار عامة وآثار جدة خاصة » ، ونقبت في أرض مدينة جدة وخاصة في « **التل المرتفع** » **الذي تقوم عليه المدينة القديمة الحالية ، لربما يعثر على آثار مدنية عربية مجهولة تحتضنها أعماق الأرض ، وقد يفتح لنا ذلك الكثير من مغاليق تاريخ هذه البلاد أو على الأقل تاريخ هذا البلد بعينه .**

● ثالثاً : إن **ياقوت الحموي** حدثنا أن : « جدة أحد أحفاد قضاعة ولد في جدة فسمي باسمها » . فهذا مما يدعم ما ذهبنا إليه من قدم بناء جدة فإنها كانت معروفة في الجاهلية ومشهورة حتى إن أحد عربها سمي باسمها حين ولد فيها .

● رابعاً : إن **ابن جبير** ذكر في رحلته أن بهذه القرية ـ أي جدة ـ وسماها قرية لضآلة شأنها في عهده ـ آثاراً قديمة تدل على أنها كانت مدينة قديمة ، ثم أردف ذلك بقوله : « وبخارج هذه البلدة مصانع قديمة تدل على قدم اختطاطها » . وذكر أنها كانت من مدن الفرس .

● خامساً : **وفي كتاب الأصنام** : أنه كان **لمالك وملكان ابني كنانة** بساحل جدة ، وتلك الناحية ، صنم يقال له « سعد » ، وكان صخرة طويلة ، فأقبل رجل منهم بإبل له ليقفها عليه للتبرك بذلك فيها ، فلما أدناها منه نفرت الإبل منه « وكان يهراق عليه الدماء » فذهبت في كل وجه وتفرقت عليه وأسف ، فتناول حجراً فرماه به وقال :

أتينا إلى سعد ليجمع شملنا
فشتتنا سعد فلا نحن من سعد
وهل سعد صخرة في تنوفة
من الأرض لا يدعى لغي ولا رشد ؟!

وقد ذهبت بنفسي إلى تلك المنطقة لتحقيق ما ذكر ، فبدا لي أن جزيرة سعد أو أبي سعد ، مجاورة للشاطىء وأمامها من بعد غير بعيد سهل أفيح إلى ناحية الشرق .. وهذا السهل الأفيح هو (تنوفة) جرداء كما وصف الشاعر به موقع الصنم (سعد) ، فلربما أن الصنم المذكور كان في مكان ما بهذه التنوفة .. أي الصحراء ، في موقع مسامت لجزيرة سعد أو أبي سعد . ولعدم وجود شيء بجانب الصنم الوحيد الفريد ، ولقرب الجزيرة نسبياً منه سميت باسمه بسبب المجاورة .. وهذا رأي له وجاهته .

● سادساً : **ومما يدل على قدمها أن الاسكندر المقدوني جاء مكة في حياة**



★ البحر . . ، حيث يقضي سكان جدة أوقات العطلة ★

النضر بن كنانة ، ثم قطع البحر من جدة يؤم بلاد المغرب ، على ما ذكره أحمد بن داود الدينوري . والاسكندر عاش في القرن الرابع قبل الميلاد (٣٥٦ـ ٣٢٣) .

وليس لنا ، كباحثين تقدميين ، أن نقابل ما رواه الدينوري بالرفض لمجرد كونها رواية عربية قديمة . ففي مثل هذا الموقف يقول **عباس محمود العقاد** : «ولعل الكشوف الكثيرة التي تعاقبت خلال القرن التاسع عشر وتبين منها أن روايات الأقدمين لم تكن كلها من قبيل الاساطير ، قد أقنعت أكثر الباحثين بأن الرفض بغير برهان أضر بالبحث من القبول بغير برهان ، لأن الذي يجزم برفض خبر قديم إنما يحكم بالاستحالة على الممكنات الكثيرة التي تجوز ولا تمتنع في العقول ، وخير منه عقلاً من يقبل شيئاً ممكناً ، وإن لم يقم البرهان على وقوعه فعلاً كما وقع غيره من الممكنات» .

والدينوري هذا مؤرخ وصاحب معاجم وفلكي وعالم نباتي على الأخص ، ومن كان كذلك لا يحسن الظن به أنه يلقي الكلام على عواهنه بدون أساس أو مستند وإن لم يذكره لنا في تاريخه الكبير : **(الأخبار الطوال)** .

● **سابعا** : ويرى بعض الباحثين أن جدة بنيت عند تبلبل الألسنة وتفرق الأمم ، وصاحب هذا الرأي هو ياقوت الحموي ، وأنه وإن كان بعض متأخري الباحثين يؤول قول ياقوت هذا بأنه إنما قصد بالأمم ، قبائل العرب ، وبتبلبل الألسن اختلاف لهجاتهم ، فإننا لا نشايع هذا الباحث في هذا التأويل الذي يبدو عليه التكلف وعدم الانسجام مع قول ياقوت الواضح وضوح الشمس في رابعة النهار .

● **ثامنا** : إن **المكتب الهندسي الاستشاري** ضمن تقريره المكتوب سنة ١٣٨٠هـ ، رايه بعد الفحص والتأمل ، والبحث العلمي والفني . . يقول هذا التقرير : «جدة القديمة تكون بحد ذاتها مرتفعاً أو تلة ، ويعتقد أن ذلك ناجم عن قدمها حيث إنه من الظواهر المألوفة أن يرتفع منسوب الأماكن المأهولة مع الزمن بالنسبة إلى قدمها وذلك بسبب جلب المواد إليها وخاصة مواد البناء ، ولعل سكان جدة الأقدمين قد استفادوا من تقبب بلدتهم لحمايتها من السيول التي تأتي بغزارة في كثير من الأحيان .

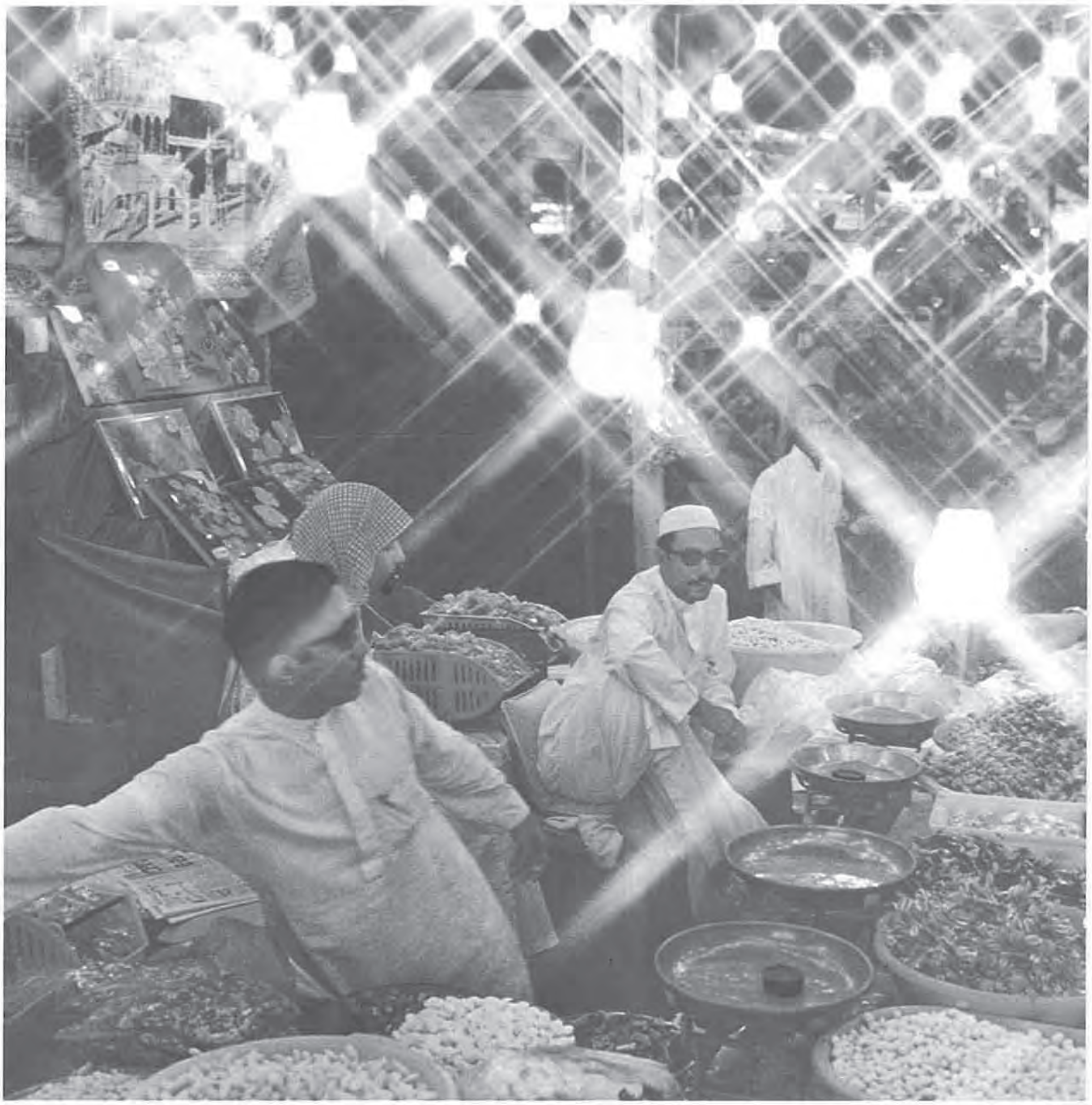
هذا وقد ورد في **نقش ثمودي** عثر عليه في «**وادي بويب**» على بعد ١٥ كيلومتراً شمال شرقي جدة ، تضرع يطلب فيه «ناقشه الثمودي» من الاله أن يمنحه الكمال والود والسلام ، ويذكر هذا الناقش الثمودي الذي يبدو أن اسمه هو : «**ساكت بن يشمن**» ، أن صاحباً له اسمه (**جمات**) (جمعة) أصيب بالحمى .

وهذا الأمر نستطيع أن نستنتج منه. اموراً :

★ **أولها : أن الثموديين نزلوا جدة قبل قضاعة .**

★ **وثانيها : أن سكناهم بمنطقتها التي منها وادي بويب ، قد تكون سكنى استقرار واقامة دائمة .**

★ **وثالثها : أن الحمى المعروفة بها منطقة جدة ، قد كانت تنتابهم ، ومنهم جمات (جمعة) ، الذي ذكر الثمودي كاتب النقش أنه أصيب بها .**



★ حلوى
العيد ★

جدة .. في التاريخ

وأقدم من رأيناه يعطينا وصفاً مركزاً لمدينة جدة هو «**أحمد بن سهل أبو زيد البلخي**» المتوفي سنة ٣٢٢هـ، في كتابه: «**ذكر المسافات والأقاليم**».

قال: «وهي -أي جدة- كثيرة التجارات والأموال، وليس بالحجاز بعد مكة أكثر مالا وتجارة منها وقوام تجارتها الفرس».

وجاء بعده **أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر البناء الدمشقي** المعروف بالبشاري، فوصفها بأنها: «حصينة عامرة آهلة، أهلها أهل تجارات ويسار، خزانة مكة ومطرح اليمن ومصر، وأهلها في تعب من الماء، قد غلب عليها الفرس ولهم بها قصور عجيبة وأزقتها مستقيمة ووضعها حسن، شديدة الحر جداً».

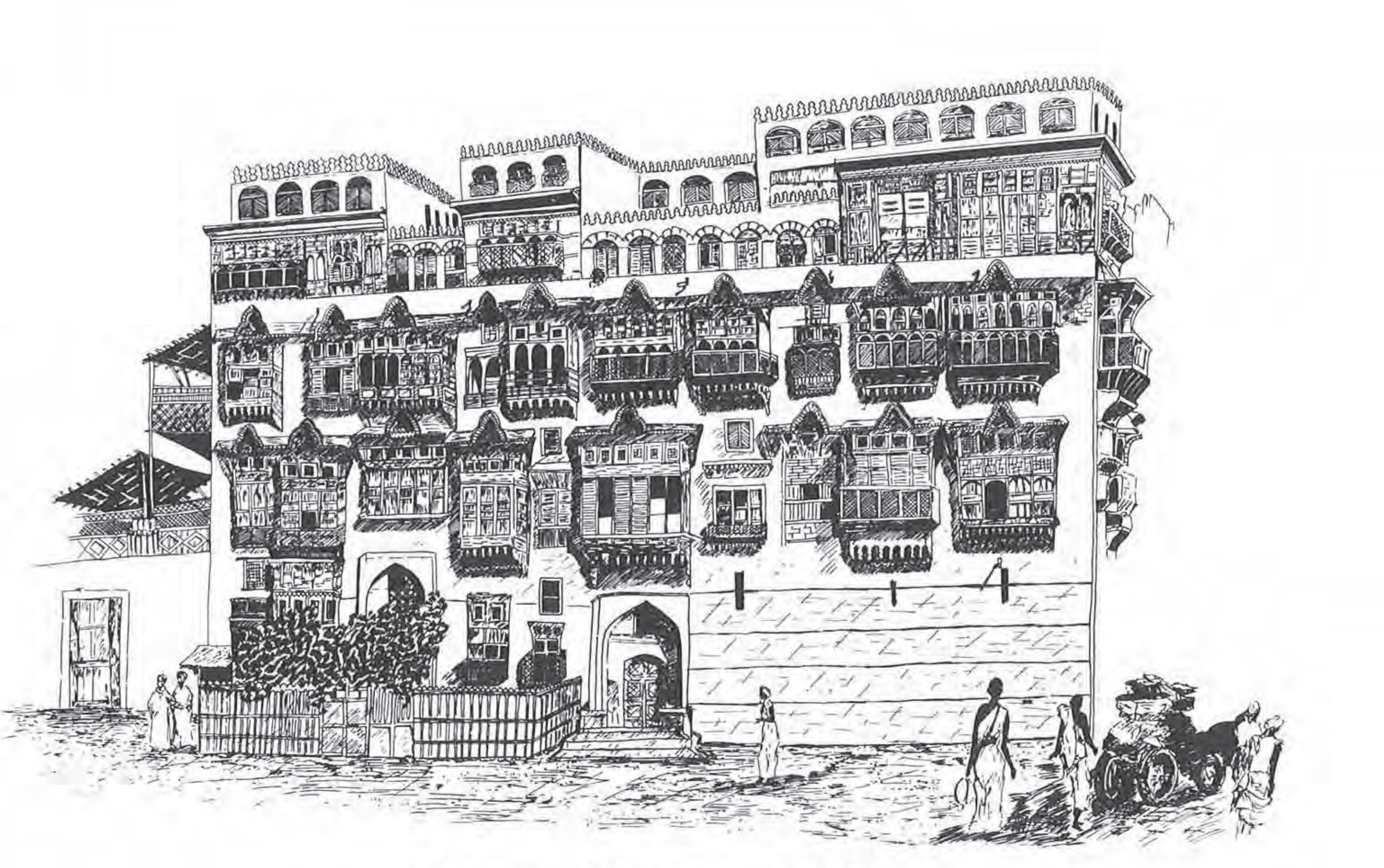
وفي نفس الوقت كان قدوم **الاصطخري** إلى جدة فوصفها وصفاً لا يخرج عن نطاق وصف البشاري، وأشار إلى أن «قوام تجارتها الفرس» أيضاً.

ونعلق على اتفاق الفرسان الثلاثة: البلخي والبشاري والاصطخري، على أن قوام تجارات جدة، الفرس، بأنه يبدو منه واضحاً أن استيطانهم بها قديم، وقد أستمر ذلك حتى عصرنا الحاضر، فلا بد أن أمراً ما، يشدهم إلى الاقامة والاتجار بها.

ووافى جدة من بعد البشاري، **ناصر خسرو علي** (الفارسي)، حاجاً من بلاده عن طريق البحر الأحمر، فوصفها لنا وصفاً لا يخرج عن اطار من سبقه.. مما يدلنا على أنها في خلال مائة عام لم يحصل عليها أي تغير يذكر، **فهي** في عهد ناصر خسرو علي مزدهرة التجارة باسقة العمران، كما كانت من قبل.

وفي القرن السادس الهجري حج الرحالة العربي الأندلسي: **محمد بن أحمد بن جبير**، فأتانا صورة أدبية حساسة لمشاهداته وانطباعاته عن جدة. وكان هذا الوصف مخالفاً لما وصفها به المؤرخون والرحالون السابقون، إنه وصف مسدل عليه جلباب قاتم سميك من التأخر العمراني والاجتماعي.

وبعد ابن جبير بنحو قرن من الزمان، وصف جدة مؤرخ عربي آخر مشهور، هو جمال الدين ابو الفتح يوسف بن يعقوب بن محمد، المعروف **بابن المجاور الدمشقي**. وقد قدم لنا وصف جدة وقال: «إنها مدينة صغيرة على ساحل البحر»، ووصفها بشدة ازدحام الحجاج بها، وعرج على ندرة الماء بها وقال: إنه يجلب إليها من أماكن بعيدة. وأضاف إلى ذلك أن أهلها من نسل العجم. وهو يقصد بالعجم، الايرانيين، ووصف أبنيتها بأنها من الحجر الكاشور، والحجر «**الكاشور**» هو نفس الحجر الرملي المعروف «بالمنقبي» بجدة، ومن الخوص.. وأفادنا بأن جدة كان بها «**خانات**» أي **فنادق**، تؤجر فيها الغرف للمسافرين والحجاج، وأن بها خانين كبيرين متقابلين بمخازن كبار، وفندقاً عظيماً بناه **الأمير شمس الدين طنبغا خان** سنة ٦٢٣هـ».



★ بيت « البغدادي » .. واحد من منازل جدة القديمة بريشة الفنان « بيس » ★

ونلاحظ فيما أنبأنا به ابن المجاور أن شيئاً من الازدهار النسبي قد عاد في وقته إلى جدة ، بالنسبة للنكسة الكبرى التي منيت بها يوم قدمها سلفه : « ابن جبير » قبل نحو مائة عام .. وآية ذلك أن ابن المجاور وجد في جدة منازل حجرية وفنادق كبيرة وكثيراً من أكواخ الخوص التي أقامها ذووها لمحض الاستغلال .

وبعد قرن من تصوير ابن المجاور لجدة وفد إليها من المغرب الرحالة العربي الذي طبقت شهرته العالم ، وهو « **ابن بطوطة** » .. وكانت الصورة التي قدمها لنا في (**مرآة التاريخ**) صورة قاتمة يخيم عليها البؤس والانكماش تماماً ، مثل الصورة التي رسمها ابن جبير .. ان عدد السكان قد نقص بصورة هالة ، حتى إن عدد رجالها كثيراً ما لا يكمل النصاب المفروض لصلاة الجمعة ، وهو أربعون رجلاً .

انخيل جدة في ضوء هذا الوصف المعبر ، أنها كانت أقل شأناً من قرى بعض المحطات بين جدة والمدينة اليوم . وهذا التقلص الكبير ناشىء لا محالة من عوامل خارجية وداخلية .. فإن القرن الثامن كما نعلم ، كان مليئاً بالهزات والتقلصات والاضطرابات العنيفة .. ولا غرو (والحالة هذه) أن يهبط مستوى التجارة البحرية في البحرين : الأبيض والأحمر اللذين تعتمد عليهما تجارة جدة وازدهارها .. وأن يركد .

هذه العوامل مجتمعة - كما أرى - أنتجت تقلص عمران جدة وتجارتها ومجتمعها على ما رسمه لنا ابن بطوطة .

فلما دخل **القرن الهجري التاسع** ، رأينا العالم الإسلامي يتعرض لحملة استعمارية غربية مسعورة ، وكان رأس الجسر أو رأس الحربة ، في هذا اللون الذي ذر قرنه من الاستعمار الغربي للعالم الإسلامي ، يتمثل في **غزوات البرتغاليين** الذين كانت قوتهم البحرية في نمو ، فأطمعهم نموها في استعمار ديار الشرق الوفيرة الثراء والرخاء والخيرات ، إلى ما يفتت كيانها من تفكك وتنازع .

وكانت جدة - بطبيعة كونها أحد مراكز العالم الإسلامي التجارية المرموقة - هدفاً بطبيعة الحال لطموح البرتغال . وقد أدرك **السلطان قانصوه الغوري** نيتهم المبيتة ، وكان يحكم الحجاز ، فبادر إلى اقامة سور محصن على جدة ، وزوده بالقلاع والأبراج وبالمدافع المضادة للسفن الحربية المغيرة ، وملأه بالرجال المدافعين .. واستعدت جدة واستعدت معها مكة للدفاع عن « ثغر الحجاز الأول » الذي إن سقط - لا قدر الله - كان الخطر المحقق محدقاً بالحرمين الشريفين . **وقد اتخذ السلطان قانصوه الغوري من جدة قاعدة بحرية لقتال البرتغال ذوي المطامع الاستعمارية في ديار الشرق والاسلام . وقد أكمل السلطان بناء السور ، في سنة ٩١٥هـ ١٥٠٩م ، ولكن الغزو المنتظر لم يحدث يومئذ ، بل تأخر نحو ثلث قرن من الزمان . ففي سنة ٩٤٨هـ ١٥٤١م ، دفع البرتغال بحملتهم الحربية البحرية من الهند صوب جدة** . وكانت ، وكان الحجاز يومها ، يحكمها السلطان العثماني : سليمان بن سليم الأول . وقد أدى السور مهمته في الدفاع عن جدة ، وحمتها قلعته البحرية(١٣) من الغزو الاستعماري الغربي البرتغالي .

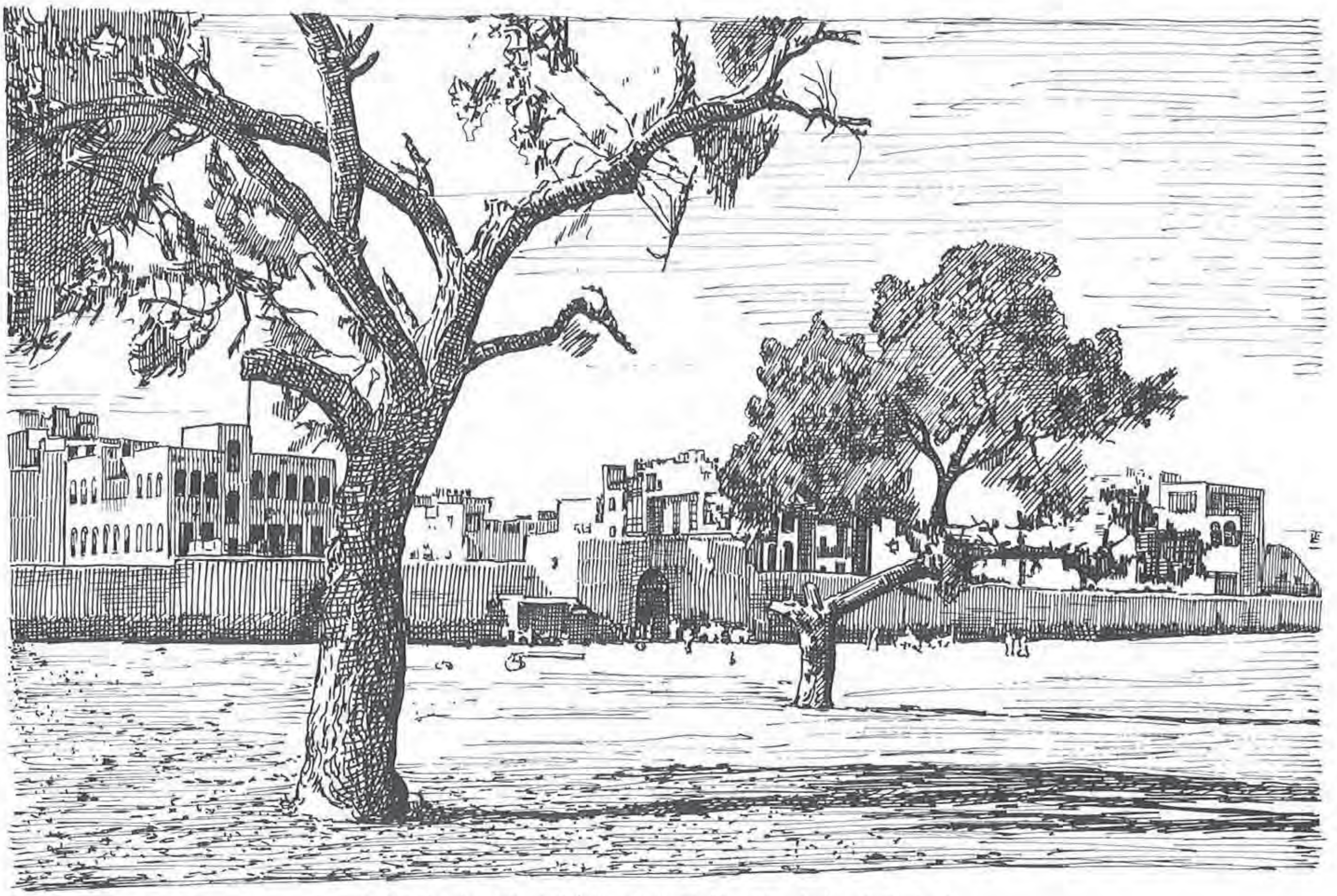
ونعتقد أن صد البرتغال المستعمرين عن جدة قوى مركزها التجاري العالمي برغم سيطرة الأسطول البرتغالي على أكثر نواحي المحيط الهندي إذ ذاك .

وفي القرن العاشر - كما ألمحنا إليه فيما مر - كان انتقال السلطة في الحجاز بما فيه جدة من يد المماليك بمصر إلى أيدي السلاطين من بني عثمان بالقسطنطينية . ولا بد أن ذلك « التغير السياسي » صاحبه تطور وتغير في الوضع الاقتصادي ، فقد ارتبطت جدة بعجلة الأستانة بدلاً من مصر .

وفي أواخر القرن الهجري الثالث عشر وبالتحديد سنة ١٢٧٤هـ ، تعرضت لغزوة بحرية انتقامية من جانب الانكليز بسبب أن بعض سكانها رأوا في اشاعة دعس قنصل الإنكليز للعلم العثماني بإحدى البواخر الراسية بالميناء ، اهانة لرمز الإسلام ، فقتلوه وقتلوا معه القنصل الفرنسي وبعض الافرنج ونهبوا دورهم ، فما كان من دولة بريطانيا إلا أن أرسلت إلى جدة بعض قطع أسطولها تهديداً ووعيداً ، وقد ضربت جدة بالقنابل ، ولم تقم القلعة البحرية إزاءها بشيء من الدفاع يذكر ، نظراً لقدم مدافعها وتطور أساليب القتال .

وقد تمت تسوية هذه المسألة الخطيرة من قبل الدولة العثمانية ، بقتل عدة أشخاص من أهل جدة قيل عنهم إن لهم ضلعاً في الحادث ، ونفي بعضهم إلى خارج جدة . وبذلك اقتنعت انكلترا وكفكفت من جام غضبها .

ومرة ثالثة في سنة ١٣١١هـ ، ساق الإنكليز مراكبهم إلى مياه هذا الثغر عندما قتل الاعراب وكيل قنصلهم وجرحوا وكيل القنصل الفرنسي والروسي ، وقد حضر الشريف عون الرفيق من مكة



★ «باب المدينة» .. أو باب جديد، منفذ يؤدي إلى طريق المدينة المنورة، داخل البوابة حارة الشام ★

لتسوية هذا الأمر الذي انتهى بالصلح وسفر المراكب من غير أن تضرب . وفي سنة ١٣٣١ هـ، عندما حاربت إيطاليا الدولة العثمانية في طرابلس الغرب، ذهب أهل جدة إلى مكة وكان معهم محمد صالح بن علي باعشن، على ما حدثنا به .

وفي إبان الحرب العالمية الأولى، وفي سنة ١٣٣٤ هـ بالتحديد، تعرضت جدة لضرب الإنكليز بحراً، وقد دخلت قنابل البوارج البلدة، كما ألقت البوارج الإنكليزية قنابلها على الثكنة العسكرية وبعض مراكز الجيش التركي . فلما طال الحصار على جدة براً وبحراً، استقدم الإنكليز طائرات لضربها ولالقاء المنشورات عليها، فاستسلمت للشريف حسين بن علي يوم ١٥ شعبان من نفس العام . وهكذا خرجت من يومها من حوزة حكم الاتراك لها الذي دام قرابة أربعة قرون .

وكانت جدة من الناحية الاقتصادية قبل فتح قناة السويس من أهم مراكز العالم التموينية والحربية، ففيها مستودعات مملوءة بالأسلحة والعتاد وفيها جيش قوي، وكانت محصنة تحصينا تاما بحريا وبريا .

وبعد نشوب الحرب بين الملك حسين بن علي **وسلطان نجد وملحقاتها عبد العزيز بن سعود**، خرج الأول من مكة إلى جدة في يوم الخميس الموافق ١٠ ربيع الأول ١٣٤٣ هـ، ومنها إلى العقبة يوم ١٤ من الشهر ذاته .

وبعد استتباب الأمر للسلطان عبد العزيز آل سعود في الحجاز، عقدت في جدة معاهدة بينه وبين الانكليز في أيار (مايو) سنة ١٩٢٧ م، وفيها اعترفت بريطانيا بابن سعود ملك الحجاز ونجد وملحقاتها، سيدا وحاكما مستقلا .

الزي .. في جدة

كان الزي في جدة كما كان في المدينة ومكة تماماً . ويعود ذلك إلى وحدة البيئة والتقاليد العامة في هذا القطر، خاصة في أهل مدنه الثلاث الكبيرة المذكورة الذين تربطهم ببعضهم روابط عديدة، منها النسب والصهر والمصالح المشتركة، والحياة الواحدة، علاوة على الدين الواحد، واللغة الواحدة، والأقليم الواحد، بعد أن ينصهر أفراده فيه .

وكان الناس في جدة يرتدون اللباس الأحمر والأصفر والأخضر الخ .. ولا يرون في ذلك غضاضة أو مخالفة للذوق، حتى بالنسبة للكبار مثل ما نراه اليوم، ولكل عصر تقاليده في زيه .. وميوله في هذا الأمر، لا ينبغي أن نربطها بعجلة عصر آخر ايجاباً أو سلباً .

ومع إيثار أغلب الطبقات في جدة للون الأبيض، فإن هناك بقايا من الذين يختارون اللون الأحمر، وهم من الطبقة العادية، تراهم اليوم مرتدين الثياب الحمر، محتزمين عليها بشيلان حمر، وفوق رؤوسهم غتر حمر أو صفر، وهؤلاء في الأغلب إما عمال أو من أهل الحارات : «حاريين» .

واللباس الرسمي لأهل جدة فيما مضى، هو «**الجبة**» ذات الأكمام الواسعة والضيقة، وكانت تفصل من ألوان من الصوف، منه الأخضر والأصفر والأحمر، وبعضها يطرز بالفضة .

وخير جبب الصوف لديهم ما كان من نوع «**الأنقوري**» . وكان هذا النوع من الصوف يأتي من «**أنقرة**» فسمي الأنقروي ثم حرف إلى الأنقوري . وكان ذا ألوان مختلفة .

كما كانوا يستعملون جبب «**الجوخ**» بألوانه، وهو نوع من الصوف كثيف، وفيه ما هو أغلى ثمناً من الصوف الأنقروي وفيه ما هو أرخص منه .

وكانوا يلبسون جبب «**الدبيت**»، وهو من صنع الهند، وهو أخف من الجوخ . وكلمة «دبيت» كما يبدو، هندية أو فارسية .

وكان بعضهم يضع على رأسه «**الصمائد**» - الشاريان المقصبة، وكان هذا النوع يرد من العراق، ويوضع فوقها عقل جمع «**عقال**» مذهبة .

وتحت الجبة كانت تستعمل **الشاية**، وهي أشبه شيء بما يسمى في نجد «**بالدقلة**» في الشكل، وفتحة مقدمها، إلا أنهم كانوا يتحزمون عليها، بحزام رقيق من الصوف المزخرف الجميل، أو من حرير الأبريسم الزاهي الألوان .

ويضعون على رؤوسهم **العمامة المقصصة** بدون أن يكون فيها خيزران، وكانت تحشى بالقطن، ثم استعملوها بالخيزران وتركوا المحشوة بالقطن . والعمامة المقصصة عبارة عن «**طربوش**» بالألوان الزاهية، وأبرزها اللونان الأحمر والأبيض، في مربعات منظمة تلف عليه كمية من **الشاش** الخفيف النظيف لفاً منظماً محكماً، بترتيب خاص ويلبسون تحتها «**الطاقية**» .

وتحت الشاية كانوا يلبسون الثياب الملونة الطويلة ذات الأزرار الصدفية أو التركيبة أو غيرها، ولها «**ياقة**» عالية قد يضعون فيها «**النشاء**» لتقوى على البقاء في لونها وشكلها ونظافتها أطول مدة ممكنة .



★ ميدان البيعة ★

ومن تحت هذا الثوب يلبسون **الصدرية وسراويل طويلة**، تشتغل ربات البيوت بتطريزها في أطرافها.

وكان الشباب يضع على رأسه، بدلا من العمائم المقصصة ذات الشاش الأبيض الخالص، عمائم مقصصة عليها شاش مقصب مطرز بالذهب أو الفضة، وكان هذا النوع من لباس الرأس يدعى بـ «شافري» وهو لباس أصله من الهند.

وكان من الشباب من يرتدي الثياب، ويضع على رأسه «طاقية» جاوية منشاة مكوية، كأنها «قالب سكر» تقريباً، ثم يضع على عاتقه شاله المفضل.

وكانوا يعنون بتطريز الثياب في أكمامها وصدورها، ويستوي ذلك الشباب والرجال الكبار.

وكان لباسهم المفضل في أيام الصيف، ما كان مخيطاً من قماش **«الدرابزون»**. وهذا القماش منسوب إلى «طرابزون» من أعمال تركيا. وهو قماش أبيض شفاف خفيف يصلح لاستقبال الحرور ذي الرطوبة والندى.

وكان الكبار في جدة يضعون في جيوب «صدرياتهم» ساعات أفضلها في أنظارهم ساعة **«الراسكوب»** المضبوطة. وكان لديهم أيضاً ساعات **«ليبيا»**، ويربطون هذه الساعات بخيط من الحرير الملون: **«قطان»** وكانوا يسمونه **«الكردون»**. ثم آل أمر هذا الكردون إلى أن صار يتخذ سلسلة فضية أو ذهبية.

ومن ثياب العامة ما كان مصبوغاً باللون الأزرق العميق: «الغامق» والفاتح. ويسمون هذا **«لبنيا»** - بفتح اللام بعدها باء مفتوحة فنون مكسورة فياء نسبة - وكان من ثيابهم ما يخاط من قماش **«الملة»** الذي يدعى **بالخاكي**. والملة هنا بمعنى الرماد.

ومن ثيابهم أيضاً قماش **«القرمسود»** - بفتح القاف المعقودة فراء مفتوحة فميم ساكنة فسين مهملة مضمومة، بعدها واو ساكنة فدال مهملة - وهو ألوان وأشكال.

وكان لكل واحد من السوقة والحاريين، سلسلة بجانب الساعة المشدودة إلى عنقه بالخيط المعروف بالقطان «بكسر القاف»، وقد ربط في هذه السلسلة **«خلال»** - بكسر الخاء - للأذن، و «منكاش» للشوك، و «خلال» للأسنان من الفضة.

والحاريون «وهم **أهل الحارة**»، كانوا يضعون أيضاً على رؤوسهم **عمائم** من الغتر بنظام خاص، وهي من قماش **«الشون»** باللهجة المصرية.

أما النساء فكانت العروس تلبس في ليلة زفافها «طرحة» على صدرها تسمى **«تخشيشة»** وهي مطرزة كما سبق، بأنواع من الجوهر والذهب والفضة.

وزي النساء إذا خرجن من بيوتهن.. كان **«الملاءة»** الحريرية الزرقاء المخططة باللون الأبيض، ويضعن على وجوههن **«براقع»** بيضاً سميكة منشاة طويلة عريضة، يظهر طرفاها من طرفي الرأس تحت الملاءة، فتكون من هنا أشبه بقرنين، وتسمى هذه الملاءة في هذه الحالة **«مقرنة»** - بضم الميم وفتح القاف بعدها راء مشددة مفتوحة فنون مفتوحة فتاء مربوطة.

ويضعن في أعضادهن - جمع عضد - ما يسمى بالمعضد، وهو عبارة عن سوار من فضة يوضع

في العضد فوق المرفق .

ويتحزمن بأحزمة من الفضة والذهب في أوساطهن ، زيادة في اظهار رشاقتهن ، ويلبسن صدرية إلى المرافق ، وثياباً مفتوحة الجوانب . . ويتكحلن بكحل الدلال ، والحجر ، والأثمد .

وسائل التسلية في الماضي

في جدة من وسائل التسلية القديمة :

● « **الكرة** » وكانت تزجى بالعصا : فريق هنا وفريق هناك يقابله ويسمى ما يسمى الآن « القول » بالقائل ولها ستة أشواط . وكانت من شعر . .

● و « **الشير والشيرين** » : أن يمسك واحد طرفي العمامة ويثب اللاعب عليها .

● و « **الاستغماية** » وهي عبارة عن ستة أشخاص يذكرون أغنية ، ويكون بعضهم مغمض العين ، ويدق بعضهم الحجر . . وهكذا . . ويسأل بعضهم : من دق الحجر ؟ فإذا قال : هو فلان ، وصح ـ اعتبر فائزاً .

● و « **الزقيطة** » ـ بضم الزاي وتشديدها ـ وهي أن يجلس شخصان أو أربعة ، وعند كل واحد خمسة أزواج من الحجر ، وكل في يده حجر مدور ، ويرفعه إلى فوق ، وينزل على يده فوق الأحجار التي أخذها من الأرض ، فإذا زاد عما عنده بخمسة أزواج ، يرى النقص من أين جاء ، والذي وجد عنده نقص من الحجارة يضرب على ظهر كفه بالسبابة والوسطى مرتين أو ثلاثاً على قدر النقص .

● و « **المدوان** » كان يربط بخيط ثم يلق في الأرض ، وهو دائر بأنشوطة ملفوفة عليه .

● و « **الكبوش** » أيضاً بالطرة .

● و « **المداقشة بالبيض** » .

● و « **البربر** » ـ بكسر الباءين ، بعدهما راءان مهملتان ـ وهو عبارة عن حجر مستدير يلق به ـ بوساطة أصبع الرجل الكبرى ـ في مربعات من الأرض ، مع وثب من اللاعب .

● و « **البشيس** » هو عبارة عن لعبة بالخشب ، على شكل الدامة ، ويقال له « **كلاب** » بكسر الكاف .

● و « **الدامة** » . . وهي لعبة لا تزال معروفة . .

● و « **الشطرنج** » وهو لعب الكبار من الناس .

● و « **تنى طبطب** » ـ بفتح التاء بعدها نون مشددة مفتوحة بعدها ألف ـ وهو أن يركع طفل ، ويأتي طفل آخر ويثب من فوقه وهكذا .

● و « **القشاع** » . . ويكون في المزمار بالعصي ، والضرب هنا يكون بالاشارة لا بالحقيقة .

● و « **المزمار** » وهو أن يجتمع أناس على النار والطيران ، ويلعبوا بالعصي . وغيرها من وسائل التسلية .

أحياء . . وشوارع . . وأسواق

تسمى الأحياء في عرف أهل جدة ـ كأهل الحجاز جميعاً ـ بالحارات أو المحلات . . وكلاهما لغوي فصيح .

وهذه أحياء جدة القديمة :

١ ـ **حارة اليمن** . . وتعتبر **حارة البحر** جزءاً منها . وقد سميت بهذا الاسم ، لأنها في جهة اليمن . وبها دار آل نصيف ودار آل الجمجوم .

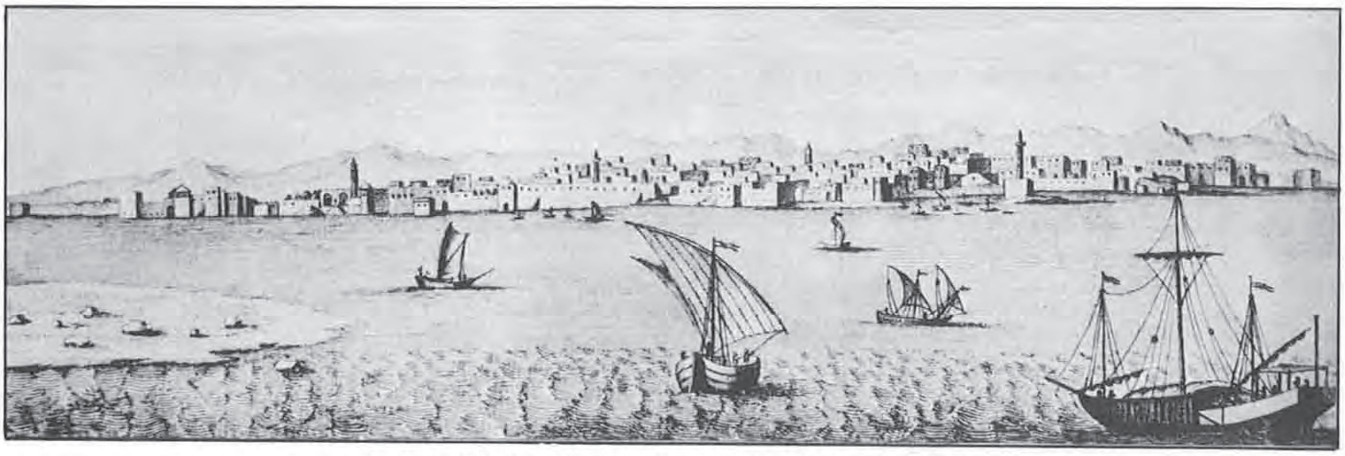
٢ ـ **حارة المظلوم** . . سميت بهذا الاسم نسبة للسيد عبد الكريم البرزنجي المدني الذي قتلته بها الحكومة العثمانية . . وفي هذا الحي يقع منزل محمد صالح باعشن . وهو منزل أثري ، ودار آل قابل الأثرية ومسجد الشافعي وسوق الجامع .

٣ ـ **حارة الشام** . . وهي المحلة التي تقع شمالي البلد القديم بداخل السور الذي هدم ، وبها دار آل السرتي ، ودار آل باناجة .

وهذه المحلات كانت في داخل سور جدة القديم .



★ صناعة السفن ★



★ لوحة تمثل مدينة جدة من الجانب الشمالي ـ الغربي عام ١٧٦٢م، بأسلوب الحفر للفنان «بيون فيد» ★

أما الضواحي القديمة فهي :

١ ـ **النزلة اليمانية**، وهي إلى ناحية اليمن في الجنوب الشرقي .. وسميت بـالنزلة اليمـانية لوقوعها جهة اليمن .

٢ ـ **الرويس** الأعلى مما يلي البر، والأدنى مما يلي البحر، وكلاهما في شمالي جدة .

٣ ـ **نزلة بني مالك** وتقع في الشمال الشرقي من جدة وهي تحاذي المطار إلى الشمال، وفيها الآن نحو ألف نسمة . وبنو مالك سكانها، من العمور من حرب، وفي النزلة شجرتا دوم وسدر، وأغلب بنيانها من اللبن النيىء وهي من دور واحد .

٤ ـ **الكندرة** جنوب غربي جدة .

٥ ـ **الثعالبة** في جنوب جدة الغربي، وبها مكائن كهرباء جدة .

٦ ـ **القريات** في جنوبها الشرقي .

٧ ـ **حارة بيشة** .

وقد اتسعت جدة في الآونة الأخيرة اتساعا ملموسا، فأصبحت محلاتها اثنتين وعشرين محلة، وهي محلة اليمن، ومحلة المظلوم، ومحلة الشام، وهذه المحلات الثلاث من المحلات الكبرى، والمحلة البغدادية، ومحلة الكندرة، والمحلة الشرفية، ومحلة الرويس، ومحلة الصحيفة، والمحلة الهنداوية، والمحلة العمارية، ومحلة السبيل، ومحلة النزلة الشرقية، ومحلة القريات، ومحلة السبخة، ومحلة الثعالبة، ومحلة الكيلو ٧، ومحلة الكيلو ٥، ومحلة البخارية، والنزلة اليمانية، ومحلة نزلة بني مالك، ومحلة براى «بفتح الباء بعدها راء مشددة فألف مقصورة» بمعنى (الخارج)، ومحلة الحروب وجهينة .

وبالمناسبة فقد أورد بعض الرحالين والمؤرخين في الأزمنة القديمة أن أغلب بيوت جدة في بعض الأزمان كان من الأكواخ المعروفة بالأخصاص، والمنشأة بجذوع النخل والسعف وما يشبه ذلك .



★ باب مكة أحد أبواب سور مدينة جدة للفنان رينالدي ★

وقد أشار أولئك المؤرخون إلى أن ذلك إنما يكون خاصة في عهود ضمور جدة وانكماشها الاقتصادي والعمراني .. فيحدثنا «جون لويس بوركهارت» أن في مدخل المدينة كثيراً من العشش يسكنها البدو ، وبعض منازل حجرية ، وباب مكة كذلك ، ويعمل هؤلاء البدو في اقتطاع الحطب من الجبال من مساحات بعيدة وبيعها في جدة وغيرها .. كان ذلك في أوائل القرن الميلادي التاسع عشر .

أما شوارع جدة فمنها ما هو قديم ، وهذا كان في البلد القديم الذي كان يحيط به السور الذي هدم .. ويسمى هذا الجزء الأصيل من البلد بالمنطقة الوسطى .. ومنها ما هو حديث . وأغلب الشوارع الحديثة فتح بعد تقدم العمران بهذا البلد وبعد سنة ١٣٦٧هـ على وجه التحديد . وأغلب هذه الشوارع لا يخلو من انحناء وتعرج ولم تكن مبلطة .

فأما الشوارع القديمة فقد كان طابعها العام أنها كانت ضيقة ومتعرجة ، وهذا هو الواقع المطابق للحقيقة .

وشوارع جدة القديمة هي :

١ ـ الشارع الممتد من **الخاسكية** إلى **سوق الندى** ، وكان هذا الشارع متعرجاً بعض الشيء ، وتسمى أجزاؤه بأسماء خاصة يقع فيها سوق الخاسكية وسوق البنط ـ بضم الباء ، بعدها نون ساكنة فطاء مهملة ـ أي الميناء ، وسوق الندى . ويستمر إلى قبر «أبو سرير» خلف مسجد الباشا .

٢ ـ الشارع الممتد من **سوق الحراج** إلى **سوق النورية** وحتى **سوق العلوي** .. ويمتد هذا الشارع إلى باب مكة .

ولكل قسم منه اسم خاص .. وفي هذا الشارع تعرج ملموس .

٣ ـ **شارع الاسكلة** ـ بكسر الهمزة وسكون السين المهملة بعدها كاف مكسورة فلام مفتوحة فتاء مربوطة ـ **والاسلكة كالبنط، بمعنى الميناء** .. ويبتدىء هذا الشارع من الشمال حتى الجنوب ، ماراً بالمحجر الصحي جنوباً ، أي «الكرنتينا القديمة» الواقعة بجانب إدارة البريد اليوم على شاطىء البحر غرب جنوب جدة .

ويمتد هذا الشارع إلى باب المغاربة . وكان هذا الباب يقع أمام عمارة معرض الجفالي .. ولعل تسميته بهذا الاسم نشأت عن كونه مدخل حجاج المغاربة .

٤ ـ **شارع الصحية** .. والصحية هو الاسم الذي كان يعرف به قديماً **المستشفى العام بباب شريف** . ويمتد هذا الشارع من الجنوب إلى الشمال حتى **مدرسة الفلاح** .

★ بائع سمك .. كما تخيلهنا ريشة الفنان عام ١٧٦٢م ★



٥ ـ شارع يمتد من مدرسة الفلاح غرباً عنها ، إلى بيت السيد عبد الرشيد الهندي الذي يقع بالقرب من فندق قريش ، والذي لا يزال باقياً إلى اليوم .

٦ ـ شارع من الصحية ـ المستشفى العام ، يمر غرباً على المحجر الصحي القديم غرب جدة ، على شاطىء البحر الأحمر .

هذا ما أخذناه عن **الشيخ محمد نصيف** . وقد عد **الشيخ حسن أبو الحمائل** أسواق جدة القديمة ستاً أيضاً ، وقال إنها : **سوق الندى** ، وبها بعض أحوشة للتجار ، **وسوق الجامع** المسمى باسم الجامع الشافعي ، **وسوق البنط**، وهي سوق ظريفة فيها مجمع الصيارفة وبها يباع السمك والتمر وسبح اليسر ، وبجوارها خان صغير يوصل إلى سوق الحراج «المزاد» ، **وسوق باب مكة** وفيها يباع ما يصلح للعربان ، **وسوق الخاسكية** .

ويذكر حسن أبو الحمائل «خانات جدة» فيقول : «إن خاناتها منها **خان الهنود** الشهير **بالقصبة** ، وهو محل تجارة الأقمشة ، **وخان الدلالين** ، **وخان المطارين**» .

عن كتاب «تاريخ مدينة جدة» للمؤلف
طبعة عام ١٣٨٢هـ
بتصرف

هوامش

(أ) المجلة : هذا الكلام نشره إبراهيم رفعت في كتابه «مرآة الحرمين» عام ١٩٢٥م ، أي قبل ٥٣ عاماً .. أما جدة اليوم فهي من مدن العالم الكبيرة بكثافة سكانها .. وازدحام وفخامة مبانيها كما هو واضح من الصور .

(ب) المجلة : لقد أنشئت بعد هذا الكلام الذي عمره ١٦ عاماً تقريباً ، إدارة للآثار قامت بكثير من التنقيب وشرعت في إنشاء متاحف في مدن المملكة .

(١) أبواب جدة كانت هكذا : باب مكة في الجهة الشرقية ، وكان محصناً ، وباب المدينة الذي هو باب جديد شمال جدة ، وباب شريف جنوب جدة ، وباب الصبة ، لأنه كانت تصب فيه الحبوب بجهة الغرب ، وباب صريف (بضم الصاد) وهو الواقع في محل مقهى المنتزه بجانب البحر إلى الشمال الغربي ، وباب المغاربة غرب جدة ، وباب النافعة في شارع الملك عبد العزيز ، ويقع بجانب مكتب الخريجي الذي هو الآن من أملاك العين العزيزية في موقع قريب من الجمرك القديم .. وقد أزيلت كل هذه الأبواب بازالة السور الذي كانت تقع فيه .. وكانت الحكومة السعودية في بدء عهدها فتحت باباً للسيارات بجانب باب جديد .

(٢) عن الشيخ محمد نصيف .

(٣) عن الشيخ محمد نصيف .

(٤) تويتشل : المملكة العربية السعودية ، ترجمة شكيب الأموي أمام الصفحة ٥١ ، الطبعة الثانية .

(٥) كل ما ورد في كتب التاريخ والرحلات العربية القديمة وصفها لجدة بأنها «شديدة الحر جداً» : (أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم) للبشاري الذي كان حج وجاء جدة سنتي ٣٥٦ و٣٦٧هـ ، طبعة ليدن بسنة ١٩٠٩م ص ٧٩ .

(٦) التقرير التمهيدي ، مع معلومات مضافة إليه من المؤلف .

(٧) الحجر الكاشور : هو حجر الكلس الذي لا تزال جدة إلى ما قبل نحو خمسة عشر سنة تبني به ، وهو الحجر الرملي المستخرج من باطن أرضها والمعروف لدى أهلها الآن باسم (الحجر المنقبي) لأنه ينقب عنه .

(٨) كان ممن يقوم بالبناء إذ ذاك البناؤون الحجازيون ، فقد جاء في كتاب (السلاح والعدة في فضل ثغر جدة) ، أن المعلم أبا العيد من تجار جدة هو الذي بنى الجامع العتيق في زمن المؤلف ، أي القرن الحادي عشر الهجري .

(٩) السفر إلى بلاد العرب باللغة الإنكليزية ، طبع لندن .

(١٠) يعرف الآن باسم «الكراع» فقط بدون ذكر «الغميم» على عادة العامة من الاختصار والاختزال .

(١١) أي تسرع .

(١٢) سيأتي أن رجلاً من ثمود أصيب بحمى في ضاحية من ضواحي جدة الشرقية الشمالية ، فسجل ذلك صاحب له في نقش على حجر بالخط الثمودي .

(١٣) تقع هذه القلعة قريباً من فندق البحر الأحمر ، وكانت قائمة على شاطىء البحر ، وكانت ذات أبراج ومدافع لصد المغيرين القادمين بحراً وقد هدمت ولم يبق لها أثر ، وجعلت في أواخر عهدها سجناً سمي «سجن القلعة» نسبة إليها . وكان من التعابير المألوفة في جدة أن يقال : «فلان سجن في حبس القلعة» ، وكان في السور أبراج عليها مدافع من جهة الغرب إلى باب مكة . حتى هذا الباب الذي يقع بشمال جدة الشرقي كانت فيه أبراج للدفاع البري وكذلك الشأن في باب المدينة (باب جديد) ، وكان حول هذا السور خندق يعرفه المعمرون ولكنه كان خالياً من ماء البحر ، وقد اهملت الابراج اخيراً ثم هدمت مع السور .



رسالة إلى سوق عكاظ

شعر: سعد البواردي

عكاظ .. فيكِ تناغى الجرْسُ والنَغَمُ
اليوم يومَكَ .. سجِّلْ أيُها القلمُ
عكاظُ .. الضّادُ لم تعقمْ ومَا هَرِمَتْ
عكاظُ .. الضادُ خصبٌ .. بل هي الهَرَمُ
اطلالةُ الفكرِ من واديك خالدةٌ
لا الجهلُ يحجبها .. لا الذلُ .. لا الظلمُ
في كُلِّ حبةِ رملٍ منكِ ملحمةٌ ..
يُفيضُها في عِراكِ الفِكرِ ملتحمُ

• •

مَرحَى ثقيف في واديكِ جَمْهَرَةٌ
توافَدُوا من صِقاعِ الأرضِ .. وازدحموا
من كُلِّ صَوْبٍ أهلّوا يَطْبعون خطى
على جبينكِ .. قلبٌ يجتلي . وفمُ
شواردُ الشّعْرِ حَطّتْ .. فهي طائعةٌ
وهاجسُ الشّعر يزهو .. فهو مبتسمُ
ما بين جنبيكِ نبضُ الفكرِ منطلقٌ
وفوق جيدكِ عِقْدُ الشّعْرِ منتظمُ

• •

اطلالةٌ منكَ يا تاريخُ تأسِرُني
« سحبانُ وائلُ » صوتٌ فيكَ يحتدمُ
« عمرو بن كلثوم » .. « الخنساءُ » شامخة
على جِرَاح بنيها .. وهي تبتسمُ
« زُهيرُ » كالطير يشدو فوق أيكته
« جريرُ » « حسانُ » « الأعشى » وما نظموا
« بَشّار » و« المتنبي » و« ابنُ حِلّزة »
وغيرهم فيك يا تاريخُ ما عَقِموا
كانوا صدىً في ضميرِ الخلد ما فتئت
تهفو الشّعابُ إلى ذكراه .. والأكمُ

• •

عصرُ الفتوحاتِ يا تاريخُ يُبهرُني
أيام كان لنا فوق الذرى عَلَمُ
« محمدٌ » و« كتابُ الله » حجتهُ ..
يدعو إلى « الحقِّ » لا رجسٌ ولا سقمُ
لبَّت قريشٌ فتاها فهي راغبة
من بَعْدِ طُولِ أذىً .. واستؤصل الصنمُ
« المؤمنون » بشرعِ الله قد أمِنوا
و« المسلمون » بحكم الحق قد سلِموا ..
في المشرقين .. وواشوقي لأندلسٍ
على حضارتِها أجدادُنا بَصَمُوا ..
سائل عن العرب « اشبيليا » و« قرطبة »
بأي روحٍ .. وانصافٍ لها حكموا ؟!
سائل « طليطلة » تنبئك قائلة :
« المسلمون بُناة .. قُومٌ .. قِيَمُ
بَنوا فكانوا عطاءً لا حدودَ لهُ
بَنُوا .. وما في حِماهم مرَّةً هدموا

• •

يـا حـادِيَ العيس .. والبيـداءُ منصـتة
رجّعْ .. فقلبي بمـا تـوحي بـه شَـبِمُ
إني لأعشـق في الصـحراء عـزَّتَها
منذ القديم .. ومـا أخـنى بهـا القِـدمُ
أحبُّ فيهـا رمـالَ المجْـدِ لاهبـةً ..
لكم عليهَـا جـراحُ الحُـر تلتئـمُ
أحبُّ فيهـا «الخـزامى» و«العـرار» ومـا
يوحي به «الأثـل» و«الصبَّار» و«السَّـلم»
أحبها البيـد .. إني قـد فُـطمت بهـا
وإخـوتي وأحبـائي بهـا فـطموا
مـا هـزني القصرُ يـوماً في تمنعـه
وفيك يـا قفـر كم تحلـو ليَ الخـيَمُ
مهدَ الـرسالاتِ حسبي مـا همسـتُ بـه
فـأنتِ مـلءَ شرايـين الحيـاة دمُ .

• •

يا قـادةَ الفِـكرِ أهـلاً في مـواقِعِكم
فـأنتموا في عـكاظ .. الشـهبُ والنجـمُ
غنى «الفـراتُ» وحيـا جمعـكم «بـرَدَى»
واسـتشرفت قمـمُ «الاوراس» و«الهـرمُ»
ترنـو إليكم فحيوهـا .. لقـد سئمت
همس الكسالى ... وما قالوا !! وما علموا !!
أعطوا لهـا الفـكرَ مضـموناً .. وفلسـفةً
وقارعوا الهـولَ - يـا للهـولِ - واقتحمـوا
«الشـك» يُـزرع في أعماقِ عـالمِنا
و«اليـأسُ» و«الأنـة الخـرساء» و«اللجـمُ»
الفكرُ أمضى سـلاحٍ تستجيب لـه ..
وتستظل على أفيائه الأمـمُ
كم يستوي الفكـر تأثيراً بقوتـه
وحسـمِه في الـورى والصارمُ الخذمُ

• •

مـا الشعـر شعرٌ إذا اهتـزت مشاعـره
الشعـر دون .شعـور هيكـل وَرِمُ
ورُبَّ أبيـات شعـر عرسهـا أمـلٌ
ورُبَّ أبيـات شعـر جرسهـا ألـمُ
تغفـو علـى الآه .. تصحـو وهـي ناحبة
مدادهـا مـن جـراح المدنفـين دمُ
عَجْزُ الضمـائرِ داءٌ لا شفـاءَ لـه ..
مَـوْتُ المَشَـاعِرِ خَـطْبٌ دُوْنَـه الحِممُ

• •

لكـم وقفـتُ علـى صحبـي أُسائلـهم :
تـرى بـأيِّ لسـانٍ ينطقـون همـوا؟!!
أخشـى علـى لُغَتـي الإذلال مـا خلطـوا
أخشـى علـى لُغَتـي الإهمـال مـا عجمـوا
لا بُـدَّ للضـاد أن تحمَـى .. فنحـنُ بهـا
نبقـى انتمـاء .. ومنهـا تـورقُ الحِكَمُ

• •

مضـى «حـزيران» يـا «تشريـن» أيُّ غـدٍ
سـأجتلي ..؟! ولأيٍ فيـه احتـكمُ ؟!
القـدسُ في مـأتم .. «عمـرو» و«معتصـم»
كانا .. فهل للحمى «عمـرو» و«معتصـمٌ» ؟!
ويلـي علـى زمـن هـان الرجـال بـه
غُلبـاً علـى حقهـم .. واسـتأسَدَ القزمُ
أولاد صـهيون جاسـوا فـي مـواطننـا
كـم «قتَّلوا» «سجنوا» كم «شردوا» «غنمـوا»
كأنمـا نحـن غُنْـمٌ مـات صـاحبه
مـن بعـد موقعـةٍ .. أو أننـا غَـنَمُ

تفسير القرآن على النظريات العلمية

بقلم: محمد الراوي

والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين . أما بعد فإن الله تبارك وتعالى قد نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً . وجعله معجزاً لا يأتي الإنس والجن بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً .

وللقرآن غايته ومقاصده التي نزل من أجلها .

إنه هدىً للناس يهديهم إلى صراط مستقيم ، صراط الله الذي له ما في السموات وما في الأرض ألا إلى الله تصير الأمور .

فمن آمن به واتبعه كان حجة له ، ومن أعرض عنه كان حجة عليه .

والقرآن الكريم حين دعا الناس إلى الإيمان بالله أقام لهم من الآيات في الآفاق وفي الأنفس ما تنقطع به الحجة وتبطل المعذرة .

وهذه الآيات في الأنفس والآفاق تزيد المؤمن إيماناً كلما تفكر وتدبر وعمل بمقتضى إيمانه ، وهي ذات صلة وثيقة بالإنسان حيث كان .

ومن رحمة الله بالإنسان أن جعل أسباب تبصرته مرتبطة به ، وجعل فيها حاجته ومعايشه . إنها في ماء يشربه ، أو طعام يطعمه ، أو شمس تضيء ، أو قمر ينير ، أو ليل يسكن فيه ، أو نهار يبتغي فيه من فضل الله . إنها نعم تحوطه ـ بفضل الله ـ وتحفظه ، وآيات تبصره وتذكره . قائمة في نفسه ، وفي الكون الذي يعيش فيه **﴿ إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون ﴾** (البقرة ١٦٤) **﴿ أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج تبصرة وذكرى لكل عبد منيب ﴾** (ق ٦ ، ٧ ، ٨) .

وهذه الآيات التي تتحدث عن الكون أو تشير إليه قد شُغل بها الناس قديماً وحديثاً وأخذوا يبحثون في دلالتها . وقد حملهم البحث في كثير من الأحوال على تحميل القرآن ما لا يحمله . وقالوا إنه جامع لكل العلوم والمعارف ما كان منها وما لم يكن .

وجاءت طائفة من المحدثين الذين أخذوا بطرف من العلم الحديث أرادوا أن يفسروا هذه الآيات على أساس من النظريات العلمية المستحدثة ، وظنوا أنهم بذلك يخدمون دينهم في الأوساط العلمية والثقافية ، ولكنهم كذلك تكلفوا في تحميل القرآن ما لا يحمله .فما هي دوافع هذا الاتجاه وما نتائجه ؟

نود أن نبصر ذلك في أناة ، فإن هذه الدوافع لا تخرج عن واحد من أمور ثلاثة : إن كنا نريد بالتفسير العلمي دعوة الناس إلى القرآن ببيان إعجازه وأنه من عند الله ، فإن القرآن الكريم غني عن هذا التكلف . وفيه من المباينة لكلام البشر ما يشهد بأنه كلام الله المنزل على نبيه ﷺ .

« ولا مناص لمتكلم في « إعجاز القرآن »[1] من أن يتبين حقيقتين عظيمتين قبل النظر في هذه المسألة ، وأن يفصل بينهما فصلاً ظاهراً لا يلتبس ، وأن يميز أوضح تمييز بين الوجوه المشتركة التي تكون بينهما :

أولاهما : أن « إعجاز القرآن » كما يدل عليه لفظه وتاريخه ، وهو دليل النبي ﷺ على صدق نبوّته ، وعلى أنه رسول من الله يوحى إليه هذا القرآن ، وأن النبي ﷺ كان يعرف « **إعجاز القرآن** » من الوجه الذي عرفه منه سائر من آمن به من قومه العرب ، وأن التحدي الذي تضمنته آيات التحدي ـ من نحو قوله **﴿ أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين . فإن لم يستجيبوا لكم فاعلموا أنما أنزل بعلم الله وأن لا إله إلا هو فهل أنتم مسلمون ﴾** (هود : ١٣ ، ١٤) . وقوله : **﴿ قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ﴾** (الإسراء : ٨٨) ـ إنما هو تحد بلفظ القرآن ونظمه وبيانه لا بشيء خارج عن ذلك ، فما هو بتحد بالإخبار بالغيب المكنون ، ولا بالغيب الذي يأتي تصديقه بعد دهر من تنزيله ، ولا بعلم ما لا يدركه علم المخاطبين به من العرب ، ولا بشيء من المعاني مما لا يتصل بالنظم والبيان .

ثانيهما : أن إثبات دليل النبوّة ، وتصديق دليل الوحي ، وأن **القرآن** تنزيل من عند الله كما نزلت **التوراة والانجيل والزبور** وغيرها من كتب الله سبحانه ، لا يكون منها شيء يدل على أن القرآن معجز . ولا أظن أن قائلاً يستطيع أن يقول إن التوراة والإنجيل والزبور

كتب معجزة بالمعنى المعروف في شأن إعجاز القرآن ، من أجل أنها كتب منزلة من عند الله .

ومن البيّن أن العرب قد طولبوا بأن يعرفوا **دليل نبوة رسول الله ، ودليل صدق الوحي** الذي يأتيه ، بمجرد سماع القرآن نفسه ، لا بما يجادلهم به حتى يلزمهم الحجة في توحيد الله أو تصديق نبوّته ، ولا بمعجزة كمعجزات إخوانه من الأنبياء ، مما آمن على مثله البشر ، وقد بيَّن الله في غير آية من كتابه أن سماع القرآن يقتضيهم إدراك مباينته لكلامهم وأنه ليس من كلام بشر . بل هو كلام رب العالمين . وبهذا جاء الأمر في قوله : ﴿ **وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه ذلك بأنهم قوم لا يعلمون** ﴾ (سورة التوبة : ٦) . فالقرآن المعجز هو البرهان القاطع على صحة النبوّة ، أما صحة النبوّة فليست برهاناً على إعجاز القرآن . ولذا فإن ما في القرآن جملة[٢] ، من حقائق الأخبار عن الأمم السالفة ، ومن أنباء الغيب ومن دقائق التشريع ، ومن عجائب الدلالات على ما لم يعرفه البشر من أسرار الكون إلا بعد القرون المتطاولة من تنزيله ، كل ذلك بمعزل عن الذي طولب به العرب ، وهو أن يستبينوا في نظمه وبيانه انفكاكه من نظم البشر وبيانهم من وجه يحسم القضاء بأنه كلام رب العالمين .

بهذا الدليل كانوا مطالبين بأن يؤمنوا بأن ما جاء فيه من أخبار الأمم ، وأنباء الغيب ، ودقائق التشريع ، وعجائب الدلالات على أسرار الكون ، هو كله حق لا ريب فيه وإن ناقض ما يعرفون . وإن باين ما اتفقوا على أنه عندهم أو عند غيرهم حق لا يشكون فيه .

وإذن فإقرارهم من وجه النظم والبيان أن هذا القرآن كلام الله رب العالمين ، دليل يطالبهم بالإقرار بصحة ما جاء فيه من كل ذلك ، أما صحة ما جاء فيه فليست هي الدليل الذي يطالبهم بالإقرار بأن نظم القرآن وبيانه مباين لنظم البشر وبيانهم ، وأنه من كلام رب العالمين ، وهذا أمر في غاية الوضوح » .

٢ - وإن كنا نريد بالتفسير العلمي أن نثبت لأنفسنا سبقا في معرفة ما جد من نظريات علمية ، عن طريق ما جاء في القرآن مما نظنه إشارة إلى هذه النظريات ، فإننا بذلك ندين أنفسنا ولا نحسن إليها . فإذا كانت دوافع السبق موفورة لنا فلماذا تخلفنا في هذا المضمار وتقدم غيرنا ؟!

إن القرآن من عند الله رب العالمين ، فهو لنا وللناس جميعاً . وهو حجة لنا إذا أخذنا أنفسنا به وإلا كان حجة علينا .

٣ - وإن كنا لا نريد هذا ولا ذاك وإنما ننشد الحقيقة ونطلب العلم ، فإن لكل علم بابه ، ولكل حقيقة ما يدل عليها . . والقرآن الكريم نزل بلسان عربي مبين وطريق معرفتنا له :

(أ) من القرآن نفسه ، فإن القرآن - في كثير - يفسر بعضه بعضاً .

(ب) أو من بيان الرسول ﷺ الذي أنزل عليه ليبيّنه للناس كما قال الله عز وجل : ﴿ **وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون** ﴾ (سورة النحل : ٤٤) ﴿ **وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون** ﴾ (النحل : ٦٤) .

(ج) أو مما صح عن صحابة رسول الله ﷺ وهم قد شاهدوا نزوله ، وعرفوا مواقعه ، وسمعوا من الرسول ﷺ بيانه .

« ويجب أن يُعلَم أن النبي ﷺ[٣] بيَّن لأصحابه معاني القرآن ، كما بيَّن لهم ألفاظه . فقوله تعالى ﴿ **لتبين للناس ما نزل إليهم** ﴾ يتناول هذا وهذا . وقد قال **أبو عبد الرحمن السلمي** حدثنا الذين كانوا يقرئوننا القرآن **كعثمان بن عفان وعبد الله بن مسعود** وغيرهما : أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي ﷺ عشر آيات لم يجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل ، قالوا فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعاً » .

(د) وعندما يتكلم أحد برأي أو اجتهاد « يجب أن يلاحظ فيه الاعتماد على ما نقل[٤] عن رسول الله ﷺ وأصحابه مما ينير السبيل للمفسر برأيه ، وأن يكون صاحبه عارفاً بقوانين اللغة خبيراً بأساليبها ، وأن يكون بصيراً بقانون الشريعة حتى ينزّل كلام الله على المعروف من تشريعه ، وأن يبتعد عن التهجم على تبيين مراد الله من كلامه على جهالة لقوانين اللغة أو الشريعة ، وعن حمل كلام الله على المذاهب الفاسدة ، وعن الخوض فيما استأثر الله بعلمه ، وعن القطع بأن مراد الله كذا من غير دليل ، وعن السير مع الهوى والاستحسان . **وفي اجمال يجب البعد في التفسير عن الجهالة والضلالة** » .

ولا شك أن مدخل التفسير العلمي هو الرأي والاجتهاد الذي يستند إلى دلالة اللغة . ومعلوم أن القرآن قد نزل على من يُحتَجُّ بلغتهم ، فهم أعرف الناس بدلالة الألفاظ ومعانيها ، **وادعاؤنا أن للفظ معنى لم يفهمه العرب من القرآن عند نزوله - لأنهم كانوا في جهالة ليس لهم من العلوم والفنون ما يجعلهم يدركون سعة الدلالة للكلمة الواحدة - فيه من التكلف والاساءة ما فيه** .

« وذلك أن الألفاظ اللغوية لم تقف عند معنى واحد من لدن استعمالها إلى اليوم[٥] بل تدرجت حياة الألفاظ وتدرجت دلالتها ، فكان لكثير من الألفاظ دلالات مختلفة ، ونحن وإن كنا لا نعرف شيئاً عن تحديد هذا التدرج وتاريخ ظهور المعاني المختلفة للكلمة الواحدة ، نستطيع أن نقطع بأن بعض المعاني للكلمة الواحدة حادث باصطلاح أرباب العلوم والفنون ، فهناك **معان لغوية** ، وهناك **معان شرعية** ، وهناك **معان عرفية** . وهذه المعاني كلها تقوم بلفظ واحد . بعضها عرفته العرب وقت نزول القرآن وبعضها لا علم للعرب به وقت نزول القرآن ، نظراً لحدوثه وطروه على اللفظ ، فهل يعقل بعد ذلك أن نتوسع هذا التوسع العجيب في فهم ألفاظ القرآن وجعلها تدل على معان جدت باصطلاح حادث . ولم تعرف للعرب الذين نزل القرآن عليهم ؟ وهل يعقل أن الله تعالى إنما أراد بهذه الألفاظ القرآنية هذه المعاني التي حدثت بعد نزول القرآن بأجيال ، في الوقت الذي نزلت فيه هذه الألفاظ من عند الله ، وتليت أول ما تليت على من كان حول النبي ﷺ ؟ ألا يفضي ذلك إلى الخدش في بلاغة القرآن وقد عرفت البلاغة بأنها مطابقة الكلام لمقتضى الحال . ومعلوم أن القرآن في أعلى درجات البلاغة .

فإذا نحن ذهبنا مذهب أرباب التفسير العلمي وقلنا بأن القرآن متضمن لكل العلوم، وألفاظه متحملة لهذه المعاني المستحدثة، لأوقعنا أنفسنا في ورطة لا خلاص منها إلا بما يخدش بلاغة القرآن، أو يذهب بفطانة العرب. وذلك أن من خوطبوا بالقرآن في وقت نزوله إن كانوا يجهلون هذه المعاني، وكان الله يريدها من خطابه إياهم لزم على ذلك أن يكون القرآن غير بليغ، لأنه لم يراع حال المخاطب، وهذا سلب لأهم خصائص القرآن الكريم. وإن كانوا يعرفون هذه المعاني فلم لم تظهر نهضة العرب العلمية من لدن نزول القرآن الذي حوى علوم الأولين والآخرين؟ ولم لم تقم نهضتهم على هذه الآيات الشارحة لمختلف العلوم وسائر الفنون؟ وهذا أيضاً سلب لأهم خصائص العرب ومميزاتهم».

«إن تناول القرآن لحقائق الكون ومشاهده[6] ودعوته إلى النظر في ملكوت السموات والأرض وفي أنفسهم، لا يراد منها إلا رياضة وجدانات الناس وتوجيه عامتهم وخاصتهم إلى مكان العظة والعبرة، ولفتهم إلى آيات قدرة الله ودلائل وحدانيته، من جهة ما لهذه الآيات والمشاهد من روعة في النفس وجلال في القلب، لا من جهة ما لها من دقائق النظريات وضوابط القوانين، فليس القرآن فلسفة أو طب أو هندسة».

وكفى القرآن أن يدعونا إلى التدبر في آيات الله في الآفاق وفي الأنفس لننعم بأفضل ما يعود على النفس من عطاء وهو التبصرة والخشية. الخشية التي تصون نتائج العلم وتجعلها في خدمة الناس لا في تدميرهم وفي تعاونهم لا في بغيهم وتسلطهم، «إنما يخشى الله من عباده العلماء».

لقد كان السلف الصالح أعرف منا بغاية القرآن ومقاصده، فحققوا لأنفسهم وللإنسانية من حولهم ما لم نستطع نحن تحقيقه بمعرفتنا لدقائق النظريات وإهمالنا للمقاصد والغايات. إن تفسير القرآن الكريم على مقتضى النظريات العلمية يؤدي إلى نتائج خاطئة تخرج بالناس بعيداً عن هداية القرآن وتشغلهم بما ليس من غرضه وغايته.

إنها خاطئة من غير شك.

● «لأن الله لم ينزل القرآن ليكون كتاباً يتحدث فيه إلى الناس عن نظريات العلوم ودقائق الفنون وأنواع المعارف.

● وهي خاطئة من غير شك، لأنها تحمل أصحابها والمغرمين بها على تأويل القرآن تأويلاً متكلفاً يتنافى مع الإعجاز، ولا يسيغه التفكير السليم.

● وهي خاطئة لأنها تعرض القرآن للدوران مع مسائل العلوم في كل زمان ومكان. والعلوم لا تعرف الثبات ولا القرار ولا الرأي الأخير، فقد يصح اليوم في نظر العلم ما يصبح غداً من الخرافات. فلو طبقنا القرآن على هذه المسائل العلمية المتقلبة لعرضناه للتقلب معها وتحمل تبعات الخطأ فيها. ولأوقفنا أنفسنا بذلك موقفاً حرجاً في الدفاع عنه.

فلندع للقرآن عظمته وجلالته، ولنحفظ عليه قدسيّته ومهابته، ولنعلم أن ما تضمنه من الاشارة إلى أسرار الخلق وظواهر الطبيعة إنما هو لقصد الحث على التأمل والبحث والنظر ليزداد الناس إيماناً مع إيمانهم».

إن النظريات العلمية تستند إلى أصحابها وهي لا قرار لها ولا بقاء. ولا تسلم من الزيادة عليها أو الانتقاص منها أو الرجوع عنها لظهور خطئها أو قصورها. فلا يستقيم لنا الأمر إذا طبقنا القرآن على هذه النظريات.

إن الشمس قائمة في الكون بإذن ربها لا تتوقف ولا تنحرف عن مدارها، ينبت على ضوئها كل جديد، ويعيش على نورها كل مخلوق، لكننا لا نستطيع أن نقول عن نبت أمدته بضوئها إنه هي. كفاها أن أعانته بنورها وأمدته بشعاعها. فلا يحكم به عليها. بل تبقى دائماً في عليائها - محفوظة بحفظ الله ممسوكة بقدرته - لا تحد في جزئيات، ولا تحبس في نظريات، ولا توقفها أمم عند سدود وحدود.

والعلوم التجريبية وهي تمضي في مدار التجربة والملاحظة وتمتد في باب التعرف على أسرار الكون تجد نفسها في ساحة القرآن تدين له بالفضل طوعاً أو كرهاً، وقد أخرج العقل من ظلمات الوهم وحيرة الشك إلى نور العلم وطمأنينة اليقين. وانطلق به يطلب الايمان بالله من تأمله من ميدان فسيح لا تحد حدوده ولا تعرف نهايته.

إن القرآن - وهو يُجْمِلُ الحديث عن الكون ويبصر بآيات الله في الآفاق وفي الأنفس - يقف من الزمن كله موقف المرشد المعلم للأجيال كلها، لا تحصره جزئية علمية ولا تحدده نظرية خاصة.

إنه يسترعي النظر في الكون، ويحض على التأمل في آيات الله، ويدعو إلى العلم ويرفع من شأنه ويترك التفصيلات والجزئيات للزمن المتجدد والفكر المتأمل والأجيال المتعاقبة فيجعل من التأمل باباً لتزكية النفس، وتربية الروح ومنفعة الجسد وتعاون الجماعة والتوصل إلى معرفة الخالق وخشيته. فيجمع بين الاعتقاد الذي يصون النفس عن التردي في مهاوي الشرك وبين المتاع الذي يحوط الإنسان بسياج من الرعاية والحفظ.

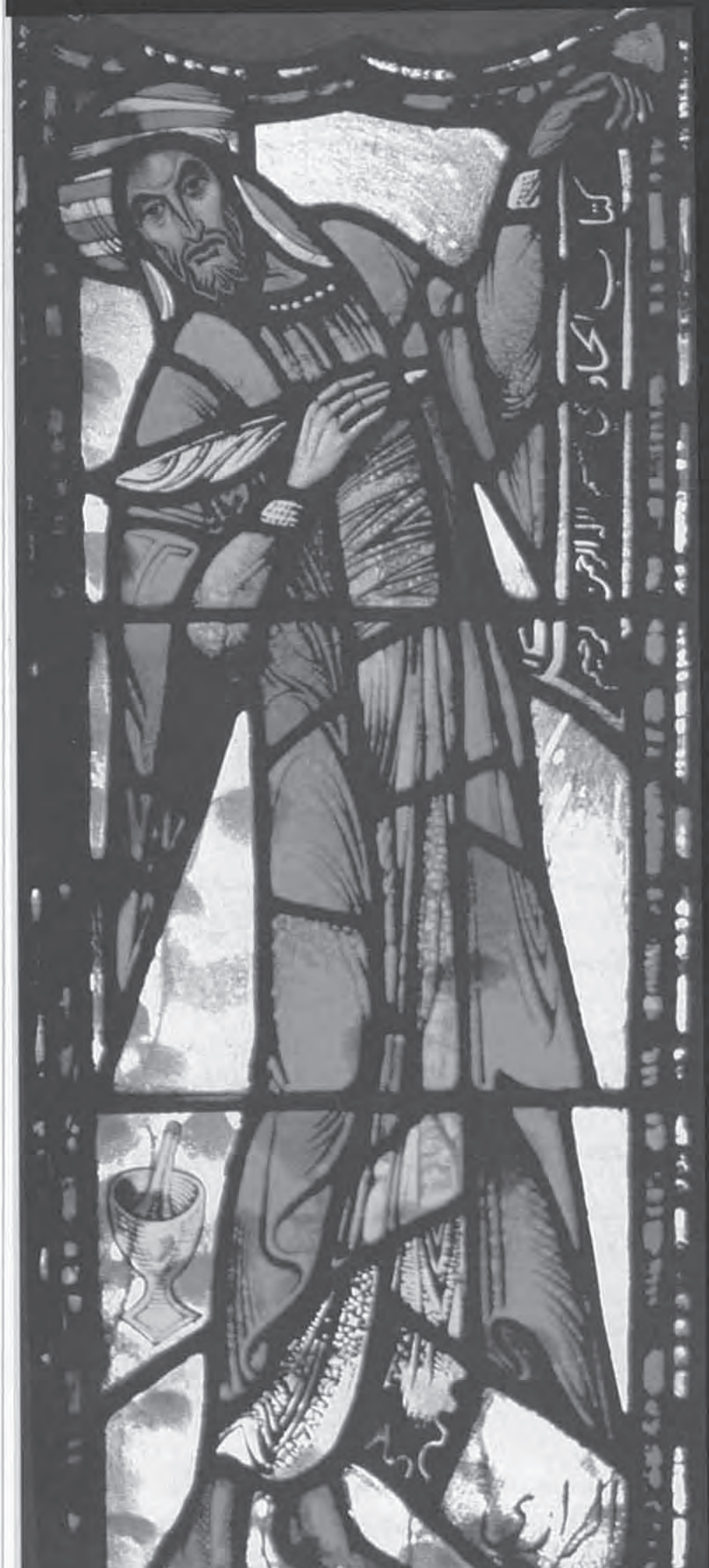
وعلى الذين يريدون الدعوة إلى القرآن باسم العلم ونظرياته أن يعلموا أن الدعوة إليه تكون بتحقيق أمره واتباع آياته. ونحن نظلمه إذا كانت أحوالنا تخالفه وأقوالنا تصدّقه **«كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون»** (الصف: ٣)

«إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة أعتدنا لهم عذابا أليما» (الإسراء: ٩، ١٠)

نسأل الله أن يجعله حجة لنا لا علينا وأن يجعله ربيع قلوبنا ونور ابصارنا. وأن يرزقنا تلاوته وتدبره آناء الليل وأطراف النهار؟

هوامش

(١) محمود محمد شاكر في تقديم الظاهرة القرآنية لمالك بن نبي ص ١٧، ١٨ دار الفكر.
(١) نفس المصدر ص ٢٢.
(٣) ابن تيمية: مقدمة أصول التفسير ص ٣٥، ٣٦ دار القرآن الكريم.
(٤) الزرقاني في مناهل العرفان ج١ ص ٥١٨.
(٥) الذهبي في «التفسير والمفسرون» الجزء الثالث ص ١٥٧، ١٥٨ دار الكتب الحديثة.
(٦) المصدر السابق الجزء الثالث ص ١٥٩، ١٦٠.
(٧) محمود شلتوت: مقدمة تفسير القرآن، الاجزاء العشرة، دار القلم.



أبو الطب والرائد الأول في علم الكيمياء

بقلم: د. علي عبد الله الدفّاع

هو أبو بكر محمد بن زكريا الرازي عاش فيما بين ٢٤٠ و ٣٢٠ هجرية (الموافق ٨٥٤ ـ ٩٣٢ ميلادية) وقضى حياته في بغداد وتوفي هناك وكان موسوعة في العلوم.

يقول المؤلف **ديفيد يوجين سميث** في كتابه **تاريخ الرياضيات** المجلد الأول: «إن أبا بكر محمد بن زكريا الرازي نال شهرة مرموقة في الطب، ولكنه قدم إنتاجاً يستحق التقدير والاشادة في علمي الهندسة والفلك كذلك». أمضى الرازي جل وقته في الصغر بتعلم **الموسيق والفلسفة والرياضيات**، ولما بلغ الثلاثين عاماً من عمره اتجه إلى علمي **الطب والكيمياء** وجمع بينهما، **والكثير من المؤرخين يعتبرونه من أعظم أطباء القرون الوسطى وأبو الطب العربي**. ويلمح **الأستاذ خ. هاي** في كتابه **قصة عباقرة المسلمين** «أن الرازي في سن الصغر تعلم الموسيق ثم الفلسفة ثم الرياضيات والفلك، وعندما كبر تعلم الطب والكيمياء فأبدع فيهما لدرجة مدهشة **وكتب في جميع فروع المعرفة قرابة مائتين وعشرين مؤلفا وتمتاز كتبه بما تجمعه من علوم الاغريق والهنود إلى جانب آرائه وبحوثه المبتكرة**».

وأضاف **البروفيسور جورج سارتون** في كتابه **المدخل إلى تاريخ العلوم** «أن الرازي طبيب عبقري بالاضافة إلى تفوقه في علم الكيمياء، وهذا يظهر من إنتاجه العلمي بهذين الحقلين. **ويعتبر الرازي من أوائل الأطباء الذين استخدموا معلوماتهم الكيميائية في الطب، وهو بدون شك أعظم طبيب أنجبته الحضارة الاسلامية**».

حاول علماء أوروبا أن يقللوا من سمعة العلامة الكبير أبو بكر الرازي ، ولكن مؤلفاته أعطته الشهرة العظيمة مثل «**الحاوي في الطب**» الذي **يتكون من عشرة مجلدات ويبحث فيه مختلف الأمراض التي تصيب الجسم وكل عضو منه على انفراد ، كما ركز الرازي بهذا المؤلف على الأمراض العصبية وأمراض العين والأنف والأذن والأسنان** . أما «**المنصوري في التشريح**» المتكون من عشرين مجلداً فيتكلم فيه عن شكل الأعضاء وخلقها ، وقوى الأغذية والأدوية ، وحفظ الصحة ، وصنعة السموم . ويقول الأستاذ جورج سارتون في كتابه **العلوم القديمة وعلوم القرون الوسطى خلال نهضة ١٤٥٠ - ١٦٠٠ ميلادية** : «حاول كثير من العلماء في العالم ولا زالوا يحاولون طمس ومسح اسم أبو بكر الرازي من حقل الطب ، ولكن هذا يستحيل طالما يوجد فن الطب ويتطور . كما ذكر المؤلف **حيدر باميت** في كتابه «**اسهام المسلمين في الحضارة**» «أن كتب الرازي مثل الحاوي والمنصوري في التشريح ترجمت إلى اللاتينية واعتمد عليهما علماء أوروبا حتى القرن الرابع عشر الميلادي ، ولقد أعيدت طباعتها عدة مرات وآخرها عام ١٥٧٨ ميلادية في باريس» .

كان نفوذ الرازي في الطب خلال العصور الوسطى عظيماً إذ أولى اهتمامه لمرض **الحصبة والجدري** وفرق بينهما بينما كان سلفه يظن أنه مرض واحد ، ونجح في السيطرة عليهما . وينعته المؤلف المشهور **رام لندو** في كتابه «**مآثر العرب في النهضة الغربية**» «ان الرازي هو **أول من شخص مرضي الحصبة والجدري ، فهو علامة عصره وكل العصور** . فلقد ألف موسوعة طبية تفوق جميع المؤلفات للسابقين والتابعين . كما **ظل حجة الطب في الغرب والشرق حتى القرن السابع عشر الميلادي من غير منازع**» . كما أن **ابن أبي أصيبعة** في كتابه «**طبقات الأطباء**» كنى الرازي «**بجالينوس العرب**» . وكرر المدح **ابن النديم** في فهرسته بقوله «كان الرازي أوحد دهره وفريد عصره . قد جمع المعرفة بعلوم القدماء سيما الطب» . **وهناك اجماع بين الأطباء في العالم أن الرازي مبتكر خيوط الجراحة المعروفة (بالقصاب) وباللغة الإنجليزية (Cutgut) ، وأول من صنع مراهم الزئبق وأعطى شرحا مفصلا عن مرض الأطفال والنساء والولادة والمسائل الرمدية والأمراض التناسلية وجراحة العين واستخدم طرقا مختلفة في علاج أنواع الأمراض ، فكان يركز على الدلالات والفروق بين الأمراض في التشخيص** .

تروى عن الرازي قصة انتشرت بين الأطباء وهي أن **عضد الدولة** استشار الرازي في موقع بناء **البيمارستان العضدي** ، فأخذ الرازي قطعة من اللحم ووضعها في أماكن مختلفة من بغداد ، ثم فحص اللحم فاقترح على الخليفة أن يبني المستشفى في المكان الذي كان فيه اللحم أقل تعفناً . ثم طلب الخليفة مرشحين فاختار الرازي من بينهم ليكون **مديرا للمستشفى** .

عالم تجربة

كان الرازي **يحب التجربة** ، فقد قام بنفسه ببعض **التجارب على الحيوان مثل القرود** ، وذلك باعطاء القرد الدواء وملاحظة التفاعلات ، فإن نجح طبق مرئياته على الإنسان . والجدير بالذكر أن الطبيب الحديث يدرك أهمية وضرورة اجراء التجارب العملية على الحيوانات قبل تطبيقها على البشر . كان أبو بكر الرازي معتنياً بتاريخ المريض وتسجيل ذلك حتى يتمكن من الوصول والوقوف على حالته . لذا فقد **اعترف أطباء أوروبا بأن طريقة الرازي في علاج المرضى نجحت نجاحا باهرا** . فأميركا مثلاً أخذت تعترف بفضل الطب العربي وذلك بأن الكثير من جامعاتها خصصت قسماً لدراسة التراث العلمي العربي الإسلامي وخصوصاً الطب .

العلاج النفسي

يمتاز الرازي عن غيره من الأطباء في عصره بأنه **اهتم بالنواحي النفسية عند المريض** . وأن هناك علاقة قوية بين طبيب الجسم وطبيب الروح . ويقول ابن أبي أصيبعة في كتابه «**طبقات الأطباء**» إن الرازي يقول «ينبغي للطبيب أن يوهم المريض أبداً بالصحة ويرجيه بها ، وإن كان غير واثق بذلك فمزاج الجسم تابع لأخلاق النفس» . من هذا المنطلق يجب على الطبيب أن يرفع من معنويات المريض ، ويحاول ازالة الخوف عنه بالطرق النفسية المعروفة حتى يتسنى الشفاء للمريض بحول الله وقوته . وكتب الرازي عن العقل في كتابه **الطب الروحاني** : «يعتبر العقل أعظم نعم الله وأنفع الأشياء وأجداها . وبه أدركنا ما حولنا ، واستطاع الإنسان بالعقل أن يسخر الطبيعة لمصلحته ومنفعته ، والعقل هو الذي ميز الإنسان على الحيوان» . ويقول **أمين أسعد خير الله** في كتابه **الطب العربي** : «كانت نصائح الرازي للأطباء والمرضى تدل على مدى نبله وأخلاقه الكريمة وخبرته.الواسعة» . واتجه الرازي للطب في السنوات الأخيرة من حياته حيث إن كثرة التجارب التي قام بها في **حقل الكيمياء** أضعفت بصره **ويقال إنه فقد بصره نهائيا** . وينوه المؤلف الكبير **سيد حسين نصر** في كتابه «**العلوم والحضارة في الاسلام**» «أن الرازي يأتي في المرتبة الثانية بعد ابن سينا في الطب ، وقد أعطى جل وقته لحقل الطب بعد أن ضعف بصره الذي نتج من تجاربه الكيميائية في معمله . وهو بدون شك السلطة المعترف بها في الشرق والغرب في حقلي الطب والكيمياء» .

أقواله المأثورة في العلاج

ومن أقواله المأثورة في العلاج ما لخصه ابن أبي أصيبعة في كتابه **طبقات الأطباء** :

١ - ينبغي للطبيب أن يوهم المريض أبدا بالصحة ويرجيه بها ، وإن كان غير واثق بذلك ، فمزاج الجسم تابع لأخلاق النفس .

٢ - متى كان اقتصار الطبيب على التجارب دون القياس وقراءة الكتب خذل .

٣ - مهما قدرت أن تعالج بدواء مفرد ، فلا تعالج بدون مركب .

٤ - الحقيقة في الطب غاية لا تدرك ، والعلاج بما تنصه الكتب دون اعمال الماهر الحكيم برأيه خطر .

٥ - الأطباء الأميون والمقلدون ، والأحداث الذين لا تجربة لهم ، ومن قلت عنايته وكثرت شهواته ، قتالون .

٦ - إن استطاع الحكيم أن يعالج بالأغذية دون الأدوية فقد وافق السعادة .

٧ - إن أفضل العلاج ما اجتمع الأطباء عليه ، وشهد عليه القياس ، وعضدته التجربة .

٨ ـ إذا كان الطبيب عالما والمريض مطيعا ، فما أقل لبث العلة .

عالم كيمياء

ويعد الرازي **من عمالقة علماء الكيمياء** وقد قضى في دراسة هذا العلم مدة من الزمن ، فكان الغربيون والشرقيون يعتبرونه **مؤسس الكيمياء الحديثة** . كما ألف كتباً كثيرة في هذا المضمار . ويقول في مقدمة كتابه «**الأسرار في الكيمياء**» : « شرحنا في هذا الكتاب ما سترته القدماء من الفلاسفة مثل **أغاثا ذيموس وهرمس وأرسطا طاليس وخالد بن يزيد ابن معاوية وأستاذنا جابر بن حيان** ، بل فيه أبواب لم ير مثلها وكتابي هذا مشتمل على معرفة معان ثلاثة : **١ ـ معرفة العقاقير ، ٢ ـ معرفة الآلات ، ٣ ـ معرفة التدابير** (التجارب) » .

ويقول **هولميارد** في كتابه «**صانعوا الكيمياء**» : «إن أبا بكر الرازي جرد مصنفاته الكيميائية عن الغموض والابهام والطلاسم والتوهمات» . فكان اتجاهه العلمي وأسلوبه في الكيمياء يعتمدان على اجراء التجارب ، فكان يصف المواد التي يجري عليها تجاربه ، ثم يصف الأدوية والآلات التي يستعملها في كل تجربة ويشرح بعد ذلك طريقة العمل . وقد حضر زيت الزاج (**حامض الكبريتيك**) والكحول ، وكان يستخدمه للعلاج ولاستخراج الأدوية . والجدير بالذكر أن الرازي يحسب أول حكيم يستعمل معلوماته الكيمياوية في الطب . ويرى الرازي ان شفاء المريض من الأدوية التي يعطيه الطبيب نتيجة لإثارة تفاعل كيميائي في جسم المريض . وإنه لمن الواضح أن أبا بكر الرازي قد سلك مسلكاً علمياً خالصاً في جميع إنتاجه في حقل الكيمياء مما دفع علماء الشرق والغرب أن يكنونه **بأبي الكيمياء التطبيقية** .

قسم الرازي المواد الكيميائية في زمنه إلى أربعة أقسام :

١ ـ المواد المعدنية .

٢ ـ المواد النباتية .

٣ ـ المواد الحيوانية .

٤ ـ المواد المشتقة .

وكما اتبع الرازي **المنهج العلمي** فقسم منهجه في الكيمياء إلى ثلاثة أقسام أساسية :

١ ـ في معرفة العقاقير .

٢ ـ في معرفة الآلات .

٣ ـ شرح التجارب وذلك بتبيين الخطوات التي يقوم بها الكيميائي حتى يصل إلى النتيجة المطلوبة .

ومما لا يقبل الجدل أن الرازي يعتبر من تلاميذ جابر بن حيان في حقل الكيمياء . فالرازي هو الذي طور ونظم كيمياء جابر بن حيان وزاد عليه عن ذلك بابتكار نظريات كثيرة لم يعرفها جابر بن حيان ، ولقد لخص **فرات فائق** في كتابه «**أبو بكر الرازي**» مآثر الرازي العملية وسنعرضها بالاضافة إلى بعض النقاط التي لم يذكرها الأستاذ فرات فائق :

١ ـ وصف التجارب العلمية وصفاً دقيقاً ، مبيناً في ذلك التفاعلات الكيميائية .

٢ ـ عد التجربة في الكيمياء أساساً للتأكد من صحة الأعمال الكيميائية ، وجعل علم الكيمياء يقوم على التجارب العملية .

٣ ـ اعتبر المستحضرات الكيميائية بالطب ، وطبق نتائج هذا العلم على علاجات المرضى .

٤ ـ حضر بعض الأحماض مثل حامض الكبريتيك بتقطير الزاج الأخضر وسماه زيت الزاج . **ونقل العالم الغربي البير حامض الكبريتيك عن الرازي وسماه كبريت الفلاسفة .**

٥ ـ وحصل على الكحول بتقطير المواد السكرية والنشوية المتخمرة ، واستعمل الكحول في الصيدليات لاستخراج العقاقير .

٦ ـ وقاس الوزن النوعي لعدد من السوائل مستخدماً ميزاناً خاصاً سماه **(الميزان الطبيعي)** .

مؤلفاته

عكف الرازي على التأليف مدة طويلة ، فصنف أكثر من مائتين وعشرين مؤلفا من بينها الكتاب والرسالة والمقالة ، وكانت نعمة قدمها للأمة الاسلامية مفتديا ذلك ببصره حيث فقده في أخريات أيامه ، فبهذه المصنفات طور حقول عديدة مثل الطب والكيمياء والرياضيات والمنطق والفلك وغيرها . وسنحاول ذكر ما ورد في فهرست ابن النديم وطبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة وغيرهما :

١ ـ **كتاب الأسرار في الكيمياء** : وكان كتاباً مفيداً نقله **كريمونا** من اللغة العربية إلى **اللاتينية** في أواخر القرن السادس الهجري (أواخر القرن الثاني عشر الميلادي) **وبقيت أوروبا تعتمده في مدارسها وجامعاتها مدة طويلة من الزمن .**

٢ ـ **رسالته المشهورة في الحصبة والجدري** : وهذه الرسالة تحتوي على روائع الطب الإسلامي . وصف فيها الحصبة والجدري وأعراضهما والتفرقة بينهما .

٣ ـ **كتاب فيمن استعمل تفضيل الهندسة للموسومين بالهندسة .**

٤ ـ **كتاب من لا يحضره الطبيب** : والذي عرف بطب الفقراء ، وهو يبحث في الإسعافات الأولية .

٥ ـ **كتاب محنة الذهب والفضة والميزان الطبيعي .**

٦ ـ **كتاب في صناعة الكيمياء أقرب إلى الوجود منها إلى الامتناع .**

٧ ـ **كتاب سر الأسرار في الكيمياء .**

٨ ـ **كتاب في الانتقاد والتحرير على المعتزلة .**

٩ ـ **كتاب في الحركة وأنها ليست مرئية بل معلومة .**

١٠ ـ **كتاب في أنه لا يتصور لمن لا دراية له بالبرهان أن الأرض كروية ، وأن الناس حولها .**

١١ ـ **رسالة في مقدار ما يمكن أن يستدرك من أحكام النجوم على رأي الفلاسفة الطبيعيين .**

١٢ ـ **رسالة في أن قطر المربع لا يشارك الضلع من غير هندسة .**

١٣ ـ **كتاب في علة جذب حجر المغنطيس للحديد .**

١٤ ـ **كتاب في علل المفاصل والنقرس وعرق النساء .**

١٥ - مقالة في ابدال الأدوية المستعملة في الطب والعلاج وقوانينها ووجه استعمالها.

١٦ - مقالة في العلة التي لها صار النائم يعرق أكثر من اليقظان.

١٧ - كتاب المدخل إلى المنطق.

١٨ - كتاب هيئة العالم.

١٩ - كتاب الحاوي في الطب.

٢٠ - كتاب منافع الأغذية.

٢١ - كتاب في كيفية الابصار.

٢٢ - كتاب الحيل.

٢٣ - كتاب المدخل التعليمي.

٢٤ - كتاب المدخل البرهاني.

٢٥ - كتاب الآيات.

٢٦ - كتاب التدبير.

٢٧ - كتاب الاكسير.

٢٨ - كتاب شرف الصناعة.

٢٩ - كتاب الترتيب.

٣٠ - كتاب في الكواكب السبعة.

٣١ - كتاب في الرياضة.

٣٢ - كتاب التدابير.

٣٣ - كتاب نكت الرموز.

٣٤ - كتاب المحبة.

٣٥ - كتاب التبويب.

٣٦ - كتاب الرسالة الخاصة.

٣٧ - كتاب الحجر الأصفر.

٣٨ - كتاب رسائل الملوك.

٣٩ - كتاب الرد على الكندي في رده على الصناعة.

٤٠ - كتاب الشواهد.

٤١ - كتاب برء ساعة.

٤٢ - كتاب دفع مضار الأغذية.

٤٣ - كتاب المرشد.

٤٤ - كتاب الفاخر في الطب.

٤٥ - كتاب الطب الملوكي.

٤٦ - كتاب في وجع المفاصل.

٤٧ - كتاب في التشجير والتقسيم.

٤٨ - كتاب أطعمة المرضى.

٤٩ - كتاب اختصار.

٥٠ - كتاب البرء لجالنيوس.

٥١ - كتاب في القولنج.

٥٢ - كتاب الكافي في الطب.

٥٣ - كتاب سر الطب.

٥٤ - كتاب المدخل إلى الطب.

٥٥ - كتاب أقراباذين.

٥٦ - كتاب الممتهن في الطب على سبيل كناش.

٥٧ - كتاب في الباه.

٥٨ - كتاب الحصى في الكلى والمثانة.

٥٩ - كتاب الحجر.

٦٠ - مقالة في أن للجسم تحريكا من ذاته وأن الحركة مبدأ طبيعي.

الختام

وفي الختام فمن الواجب أن نصف الرازي بطبيب العصور كلها، إذ كانت طريقته في العلاج لمرضاه تتفق تماما مع الطريقة المتبعة الآن. فعلى سبيل المثال كان الرازي يستفيد من دلالات **تحليل الدم والبول والنبض لتشخيص المرض**. وكان طبيباً مختبراً مدققاً ومجرداً من الأفكار الوهمية ومبتعداً عن الشعوذة والخرافات. **وهناك عدة قصص تروى عن سبب اتجاه الرازي إلى حقل الطب، أولها** أنه دخل مستشفى في بغداد ذات مرة فرأى طفلاً مولوداً بوجهين ورأس واحد، فسأل الرازي الطبيب المختص عن ذلك فأعطاه الاجابة التي أعجبته، فاندفع إلى دراسة الطب. **والثانية** هي أن الرازي كان مهتماً بأحوال الفقراء وعلاجهم، ويمقت جشع الأطباء ومعاملاتهم لمرضاهم، فاتجه إلى الطب. والرواية **الثالثة** هي أن سبب تحوله إلى الطب هو الضعف في بصره، لأنه لا يستطيع القيام بتجاربه الكيميائية. وفي النهاية أبدع الرازي في الطب مثل ما تفوق في الكيمياء. فكان يدعى الرائد الأول في علم الكيمياء وأبو الطب. ويقول **ابن خلكان** في كتابه «**وفيات الأعيان**»: «أقبل الرازي على دراسة كتب الطب وأخذ يقرأها قراءة عميقة حتى سبر أغوارها وتمكن منها، ومارس مهنة الطب بكل ذكاء وقابلية واتقان وبلغ من النجاح أوجهه، وصار إمام وقته في علم الطب». وأضاف **الدكتور سامي الحمارنة** في كتابه «**تاريخ الطب والصيدلة عند العرب**»: وبعد فقد حقق الرازي في مؤلفاته الطبية الكثيرة نضجاً واكتمالا كبيرين، فميز الطب العربي بخصائصه الفنية واصطلاحاته ومناهجه التعليمية والتطبيقية، وكون مادة جديدة بصهره علوم الاغريق الطبية مع الثقافات والتجارب الشرقية في بوتقته.

كان الرازي من هؤلاء العلماء الذين يكثرون من القراءة بالليل وخاصة عند النوم. لذا كان الرازي يفضل النوم على ظهره حتى لو أخذه النوم وهو يقرأ لسقط الكتاب على وجهه، فيستيقظ من النوم حتى يتمكن من الاستمرار في القراءة. ويقال إنه فقد بصره من كثرة القراءة والتجارب الكيميائية في المعمل.

اهتم الرازي بعلم الكيمياء لأنه العلم الوحيد الذي يمكن أن يحصل على معلومات (حقائق) من التجارب التي يقوم بها ويستنتج منها القانون، أو يأخذ قانوناً ويحققه بالتجارب. ولكنه لم يستمر طويلاً في هذا الحقل، فعند بلوغه الأربعين من العمر حول اتجاهه إلى الطب. ويقول **إدوارد فيرير** في كتابه «**نوابغ علماء الكيمياء**»: إن الرازي نبغ في الكيمياء، وفي سن الأربعين صار طبيباً، وذلك لاهتمامه بأحوال الفقراء ومحاربته لجشع الأطباء واستغلالهم.

وفي الخلاصة أحب أن أقدم النداء إلى شبابنا الطموح في البلاد العربية والاسلامية أن يقتدوا بعملاق العلوم ويكرسوا جهودهم في المثابرة وحب الغير، وإذا اختاروا مهنة الطب فليكن اختيارهم لخدمة البشرية لا للجشع وحب المال.



عفة ووفاء!

«عمرو بن سعد البكري» المعروف بـ«**المرقش الأكبر**» من متيمي العرب المشهورين في جاهليتهم ، وقد علق بهوى ابنة عمه «**أسماء بنت عوف بن مالك**» ، وخطبها إلى عمه . فأباها عليه ، وقال له : لن أزوجكها حتى ترأس وتأتي الملوك ، فخرج المرقش إلى **اليمن** ، ومدح أحد ملوكها ، ورجع إلى عمه بالحباء الجزيل والهدايا النفيسة .

إلا أن عوفاً ـ خلال رحلة ابن أخيه ـ أجدب واضطر إلى تزويج بنته أسماء من رجل من مراد رحل بها إلى ديار أهله .

وكتم عوف الخبر عن ابن أخيه ، وصنع قبراً زعم أنها دفنت فيه ، بيد أن المرقش علم بصحة الخبر من صبيان يلعبون في الحي .

فشد الرحال في طلب حبيبته معه مولاة له وزوجها من «**غفيلة**» وكان راعياً للمرقش .

إلا أن المرقش قد ضني وهزل من آلام الغرام المبرح وسئمت مولاته وزوجها خدمته في السفر فتركاه في كهف من **أرض مراد** .

فاحتال المرقش ـ بعدما فارقاه ـ في ايصال الخبر إلى «أسماء» فأرسلت زوجها إليه واحتمله إلى منزله وهو بآخر رمق ، ودفن شهيد الغرام في دار حبيبته . وكان زوج أسماء مثالا للشهامة في هذا الموقف .. مثالا يرن في سجل الخالدين .

أما الغفلي وزوجته فعادا إلى ديار المرقش وأذاعا في الناس أن مرقشاً قد مات .

غير أن «**حرملة**» أخا مرقش علم بصحة الخبر من خلال قصيدة كتبها المرقش في **الكهف** ووضعها في رحل الغفلي ، ومن ثم أخذ حرملة ثأر أخيه من الغفلي وزوجته .

وها هو نص قصيدة المرقش :

يا صاحبيَّ تلَوَّما لا تعجلا
إن الرحيلَ رهينُ أن لا تعذُلا [1]

فَلَعَلَّ بُطْأَكُما يفرِّط سيئا
أو يسبقُ الاسراع سيبا مقبلا [2]

يا راكباً إما عَرَضْتَ فَبَلِّغَنْ
أنس بن سعد إن لقيت وحرملا

لله دَرُّكما ودَرُّ أبيكما
إن أفلت الغُفَليُّ حتى يُقْتَلا

من مبلغُ الأقوام أن مرقشاً
أمسى على الأصحاب عبئاً مثقِلا

ذهب السباع بأنفه فتركنه
أعثى عليه بالجبال وجيئلا [3]

وكأنما ترد السباع بشلوه
إذ غاب جمع بني ضُبيعة منهلا

هوامش

(١) تلوما : انتظرا .
(٢) يفرط : يعجل .. السيب : الخير .
(٣) أعثى : ذكر الضباع .. جيئلا : أنثى الضباع .

علوم اللغة الحديثة ماذا تعرف عنها

بقلم : د . محمود اسماعيل صيني

مقدمة

كثيراً ما يسألني سائل «ما موضوع تخصصك ؟» فأخبره «**علم اللغة**» فيهز السائل رأسه بطريقة مبهمة لا أدري منها إن كان قد عرف ما قلته أم لا ، ثم أستطرد أنا لأقول : «في الواقع أن تخصصي الدقيق هو «**علم اللغة التطبيقي**» عندها فقط يتأكد لي أن صديقي السائل لا يدرك ما عنيته بالضبط ، لأن ما يرتسم على محياه أو ما ينطلق به لسانه يبين لي أنه ربما يفهم ما يعنيه اصطلاح «علم اللغة» ولكنه لا يدري على وجه الدقة مضمون هذا التعبير .

وأنا لا أجد غرابة في ذلك ، فعلم اللغة بمفهومه الحديث لا يزال في مراحل تطوره الأولى إذا قيس بالعلوم الأخرى ، وهو تخصص لا يزال حتى في كثير من جامعات الدول المتقدمة موضوعاً للدراسات العليا فقط ، وقد كنت ألاقي عناء كبيراً في شرح موضوع هذا التخصص حتى لمعارفي من الأمريكيين ، لأن **الكثيرين منهم يظنون أن دراسة علم اللغة معناها فقط الدراسة المتخصصة للغة ما ، بل ويظن بعض العرب أن هذا العلم بفروعه إنما وضع لدراسة اللغات الأجنبية فحسب !**

دعاني كل هذا إلى كتابة السطور التالية آملاً أن ألقي بعضاً من الضوء على هذا الفرع من العلوم الحديثة .

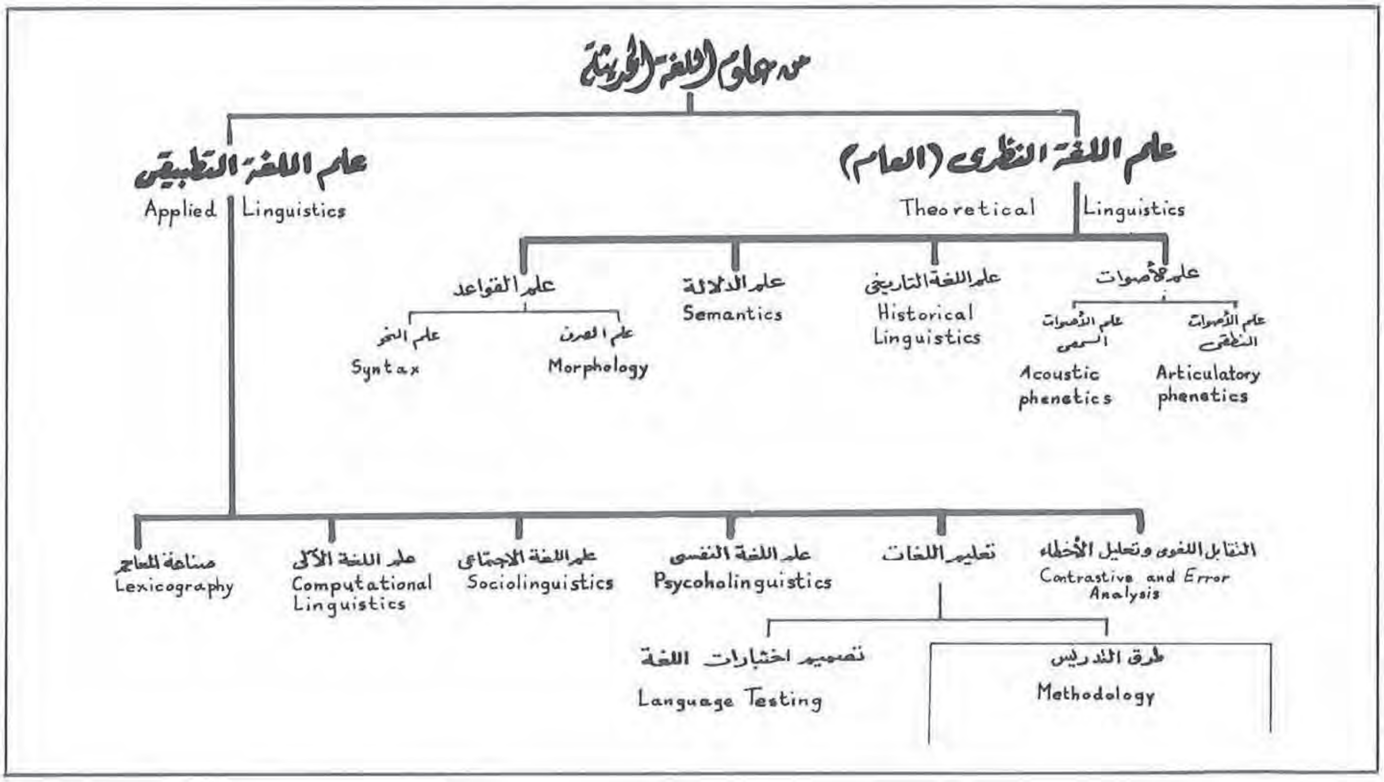
علم اللغة (تعريف)

قد يعجب القارىء حين يجد أن علماء اللغة العرب أنفسهم لم يتفقوا بعد على تسمية معينة لموضوع تخصصهم (وهم أولى الناس بذلك) فالبعض يطلق عليه «**علم اللغة**» أو «**علم اللغات**» ، وفئة تسميه «**اللسانيات**» ، وثالثة تنعته بـ«**اللغويات**» ، ثم هناك من يسميه «**فقه اللغة**» . . ولكل من هؤلاء وأولئك ما يبرر به تسميته ولو أن هناك شبه اتفاق بين المحدثين على تجنب مصطلح «فقه اللغة» ، لأنهم يرون أن هذا التعبير أقرب شيء إلى ما يعرف بالـ«Philology» بالانجليزية أي إن لدلالاته ارتباطاً وثيقاً باللغة المكتوبة والأدب وتحقيق النصوص والدراسات التاريخية وما شابه ، مما قد يؤدي إلى تشويش مفهوم «علم اللغة» بمعناه الحديث .

أما نحن فنرى أن «علم اللغة» قد يكون أقرب إلى المفهوم السائد المعروف بالانجليزية بـ Linguistics وبالفرنسية La Linguistique وذلك قياساً على ما نسمي به بعض العلوم الحديثة مثل علم النفس وعلم الاجتماع وعلم الاقتصاد وعلم النبات . . . الخ .

موضوع علم اللغة

يدرس علم اللغة بفروعه كل ما يتعلق باللغة من أصوات منطوقة أو مسموعة أو ألفاظ أو تراكيب أو دلالة والعوامل المؤثرة على هذه الظواهر اللغوية فسيولوجية كانت أو نفسية أو بيولوجية أو اجتماعية ، ويتبع في ذلك الأساليب العلمية المعروفة من جمع وملاحظة واستقراء واستنتاج القواعد ثم النظريات العامة من الحالات المختلفة ، ويستعين في سبيل تحقيق ذلك بالعلوم الأخرى مثل **الرياضيات والمنطق** (لتقديم النتائج والوصول إليها أحياناً) **وعلم**



وظائف الأعضاء والطبيعة (في دراسة نطق الأصوات وسماعها) **وعلم النفس والاجتماع والتربية** (في دراسة تعلم اللغة واستيعابها وآثارها على الفرد والمجتمع كما يحدث في علم اللغة التطبيقي مثلاً) كما يستعين علماء اللغة ببعض الآلات، ووسائل التقنية المختلفة أمثال **الأشعة السينية والمطايف** Spectograph **والحاسب الالكتروني** إلى جانب أجهزة تسجيل الصوت المعروفة.

من كل هذا يتضح لنا أن ما يعرف بعلم اللغة Linguistics **هو في واقع الأمر مجموعة من العلوم يجمعها هدف واحد وهو دراسة الظواهر اللغوية لدى الانسان، وهذا ما حدا بنا إلى تصدير هذا المقال بعنوان «علوم اللغة الحديثة».**

الفروع الرئيسة لعلم اللغة

اتفق علماء اللغة على تقسيم علم اللغة إلى شعبتين رئيستين هما:

١) **علم اللغة النظري أو العام.**

٢) **علم اللغة التطبيقي.**

وهناك من يرى اضافة شعبة ثالثة هي:

٣) **علم الأصوات.**

لكننا نرى أن علم الأصوات بهذا المفهوم يمكن ادراجه تحت مفهوم. علم اللغة النظري أو العام حيث إن الأصوات جزء من الظواهر والنشاط اللغوي لدى الإنسان، وكثيراً ما تتشابك دراسة الأصوات بالدراسات الصرفية والنحوية خصوصاً في المدارس الحديثة مثل المدرسة التوليدية Generative Grammar.

على الرغم من هذا الاتفاق العام على التقسيم فإنه ليس من السهولة بمكان تحديد معالم أي من الشعبتين تحديداً دقيقاً لأن ما يعتبره البعض نظرياً يراه آخرون تطبيقياً والعكس بالعكس، ولذلك فإن ما سنذكره في السطور التالية هو مفهوم شخصي قد يتفق مع آراء الدارسين لعلم اللغة في أجزاء منه ويختلف معهم في أجزاء أخرى. حيث إن الظاهرة اللغوية الواحدة قد تتم دراستها بأسلوبين مختلفين أحدهما نظري والآخر تطبيقي، بل وربما بأسلوب ثالث «بين بين» فدراسة الألفاظ مثلاً قد تكون موضوع دراسة **الصرف** Morphology **أو المعاني** Semantics وهما دراستان نظريتان فتسمى **علم الألفاظ** Lexicology وقد تكون موضوع دراسة المعاجم وصناعتها وهي دراسة تطبيقية فتسمى **صناعة المعاجم** Lexicography وفي أغلب الحالات تتداخل الدراستان فتكمل إحداهما الأخرى، وخصوصاً إذا علمنا أن الدراسة التطبيقية لا بد وأن تعتمد على أساس نظري سليم.

علم اللغة النظري
Theoretical Linguistics

يدخل تحت هذه التسمية مجموعة من المعارف المتعلقة باللغة أهمها ما يلي:

١ ـ **علم الأصوات بفروعه مثل (علم الأصوات النطق)** Articulatory Phonetics.

الذي يدرس مخارج الحروف وأعضاء النطق **وعلم الأصوات السمعي** Acoustic Phonetics الذي يعنى بدراسة موجات الصوت

وكيفية انتقاله في الهواء ووصوله إلى السمع والعوامل المؤثرة في كل ذلك **وعلم وظائف الأصوات في اللغات** Phonology وغيرها .

٢ ـ علم القواعد Grammar ويدخل تحت هذا المسمى :

(أ) **علم الصرف** Morphology الذي يعنى بدراسة بنية الكلمة أو بتعبير أدق دراسة الوحدات الناقلة للمعنى morphemes مثل الكلمة وأجزائها وتصريفها .

(ب) **علم النحو** Syntax وهو الفرع الذي يدرس بنية الجملة وشبه الجملة وأنواعها ، أي إنه يدرس نظم الكلام .

٣ ـ علم اللغة التاريخي Historical Linguistics

ويدرس هذا الفرع من علم اللغة تطور اللغات والأسر اللغوية وارتباط اللغات المتقاربة النسب بعضها ببعض وأوجه الشبه والاختلاف بينها Language Typology.

٤ ـ علم الدلالة Semantics

وهو يدرس العلاقة بين الرمز اللغوي ودلالته أو دلالاته كما يدرس تطور معاني الألفاظ من الناحية التاريخية بما في ذلك تأثير المجاز اللغوي من كناية واستعارة . . . الخ .

علم اللغة التطبيقي
Applied Linguistics

يدخل تحت هذه التسمية مجموعة أخرى من علوم اللغة أهمها :

١ ـ علم اللغة النفسي Psycholingnistics

ومن أهم مواضيع دراسته بالنسبة لعالم اللغة هو اكتساب اللغة الأصلية (عند الأطفال بوجه خاص والبالغين بشكل عام) والعوامل المؤثرة في ذلك بيولوجية كانت أو نفسية أو اجتماعية ثم تعلم اللغات الأجنبية والعوامل المؤثرة في ذلك داخلية كانت أو خارجية ، مساعدة كانت أو مثبطة ، كما يعنى بدراسة عيوب النطق والكلام .

٢ ـ علم اللغة الاجتماعي Sociolinguistics.

ويعنى هذا الفرع بتأثير المجتمع على اللغة واللغة على المجتمع كما يدرس مشكلة اللهجات الجغرافية (في مناطق مختلفة) والطبقية (أفراد المجتمع في طبقاته الثقافية أو الاقتصادية) والازدواج اللغوي وما شابه ذلك ، ومن أهم مجالات هذا العلم التخطيط اللغوي Language Planning الذي يعالج قضايا كثيرة مثل تقرير نظام الكتابة واختيار اللغات الرسمية وأساليب المحافظة عليها وتطويرها .

٣ ـ علم اللغة الآلي Computatioral Linguistics

وهو الفرع الذي يعنى بدراسة اللغة لتطويع المادة اللغوية للحاسب الالكتروني والاستفادة من الحاسب الالكتروني في الدراسات اللغوية ومن أبرز مواضيع هذه الدراسات هو **الترجمة الآلية** machine translation وتخزين المعلومات واستعادتها من ذاكرة **الدماغ الالكتروني** information retrieval.

٤ ـ صناعة المعاجم Lexicography

ويدرس هذا الفرع من علم اللغة التطبيقي الأمور المتعلقة بإعداد المعاجم آحادية اللغة (**مثل لسان العرب والمعجم الوسيط**) وثنائية اللغة (**عربي ـ انجليزي مثلا**) أو متعددة اللغات (**مثل عربي ـ انكليزي ـ ألماني**) بما في ذلك جمع المواد اللغوية وتنسيقها وأساليب عرضها . . الخ .

٥ ـ تعليم اللغات Language Teaching

يعتبر هذا الفرع من أهم فروع علم اللغة التطبيقي إن لم يكن هو أهمها على الاطلاق ، مما حدا بكثير من علماء اللغة إلى استعمال اصطلاح علم اللغة التطبيقي مرادفاً لتعليم اللغات (الأجنبية على وجه الخصوص) وهذا الفرع يعنى بكل ما له صلة بتعليم اللغات من أمور نفسية واجتماعية وتربوية بما في ذلك الاتجاهات والطرائق المختلفة والوسائل المعينة ، من إعداد للمدارس والمناهج والمواد التعليمية والاشراف عليها ، هذا وتوجد إلى جانب تعليم اللغات دراسات أخرى وثيقة الصلة بها ، مثل :

(أ) **التقابل اللغوي وتحليل الأخطاء** Contrastive and Error Analysis

الذي يقوم بمقارنة اللغات المختلفة ودراسة نقاط الاختلاف بينها للتعرف على النقاط التي قد تكون عقبة في طريق دارسي تلك اللغات من الأجانب ، كما يدرس هذا الفرع بأسلوب علمي الأخطاء التي يرتكبها دارسو اللغة ومحاولة التعرف على أسباب تلك الأخطاء لمعالجتها .

(ب) **تصميم اختبارات اللغة** Language Testing

موضوع هذا الفرع من الدراسة هو تصميم اختبارات اللغة أصلية كانت أم أجنبية وتطوير الوسائل اللازمة لتحسين هذه الاختبارات من ناحية المحتوى والناحية الفنية والعملية للوصول بها إلى أعلى درجة ممكنة من **الصدق (** validity) **والثبات** reliability **والتمييز** discrimiation **وسهولة التطبيق** .Practicalty

(ج) بالاضافة إلى ما سبق ذكره نجد بعضاً من الجامعات الغربية التي تقوم بتدريس **طرائق محو الأمية** Literacy بوصفه فرعاً من فروع علم اللغة التطبيقي .



بسم الله الرحمن الرحيم

المميزات والنشاطات لطلاب

كلية الملك فيصل الجوية

بعد التخرج

يتقاضى راتباً شهرياً قدره ٥٥٣٥ ريالاً موزعة على النحو التالي : -

٣٤٣٥ راتب أساسي

٥٠٠ بدل اعاشة

٤٠٠ بدل نقل

١٢٠٠ علاوة طيران

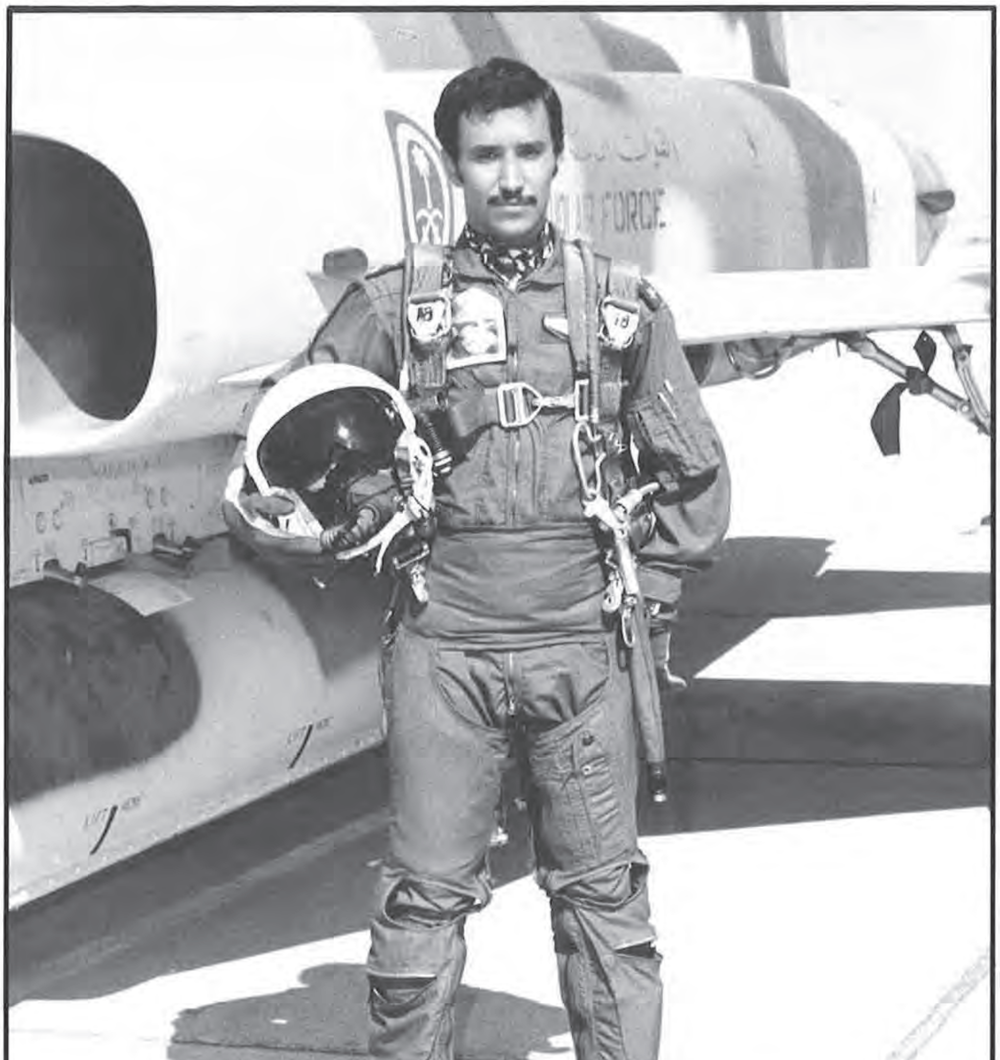
بالاضافة الى :-

١٢٠٠٠ ريال بدل سكن سنوياً

٢٨٠٠ ريال بدل ملابس سنوياً

- ترقيات حسب سلم الترقيات الخاص بالضباط الطيارين في القوات الجوية الملكية السعودية

- فرص كبيرة للابتعاث للخارج للتخصص .



للحصول على معلومات مفصلة اتصل بـ

١ - منطقة الرياض
لجنة التنسيق للقبول بالكليات العسكرية
بالامانة العامة للمجلس الاعلى للجامعات
شارع المطار - أمام مبنى كلية القيادة

٢ - المناطق الاخرى
أقرب قاعدة جوية أو منطقة عسكرية

والله ولي التوفيق

مع تحيات
كلية الملك فيصل الجوية

TIHAMA R

ندوة الشهر

اشترك في الندوة:

- الدكتور/عبدالله بن عبدالله الزايد — مدير المعهد العالي للدعوة الإسلامية بالرياض
- الدكتور/عبدالستار فتح الله سعيد — المدرس بالمعهد العام للدعوة الإسلامية بالرياض
- الدكتور/حسين محمد شويل — مدير عام مستشفى الولادة والأطفال بالرياض
- الدكتور/محمد عبدالهادي عثمان — الأخصائي بمستشفى الولادة والأطفال بالرياض



★ لويزا طفلة الأنبوب ★

طفل الأنبوب

بين العلم.. والمجتمع

اعداد: محمد مبارك



NEW YORK POST
The tiny miracle

Daily Mail
And here she is...
THE LOVELY LOUISE

France Soir
Le premier bébé éprouvette est né

Herald Tribune
Test-Tube Baby Girl Born In Medical Breakthrough

EXPRESS
THE WHOLE WORLD IN HER HANDS!

Mirror
TEST-TUBE BABY GIRL!

★ بعض الجرائد الأجنبية التي حملت الخبر المثير إلى العالم ★

تناقلت وكالات الأنباء كثيراً من الأخبار والتعليقات حول التجربة التي قام بها الطبيبان البريطانيان « **باتريك ستبتو** » و« **روبرت ادوارد** » الخاصة بولادة أول طفلة بواسطة الأنابيب اسمها « **لويزا براون** » من الأب **جون** والأم **ليسلي** في مستشفى **أولدهام** بالقرب من **مانشستر في انجلترا** .

ولقد حظيت هذه التجربة باهتمامات الصحافة العالمية وتناولها العلماء والأطباء بالتعليق بين مؤيد ومعارض وبين مأخوذ بنتائج التجربة ومتريث في الاقتناع بها .

تقول الأم ليسلي في معرض وصفها لابنتها « لويزا » : « لن أنسى تلك الثانية التي لمست فيها ابنتي للمرة الأولى ، إنها لحظة تساوي بالفعل كل ما مررت به من أجلها » .

ويقول الدكتور ستبتو : « ظاهرياً تبدو الإجراءات والخطوات العلمية التي أعطت السيدة ليسلي الطفلة التي عاشت تنتظرها سنوات طويلة ، تبدو هذه الخطوات بسيطة ومباشرة . إن التجربة محاكاة للطبيعة في أسلوبها البسيط الذي وهبه لها الله لتجديد الحياة البشرية . ولكن مع إحداث اختلاف بسيط بسبب حدوث انسداد في الطريق الطبيعي [يقصد الانسداد في قناتي فالوب] ولكن الواقع بالطبع أكثر تعقيداً » .

ولقد كانت الفكرة التي تولدت في رأس الدكتور **ستبتو** منذ نحو ١٥ سنة أن هذا الانسداد يمكن تخطيه كلية إذا ما أمكن :

●● التقاط البويضة من المرأة جراحياً .

●● تخصيبها في المعمل بالحيوان المنوي للزوج .

●● ابقاؤها حية لعدة أيام إلى بدايات مرحلة الجنين .

●● زرع البويضة وقد تحولت إلى بداية مرحلة الجنين في رحم الأم لكي ينمو فيه كأي جنين طبيعي .

ولقد سبق هذه التجربة إجراء ٣٥٠ تجربة أخرى ، وقد سعى **الدكتور ستبتو** من خلال تجربته الجديدة إلى تطوير التكنيك ، فوجد ضالته المنشودة في الستينات في الدكتور ادوارد أستاذ علم وظائف الأعضاء بجامعة كمبريدج الذي أمضى سنوات في إجراء أبحاث معملية حول عملية الاخصاب .

وقد توصل الدكتور ادوارد بعد أبحاث مضنية إلى أن عملية الاخصاب ليست مجرد خلط البويضة بالسائل المنوي ، فأهم شيء للبويضة أن تكون في مرحلة النضوج التام اللازمة لحدوث الاخصاب ومن هنا ظهرت أهمية عامل التوقيت في إخراج البويضة من المبيض .

وكان دور الدكتور ادوارد في إيجاد مثل هذه الظروف اللازمة لنضوج البويضة في الأنبوب وتوليف مزيج من سائل المواد الغذائية التي تسمح بعملية النضوج والاخصاب .

ونظراً لخطورة وأهمية التجربة رأت « الفيصل » أن تخصص ندوتها لهذا الشهر لمناقشة الموضوع من زواياه وأبعاده المختلفة الدينية والاجتماعية والخلقية والطبية .

الأبعاد الدينية .. والاجتماعية

بدأ **الدكتور عبد الله بن عبد الله الزايد مدير المعهد العالي للدعوة الاسلامية بالرياض** الندوة شارحاً الجوانب الدينية والاجتماعية لفكرة وتجربة طفل الأنبوب فقال :

« في مطلع الكلام حول هذا الموضوع أود أن أبدي ملاحظتين اثنتين أحسبهما مهمتين :

● **الملاحظة الأولى :** أن الإعلام أثار ضجة حول مسألة طفل الأنابيب أكبر من التجربة نفسها ، وهذا الضجيج الإعلامي لا يتسم بروح العلم في تناوله للموضوع ، إذ إن **قواعد العلم الصحيح لا تقر الخلود ولا التمجيد الأسطوري لتجربة ما .**

ثم إن هذا الأسلوب الإعلامي صور القضية على أنها فتح جديد للتناسل البشري ، يلغي الطريق الفطري الطبيعي للاتصال والتوالد والتناسل .

الملاحظة الثانية : أن المشكل دائماً ليس في اكتشافات العلم ، وإنما في طريقة استغلال الاكتشافات العلمية ، فالمركبات الكيميائية وتفاعلاتها ـ مثلاً ـ علم معروف ، ولكن **الضلال البشري استخدم هذا العلم في صناعة أسلحة الحرب الجرثومية البشعة .**

ومن هنا وجب وضع الضمانات التشريعية ، والأخلاقية ، حتى لا يستغل العلم أفراد ضالون ، يدمرون به البشرية سواء في المجال المادي ، أو المجال الاجتماعي الأخلاقي .

فما هي تجربة طفل الأنبوب ؟

هي وصل الحيوان المنوي بالبويضة بطريقة صناعية ـ في أنبوب ـ نظراً لعجز ما في الرحم ، هذه الطريقة ذاتها ، أسلوب علاجي لحالة لا يمكن أن توصف المرأة التي تعالج بها بالعقم الكامل ، فإن من جعلها الله عقيماً مستحيل عادة أن تلد ، وكذلك بالنسبة للرجل ، وألوف الحالات في العالم تؤكد هذه الحقيقة المسلّمة ، والعقم الكامل يختلف عن حالة صاحبة بويضة الأنبوب حيث إن هذه قابلة للحمل لكن لعجز ما في الرحم حيل بين رحمها وبين قبول لقاح زوجها .

ومن هنا يتأكد أن اللجوء لزرع البويضة في الأنبوب لتلقيحها ناجم عن مرض عجز العلم عن علاجه داخل الرحم ، فعالجها في الخارج ، وبهذا يمكن أن يكون هذا النوع من العلاج دليلاً على عجز العلم نفسه

حتى الآن عن معالجة الانسداد الشرياني داخل الرحم .

ما هو موقفنا كمسلمين من هذه التجربة ؟

إن موقفنا من هذه التجربة يأخذ في اعتباره الناحية الفقهية والناحية الاجتماعية :

أولا : الناحية الفقهية

ينتقد بعض الناس علماء المسلمين الأوائل لأنهم فتحوا أبواب الاحتمالات لما عساه أن يجد من وقائع ومشكلات .

ومن ذلك أنهم بحثوا احتمال ادخال ماء الزوج إلى رحم زوجته من غير طريق الاتصال العادي ، وتسمى هذه العملية في الفقه بـ « **الاستدخال** » أو « **التحمل** » **وعلى هذا يمكن القول بأن الفقهاء المسلمين لا يمانعون من التلقيح الصناعي بشرط أن يكون من زوجين شرعيين .**

وتجربة طفل الأنبوب تخضع لهذا الحكم بالشرط المذكور ، أي أن تكون النطفة والبويضة من زوجين شرعيين .

والذين يمنعون جواز هذه الطريقة لاحظوا **المقاصد الشرعية ، وقاعدة سد الذرائع** ، ذلك أن **من المبادىء الفقهية ضرورة الموازنة بين المصلحة والمفسدة ، فإذا ترجحت المفسدة على المصلحة ، وجب منع الحمل بما يفضي إليها** ومن ذلك قولهم : درء المفسد مقدم على جلب المصالح ، أي إذا تساوت المفسدة والمصلحة وجب درء المفسدة وتجنب سلوك الطريق المفضي إليها .

وهذا النظر جنب الأمة الإسلامية الوقوع في كوارث كثيرة ، وقع فيها المسلمون اليوم لضعف التزامهم بقواعد الإسلام وهديه .

وعلى هذا يمكن القول بأن الناس إذا أساءوا استعمال هذه التجربة - إذا نجحت - فإن على المتصدين للفتوى النظر في قاعدة سد الذرائع . . وإذا لم يحصل إساءة استعمال غلب جانب جلب المصالح .

وهذا الأمر أشبه ما يكون بجرعة دواء واحد يعطى لمريض ويمنع منه مريض آخر مع أنهما مصابان بمرض من نوع واحد لاختلاف استعداد الجسمين .

وليس ذلك من التلاعب بالفتوى ، ولكنه من الفقه في دين الله المرتكز على النظرة الثاقبة في نصوص الشريعة وفي مقاصدها ، ولقد كان **النبي ﷺ** يسأل أحياناً عن مسألة واحدة من شخصين فيجيب شخص بما لم يجب به الآخر ، كأن يسأله مثلاً رجل عن أفضل الأعمال فيجيب قائلاً : بر الوالدين ، ويسأله آخر نفس السؤال فيقول له الإنفاق في سبيل الله ، واختلاف الفتوى في هذا المثل ملحوظ فيه حال السائل ، فالأول يحتاج إلى نصحه ببر الوالدين ، لأنه عاق لهما ، والآخر صاحب مال فيحتاج إلى نصحه بالبذل في سبيل الله ، وعموماً ، **فإن اختلاف الفتوى باختلاف حال المستفتي مما اعتنى به الأصوليون وقعدوا له القواعد .**

ونحن نقول بعدم الجواز إلا إذا توفرت الضمانات التشريعية * والأخلاقية التي تحيط هذه التجربة بالسلامة والطهارة وتبقيها في دائرة الحلال .

وإن قولنا بعدم الجواز له مبررات منها :

١ - أن **حبوب منع الحمل** صنعت ابتداء - كما قيل - لتنظيم النسل ، ولكن هذه الحبوب شجعت جريمة **الزنى** تشجيعاً مرعباً ، حتى أصبح **البنات في أوروبا وأمريكا** يحملن هذه الحبوب في حقائب كتب المدارس الثانوية .

٢ - أن الشركات التجارية وطلاب الربح سيخترعون تجارة جديدة (تسمى التجارة في أولاد الحرام ، أو ما شاءوا أن يسموها) فليس من المستبعد توسيع التجربة ، وعدم حصرها بين الزوجين الشرعيين ، فربما عمدوا إلى نطف وبويضات ليس بين أصحابها علاقة زوجية ليجروا التجارب عليها ، ويمتد خيالهم ويتسع ، حتى يقوموا بإنشاء بنوك للنطف والبويضات تسمى « **بنوك أطفال الأنابيب** » ليأتي المشتري فيتخذ نطفة أو بويضة من السلالة التي تعجبه ، لتشهد البشرية **عودة الجاهلية الأولى** من جديد في هذا المجال ، فقد كان معروفاً في الجاهلية الأولى ، ما يسمى **بنكاح الاستبضاع** ومعناه : اختيار رجل له خصائص معينة ليتصل بالمرأة غير الحبلى لتنجب من سلالته من قد ينفع القبيلة !! وهذا النكاح نوع من أنواع الزنى أبطله الإسلام كما جاء في حديث عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها .

ثانيا : الناحية الاجتماعية

فإن الاستخدام السيء لهذه التجربة سوف يؤثر تأثيرا خطيرا على المجتمعات ، ومن هذا :

- **انقطاع النسب ، إذ تظهر أجيال لا تعرف آباءها ولا أمهاتها حقيقة .**
- **تدمير الأسرة بتقطيع أواصرها وهذا مترتب على انقطاع النسب .**
- ومما يترتب على هذين **انعدام صلة الرحم .**
- **ادخال نسب على قوم ليس لهم به صلة شرعية .**
- **فقدان الاحساس بالانتماء العائلي المعروف** مما يؤدي إلى التمزق النفسي والخلقي والاجتماعي ، وهذا التمزق يؤدي إلى التعقيد والاكتئاب والاجرام ، ومن الخير هنا الاعتبار بمشكلة **اللقطاء في أوروبا وأمريكا والعالم الثالث .**

وفي الختام **أقترح أن تعقد ندوة لمجموعة من علماء المسلمين لمعالجة هذا الموضوع والموضوعات الأخرى المماثلة** ليستنير الرأي العام الإسلامي ، وليكون ما يصدر عن هذه الندوة من أحكام ومقررات ملزماً للحكومات الإسلامية وللعلماء المسلمين الذين يقومون بالتجارب العلمية الطبية . والله أسأل حسن القصد وسداد الرأي وخلوص القول والعمل له وصلى الله وسلم وبارك على هادي البشرية باذن ربه إلى صراط مستقيم » .

بين الدين والعلم

وعن العلاقة بين **الدين والعلم** وتطبيق هذه العلاقة على تجربة الأنابيب ودورها المحدود يقول **الدكتور عبد الستار فتح الله سعيد**



★ لويز، طفلة الانبوب في مهدها .. حيث يد الأم ترعاها ★

★ الأم
«ليسلي براون»
مع طفلتها في الهواء الطلق
في شرفة منزلها ★



المدرس بالمعهد العالي للدعوة الإسلامية بالرياض :

دأب الناس كلما ظهر كشف علمي جديد أن يتلفتوا إلى الدين أحياناً بروح الشماتة والتحدي ، أو بروح الاشفاق والرثاء ، وفي أخف الأحوال يكونون على هيئة التساؤل أو الانتظار عما تسفر عنه الأيام ، في الصراع الموهوم بين العلم والدين !!

لذلك نود قبل الحديث عما سمي « **بأطفال الأنابيب** » أن نلفت الأنظار إلى جملة موجزة من الحقائق ، حول هذه المسألة التي أحدثت ضجة أكبر من حجمها :

أولا : الدين والعلم صنوان

إذ لا يمكن أن تتعارض المبادىء الدينية الأصيلة ، مع الحقائق العلمية الصحيحة ، والفجوة المصطنعة بينهما قد فات أوانها ، وزالت الظروف التاريخية التي أحدثتها حين اصطدمت **الكنيسة** بطلائع عصر **النهضة الأوروبية** ، لذلك **تحول العلم نفسه الآن إلى داعية للايمان** ، وعاد يدعم حقائق الدين التي أنكرها الملحدون في الماضي ، والذين لا تزال لهم بقايا في الدوائر العلمية تأخذ الالحاد وراثة وتقليداً كما كان المشركون من قبل يجمدون على إرث آبائهم الأولين بلا بينة ولا دليل !!

ثانيا : الاسلام ميزان الأديان

لأنه دين الحق ، والمتفرد - وحده - بالحفظ ، وتواتر المبادىء والقواعد ، ومن ثم فهو الحكم على غيره من الأديان ، وهو كلمة الوحي الإلهي الصحيحة الباقية على الأرض ، ولهذا لم يتعارض مع حقيقة علمية ، ولم يعارض قط المصالح المشروعة للجنس البشري ، لأنه جاء لتحقيقها وحياطتها . وتاريخه المجيد أبلغ شاهد على هذا خاصة في مجال العلوم والدراسات .

ثالثا : دور محدود للأنابيب

فالحقيقة العلمية إلى الآن أن الأنابيب استخدمت استخداماً محدوداً ، ولمدة ٤ أيام « أي ١/٧٠ من مدة الحمل الطبيعي » ، ومع بذل الجهود المضنية قبل ذلك لمدة ١٢ عاماً متواصلة تم بذل الجهود لحفظ البويضة والنطفة ، وتوفير المناخ المناسب لهما حتى يلتحما ، وليسيرا وفق النظم الإلهية الثابتة ، إلى أن تم نقلهما إلى الرحم مرة أخرى ليواصل الجنين الحياة والنمو في قراره المكين الأصيل .

ومن ثم يتضح خطأ هذا الوصف الذي ينسب فيه الطفل إلى الأنابيب ، وهي وعاء عارض .

رابعا : سنريهم آياتنا في الآفاق

ومع اعترافنا بعظمة هذا العمل العلمي ، وتقديرنا للجهود الجبارة التي بذلها العلماء والأطباء في هذا الصدد ، نعود إلى القول بأن هذا فتح جديد للدين ، وتأكيد لحقائقه الكبرى ، في الإيمان بالله الواحد القهار ، ذلك لأن **هذا العمل العلمي الكبير يلفت الأسماع والأبصار ، والقلوب والعقول إلى جلائل النعم الالهية ، وخوارق الخلق الرباني** ابتداء من إيجاد الذكر والأنثى ، والنطفة والبويضة ، وخلطهما على ما سماه القرآن العظيم : ﴿ **انا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج** ﴾ ، ثم متابعة رعاية هذا المزيج في أطوار الخلق العجيبة التي فصلها القرآن الكريم ، والتي امتن الله تعالى بها على عباده ، وساقها دليلاً على قدرته المتفردة وعلى جميل عنايته الفائقة ، ومن ذلك قوله تعالى :

﴿ **ألم نخلقكم من ماء مهين ، فجعلناه في قرار مكين ، إلى قدر معلوم . فقدرنا فنعم القادرون** ﴾ ، وهذا القرار المكين هو الذي تناسلت البشرية من خلاله عبر القرون المتطاولة ، فكيف لا يثير هذا كله عجب الناس بقدر ما أثارتهم حالة عابرة في أنبوب هش ، بذل في

سبيله أضنى الجهود ، وأبهظ النفقات ؟!

إن كل إنسان منصف في الأرض ليزداد بهذا إيماناً بقدرة الله العظيم ، ويزداد شكراناً لنعمة الله ، وتصديقاً بوعده حين قال جل شأنه :

﴿ سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ﴾ .



★د. عبد الستار فتح الله السعيد★



★د. عبد الله بن عبد الله الزايد★

خامسا : وما تشاؤون إلا أن يشاء الله

على أنه **ينبغي أن يستقر في أعماقنا دائما أننا محكومون في النهاية بسلطان الله تعالى ومشيئته ، وأن مزاولتنا للأسباب لا تعني التفرد بمصائر الحياة .** فإن الله عز شأنه هو الفعال لما يريد ، ولن يصبح « العقم أسطورة » كما تنادى المغرورون غداة ميلاد الطفلة الانجليزية ، ولنستمع في أدب إلى صوت الوحي الإلهي يقرر الحقيقة النهائية :

﴿ لله ملك السموات والأرض يخلق ما يشاء ، يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور ، أو يزوجهم ذكرانا وإناثا ويجعل من يشاء عقيما إنه عليم قدير ﴾ .

ولننظر كيف كرر المولى جل شأنه ذكر المشيئة الإلهية أربع مرات في آيتين اثنتين فقط حتى يجلّى عن الإنسان المغرور أوهامه حين يعلم ظاهراً من الحياة الدنيا ، ويظن أنه بذلك قد ملك الأسباب ، وأن الظن لا يغني من الحق شيئاً !!

على أننا نعود فنذكر بأن **هذه الوسائل الصناعية ليست خلقا ، ولا تخليقا ، وإنما هي استخدام لمواد خلقها رب العالمين ، ومحاكاة بارعة لنموذج الخلق الأصيل ، وتطبيق للسنن الالهية في الأرحام والأجنة ، ولذلك كان والدا الطفلة أول من أعلنا إيمانهما بالله تعالى** حين قارنا الجهود الفادحة التي بذلت في محاولة جزئية ومحدودة ، بالنعم الإلهية المتكررة في أقطار الأرض أثناء الليل والنهار ، لمئات الملايين من الآباء والأمهات .

خلاصة الجواب

والآن يأتي السؤال عن حكم الدين في الأطفال الذين يمرون عبر الأنابيب ، أو غيرها من الأدوات والآلات والأوعية .

ونوجز الجواب عن هذا في نقاط :

● **أولا :** يبيح الإسلام للرجل أن يضع نطفته في المرأة على أي وجه ينتهي بها إلى الرحم ، بل يبيح له ـ بشروط ـ القاءها خارج الرحم فيما يسمى شرعاً « **بالعزل** » الذي كان يفعله **الصحابة** رضوان الله عليهم على عهد **رسول الله** ﷺ **والقرآن ينزل ، كما جاء في حديث جابر في الصحيحين .**

● **ثانيا :** ينبغي الاعتقاد التام بأن الخالق هو الله تعالى في كل حال سواء كان ذلك في أنبوب ، أو ما هو أغرب منه ، وقد جاء في الحديث النبوي اشارة رائعة إلى هذا حين جاء رجل يسأل النبي ﷺ عن العزل فقال له ﷺ : «**لو أن الماء الذي يكون منه الولد أهرقته على صخرة لأخرج الله منها ولدا** » رواه **أحمد والبزار وابن حيان** وصححه من حديث **أنس** .

ثالثا : معالجة الماء الذي يكون منه الولد بطريقة التلقيح بين النطفة والبويضة في أنبوب أو غيره لا يزيد عن كونه ضرباً من التداوي ، والأخذ بالأسباب المشروعة في الإسلام ، ولا دليل على منعه أو تحريمه ، وهو مثل مقابلة « المنع من الحمل » لا يغير من القدر شيئاً ، ولذلك لما قالت اليهود : العزل الموؤودة الصغرى ، قال رسول الله ﷺ : «**كذبت يهود ان الله عز وجل لو أراد أن يخلق شيئا لم يستطع أحدا أن يصرفه** » رواه **أحمد وأبو داوود** من حديث **أبي سعيد** .

● **رابعا :** لم يمنع الإسلام أمته من الاستفادة بالتجارب البشرية في مجالات الحياة ، بل يحثها على اقتباس النافع المفيد منها ، وفي الأثر « **الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أولى الناس بها** » .

وفي مجال الحمل أو منعه قرر **النبي** ﷺ هذا المعنى فقال عن العزل حين سئل عنه : « **.. لو كان ضارا ضر فارس والروم** » ، رواه **أحمد ومسلم** من حديث **أسامة** .

ويقول : « **لقد هممت أن أنهى عن الغيلة فنظرت في الروم وفارس فإذا هم يغيلون أولادهم فلا يضر أولادهم شيئا . .** » رواه أحمد ومسلم من حديث **جذامة بنت وهب** والغيلة هنا معناها : جماع الزوجة وهي مرضع أو أن ترضع وهي حامل .

مشرط الحل

واستخدام الأنابيب أو غيرها مشروط فيه بداهة أن يتم بطريق شرعي متفرد وهو أن تكون النطفة من الزوج والبويضة من الزوجة فقط بحيث لا يختلط بها أي مادة بشرية تؤخذ من غير الزوجين .

والاخلال بواحد من هذين الأمرين (النطفة والبويضة الزوجية) يكون في حكم الزنى ، ويأثم فاعله والراضي به إثماً مبيناً ، فضلاً عن أنه يترتب عليه آثار الزنى من عدم ثبوت النسب ، وحرمة الميراث وغير ذلك من الأحكام الكثيرة !!

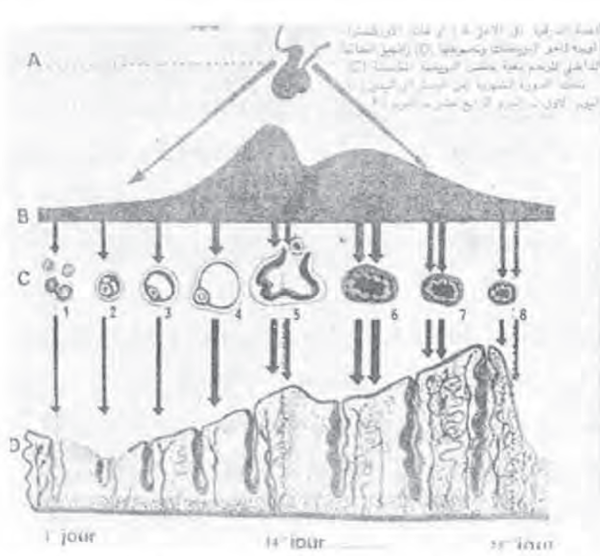
والزنى لم يحرم فقط **حفظاً للأمراض** ، وإنما أيضاً **حفظا للأنساب** ، وترتيب الآثار عليها ، ولهذا جاء في الحديث الشريف : « **أيما امرأة أدخلت على قوم من ليس منهم فليست من الله في شيء ، ولن يدخلها الله الجنة . .** » رواه **أبو داوود والنسائي وابن ماجه** وصححه **ابن حيان والحاكم .**

وتخصيص المرأة هنا من أعلام النبوة لأن الشبهة الآن قائمة فيما لو أخذت بويضة غير الزوجة فلقحت بمني الزوج ، ثم زرعت في رحم الزوجة ، وهذا ينطبق عليه الحديث نصاً ، لأن كلتا المرأتين تكون قد أدخلت على قوم من ليس منهم !!

وسيلة قديمة خبيثة

ولا يفوتنا في هذا المقام أن ننبه إلى إحدى الوسائل الصناعية للحمل ، والتي كان يستخدمها **الدجالون والسحرة** من قديم ولا تزال تستعمل في الأوساط الجاهلة حتى في بلاد المسلمين !! وخلاصتها أنهم يوهمون المرأة بقدرتهم على علاجها حتى تحمل ، ويحضرون لها في أثناء ذلك ما يسمى « **بالصوفة** » وهي قطعة من صوف الغنم ، تحتوي على مني رجل غير زوجها - وربما لا تعلم بذلك غالباً - ويطلبون منها أن تضعها في رحمها مدة معينة ، وربما كرروا ذلك في فترات متقاربة حتى تحمل فعلاً سفاحاً من « الحيوانات » المنوية التي عاشت في حرارة الصوف ، وهي تظن أنه حمل طبيعي بواسطة العلاج !!

ولا شك أن العلم المادي اليوم قد فتح آفاقا جديدة في هذا المجال للانسان ، فإن ظل في إطار الشرعية الدينية كان خير وبركة على الناس ، وإلا عاد بهم إلى شر من حياة الدجل والشعوذة ، وهذا هو الذي دفع كثيراً من المتدينين في العالم إلى التوجس والريبة من نجاح تجارب التلقيح خارج الرحم ، **وأغلب الظن**



★ الغدة الدرقية (في الاعلى A) أو قائد الاوركسترا الموجه لنمو البويضات ونضوجها (D) ولتهيؤ الحائط الداخلي للرحم بغية حضن البويضة المخصبة (C) تحت الدورة الشهرية (من اليسار إلى اليمين) + اليوم الأول - اليوم الرابع عشر - اليوم ٢٨ ★

> ### أرقام . . ومعلومات
>
> * تفرز المرأة في سن الخصوبة كل ٢٨ يوماً بويضة واحدة أو أكثر من المبيض .
> * تقطع البويضة الناضجة رحلة مدتها ثلاثة أيام ونصف اليوم من أحد المبيضين إلى الرحم ويستغرق الجانب الأكبر من هذه الرحلة المرور بقناة فالوب أو قناة المبيض .
> * تولدت فكرة استخدام الأنابيب في عملية الاخصاب في رأس الطبيب البريطاني ستبتو منذ نحو ١٥ سنة .
> * في عام ١٩٦٦ م ، تيقن الدكتور ادوارد (زميل ستبتو) من التوقيت الملائم الذي يتم فيه تخصيب البويضة .
> * في عام ١٩٦٩ م ، تمكن الدكتور ادوارد والدكتور ستبتو من تلقيح البويضة صناعياً خارج الجسم .
> * من ٥٦ بويضة جرى إجراء التجربة عليها نجح التلقيح مع ١٨ بويضة فقط .
> * عام ١٩٧٨ م ، شهد نجاح أول تجربة لاستخدام الأنابيب بدلا من قناة فالوب .

أن هذه الظاهرة العلمية ستحوز اعجاب الجميع لو سلكت بالناس سبيلا مأمونا ، والتزمت خطا أخلاقيا قويما ، والله الهادي إلى سواء السبيل .

العقم وشبه العقم

ويشرح **الدكتور حسين محمد شويل زميل أمراض النساء**

والولادة من جامعة لندن ومدير عام مستشفى الولادة والأطفال بالرياض أسس فكرة الحمل باستخدام الأنبوب فيقول :

من الناحية العلمية ، عندما يحدث حمل يكون **الحيوان المنوي** سليم **والبويضة** سليمة **والأعضاء التناسلية** سليمة ومفتوحة ، فإذا توافرت هذه العناصر الثلاثة فهناك قابلية للحمل **ويحدث الحمل بمشيئة الله** ، وأي عطل في هذه العناصر الثلاثة معناه عدم حدوث حمل .

والذي حدث في تجربة طفل الأنبوب أنه غالباً ما يكون الحيوان المنوي سليماً إلى حد ما ولكن عدده في ماء الرجل قليل ، أو أن قدرته على الحياة أقل من القدرة العادية (متوسط عمر الحيوان المنوي ٧٢ ساعة في جو ملائم له) فلو كان هذا الجو غير ملائم سواء من أثر الافرازات الأنثوية أو غير ذلك فمعناه أن تكون مدة حياته بسيطة وأقل من المتوسط ، وأيضاً إذا كان هناك سدد في الطريق مثل **عنق الرحم** نتيجة ضيقه أو أن **الافرازات** من النوع السميك بحيث يصعب على الحيوان المنوي الاختراق ، أو نتيجة لانسداد في **أنبوب قناة فالوب** وهي الموصلة بين الرحم والمبيض ، ومعنى ذلك أنه لن يصل الحيوان المنوي ليقابل البويضة ، في المبيض على الرغم من أن هناك بويضة تفرز .

في مثل هذه الحالات تأخذ البويضة وتتلقفها أجهزة ، ويحضر الحيوان المنوي في وسط ملائم ويوضعا في الأنبوب ويتم تعهدهما حتى يتم التزاوج بقدرة الله بين الحيوان المنوي والبويضة ، ويتم الانقسام المنصف والتكاثر حتى تصل إلى درجة معقولة أي عندما تصل إلى طور « **العلقة** » وعندئذ تنقل إلى الرحم وتزرع فيه . وفي هذه الأثناء يتم تحضير الأم من **الناحية الهرمونية** حتى يكون **الغشاء المبطن لجدار الرحم** به قابلية لتقبل العلقة وتكوين **الخلاص** ، وعندما تزرع العلقة تكون محاطة بالأكياس الجنينية والتي يكون في آخرها **زغائب** تستطيع أن تلتصق بالغشاء المبطن بالرحم وتتكون **المشيمة** وتكمل طور النمو .

والعقم من الناحية العلمية حيث لا تفرز بويضة ، أو لا تفرز حيوانات منوية ، ويسمى العقم هنا *Sterility* ولكن إذا كان يتم الافراز بشكل قليل جداً فمعنى ذلك انتفاء صفة العقم ، وهنا نبحث عن وسائل أخرى لايصال الحيوان المنوي إلى البويضة وهي حالات **شبه العقم** Infertility .

ولو كان هناك **سدد في الحبل المنوي** نتيجة لاصابة بمرض أو انسداد إحدى الوصلات ، فيمكن إجراء جراحة أو أن الحيوان المنوي يقف عند **البروستاتا** . فإذا ضمنا أن الرجل يفرز حيوانات منوية سليمة إلى حد ما أو بها مرض معين ، حيث يمكن أن يمرض الحيوان المنوي أو يمرض الطريق الذي يمر فيه ، سواء عند الزوج أو الزوجة . . إذا ما وجدت هذه الحالات . . فيمكن الاستفادة من فكرة حمل الأنبوب أو الحمل الصناعي .

هذا ومن السابق لأوانه أن نكتشف نتائج وآثار هذه التجربة على نمو الأطفال في مختلف مراحل حياتهم .



★د. حسين محمد شويل★



★د. محمد عبد الهادي عثمان★

دور قناة فالوب

أما الدكتور محمد عبد الهادي عثمان الأستاذ المساعد بكلية الطب بجامعة القاهرة والاخصائي بمستشفى الولادة والأطفال بالرياض فيشارك برأيه العلمي قائلاً :

مشكلة **شبه العقم** من المشاكل التي تواجه كثيراً من المرضى ، ولقد شهدت السنوات الأخيرة تقدماً ملموساً في تشخيص علاج مثل هذه الحالات ، ولا زال العلم يضيف في كل يوم جديداً .

وفي هذه الحالات تكون البداية الصحيحة هي التشخيص الدقيق وذلك يستلزم دراسة وافية للتاريخ المرضي وفحص دقيق لكل من الزوج والزوجة ثم إجراء مجموعة من الفحوص والتحاليل لمعرفة سبب العقم (عدم الانجاب) .

وفي حالات **شبه العقم الناتج عن قصور في وظيفة المبيض** فلقد أمكن في السنوات الأخيرة تحقيق تقدم ملموس في علاج هذه الحالات عن طريق **استخدام عقار الاخصاب** وهي عبارة عن **هرمونات منبهة للمبيض** ولا يجب استعمالها إلا تحت الاشراف الطبي الدقيق تفادياً لحدوث مضاعفات .

أما في حالات **شبه العقم الناشىء عن انسداد قناة فالوب** فإن ذلك من المشكلات التي أمكن إحراز تقدم ملموس في تشخيصها عن

أصداء

[★ إن طفل الأنابيب عملية تم وفق السنَّة الطبيعية لتكوين الجنين عن طريق وجود حيوان منوي من الرجل ، وبويضة من الأنثى يتم تلقيحها في أنبوبة تنقل بعد التلقيح إلى رحم المرأة فتأخذ دورتها العادية .

وإذا تم حمل المرأة من مادة زوجها فإن نسب الطفل يكون صحيحاً ، ويثبت نسبه لأبيه ، كما تثبت له الحقوق الخاصة بالطفل العادي في الميراث ★]

إبراهيم القطان

قاضي القضاة في الأردن

[★ إذا كانت المادة التي أدخلت إلى رحم الأم هي مادة زوجها ، فإن نسب الطفل يكون صحيحاً ، ويثبت نسبه لابيه ، وتثبت له الحقوق الخاصة بالطفل العادي في الميراث ، وأنه ما دام الزوج هو صاحب المني فإن الطفل المولود ينسب إليه حتى ولو لم يحدث جماع كامل بين الزوجين .

أما إذا كان الطفل نتيجة حصول الزوجة على مادة من شخص آخر غير زوجها وأدخلت إلى رحمها بأي وسيلة صناعية فإن الطفل في هذه الحالة لا ينسب لأحد حتى لو عرفت الأم والشخص صاحب المني ، وتكون الزوجة قد أتت عملاً محرماً ★]

حسنين محمد مخلوف

مفتي الديار المصرية

طريق **تصوير الرحم بالاشعة والمنظار البطني** ، إلا أن التقدم في مجال علاج مثل هذه الحالات يتقدم بخطى بطيئة .

ومن الجدير بالذكر أن قناة فالوب تلعب دورا حيويا في التقاط البويضة بعد خروجها من المبيض ثم عملية نقل البويضة والحيوان المنوي ثم عملية التلقيح ثم عمليات الانقسام والنمو للبويضة الملقحة . كل هذه المراحل تم داخل قناة فالوب مما يستلزم أن تؤدي دورها ليس فقط لكونها مفتوحة أو مسدودة بل لسلامة الغشاء المبطن لها ولسلامة الافرازات الناشئة منها والتي تغذي هذه الأطوار .

وفي حالات انسداد قناة فالوب فلقد كان العلاج التقليدي هو محاولة فتحها عن طريق النفخ أو الاشعة القصيرة أو حقن بعض الأدوية عن طريق الرحم .

وفي حالات قليلة يمكن علاج بعض هذه الحالات جراحياً ، إلا أن نتائج التدخل الجراحي لا تزال ضئيلة .

وفي محاولة للمساعدة في علاج هذه الحالات فإن الجهود للتدخل الجراحي تحت **الميكروسكوب** وكذلك محاولات نقل قناة فالوب سليمة إلى أخرى لا تزال في طور الدراسة والتجربة . . ومن الحلول التي طرحت لعلاج بعض هذه الحالات التلقيح الخارجي (Ferrilization In Vitro) .

وذلك عن طريق جمع البويضة والحيوان المنوي في وسط مناسب واتمام عمليات التلقيح والنمو الأولي للجنين خارج جسم الأم « وهي العمليات التي كان من المفروض أن تتم في قناة فالوب » ثم يتم نقلها في مرحلة معينة من النمو إلى الرحم بعد إعداده لاستقبال الطور الأولي للجنين .

ولا شك أن مثل هذه الطريقة ذات صعوبات عديدة تتلخص في صعوبة الحصول على البويضة المناسبة في الوقت المناسب للتلقيح ثم إعداد الحيوان المنوي بطريقة معينة يصبح بعدها قادراً على اختراق البويضة ، ثم إعداد الوسط الملائم لمراحل النمو الأولي .

كما أنه من الصعب التكهن باستمرار النمو بصورة طبيعية داخل الرحم وبعد الولادة ، ثم إن حالة واحدة غير كافية لاصدار حكم بالنجاح أو الفشل على مثل هذه الطريقة .

تعليق

** بعد استعراض تجربة ما سمي بأطفال الأنابيب من حيث المنشأ والتنفيذ وآراء العلماء والأطباء فيها كحدث علمي ، نخلص إلى القول بأن قدرة الله سبحانه وتعالى ومشيئته هي المهيمنة على مجريات الأمور وهذا العلم القليل الذي أوتيه الإنسان من خالقه القوي العزيز يجب أن يسخر في صالح البشرية .

وهذا الكشف وما سبقه وما قد يلحقه لا بد وأن يمثل اعترافاً كاملاً من الإنسان على محدودية علمه ، فكلما تعمقنا في أغوار العلم والمعرفة وجدنا المجهول أكثر . وما لا نعلمه أكثر مما نعلمه يقول تعالى في القرآن الكريم : ﴿ ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء ﴾ ويقول سبحانه وتعالى : ﴿ وما أوتيتم من العلم إلا قليلا ﴾ .

بقي أن نشير إلى رأي الدكتور عبد الله الزايد مدير المعهد العالي للدعوة الاسلامية بالرياض في دعوته إلى عقد ندوة تضم أبرز علماء المسلمين من كل الأقطار الاسلامية لمناقشة هذه القضية الهامة وإصدار فتوى جماعية توضح رأي الشريعة الاسلامية . . وهي دعوة لو تحققت سوف يكون لها آثارها البعيدة في الحد من اختلاف الآراء الذي يقود إلى البلبلة . . وضياع الحقيقة مما قد يؤدي إلى الانحراف عن طريق شريعتنا الاسلامية الكاملة لا سمح الله .

وتبقى الدعوة أمانة في عنق علماء المسلمين الذين يقومون بالتوجيه والارشاد . . وأمنية كل مسلم أن يجدوا الأجوبة الصحيحة والفتاوى الصادقة الجماعية لكل ما يمت إلى دينهم ودنياهم بصلة خاصة في قضايا العلم الحديث ومكتشفاته .

الأمثال العربية

بقلم: احمد عبد الرحيم السايح

المثل – بكسر الميم وسكون الثاء – والمثل – بفتح الميم والثاء – والمثيل: **كالشبه، والشبه والشبيه**: لفظاً ومعنى .. **والجمع: أمثال** .. والمثل – محركة –: الحديث. وقد مثل به وامتثله وتمثله، وتمثل به .. وقد يعبر بالمثل والشبه عن وصف الشيء، نحو قوله تعالى في سورة الرعد: **مثل الجنة التي وعد المتقون**».

وقد يستعمل المثل – بكسر الميم وسكون الثاء – عبارة عن المشابه لغيره في المعاني – أي معنى كان – وهو أعم الالفاظ الموضوعة للمشابهة وذلك ان **الند** يقال فيما يشاركه في الجوهرية فقط **والشكل** يقال فيما يشاركه في القدر والمساحة. **والشبه** يقال فيما يشاركه في **الكيفية** فقط. **والمساوى** يقال فيما يشاركه في **الكمية** فقط. **والمثل عام في جميع ذلك** .. ولهذا لما اراد الله نفي التشبيه من كل وجه خصه بالذكر. فقال تعالى في سورة الشورى: «**ليس كمثله شيء**» اي كذاته وشبهه.

والمثال يستعمل بمعنى الموصوف والصورة. جمعه: امثلة. يقولون: مثاله كذا. اي وصفه وصورته. والمثال اسم من ماثله اي شابهه **والامثال جمع مثل من يضرب به من الامثال**.

والمثل: عبارة عن قول في شيء يشبه قولا في شيء آخر، بينهما مشابهة، ليبين احدهما الآخر وبصورة نحو قولهم: «**الصيف ضيعت اللبن**» فان هذا القول يشبه قولك: اهملت وقت الامكان امرك.

ويرى **المبرد**: ان المثل مأخوذ من المثال – وهو قول سائر يشبه به حال الثاني بالاول. وبالاصل فيه التشبيه كقولهم: مثل بين يديه. اذا انتصب. فحقيقة المثل ما جعل كالعلم للتشبيه بحال الاول. كقول **كعب بن زهير**:

كانت مواعيد عرقوب لها مثلا
وما مواعيدها الا الاباطيل

وابن السكيت يقول: ان المثل لفظ يخالف لفظ المضروب له ويوافق معناه معنى ذلك اللفظ وتجتمع في المثل أربعة لا تجتمع في غيره من الكلام: **ايجاز اللفظ .. واصابة المعنى .. وحسن التشبيه .. وجودة الكتابة**.

وابن المقفع يقول: «اذا جعل الكلام مثلا كان أوضح للمنطق، وآنق للسمع، وأوسع لشعوب الحديث».

والمثل ابداء للمنكر في صورة المعروف، واظهار للوحشي في هيئة المألوف وإراءة للمخيل محققاً، والمعقول محسوساً، وتصوير للمعنى بصورة الاشخاص. **ومن ثم كان الغرض من التمثيل تشبيه الخفي بالجلي والغائب بالشاهد**. ويقصد بالتمثيل: ابراز المدركات المعقولة والمعاني الخفية، في صورة محسة او مألوفة. لبيان صفتها وحالها. او تقرير معانيها وتمكينها في النفس او لبيان امكان وقوعها وتحققها وغير ذلك من الاغراض.

والامثال اقوال سائرة مسلمة سيقت للعظة والاعتبار مع الايجاز، والاحكام والدقة، والتركيز وقضايا الامثال مما تتظاهر العقول البشرية على التسلم به. فاذا ما عرض للناس في حياتهم امر من الامور التي تدخل في مفهوم احد الامثال تمثلوا به فتأنس النفوس لذلك...

والامثال العربية من آداب العرب التي جرت على ألسنتهم، مجرى الشعر. وهي عظات بالغة من ثمار الاختبار الطويل، والعقل الراجح. وقد وقعت الامثال في **الجاهلية** وفي **الاسلام** وبها كانت العرب تبلغ ما حاولت من حاجاتها في النطق بالكناية واصابة المعنى...

والشعر العربي قد تضمن كثيراً من الامثال والحكم التي جرت على اللسان العربي ومن ذلك قول **ابي ذؤيب**:

فلا تك كالثور الذي دفنت له
حديدة حتف ثم امسى يثيرها

وبعض الشعراء نظم قصائد من الامثال – كأرجوزة **ابي العتاهية** التي سماها: «**ذات الامثال**» ومنها:

حسبك مما تبتغيه القوت
ما اكثر القوت لمن يموت
الفقر فيما جاوز الكفافا
من اتقى الله رجا وخافا
هي المقادير فلمني او فذر
ان كنت اخطأت فما اخطأ القدر
لكل ما يؤذى وان قل ألم
ما اطول الليل على من لم ينم

ما انتفع المرء بمثل عقله
وخير ذخر المرء حسن عقله
ان الفساد ضد الصلاح
ورب جد جره المزاح
من جعل النمام عينا هلكا
مبلغك الشر كباغيه لكا
ان الشباب والفراغ والجدة
مفسدة للمرء اي مفسدة

ونكتفي من هذه الارجوزة بما ذكرناه، ويقال انها اشتملت على **اربعة الاف مثل** .. وقد اهتم العرب، بجمع الامثال وتدوينها في وقت مبكر وذلك بعد ما تيسرت الكتابة، وسهلت وسائلها، وانتشرت بينهم .. فحظيت الامثال بالاهتمام كغيرها من الفنون التي تمثل الثراء الفكري والتراث العربي.

وقد يلاحظ الباحث ان حركة جمع الامثال وتدوينها قد مرت بمراحل ثلاث:

بدأت على أيدي **الأخباريين والقصاص**. وأول من تذكره المصادر في هذا الشأن هو: **عبيد بن شربة الجرهمي اليمني**. وقد نسب اليه **ابن النديم** كتاباً بعنوان: «**كتاب الامثال**» غير ان هذا الكتاب – ولعله اول كتاب للعرب في هذا المجال – فقد مع ما فقد من كتب التراث.

وذكر ابن النديم في فهرسته اسماء بعض الرواة الذين اخذ عنهم عبيد بن شربة، مروياته وكثير منهم يمانيون. مما يؤيد ان امثال عبيد كانت في معظمها امثالاً يمانية.

ومن هؤلاء الاخباريين الاوائل الذين ألفوا في الامثال، في **القرن الاول الهجري** «**صحار بن العياش العبدي**» وكان ممن اتصلوا بالخليفة الاموي **معاوية بن ابي سفيان** .. ومنهم ايضاً **علاقة الكلابي** ينسب اليه كتاب في الامثال، ويشتمل على خمسين ورقة.

وابتداء من **القرن الثاني الهجري** تحولت حركة جمع الامثال تدريجياً من ايدي القصاص والرواة والاخباريين الى ايدي **اللغويين** الذين اشتدت عنايتهم بالامثال العربية، كنماذج جيدة للغة العربية الفصحى. فنشطت حركة تدوين الامثال عندهم حتى يخيل الباحث ان كل لغوي في ذلك العصر، كان يشارك في تصنيف الامثال وجمعها ودراستها. فظهرت في هذا القرن والذي يعده مؤلفات: **ابي عمرو بن العلاء** «١٤٥هـ/٧٧٠م» **والمفضل الضبي** «١٧٠هـ/٧٨٦م» **ويونس بن حبيب** «١٨٢هـ/٧٩٨م» **وابي فيد السدوسي** «١٩٨هـ/٨٣١م» **وابي زيد الانصاري** «٢١٥هـ/٨٣٠م» **والاصمعي** «٢١٦هـ/٨٣١م» **وسعدان بن المبارك** «٢٢٠هـ/٨٣٥م» **وابي عبيد القاسم بن سلام الهروي** «٢٢٣هـ/٨٣٧م» **وابن الاعرابي** «٢٣١هـ/٨٤٤م» **وابن السكيت** «٢٤٣هـ/٨٥٧م» وغيرهم ممن بذلوا جهوداً صادقة في هذا الميدان. ولم يبق من مجموعات القرن الثاني الهجري الا كتابان: **احدهما**: كتاب امثال العرب للمفضل بن يعلي الضبي. **والثاني** كتاب الامثال لابي فيد مؤرخ بن عمرو السدوسي. وكتاب المفضل الضبي قد طبع مرتين احداهما في **القسطنطينية** سنة ١٣٠٠هـ. والثانية في **القاهرة** سنة ١٣٢٧هـ.

وهذه المرحلة التي تحول فيها جمع الأمثال من ايدي الاخباريين والرواة الى **اللغويين والنحاة والصرفيين** – تتميز بالدقة والجدية العلمية، والدراسة الحية. اذ لم يعد الغرض من الامثال حكاية ما يدور حولها من قصص وتاريخ واجترار ذلك والتندر به .. وانما اصبحت العناية تتجه الى تسجيل الالفاظ الغريبة، والتركيب الفصحى والنوادر الطريفة. فعوملت الامثال كمصدر يجد فيها العلماء ضالتهم العلمية. سواء من ناحية دلالة اللفظ على المعنى أو من الناحية التركيبية للجملة. فأصبح المثل لهذا شاهداً لغوياً نحوياً اسلوبياً عند هؤلاء العلماء .. وتميزت هذه المرحلة ايضاً بميزة اخرى، وهي الحرص على الامثال السائرة المسموعة من العرب والتي يلتقطها اللغوي باذنه من بدو الجزيرة العربية .. ولا ريب ان كثيراً منها كان منحدراً مع العرب عبر عصور سحيقة قد تكون موغلة في القدم. وهكذا اعطت هذه المرحلة ثماراً جيدة في الحقل اللغوي والتراكيب البلاغية والاساليب الادبية.

وهي **مرحلة جمع** هذا التراث الهائل من الامثال العربية الذي توزعته مجموعات اخبارية ولغوية وتصنيفية في موسوعات عامة، تميزت بالترتيب والتنسيق. فظهرت بذلك معجمات الامثال عند العرب. **كجمهرة الامثال لابي هلال العسكري** (٣٩٥هـ/١٠٠٥م). **ومجمع الامثال للميداني** (٥١٨هـ/١١٢٤م) **والمستقصى في امثال العرب، لجار الله محمود الزمخشري** (٥٣٨هـ/١١٤٤م) **ومجامع الامثال للبيهقي تلميذ الميداني** (٥٦٥هـ/١١٧١م) .. **وتميزت هذه المرحلة بجمع الامثال العربية القديمة من العصر الجاهلي حتى القرن السادس الهجري** واصبحت هذه الثروة الفكرية والتاريخية واللغوية مرجعاً لطلاب المعرفة ورواد العلم، ورجال الصرف والنحو والبلاغة .. وقد عني كثير من العلماء بمعرفة احداث الامثال ووقائعها، والمناسبات التي قيلت فيها، وشرحها، والتعليق عليها..

والامثال العربية نوعان:

* الاول: **امثال حكمية** كقولهم: الجار قبل الدار. والحرب

خدعة .. والخطأ زاد العجول .. والعتاب قبل العقاب .. ومثل قول ابي العتاهية في ارجوزته «ذات الامثال»:

لكـــل انسان طبيعتـــان
خير وشر وهما ضدان
والخير والشر اذا ما عدا
بينهما بون بعيد جدا
انك لو تستنشق الشحيحا
وجدته انتق شيٌ ريحا
ما تطلع الشمس ولا تغيب
الا لأمر شأنه عجيب

وقال ابن حرد التغلبي:

يعلل والايام ينقصن عمره
كما تنقص النيرات من طرف الزند

الى غير ذلك من الامثال الحكمية التي يتناقلها الناس، وترويها الامم بعضها عن بعض واقدم مجموع لها **امثال سليمان** واكثر الامم اخذت عنها. وهي عند العرب مقتبسة من امثال **الهند والفرس والروم** فضلاً عما يرويه العرب عن اسلافهم وحكمائهم **كأكثم بن صيفي** وغيره. وينسبون أمثالاً كثيرة الى **لقمان** وهو من قدماء الحكماء.

* النوع الثاني: من انواع الامثال: **امثال مبنية على الحوادث،** وهذه الامثال خاصة بالعرب ولم يأخذوها عن غيرهم. لان الحوادث جرت لهم، ووقعت وقائعها عندهم ولمسوا حيثياتها بانفسهم مثل «**الصيف ضيعت اللبن**» واصل هذا المثل ان أمرأة تزوجت رجلاً موسراً مسناً فلم يعجبها فطلقها في الصيف حيث يكثر الخصب واللبن، ثم تزوجت شاباً مقتراً وارسلت الى زوجها الأول تسأل لبناً، فقال لها «الصيف ضيعت اللبن».

ومثل: «**ما يوم حليمة بسر**» وقد يرغب القارئ ان يعرف حليمة ويومها. أما **حليمة فهي ابنة الحارث بن ابي شمر ملك الشام**، وكانت اجمل فتيات العرب، واكملهن اتزانا، ويومها يقال عنه: انه استحكمت الجفوة بين **المنذر بن ماء السماء ملك الحيرة، والحارث بن ابي شمر الغساني ملك الشام،** وطمع كل منهما في صاحبه فخرج اليه بما ملك من قوة وبأس، وبينما الحارث في طريقه الى العراق، قدم عليه ادم من الحيرة له نسب في الغساسنة فاخبره ان جيش المنذر لا يناله العدو وان لا طاقة له بقتاله .. فلما تراءى الجيشان على موضع يقال له «**عين اباغ**» اختار الحارث مائة من فتيانه كلهم شديد البأس قوي الشكيمة وامرهم ان يأتوا المنذر فيفضوا اليه بطاعتهم وطاعة اهل الشام جميعاً، حتى اذا انسوا منه هدؤاً وغرة فتكوا به. ثم امر ابنته «حليمة» فطافت بهم، فضمختهم بالمسك جميعاً، وكان ذلك مما افاض عليهم حمية وعزماً واقداماً. فذهبوا حيث امروا وقتلوا المنذر وهو في العدد العديد من قومه، حتى اذا سمع الحارث وجنده صيحة الظفر من فتيانهم، زحفوا فتلاقوا باعدائهم واوقعوا بهم:

فراحوا فريق في الاسار ومثله
قتيل ومثل لاذ بالبحر هاربة

ذلك هو يوم حليمة، وهو من اروع ايام العرب واهولها .. وقد يروي العرب عشرات الامثال في حادثة واحدة، وهذا يدل على العطاء الفكري، والابداع الفني .. والامثال تعتبر نماذج صادقة من تفكير العرب وآدابهم، واهميتها اللغوية تتمثل فيما شملته من غريب اللفظ، وجمال الاسلوب .. **وقد ادت الامثال دوراً بارزاً في تعميق اللغة العربية وحفظها ونموها واتساعها وشمولها وتبلورها** .. وقد فطن العرب الى أهمية ذلك فدونوا اكثر ما يمكن من الاشياء التي يخشون على ضياعها بسرعة، ومنها الامثال. وهذا يدل على ان العرب كان فيهم عدد ممن يحسن الكتابة والقراءة.

استفاد الادب العربي من الامثال. فقد أمدته بتراكيب لفظية بديعة، كما ان وراء كل مثل قصة تحكي الاحداث والوقائع. ومن هنا ندرك ان القصة الواقعية موجودة في الادب العربي.

وبما ان الامثال اشتملت على **الكنايات، والمجازات، والاستعارات، والتشبيهات، والطباق والجناس، والتورية** وغيرها من النكات البلاغية، فقد استفادت منها البلاغة، واستمدت منها النضوج والعطاء .. وتبقى الامثال العربية ثروة ضخمة لكل مفكر وباحث، ودارس، ومتذوق.

هوامش

١ - بصائر ذوي التمييز في الطاف الكتاب العزيز للفيروزابادي. ٢ - مجمع الأمثال للميداني. الجزء الأول الطبعة الثانية بالقاهرة. ٣ - تاريخ آداب اللغة العربية. لجرجي زيدان. ٤ - المزهر للسيوطي. ٥ - الأغاني للأصفهاني. تهذيب واصل الحموي. ٦ - الفهرست. لابن النديم. ٧ - معجم الأدباء. لياقوت الحموي. ٨ - مقدمة كتاب الأمثال لابي فيد السدوسي. ٩ - المستقصى للزمخشري. ١٠ - الامالي لابي علي القالي. ١١ - لسان العرب، لابن منظور، مادة «صيف». ١٢ - المرأة العربية، عبد الله عفيفي. ١٣ - مجلة العربي، مجلد عام ١٩٧٤م. ١٤ - مجلة دعوة الحق، مجلد عام ١٩٧٣م. ١٥ - أيام العرب في الجاهلية.

رحلة في كتاب



العمارة الإسلامية

للباحث الألماني
ديتريش براندنبوج

عرض وتحليل
د. مصطفى ماهر

صدر هذا الكتاب بصفحاته الـ ٣١٩ ورسومه الـ ٧٠ ولوحاته الـ ٤٠ وخريطتيه في عام ١٩٦٦ م في برلين **باللغة الألمانية** ، ثمرة عمل عميق متأن ، يحرص على ابراز الاتجاهات الرئيسية حرصه على التفصيلات الدقيقة . **ويتضح من عنوان الكتاب أن المؤلف لا يذهب في دراسته للعمارة الإسلامية المصرية مذهب من يرى أنها موضوع قائم بذاته منفصل عن العمارة الإسلامية في مجموعها ، بل يتبع سبيل الثقاة من العلماء والمؤرخين الذين يؤكدون أن العمارة الإسلامية وحدة واحدة متكاملة في ربوع العالم الاسلامي كله ، وأن الاختلافات المحلية لا تنصب على الاتجاهات العامة ، بل تظل في دائرة حظ هذا البلد أو ذاك من الشواهد الباقية ، وقدرة أهله على إضافة شيء من ذات نفوسهم وخاصة طبائعهم** . ومن هنا فإن هذا الكتاب تاريخ للعمارة الاسلامية **أولا** ، وتاريخ للعمارة الإسلامية في مصر **ثانيا** . ويمتاز هذا الكتاب على غيره من الكتب التي تعالج موضوعات في هذا المجال بأنه يفتح الآفاق أمام الباحثين ليضيفوا دراسات متخصصة عن العمارة في كل بلد من بلاد العالم الإسلامي الواسع ، فهو قد أوضح الخطوط العريضة ، أو رسم الاطار ، وتغلب على الصعوبات الأولى الأساسية .

ويمهد المؤلف لموضوعه بكلمة عن مصر يقول فيها إن مصر تمتاز بأن ما بقي على أرضها من شواهد العمارة الإسلامية **(منذ عام ٢٤٧ من الهجرة ٨٦١/٨٦٢ بعد الميلاد)** كثير ، وأن الظروف المناخية المؤاتية عملت على حفظه حتى تكونت في العصور الحديثة هيئات متخصصة حكومية تولت صيانة الآثار وترميمها ودراستها . وكان من نتيجة عمل هذه الهيئات اتمام سجل الآثار الإسلامية بالقاهرة منذ البداية وحتى القرن التاسع عشر الميلادي ، وهو السجل الذي يضم ٦٢٢ أثراً . ويشير إلى أعمال الرواد الذين بذلوا جهوداً ممتازة في حصر الآثار الإسلامية وتسجيلها بالرسم والصورة والكلمة أولا ودراستها بعد ذلك ، ومنهم **كريزويل وأوتكور** .

ولنلق نظرة أولا على محتويات الكتاب :

● إن العمارة الإسلامية وحدة واحدة متكاملة في ربوع العالم الإسلامي كله وإن الاختلافات المحلية لا تنصب على الاتجاهات العامة، بل تظل في دائرة خط هذا البلد أو ذاك من الشواهد الباقية، وقدرة أهله على إضافة شيء!



★ محمد بك أبو الذهب ★

■ مقدمة :

■ موجز تاريخ مصر من العصر الوسيط إلى العصر الحاضر :

ـ مصر كولاية في دولة الخلفاء (الأمويين من عام ٦٥٨ إلى عام ٧٥٠ ـ والعباسيين من عام ٧٥٠ إلى عام ٨٦٨ ـ والطولونيين من عام ٨٦٨ إلى عام ٩٠٥ ـ ثم العباسيين مرة أخرى من عام ٩٠٥ إلى عام ٩٣٥ ـ والاخشيديين من عام ٩٣٥ إلى عام ٩٦٩ ميلادية) .

ـ مصر يحكمها أمراء مستقلون (دولة الفاطميين من عام ٩٦٩ إلى عام ١١٧١ ـ الأيوبيين من عام ١١٧١ إلى عام ١٢٥٠ ـ المماليك البحرية من عام ١٢٥٠ إلى عام ١٣٨٢ ـ المماليك الشراكسة من عام ١٣٨٢ إلى عام ١٥١٧م) .

ـ الحكم التركي (١٥١٧ ـ ١٧٩٨م) .

ـ محمد علي وأسرته (١٨٠٥ ـ ١٩٠٤م) .

ـ مصر بعد ثورة ١٩٥٢ .

ـ ملحق ١ : التقويم الهجري .

ـ ملحق ٢ : الأسماء والألقاب الإسلامية .

■ تاريخ العمارة الاسلامية مع اهتمام خاص بمصر :

ـ الأبنية الإسلامية الأولى .

ـ المرحلة المبكرة من العمارة الإسلامية حتى الأمويين والعباسيين .

ـ نصيب مصر في تاريخ العمارة الإسلامية :

*** جامع عمرو القديم .**

*** الطولونيون .**

*** الفاطميون .**

*** الأيوبيون .**

*** المماليك البحرية .**

*** المماليك الشراكسة .**

*** الحكم التركي .**

■ أسلوب العمارة الاسلامي في مصر :

ـ الأساليب الإسلامية المصرية .

ـ المكونات الأساسية للأسلوب المصري الإسلامي .

*** العقود والأعمدة .**

*** المنارات (المآذن) .**

*** الأفاريز .**

*** الواجهات .**

*** المداخل .**

*** النوافذ .**

*** الزخارف الداخلية .**

* ملحق : القباب في العمارة الإسلامية بمصر (**بقلم هانس رويتر**) .

■ تصنيف المباني :

*** المساجد .**

*** المدرسة والخانقاه .**

*** التكية ، السبيل ، المارستان .**

*** الحصون .**

*** القصور .**

*** مساكن الوجهاء .**

*** الحمامات .**

*** الوكالات والخانات .**

*** البازار .**

■ المباني الدينية :

*** جامع عمرو بن العاص .**

*** جامع ابن طولون .**

*** الجامع الأزهر .**

*** جامع الحاكم .**

*** مسجد الجيوشي .**

*** مسجد الأقمر .**

*** مسجد وضريح سيدنا الحسين .**

*** مسجد الصالح طلائع .**

*** مدرسة السلطان الكامل .**

*** مدرسة وضريح السلطان الصالح نجم الدين أيوب .**

*** مدرسة الظاهر بيبرس البندقداري .**

*** مسجد الظاهر بيبرس البندقداري .**

*** مدرسة وضريح فاطمة خاتون (أم الصالح) .**

*** مدرسة وضريح ومارستان السلطان قلاوون .**

*** مدرسة وضريح السلطان الأشرف خليل .**

*** مدرسة وضريح السلطان محمد الناصر .**

*** مدرسة وضريح زين الدين يوسف .**

*** مدرسة وخانقاه وضريحا سلار وسنجر الجاولي .**

*** خانقاه وضريح السلطان بيبرس الجاشنكير .**

*** مدرسة وضريح الأمير سنقر السعدي .**

*** مدرسة الأمير الجوكندار .**

*** مسجد الأمير حسين .**

*** مسجد الأمير المهمندار .**

*** مسجد الأمير ألمز .**

*** مسجد الأمير الطنبغا المارداني .**

*** مدرسة وضريح الأمير أسلم السلحدار .**

*** مسجد الأمير آق سنقر (إبراهيم آغا مستحفظان) .**

*** مدرسة وضريح الأمير صرغتمش .**
*** مدرسة وضريح السلطان حسن .**
*** مدرسة وضريح أم السلطان شعبان .**
*** مدرسة وضريح الأمير ألجاي اليوسفي .**
*** مدرسة السلطان برقوق .**
*** مسجد السلطان المؤيد .**
*** مسجد القاضي عبد الباسط .**

* مدرسة الأشرف برسباي .
* مدرسة وضريح الأمير جوهر اللالا .
* مسجد الأشرف برسباي (بالخانكه) .
* مدرسة وضريح الأمير تغري بردي .
* مدرسة القاضي يحيى .
* مدرسة السلطان قايتباي .
* مدرسة أبي بكر بن مزهر الأنصاري .
* القبة الفداوية .
* مدرسة الأمير قجماس الاسحاقي .
* مدرسة الأمير يزبك .
* مدرسة وضريح الأمير خاير بك .
* مدرسة وضريح قاني باي أمير أخور .
* مدرسة وضريح السلطان الغوري .
* المباني الدينية أيام الحكم التركي .
* مسجد المحمودية .
* مسجد سنان باشا .
* مسجد الملكة صفية .
* مسجد أحمد البرديني .
* مسجد محمد بك أبي الذهب .
* جامع محمد علي .
* المباني الدينية في عصر محمد علي وخلفائه .

المقابر : أورد المؤلف عدداً من أسماء الأضرحة .

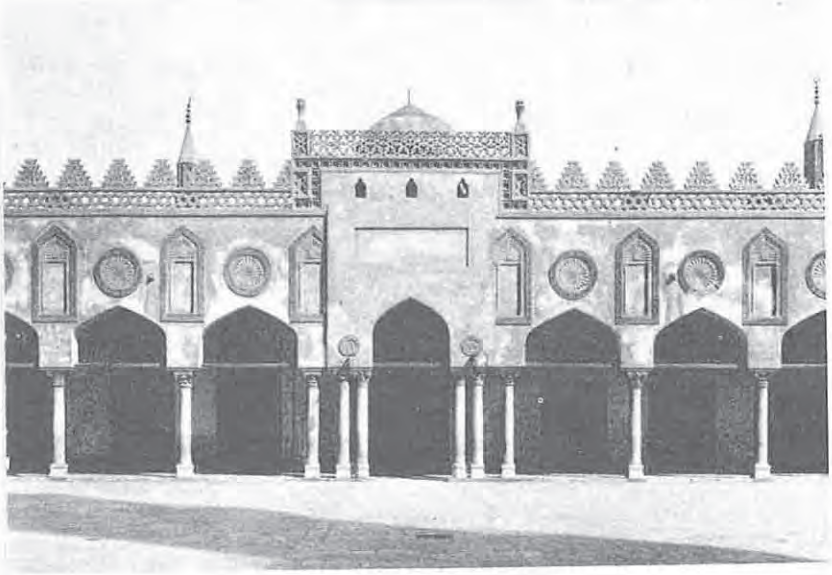
■ المباني المدنية :

* مقياس النيل في الروضة .
* السور الفاطمي وأبواب المدينة : (باب النصر - باب الفتوح - باب زويلة - سور المدينة) .
* القلعة : (تاريخها - التحصينات والأبواب - المساجد (محمد الناصر - سيدي سارية) - قصر الجوهرة والحريم - بير يوسف) .

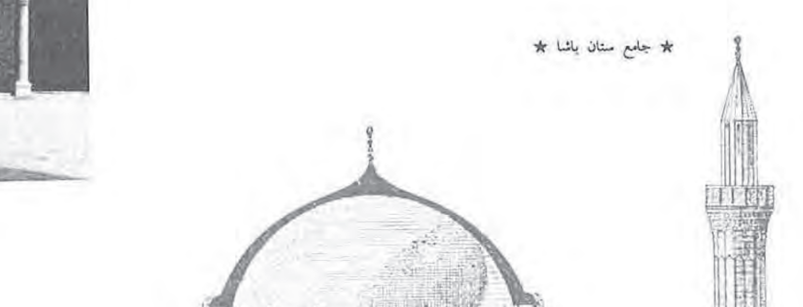
■ القصور والدور من القرن الرابع عشر **إلى القرن الثامن عشر :**

* قصر بشتاك (دار بشتاك) .
* قصر يشبك .
* قصر الأمير طاز .
* بيت القاضي (قصر الأمير ماماي) .
* بيت الكريتليه (بيت محمد بن سليم بن الجزار وبيت آمنة بنت سليم) .
* بيت جمال الدين الذهبي .
* بيت السحيمي .
* قصر المسافرخانة .
* بيت إبراهيم كتخدا السناري .

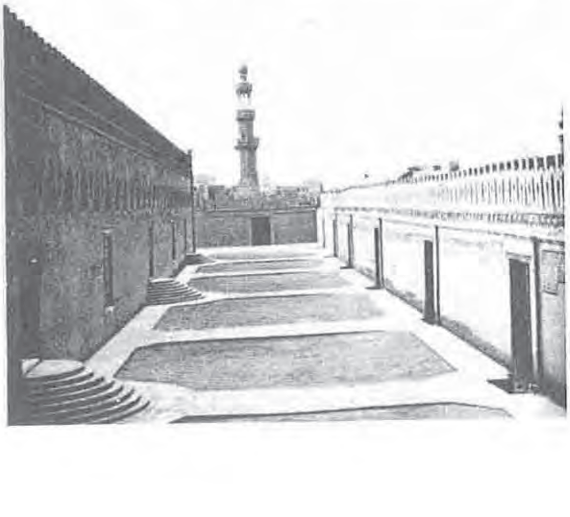
●● يمتاز هذا الكتاب على غيره من الكتب التي تعالج موضوعات في هذا المجال بأنه يفتح الآفاق أمام الباحثين ، ليضيفوا دراسات متخصصة عن العمارة في كل بلد من بلاد العالم الإسلامي .



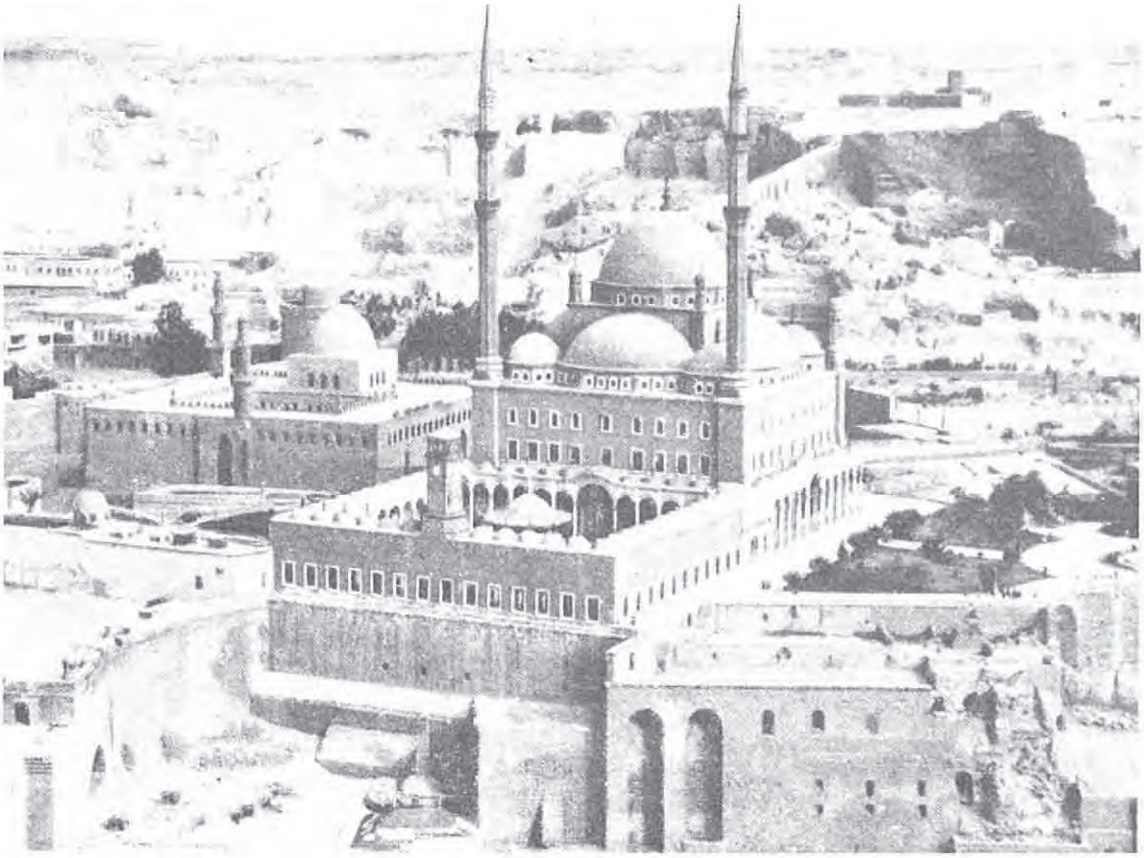
* الأزهر *



* جامع سنان باشا *



* جامع ابن طولون *



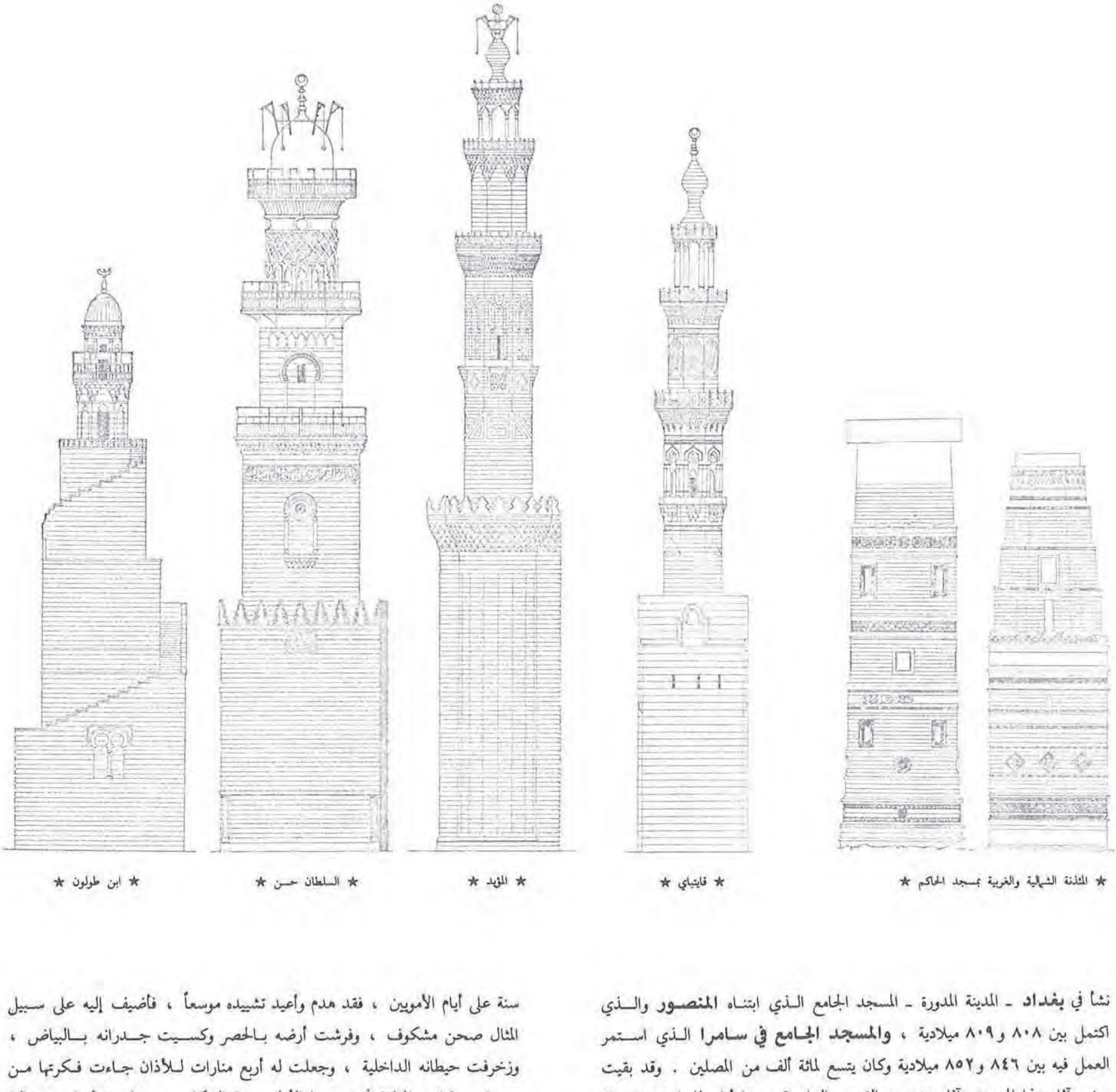
★ جامع محمد علي بالقلعة ★

●●● إن هذا الكتاب تاريخ للعمارة الإسلامية، أولاً، وتاريخ للعمارة الإسلامية في مصر بعد ذلك، فهو قد أوضح الخطوط العريضة أو رسم الإطار، وتغلب على الصعوبات الأولى الأساسية

يؤكد المؤلف في مستهل بحثه على أن **القرآن الكريم والحديث الشريف** لا يفرضان صورة معمارية بعينها للمسجد ، فقد ألف المسلمون الأول الصلاة في « المصلى » ـ مصلى بني سلامة مثلاً ـ التي كانت تتسم بالبساطة كل البساطة . ثم ينتقل إلى **الكعبة المشرفة** فيصفها على عهد **رسول الله** ﷺ ثم على عهد الخليفة **عمر بن الخطاب** الذي أجرى توسيعات هامة حولها ، ويصف **بيت رسول الله** في المدينة المنورة ، وكان عبارة عن صحن واسع طول ضلعه ١١٠ أذرع ومن حوله سور ارتفاعه بين ست وسبع أذرع ، أسفله حجر وأعلاه من اللبن . كان هذا الصحن الكبير بغير سقف في بداية الأمر ثم اتخذوا له سقفاً من سعف النخيل والطين ، وجعل للسقف دعامات من جذوع النخيل . **ويذكر المؤلف أن هذا الصحن تحول بعد ذلك إلى مكان للصلاة . وكانت بيوت أزواج النبي عليه الصلاة والسلام تقوم على الناحية الجنوبية الشرقية منه ، وكانت تفتح عليه . فلما انتقل أكرم الخلق إلى جوار ربه ، دفن جثمانه الطاهر في مكانه ببيت عائشة ، وهو قبره الذي يقوم إلى يومنا هذا .**

وبدأت عمارة المساجد تتطور على أثر الفتوح الإسلامية التي وصلت العرب بالحضارة السورية البيزنطية وبحضارة الدولة الساسانية . فقد أقيم **مسجد الوليد** (٧٠٥ ـ ٧١٥) في دمشق على أنقاض **معبد جوبتر** واستخدمت فيه بطبيعة الحال الأعمدة والبقايا المعمارية الصالحة للاستخدام ، بل لقد استعان العرب في هذه المرحلة المبكرة بالمعماريين البيزنطيين . أما المسجد الأول بالبصرة فقد أنشيء في عام ١٤ من الهجرة من البوص ، ثم بناه والي البصرة بعد عامين أو ثلاثة أعوام من الطوب والآجر وجعل له سقفاً من القش ، وكان معاوية هو الذي أقام المسجد على هيئة بناء قوي متين . ويختلف مسجد الكوفة (١٧ بعد الهجرة) عن مسجد البصرة ، فقد استخدمت في بنائه أعمدة من الرخام كانت لكسرى ، وجلبت له بقايا عمائر كانت في الحيرة . وكان من نتائج استخدام أعمدة المباني الرومانية والإغريقية (**وفي أحيان قليلة جدا المصرية**) القديمة أن العمارة العربية لم تبتكر لها طابعاً خاصاً في تشكيل تيجان الأعمدة ، إلا في نطاق ضيق يتمثل في نمطين نمط على **هيئة الكأس** ونمط على **هيئة باقة من المقرنصات** .

وتطورت العمارة الاسلامية على أيدي العباسيين الذين اشتد تأثرهم بالحضارة الساسانية وبحضارات آسيا بصفة عامة ، وقل تأثرهم ـ في ناحية العمارة بالذات ـ بالتراث الاغريقي الروماني . وهكذا



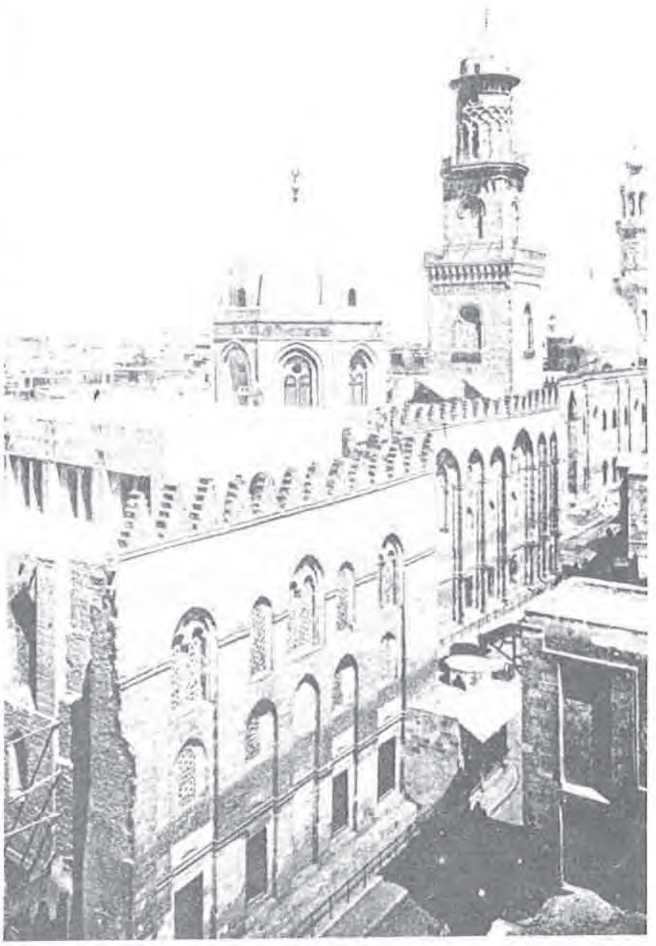
★ المئذنة الشمالية والغربية بمسجد الحاكم ★ ★ قايتباي ★ ★ المؤيد ★ ★ السلطان حسن ★ ★ ابن طولون ★

نشأ في **بغداد** ـ المدينة المدورة ـ المسجد الجامع الذي ابتناه **المنصور** والذي اكتمل بين ٨٠٨ و٨٠٩ ميلادية ، **والمسجد الجامع في سامرا** الذي استمر العمل فيه بين ٨٤٦ و٨٥٢ ميلادية وكان يتسع لمائة ألف من المصلين . وقد بقيت بعض آثار هذا المسجد وآثار عدد من القصور الدارسة ، مما أتاح للباحثين معرفة الكثير من المميزات المعمارية للعصر العباسي . فقد كان مسجد سامرا مشيداً من الآجر ، وكانت له منارة ملوية ترتفع إلى ٥٠ متراً ، وكان يضم أروقة حول الصحن تبلغ ٢٥ رواقاً ، أما سقفه فكان محمولا على أكتاف متصلة بأعمدة ثمانية من الرخام تيجانها على هيئة الناقوس .

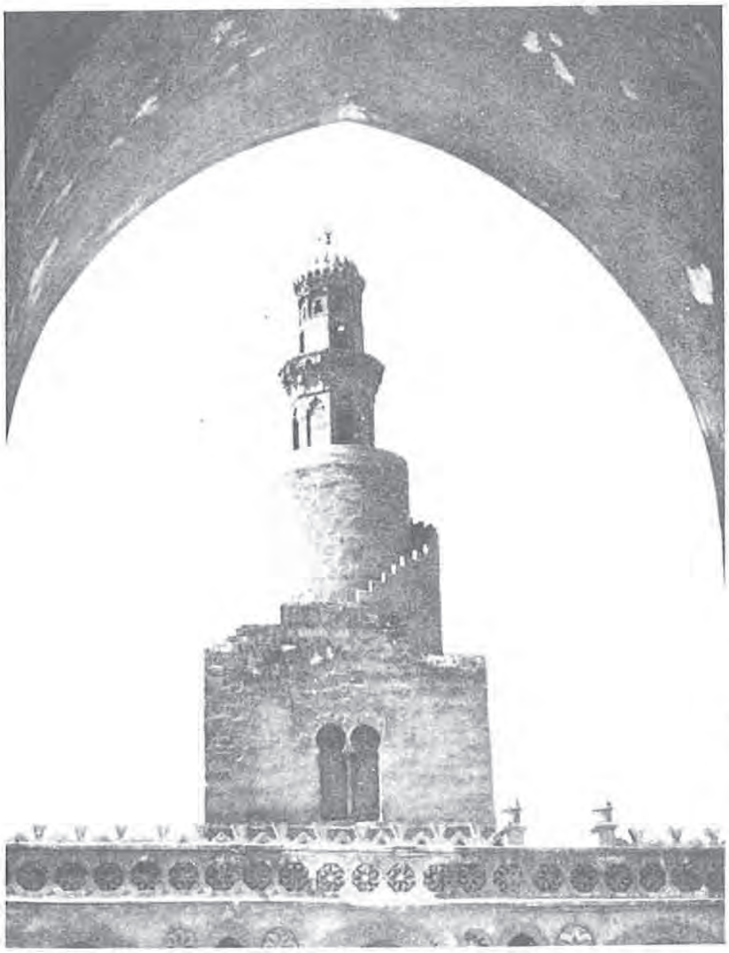
وينتقل المؤلف بعد ذلك إلى العمارة الإسلامية في مصر فيبدأ **بجامع عمرو** الذي أنشأه **عمرو بن العاص** في الفسطاط ـ مصر القديمة ـ في عام ٢١ من الهجرة أي ٦٤١ ميلادية ، وكان في عصره الأول مستطيلاً ٢٩ متراً × ١٧ متراً ، يدخل المصلون إليه من ستة أبواب ، ولم تكن أرضه مبلطة ، بل مغطاة بالحصباء ، ولم يكن له صحن مكشوف بل كان كله مسقوفاً **(ربما بسعف النخيل والطين)** ، ومن المرجح أن البناء كان من اللبن . كذلك لم يكن للمسجد مئذنة ، ولم يكن به منبر ولا محراب . ولقد تغير منظر المسجد بعد ٣٢ سنة على أيام الأمويين ، فقد هدم وأعيد تشييده موسعاً ، فأضيف إليه على سبيل المثال صحن مشكوف ، وفرشت أرضه بالحصر وكسيت جدرانه بالبياض ، وزخرفت حيطانه الداخلية ، وجعلت له أربع منارات للأذان جاءت فكرتها من سوريا ، وكانت المئذنة في عصرها الأول مربعة الشكل . ودخلت تطورات متتالية على المسجد على هيئة أروقة مسقوفة ، بحيث أصبح المسجد عبارة عن صحن في الوسط ومن حوله أروقة عديدة أكثرها ناحية القبلة .

أما **مسجد ابن طولون** (٨٧٦ ـ ٨٧٩م) فقد جاء ثمرة محاكاة **لمسجد بغداد ومسجد سامراء** في التخطيط والزخارف وطريقة البناء **(الطوب الأحمر والدعامات)** . على أن مسجد ابن طولون ينفرد بما يسمى بالزيادات وهي فناء خارجي محصور بين جدار المسجد وسور خارجي ثان ، ويبدو أن الغرض من هذا الفناء كان عزل المسجد عن الحياة الصاخبة التي كانت تتصل خارجه .

ثم جاء العصر الفاطمي الذي دام قرنين من الزمان (من سنة ٩٦٩ إلى ١١٧١م) فأنشأ الكثير من العمائر الدينية والقصور وغيرها من المباني . وإذا كان زلزال عام ١٣٠٣ قد ضيع الكثير من البناء الأصلي للمسجد الفاطمي الأول ، **الجامع الأزهر** ، وإذا كانت أعمال التجديد المتوالية قد غيرت معالم التصميم



★ مدرسة قلاوون ★



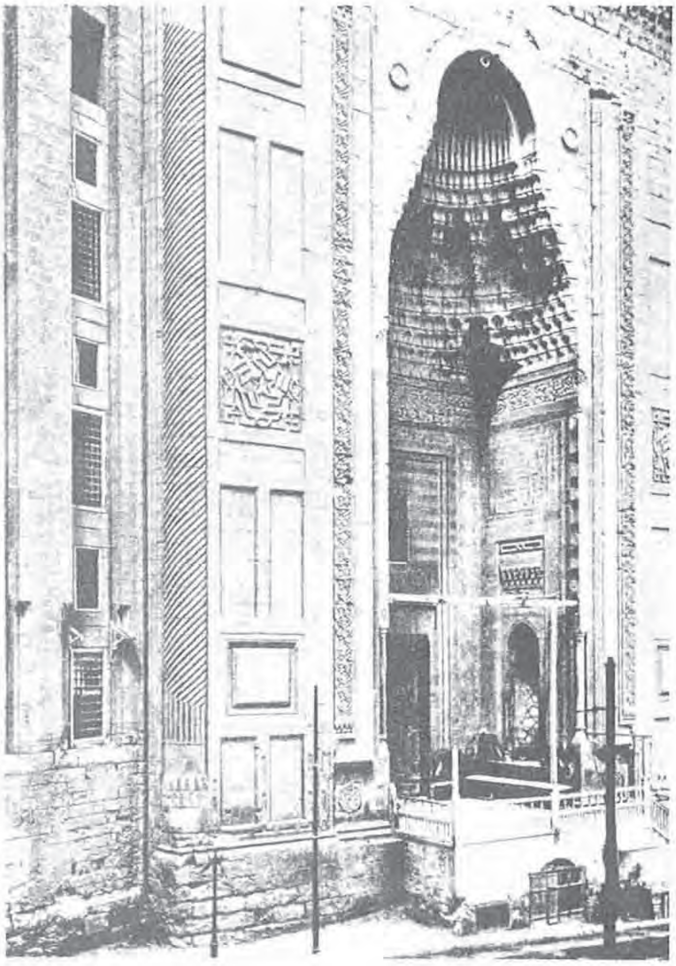
★ المئذنة الملوية ★

والتنفيذ ، فإن ما تبقى يتيح للباحثين تكوين صورة معقولة عما كان عليه هذا البناء الهام في بدايته . كان الإيوان الرئيسي على سبيل المثال من خمسة أروقة ، أما الإيوانان الجانبيان فكانا يتكونان من ثلاثة فقط . ويمتاز البناء باستخدام الأعمدة ـ لا الدعامات كما هي الحال في **مسجد ابن طولون** ـ كما يمتاز برواق أوسط بغير عمد يربط الصحن بالمحراب ، ويظهر في البناء تأثر واضح بالعمارة في **المغرب** وبخاصة مسجد **سيدي عقبة** ، وفي الأندلس وبخاصة **مسجد قرطبة** . أما مسجد الحاكم (**الذي أنشىء بين ٩٩٠ و١٠١٣م**) فيمتاز بالقبة المتوسطة ، وبقبتين على الركنين الخلفيين ، وببرجين عليهما مئذنتان ، وبأبواب كثيرة ، وبإيوان رئيسي يتألف من خمسة أروقة . وتفتح هذه المميزات المعمارية العديدة المجال أمام الباحثين لإجراء مقارنات بأساليب العمارة الإسلامية في مناطق أخرى من العالم الإسلامي وبخاصة العمارة العراقية متمثلة في مسجدي بغداد وسامرا .

وقد بقيت من العصر الفاطمي أيضاً أجزاء من سور القاهرة الذي بناه **بدر الجمالي وزير السلطان المستنصر** بين عام ١٠٨٧ و١٠٩٢م ، وترتبط ببقايا السور أبواب وأبراج ـ **باب النصر وباب الفتوح وباب زويلة** ـ تمثل العمارة الحربية وأعمال التحصين في العصر السابق على الحروب الصليبية ، مما يتيح للباحثين معرفة العناصر المعمارية التي نقلها الصليبيون إلى أوروبا . ويلاحظ على العمارة الفاطمية بصفة عامة أنها بدأت تستخدم ـ حتى في المساجد ـ مكعبات من الحجر بدلا من الطوب الأحمر . ويقوم **جامع الأقمر** بواجهته الحجرية ذات المقرنصات شاهداً على هذا التطور . ويلاحظ على الزخارف قدر كبير من التنوع ، فهناك الزخارف الهندسية ، والزخارف النباتية المتعانقة المعروفة في كتب الأوروبيين باسم «**أرابيسك**» ، والزخارف التي تتخذ شكل النجمة التي بدأت مثمنة ثم زادت أجزاؤها إلى عشرة ثم إلى اثني عشر جزءاً ، والزخارف المعتمدة على الخطوط .

وإذا كان نمط المسجد ذو الصحن قد استمر حتى نهاية عصر الفاطميين ، فإن الأيوبيين قد عرفوا السبيل إلى تغيير هذه الحال ، عندما أدخل معماريوهم متأثرين بالأنماط الفارسية المسجد المدرسة بأجنحته الأربعة المتعامدة ، كذلك شهد **عصر الأيوبيين** اهتماماً بالقبب الكبيرة ، ومنها ما كان يقوم مقام السقف من الأضرحة التي حرصوا على بنائها بجوار المساجد . ويلاحظ على العمارة الأيوبية توسعها في استخدام الحجر وتوسعها في استخدام قطع الرخام لتزيين المحراب ، على ما نرى في **جامع السلطان الصالح أيوب** ، واستخدام الزخارف الجصية الدقيقة . ويلفت النظر في ميدان الزخرفة الجمع بين الزخارف الزجاجية والجصية لأول مرة ، هذا علاوة على تطوير المقرنصات .

أما عصر المماليك البحرية فهو الذي عرف المئذنة الحجرية لأول مرة . وكانت المساجد تبنى على النمطين : النمط ذي الصحن والنمط ذي الأجنحة الأربعة . وظهر استخدام القبة الخشبية الكبيرة كسقف للمسجد كله على نحو ما نرى في **مسجد الظاهر بيبرس ومسجد الناصر بالقلعة** ، وكانت القبة حتى ذلك الحين تغطي جزءاً صغيراً من المسجد هو الواقع عند المحراب . وقد أصبحت البوابة الحجرية المزخرفة بالمقرنصات منذ أيام الظاهر بيبرس ـ أي منذ الربع الأخير من القرن الثالث عشر الميلادي ـ سمة مميزة للنمط المصري في عمارة المساجد . وزاد



★ مدرسة ، مسجد ، السلطان حسن ★



★ الأزهر ★

استخدام المقرنصات وتزينت بها شرفات المآذن على نحو ما نرى في مئذنة مسجد السلطان حسن القائمة فوق الركن الجنوبي الغربي . ويلاحظ على العمارة في هذا العصر تأثرها **بالفن السوري** ، كما يلاحظ عليها البراعة في معالجة الزخارف الجصية التي وصلت إلى أبعد الحدود . وظهر في هذا العصر لأول مرة تكسية الجزء الأسفل من الحيطان بزخارف من قطع الرخام الملونة الجميلة . ويعتبر **جامع السلطان حسن** (١٣٥٦ ـ ١٣٦٣م) أروع تعبير معماري عن القوة والاتساع ، فهو مسجد فسيح تصل مساحته إلى ٨٠٠٠ من الأمتار المربعة (**وهو في هذه الناحية عودة إلى المساجد الفسيحة الضخمة مثل جامع ابن طولون والجامع الأزهر**) ، وهو مسجد بسيط في خطوطه ، متحفظ في زخرفته ، تنتهي جدرانه الشاهقة بأفاريز وشرافات . وليس جامع السلطان حسن هو المثل العظيم الوحيد على الثراء المعماري في العصر المملوكي الأول ، فهناك أمثلة عديدة أخرى منها : مدرسة وضريح صرغتمش (**على مقربة من مسجد ابن طولون**) ومدرسة وضريح السلطان أشرف شعبان .

وجاء **العصر المملوكي الثاني** ، عصر المماليك الشراكسة ، بين سنة ١٣٨٢ وسنة ١٥١٧م ، فزاد الثراء المعماري ، وأدخل المزيد من الرقة والطلاوة والرشاقة . وأصبحت العمائر تمتاز بالتنوع والتلون . ولم يحدث هذا التغير فجأة ، بل توالى على مراحل متتابعة . فقد بقيت الواجهات في البداية بسيطة ملساء حيناً ، وما لبث النقش والتشكيل أن تناولاها ، وما جاء عام ١٤٤٠ الميلادي حتى كان النحت على الحجر والتشكيل الزخرفي للحجر سمة بارزة لفن هذا العصر .

والحق أن مصر كانت منذ العصور البالغة في القدم رائدة في استخدام الحجر في العمارة وفي فنون النحت المختلفة ، ولكن العصور الاغريقية والرومانية نشرت استخدام الطوب ، فدب التدهور في نحت الحجارة وتشكيلها وزخرفتها ، حتى إن الفاطميين ومن بعدهم الأيوبيين استقدموا عمالا من الخارج عند بناء الأبواب والقلعة . ولكن الحال تغير تدريجياً ، وتمكن المصريون من تشكيل الحجر مرة أخرى في أيام المماليك ، والمماليك الشراكسة على وجه الخصوص . ويلفت النظر في هذه المرحلة من مراحل تطور العمارة الإسلامية في مصر وما وصلت إليه المآذن من رشاقة ، وما بلغته القبب الحجرية من روعة في الزخرفة ، وبخاصة استخدام المقرنصات والمهارة في تشكيلها وتوزيعها ، والمقرنصات هي عناصر زخرفية من الحجر تتدلى كالدلايات الجيرية في الكهوف الرطبة . والحق أن **مسجد برقوق** (١٤٠٠ ـ ١٤١١م) **ومسجد قايتباي** (الذي تم تشييده في عام ١٤٧٥م) يعتبران من روائع الفن المملوكي ، وما أكثرها . ويلاحظ على استخدام الكتابة في الزخرفة أنها بدأت بحروف كوفية ، كثيراً ما تخللتها عناصر زخرفية نباتية أو هندسية ، وأن هذا اللون من الزخرفة الخطية ازداد رشاقة في أيام **الفاطميين ثم الأيوبيين** ، وكان الأيوبيين هم الذين أدخلوا **خط النسخ** صنوا **للخط الكوفي** في القرن الثاني عشر الميلادي ، أما المماليك فلم يستخدم فنانوهم سوى الخط النسخ .

وإذا كان الأتراك قد حولوا مصر في عام ١٥١٧م ، إلى ولاية تركية ، فإن الفن المعماري المصري ظل متمسكاً بتراثه المملوكي وقتاً طويلاً ، على نحو ما نرى في



★ مسجد قايتباي ★

مسجد البرديني الذي أنشىء في عام ١٦١٦م ، بل إن هـذا الـتراث انتقـل على أيدي الفنانين المصريين إلى تركيا ذاتها . ولم تدخل العناصر المعمارية الأوروبيـة الـتي غص بها الفن التركي إلى مصر إلا في وقت متأخر . ومن أمثلة هـذا الفـن المعماري المتأثر بالغرب مسجد محمد علي الذي يرجع إلى سنة ١٨٢٠م .

الأساليب المعمارية

ويقسم المؤلف **الأساليب المعمارية** في مصر على النحو التالي :

أولا : الأسلوب العربي البيزنطي في القرن التـاسع الميـلادي (**مسجد ابـن طولون**) .

ثانيا : الأسلوب العربي الخالص بين القرن العـاشر والقـرن الخـامس عشر ، وهو أسلوب يمتاز بأنه أساغ المؤثرات الأجنبية وأفاد منها ، ولكنه احتفظ بأصالته .

ثالثا : الأسلوب الدخيل الذي بدأ مع العهد العثماني .

ويتناول المؤلف بالتفصيل العناصر المعمارية المختلفـة ، ومنهـا على سـبيل المثـال تيجان وقواعد الأعمدة . وهو يرى بصفة عامة أن نظام الأعمدة في الكنيسة يـوجه البصر إلى أعلى ، بينما يتجه نظام الأعمـدة في المسجد بـالأبصار إلى الأمـام : إلى المحراب . ثم يذهب إلى أن الفن المعماري الإسلامي لم يبتكر أعمـدة خـاصة بـه باستثناء تلك الأعمدة الزخرفية التي تكتنف المحاريب أو التي تقـوم بـدور زخـرفي في مواضع الزخرفة من المساجد . ويقدم لوحة تضم مجمـوعة مـن تيجـان وقـواعد الأعمدة .

ويتعرض المؤلف لعنصر آخر من **العنـاصر المعماريـة الاسلامية المميـزة** وهو : المئذنة أو المنارة . ولقد كانت المساجد الأولى بغير مآذن ، ثم ظهرت المآذن أو المنارات ، إما متأثرة بمنارة الإسكندرية الشـهيرة ، أو متـأثرة بـالعمارة السـورية القديمة . وأقدم مئذنة باقية إلى اليوم هي مئذنة **جـامع ابـن طـولون** ، المئـذنة الملوية التي يلتف حولها من الخارج سلم دائري ، والتي نقل ابن طولون تصميمها من مسجد سامرا ، وقد يرجع هذا التصميم إلى برج بابل القديم .

ويغلب على المآذن أن يكون لها مكانها في تصميم المسجد نفسـه ، لا أن تكون جزءا خارجا عنه ، وأن تبـدأ بقـاعدة مـربعة ثم تتخـذ شكلا دائريا أو متعدد الزوايا ، وتتحلى بشرفات للمؤذنين .

ويلاحظ على مئذنة جامع الجيوشي (**الذي يرجع إلى القرن الحـادي عشر الميلادي**) أنها تتخذ شكل بدن مربع تعلوه صومعة ذات قبة ، وقد تطورت هـذه الصومعة العلوية فيما بعد ، وازدادت زخرفة ، كما تطورت المئذنة نفسها وأصبحت تتكون من عدة أدوار ثلاثة في أغلب الأحيان : مربع ثم مثمن ثم اسطواني . وكان سعي المعماريين يتركز حول بلوغ أقصى درجات الرشاقة والجمال . وتلفت النظر قمة مئذنة **مسجد السلطان حسن** التي تتخذ شكل القبة أو المظلة المحمولة على عمـد رشيقة ، ومن فوقها قبة على هيئة البصلة المستطيلة ، يعلوها هلال . وقد تعددت أشكال الدور الأعلى من المآذن ، فقد يتخذ الدور العلوي هيئة برجين كما في حـالة مئذنة **الغوري بالأزهر** ، وقد تتعدد القباب التي تنتهي بها المئذنة ، فهذه مئذنة جامع الغوري تنتهي بأربع قباب ، وهذه مئذنة **جـامع أبي الـذهب** تنتهي بخمس قباب .

وكان المألوف في بناء المآذن استخدام الـطوب ، ولم يستخدم الحجـر إلا في أواخر القرن الثالث عشر ، حيث ابتنى **قلاوون** مئذنة مـدرسته في عـام ١٢٨٤ - ١٢٨٥م من الحجر ، **وهي أول مئذنة من الحجر في مصر .**

ويشير المؤلف إلى عنصر معماري آخر هو عنصر **الأفاريز والشرافات** ، فقـد حرص المعماريون على تحلية أعالي الجدران بأفاريز تفننوا في تشكيل شرافـاتها . أما الجدران نفسها فقد تركوها في البداية بغير زخرفة ، ثم بدأت الزخرفة تأخذ السبيل إليها منذ بداية العصر الفاطمي ، وبلغت قمة الرونق والبهاء في أيام المماليك . وكان الفنانون يستخدمون الحجر الأبيض والحجر الأحمر في صناعة زخارف على هيئة رقعـة الشطرنج ، كما استخدموا أشرطة من الحجر الملون لإبراز الخطوط المعمارية الهامة ، كما هي الحال في **مسجد السلطان حسن** . وظهرت النقوش المحفورة على هيئـة رسومات السجاجيد . وتنوعت أشكال المقرنصات وهي حليات معمارية تشبه خلايا النحل وتتدلى في العمائر في طبقات متتالية مصفوفة بعضها فوق البعض الآخر .

والحق أن الكتاب بـدراساته التحليليـة الـدقيقة ورسـوماته التخطيطية الكثيرة وصـوره العـديدة يعتـبر مـرجعا في العمارة الاسلامية ، وبه من قوائم الكتب والبحوث في هذا المجال ما يفتح أمام القارىء الذي يبغي المزيد من المعرفة ، والباحث الـذي يسـعى إلى المزيد من التعمق ، آفاقا رحبـة .



★ مسجد المؤيد ★

موضوع خاص



★ المسجد الجامع .. منظر عام خارجي وحوله أشجار الحديقة ★

المركز الإسلامي في بروكسل

بقلم: ناصر الدين النشاشيبي

عندما انتهت زيارة الملك فيصل بن عبد العزيز لبلجيكا في أواخر مايو (أيار) من عام ١٩٦٧ ميلادية ، كانت حكومة بلجيكا قد أدركت على الفور أن أعظم ما يمكن أن تقدمه من هدية لضيفها الكبير بمناسبة زيارته ، هي أن تهدي الجالية الاسلامية في بلادها ، والبالغ عددها أكثر من مائتي الف مسلم ، مبنى من مبانيها ، يتحول إلى مسجد .

وهكذا ، قدمت حكومة بروكسل إلى المسلمين مبنى متحف جناح « القاهرة » بالحديقة « **الخمسينية** » ، في العاصمة البلجيكية ، وتسلّم الملك الإمام فيصل بن عبد العزيز مفتاح « **البناية الشرقية** » بغية إنشاء المسجد وإقامة المركز وفتح بيت آخر من بيوت الله في غربي أوروبا .

حديقة فسيحة في قلب بروكسل . . على مقربة من مباني المقر العام للسوق الأوروبية المشتركة . . والوزارات البلجيكية . . والدوائر العامة .

وتسلّم الإمام المفتاح بيده ، وفي قلبه إرادة المؤمنين وقرار المسؤولين المخلصين بأن يتعهد بتمويل نفقات البناء والتأثيث حتى يصبح المسجد والمقر والمركز ، حقيقة واضحة في قلب بروكسل .

وانطلق العمل في أوائل شوال عام ١٣٩٥ . . وانتهى في أواخر محرّم الحرام عام ١٣٩٧ هجرية .

● ● ●

وهبطت بي الطائرة في مطار بروكسل ، وأنا على موعد مع « المسجد الجامع » .

لقد تركته في العام الماضي ، ولم يكن البناء فيه قد انتهى بعد أن كنت قد استعجلت الزيارة وكأني أستعجل الأيام كي تمر سراعاً ويتم البناء ويفتح المسجد أبوابه .

إن للمساجد في خارج الأرض العربية أكثر من مجرد معناها الديني المعروف . إنها مصدر عزة المسلم وعنوان تراثه ورمز لغته وكيان عروبته وصفحات تاريخه وآمال غده :

إن العروبة لفظ ان نطقت به
فالشرق والضاد والاسلام معناه

هكذا أحسست وأنا أزور **مسجد لندن . . ومسجد واشنطن . . ومسجد باريس . . ومسجد برلين** . بل هكذا أحسست وأنا في مسجد « **الحمراء** » بغرناطة ، ومسجد « **أيا صوفيا** » في إستنبول الذي عناه أمير الشعراء في قصيدته :

كنيسة تحولت لمسجد ... هدية السيد للسيد !

المساجد هناك منارات هدى ومساكن تقوى وملاجىء أمل . . المساجد هناك محطات هائلة يقف عندها المسلم ويتفقد نفسه ويراجع حسابه ويقرأ كتابه وينطق بلغته ويطلق ـ دون حرج ـ أحاسيسه الدينية والإنسانية ومثلها . . هذا المسجد الجامع ، في العاصمة البلجيكية .

مبنى هائل يشتمل على أربعة طوابق ، وسط حديقة يسودها الهدوء والسلام ، وتلفّها السكينة والجمال .

الطابق الأرضي

دخلت الطابق الأرضي فإذا به قد أعد ليكون مدرسة لتعليم الدين الإسلامي ، واللغة العربية مع قاعات للاجتماعات الخاصة والأفراح والندوات التي يعقدها الشباب المسلم ، **وقاعات أخرى مخصصة للسيدات المسلمات** ، مع مسجد مخصص للصلوات الخمس ، أنفقت على تشييده واقامته جمهورية **تونس** .

الطابق السفلي

أما الطابق السفلي فيشتمل على **حمامات الوضوء** التي تعمل بآلات أوتوماتيكية تضمن عدم تسرب المياه بلا فائدة إذ تقفل الحنفية أوتوماتيكياً خلال ثوانٍ معدودة يكون الشخص فيها قد انتهى من عملية الوضوء .

الطابق الأول

وصعدنا للطابق الأول . . هنا مكاتب الإدارة . . وقاعات الدراسات الإسلامية . . هنا **مخبر تعليم اللغات الحيّة** بأحدث الطرق السمعية والبصرية . . هنا **مكتبة إسلامية** أعدت لها عشرات من الرفوف الخشبية والنحاسية لكي تضم أكثر من **أربعين ألف مجلد** . . وهنا ، جرت الحفلة الرسمية بافتتاح المركز وبحضور **جلالة الملك خالد بن عبد العزيز ، حفظه الله ، ومضيفه الملك البلجيكي** . قاعة فسيحة أرضها من الرخام وإلى جانبها غرف الإدارة ومدير المركز وراء مكتبه الزجاجي . . وغرف متفرعة أخرى .

الطابق الثاني

وأكملنا المشوار إلى الطابق الثاني . . درجات السلم كلها من الرخام . . تقودنا إلى المسجد الرئيسي أو المسجد « **الجامع** » الذي **يتسع لأكثر من ثلاثة آلاف مصل !** الأرض مكسوّة ببعض **قطع السجاد الايراني** المهداة من حكومة إيران . . **المنبر** هدية من « **المغرب** » ، والزخرفة على الجدران مصنوعة بأيدي فنانين من المغرب الشقيق ، أيضاً . . أما الزجاج الملون في

الشبابيك فقد صنع بأيدي فنانين عرب يعملون في بلجيكا . . ومن سقف المسجد تتدلى « **الثريات الكهربائية** » الضخمة التي توزع النور على أرجاء المكان .

● وفوق قاعة المسجد الفسيحة ، بنيت قاعة أخرى أصغر حجماً ، وخصصت للسيدات المسلمات .

هل هذا كل شيء . .

لا !

فقد جاء المبنى متفقاً مع روح العصر والتطور من حيث تزويده بأحدث أجهزة تكييف الهواء . . وأحدث آلات التدريس . . والاستماع . . وأحدث أجهزة التلفزيون أو النقل التلفزيوني القادر على توزيع مشاهد أداء الصلاة في القاعة الرئيسية على مختلف غرف وقاعات المركز وقت أدائها .

وغرف الأرشيف . . كلها عصرية التكوين والمبنى ! حتى غرف ممارسة لعبة « البنج بونج » ! وكذلك **الجناح السكني** الخاص الملحق بالمبنى الرئيسي ، والمخصص لسكن **إمام المسجد** . . والجناح الآخر المخصص لسكن المراقب أو « **الحارس** » بحيث يضمن بقاء المركز مفتوحاً أمام زائريه طيلة ساعات النهار . . وبعض ساعات الليل .

وعندما بدأنا نهبط السلّم الرخامي في طريق العودة الى الدور الأرضي كان إمام المسجد « **محمد محسن العلويني** » . . التونسي يصعد للقائنا !

وسمعته يقول لي :

● **« الحمد لله . . هذا هو المسجد الاسلامي الذي أراده رسول الله ﷺ للمسلمين . . المسجد الذي يضم العبادة والارشاد والتعليم وجمع كلمة المسلمين . . لقد اكتملت الآن في هذا المركز « المدرسة الاسلامية » بحيث أصبحت تضم خمسمائة طالب يتلقون العلوم واللغة . وعندنا ـ للآن ـ خمسة عشر استاذا يعملون في حقل التدريس اليومي ، وكلهم من مختلف الجنسيات . . تونسيين . . مصريين . . أتراك . . البانيين » .**

ـ وماذا تقول الجالية الاسلامية ، هنا في بلجيكا ، عن هذا المركز ؟

● « يشعرون بالامتنان والاعتزاز ، ويترحمون على « فيصل » ، ويشكرون خالداً » !

ـ وكم مضى عليك في بلجيكا ؟

● « ثلاثة عشر عاماً » . .

ـ وأين كنتم تؤدون الصلاة قبل اتمام هذا المركز الاسلامي ؟

● « كنا نستأجر بعض الشقق الصغيرة ونخصصها للعبادة » . !

ـ هل حدثتني عن أكبر جالية إسلامية في بروكسل ؟

● « إنهم المغاربة . . إخواننا من أبناء المغرب ! انهم حوالي مائة ألف مسلم مغربي » !

ـ وكم هو عدد المصلين في « المسجد الجامع » يوم الجمعة . . مثلا ؟

● « متوسط العدد حوالي ألف وخمسمائة مسلم » . .

ـ وفي أيام الأسبوع الأخرى ؟ .

● « حوالي مائة » . .

وأكملنا الهبوط باتجاه الطابق الأرضي . . وتركت « الإمام » وصوته في مسمعي :

ـ « لقد كان إنشاء هذا الجامع في بروكسل بمثابة أكثر من واجب ديني ودنيوي ، ما دامت بلجيكا كانت الدولة الأولى التي اعترفت بالاسلام بين دول أوروبا » .

وهذا كلام حقيقي . . وصحيح !

وأستطيع أن ألخص موقف بلجيكا من الإسلام كما يلي ، وفي نقاط محدّدة :

●● **أولا** : بذلت الدبلوماسية الإسلامية والعربية في بلجيكا جهداً لا ينكر لدى السلطات المسؤولة بغية حملها على الاعتراف بالدين الإسلامي في بلادها .

●● **ثانيا** : تمت موافقة السلطات البلجيكية على مشروع **الاعتراف بالاسلام في مجلس الشيوخ والنواب البلجيكي** .

●● **ثالثا** : صدر الاعتراف الرسمي **بمرسوم ملكي** بتاريخ ٢٤ أغسطس عام ١٩٧٤ م .

●● **رابعا** : صادقت حكومة بلجيكا في ٢٧ يونيو/حزيران ١٩٧٥ م ، على **ادخال دروس التربية الاسلامية ضمن البرامج المدرسية لأبناء الجالية المسلمة** ابتداء من السنة الدراسية ١٩٧٥ ـ ١٩٧٦ م .

●● **خامسا** : وافق البرلمان البلجيكي على هذا القرار وصدر الأمر الملكي بالموافقة النهائية في ٨ فبراير (شباط) عام ١٩٧٨ م .

●● **سادسا** : أحيلت سائر أمور ممارسة التعليم الإسلامي في بلجيكا على إدارة المركز الإسلامي والثقافي ببروكسل ، على أن تقوم الحكومة البلجيكية بدفع نفقات المرتبات للأساتذة والمعلمين على نفس الأسس والنسب المخصصة لرجال التعليم البلجيكيين أنفسهم . .

ووصلنا إلى الدور الأرضي . . وعلى الحائط ، أمامنا ، صورة مكبرة مُجسّمة للكعبة المشرّفة . . وانطلق صوت المؤذن في الداخل ينادي « **حي على الصلاة** » !

﴿ إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين ﴾ صدق الله العظيم .



★ المنبر الكبير، صنعته يد عربية مسلمة ★



★ رفوف المكتبة الكبرى، داخل المركز، وقد امتلأت بالكتب الإسلامية ★

★ هكذا يبدو منظر المبنى من الشارع العام المجاور، قصر أبيض منيف، وسط حديقة غناء.. ومئذنة تشق عنان السماء ★





★ جلالة الملك خالد بن عبد العزيز ، وإلى يساره الملك بوردان ، ملك بلجيكا .. وإلى اليمين صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبد العزيز وزير الدفاع والطيران في حفل افتتاح .. المسجد الجامع ★

★ مجموعة من نساء الجالية الإسلامية في بلجيكا يؤدين الصلاة .. ويستمعن إلى تلاوة القرآن الكريم ، والدروس والمواعظ التي يلقيها أساتذة الدين الإسلامي في الجناح الخاص بالنساء في المركز ★





★ القاعة الكبرى للصلاة وقد بدت في جدرانها الشبابيك الزجاجية الملونة ، كما تدلى من سقفها الواسع ، « الثريا » الكهربائية المصنوعة خصيصاً ★

على يسار المبنى ، يقع مبنى آخر ، كبير .. كبير .

● قال لي إمام المسجد وهو يودعنا ، وعلى مسمع من السفير السعودي :

ـ هل أخبرك السفير عن قصة هذا المبنى المجاور ؟

قلت : لا . !

قال السفير مقاطعاً :

ـ هذا المبنى أهداه الملك « بودوان » للملك خالد ، بعد حفل افتتاح المركز ، كي يكون متحفاً إسلامياً ، يجاور المركز الاسلامي .

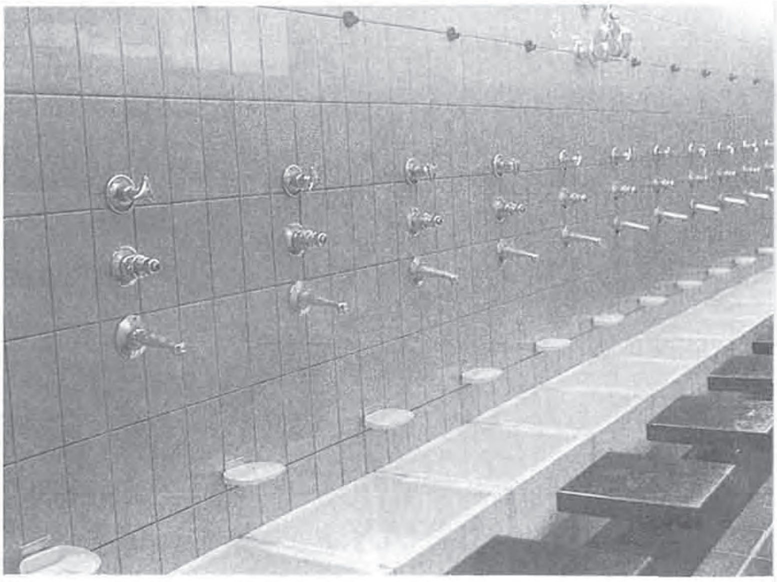
وبعد ...

منذ اللحظة التي تسلّم فيها الملك الراحل فيصل بن عبد العزيز ، مفتاح مبنى الحديقة الشرقية بغية تحويله إلى مركز إسلامي ، وحتى اللحظة التي أعلن فيها **الملك خالد بن عبد العزيز** ، افتتاح المركز رسمياً ، مضت حوالي إحدى عشرة سنة ، مليئة ، كلها ، بالجد والجهد والعرق والمثابرة من أجل اتمام هذا الصرح الشامخ وتحويله إلى حقيقة قائمة ، صادقة ، وناطقة .

● جهود كثيرة بذلت من أجل الحصول على رخصة لبناء المسجد من الجهات البلجيكية المختصة .

● وجهود أكثر بذلت من أجل الحصول على الرخصة النهائية دامت حوالي تسعة أشهر كاملة .

● وجهود أكثر ، وأكثر ، بذلت من أجل توقيع عقد البناء ، واختيار الأصلح والأنفع في مجالات البناء والزخرفة ، وادخال عناصر التكنولوجيا في



★ أماكن الوضوء .. وانسياب المياه بصورة آلية كهربائية توفر الماء اللازم في الوقت اللازم ، بحيث لا يضيع الماء سدا وهدراً ★



★جموع المصلين في مسجد المركز الإسلامي ببروكسل★

المجالات الأخرى ، واحضار الفنانين والمهندسين المغاربة والتونسيين وغيرهم للمساهمة في العمل المشترك .. الجبار !

ثم جاءت النتيجة مذهلة وجبارة !

وقال البلجيكيون الرسميون وهم يشاهدون هذا الصرح الهندسي الجميل :

«ما كنا نصدق أن العمل سيخرج بهذه الصورة الرائعة ، وان الدول الاسلامية ستنفق على المشروع بمثل هذا الكرم والجود .. !» .

وأخيراً ..

إن في بروكسل - حاليا - أكثر من ثلاثين سفارة دبلوماسية إسلامية لثلاثين دولة إسلامية وعربية . فإذا علمنا ان نسبة المسلمين في بلجيكا تبلغ حوالي (١-٢) في المائة من مجموع نسبة السكان ، وأنهم يحتلون المرتبة الثانية بين سكان المملكة البلجيكية ، أدركنا مدى خطورة المسؤولية الملقاة على عاتق الحكومات العربية والاسلامية بغية تنظيم هؤلاء المسلمين ، وضمان استمرار الاشراف على مصالحهم وشؤونهم وحياتهم في بلجيكا .

لعل هذا هو الذي حمل الجالية الإسلامية هنا ، على تأسيس **منظمة إسلامية** عالمية تحمل اسم «**المركز الاسلامي والثقافي ببلجيكا**» فاستحقت اعتراف الحكومة البلجيكية بها منذ أكثر من عشر سنوات ، كما استحقت تعاون السفراء المسلمين معها ، بحيث أصبح المجلس العام المكوّن من جميع رؤساء البعثات الإسلامية في بروكسل هو المسيِّر الرئيسي لهذه المؤسسة .

وباختصار شديد :

- أصبح للمسلم في بلجيكا كرامة دينية يعتز بها في دنياه !.
- وباختصار أشد :

- كانت «الحديقة الخمسينية» عند اقامتها عام ١٨٨٠م ، وفي قلب مدينة بروكسل ، ترمز إلى الاحتفال بمرور خمسين سنة على استقلال بلجيكا .. أي خروجها من دنيا العبودية والاستعمار إلى دنيا الحرية والنعيم . واليوم ، وعلى نفس أرض «الحديقة الخمسينية» في قلب مدينة بروكسل ، يقام صرح المركز الاسلامي كي يرمز إلى احتفال جديد أصر بخروج الانسان المسلم من دنيا الظلام إلى دنيا النور .. ومن دنيا الخراب إلى دنيا الاسلام .. وصورا بظهور بيت آخر ، من بيوت الله .

قال تعالى :

﴿ يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم . خالدين فيها أبداً إن الله عنده أجر عظيم﴾ صدق الله العظيم .

آلات الرصد العربية

بقلم: عبد الجبار محمود السامرائي



★ واحدة من أهم الآلات المستخدمة في المراصد القديمة وهي من اختراع ابن الهيثم ابن أحمد العالم الفلكي العراقي ★

المقدمة

لم يقف العرب عند حد الدراسة النظرية في علم الفلك، فبعد أن نقلوا مؤلفات الأمم التي سبقتهم وصححوا بعضها ونقحوا الآخر وزادوا عليها، خرجوا إلى **الجانب العلمي**، وهو رصد الكواكب والأجرام السماوية، لأن الرصد أساس علم الفلك، وعليه المعوّل في تعيين أماكن النجوم وحركاتها.

وقد يكون **اليونان** أول من رصد الكواكب بالآلات، وقد يكون **مرصد الاسكندرية** الذي أنشىء في القرن الثالث قبل الميلاد، هو أول مرصد عرف وكتب عنه.

ويقال إن **الأمويين** ابتنوا مرصداً في **دمشق**، وبقي هذا المرصد وحيداً حتى عصر **المأمون**، فأمر باتخاذ المراصد الفلكية وقدم لها ما تحتاج من أموال لبنائها ولتجهيزها بأدوات الرصد، وجمع علماء النجوم في عصره، وأمرهم أن يصنعوا آلات يرصدون بها الكواكب كما فعل **بطليموس** صاحب المجسطي (كتابه الرائع في الفلك)، ففعلوا وتولوا الرصد **بالشماسية في بغداد وجبل قاسيون** في دمشق سنة ٢١٤ هـ.

ولما توفي المأمون سنة ٢١٨ هـ، توقفوا عن العمل وقيدوا ما كانوا قد تبينوه من رصدهم وسموه **الرصد المأموني**.

وقد ابتنى (**بنو موسى**) مرصداً في بغداد على طرف الجسر، وفيه استخرجوا حساب العرض الأكبر من عروض القمر.

وبنى **شرف الدولة ابن عضد الدولة** مرصداً في طرف بستان دار المملكة في منتصف القرن الرابع الهجري، وقد رصد فيه الكواكب السبعة: **أبو سهل الكوهي**.

وأقام **الفاطميون** مرصداً على جبل **المقطم** عرف **بالمرصد الحاكمي**. وأنشأ **نصر الدين الطوسي الفلكي** الشهير، مرصداً في **مراغة** وجلب له أدق الآلات، وكان أشهر مراصد الشرق التي اعتمد الأوروبيون عليها في عصر النهضة الأوروبية.

وقد أنشأ **الطوسي** لهذا المرصد مكتبة يقدر ما كان فيها بأربعمائة ألف مجلد من المخطوطات، أكثرها مأخوذ من بغداد والشام والجزيرة.

وبنى **تيمورلنك** مرصداً في **سمرقند**، ثم بنى غير هؤلاء مراصد أخرى في **أصبهان ومصر والأندلس**، وفي مختلف أنحاء البلاد الإسلامية، كمرصد **ابن الشاطر** في الشام، ومرصد **الدينوري** بأصبهان، ومرصد **البيروني** بسمرقند، ومرصد **البتاني** بالشام، ومراصد أخرى خاصة وعامة.

وفي كتاب (**حضارة العرب**)، ذكر **غوستاف لوبون** بأن بغداد كانت مركزاً مهماً لمباحث علم الفلك، ولكنها لم تكن المركز الوحيد لهذه المباحث. فالمراصد التي كانت قائمة في البلاد الممتدة من آسيا الوسطى إلى المحيط الأطلنطي كثيرة.

وكان علماء الفلك في إفريقيا، ولا سيما في **طنجة وفاس ومراكش**، ينافسون علماء الفلك في **الأندلس**. كما أن **أبا الحسن المراكشي** الذي كان يعيش في القرن الثالث عشر من الميلاد عين - بضبط لم يسبقه أحد - العرض والطول لاحدى وأربعين مدينة إفريقية بين مراكش والقاهرة، أي ما مسافته تسعمائة وأربعون مدينة إفريقية بين مراكش والقاهرة، أي ما مسافته تسعمائة فرسخ، فقيد مشاهداته في كتابه (**جامع المبادىء والغايات في علم الميقات**)، وهو كتاب يحوي معارف ثمينة لآلات الرصد العربية.

وقد ألف بعضهم كتباً باسماء آلات الرصد وأوصافها، منهم (**الخازن**) في كتابه «**الآلات العجيبة**»، ومنهم (**تقي الدين الراصد**) الذي اخترع كثيراً من آلات الرصد ووصفها وشرحها. أما أهم الآلات التي عرفها العرب واستعملوها للرصد فهي:

١ - الأسطرلاب

اختلف الفلكيون في تفسير كلمة (**الأسطرلاب**)، فقد جاء في مخطوطة «**رسالة أسماء الرسوم المرسومة على الآلة المسماة بالأسطرلاب الشمالي**» في شرح كلمة الأسطرلاب: «ان الأسطرلاب معناه ميزان الشمس. وقال **كشيار** يعني مرآة الشمس، والأصح أسطر: معناه تصنيف، ولاب: ولد هرمس، وهو مصنف يوناني».

وجاء في مخطوطة «المقالة الخامسة في رسم الآلات الحادثة على تسطيح الكرة كالأسطرلاب الشمالي والجنوبي والزرقالة والشكازية والأرباع» في معنى كلمة الأسطرلاب كذلك. «وزعم بعضهم أن أسطر معناها تصنيف، ولاب اسم حكيم اخترع الأسطرلاب، وهو **ابن هرمس الحكيم**. كما حكى صاحب **المقامات الحريرية** عن أبي نصر الثمين، أنه قال إن «لاب» لما رسم من الدوائر الفلكية في سطح مستو سئل عنه هرمس بأن يقول من سطر هذا، ويقول هو في جوابه سطره لاب، ولهذا سمي الأسطرلاب».

وجاء في «**كشف الظنون**» في تفسير كلمة الأسطرلاب: (وهي كلمة يونانية تعرف بالأسطرلابون، وتتكون من «أسطر» بمعنى النجم و «الابون» بمعنى المرآة ومن ذلك قيل لعلم النجوم **أسطرنوميا** Astronomy .

وفي تفسير آخر لكلمة الأسطرلاب «الأسطرلاب أو الأصطرلاب لفظة يونانية الأصل من «أسترولابس» من «أسترو» أي نجم أو كوكب، «لابيون» أي لأنه استعمل أولا في أخذ درجات ارتفاع الكواكب، فهو على ما يدل عليه اسمه آلة لقياس الكواكب الثابتة والسيارة في طلوعها وغروبها وميلها وارتفاعها وغير ذلك من حركاتها التي تعرف أحوال الفلك ليلاً ونهاراً وفي فصول السنة المختلفة».

وجاء في «**الموسوعة العربية الميسرة**»: وقد اخترع الأسطرلاب **هيباخوس** أو **أبولونيوس** ثم انتشر عند الإغريق والسوريين، ولكن في أبسط صورة.

وقيل إن أول من عمل أسطرلاباً وألف فيه كتاباً **أبو اسحاق إبراهيم ابن حبيب بن سليمان الفزاري** من فلكيي المنصور. وجاء في كتاب **الفهرست لابن النديم**، ان اسم الكتاب هو (**العمل بالأسطرلاب المسطح**).

وممن ألف في الأسطرلاب المسطح من منجمي المنصور: (**ما شاء الله**) ضاع أصل كتابه العربي ولم تنج من التلف إلا ترجمة لاتينية لكتاب الأسطرلابات والعمل بها.

وقد أطلقت كلمة أسطرلاب على عدة آلات فلكية تنحصر في ثلاثة أنواع رئيسية بحسب ما إذا كانت تمثل مسقط الكرة السماوية على سطح مستو، أو مسقط على خط مستقيم أو الكرة بذاتها بلا أي مسقط.

وعرف **حاجي خليفة** في كشف الظنون: علم الأسطرلاب بقوله: «هو علم يبحث فيه عن كيفية استعمال آلة معهودة يتوصل بها إلى معرفة كثير من الأمور النجومية على أسهل طريق وأقرب مأخذ مبين في كتبها كارتفاع الشمس، ومعرفة المطالع، وسمت القبلة، وعرض البلاد وغير ذلك، أو عن كيفية وضع الآلة على ما تبين في كتبه. وهو فرع من فروع علم الهيئة».

وذكر **طاش زادة** في «مفتاح السعادة ومصباح السيادة»: علماً آخر وسماه (علم وضع الأسطرلاب) فقال: «هو علم باحث عن كيفية وضع الأسطرلاب ومعرفة صنعة خطوطه على الصفائح، ومعرفة كيفية الوضع في كل عرض من الأقاليم...».

ويصنع الأسطرلاب عادة من النحاس الأصفر أو الأحمر أو من البرونز، ويزخرف في كثير من الأحيان بنقوش محفورة حفراً غائراً ومملوءة بمادة (النيلو) السوداء. وفي بعض الأحيان يزخرف الأسطرلاب بطريقة (التكفيت) بمادة **الفضة أو الذهب** أو كلتيهما معاً.

ويتكون الأسطرلاب من الأجزاء الآتية:

●● **الحلقة**: وتسمى العلاقة، وهي التي يعلق الأسطرلاب بها لأخذ الارتفاع والرصد.

●● **العروة**: وهي ما بين الحلقة والكرسي.

●● **الكرسي**: وهو ما بين العروة وأم الأسطرلاب.

●● **أم الأسطرلاب**: وهي الصفيحة المستديرة الكبرى ذات الطوق الجامعة للصفائح الأخرى بداخلها.

●● الحجرة : هي الفراغ الموجود في أم الأسطرلاب ويضم الصفائح والعنكبوت ، وينقش عليها أحياناً أطوال وأعراض بعض المدن .

●● الصفائح : هي أقراص مستديرة يختلف عددها في كل أسطرلاب وهي من ثلاث إلى أكثر من عشر صفائح ، مثقوبة في مركزها مثلومة من جانبها لتثبت في نتوء خاص داخل الحجرة يمنعها من الدوران . وفي كل صفيحة منها ثلاث دوائر على مركز الصفيحة ، فالصغرى منها مدار **السرطان** والوسطى مدار رأس **الحمل والميزان** والكبرى مدار رأس **الجدي** .

●● العنكبوت : وهي الشبكة ذات الخروق والنتوءات التي تعيّن بعض الكواكب وفيها دائرتان الكبرى من المركز هي مدار الجدي والصغرى مركزها مدار السرطان وعليها البروج الاثنا عشر . وقوس مداره رأس الحمل والميزان ، وهو مدار الاعتدال . وتكون شبكة العنكبوت وجه الأسطرلاب ، وهي تعلو جميع الصفائح ، وفيها عتبة لتحريكها .

●● العضادة : وهي الساق المتحركة على ظهر الأسطرلاب وفيها شطبتان مثقوبتان يؤخذ بها ارتفاع الشمس بالنهار والكواكب بالليل ، وأخذ الأبعاد والمرتفعات الأرضية .

●● المحور : وهو القطب الممسك للصفائح والعنكبوت من ثقوب في مراكزها .

●● الفرس : وهو الداخل في القطب الممسك له .

●● المدى : وهو الزيادة التي تكون في رأس الجدي .

●● ظهر الأسطرلاب : وينقسم عادة إلى ثلثمائة وستين درجة وإلى أرباع الدائرة وينقش فيها ، في بعض الأسطرلابات ، أسماء البروج وغيرها من الرسوم اللازمة للعمل بالأسطرلاب .

●● الحاصر : هو الجزء الذي يعلو (أم الأسطرلاب) ، ويكون عادة على شكل مثلث مزخرف ، وهو الذي يعرف أيضاً بالكرسي ، **وكثيرا ما نجد اسم الصانع أو صاحبه منقوشا على الحاصرة أو الكرسي وتاريخ صنعه .**

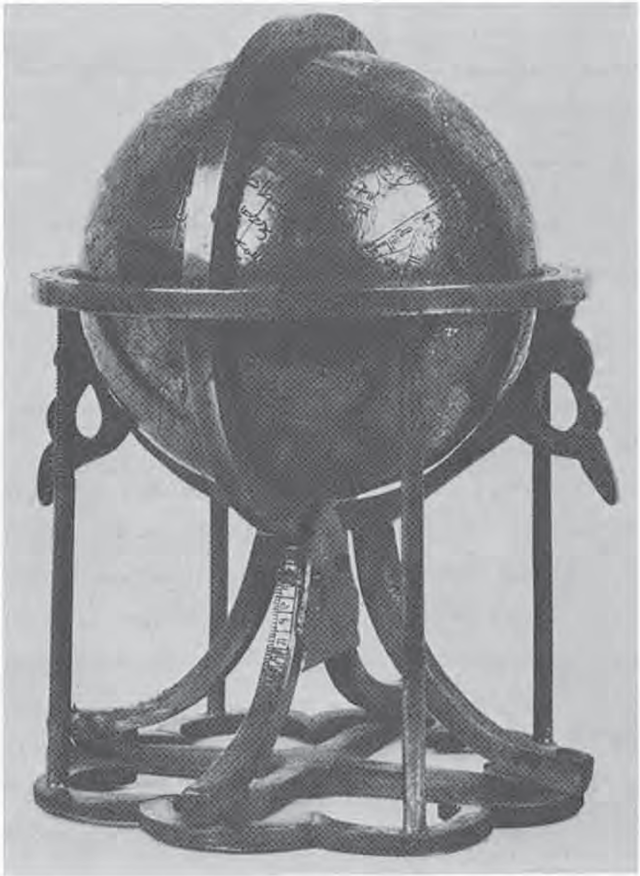
أنواع الأسطرلابات

وقد كثرت أنواع الأسطرلابات وتعددت أشكالها ، تبعاً لاتساع الحاجة إلى استعمالها في مختلف الأعراض الفلكية ، ومن أنواعه : الأسطرلاب **التام ، والمسطح ، والطوماري ، والهلالي ، والزورقي ، والعقربي ، والآسي ، والقوسي ، والجنوبي ، والشمالي ، والمنسطح ، والمسرطق ، وحق القمر ـ المغني ، والجامعة .**

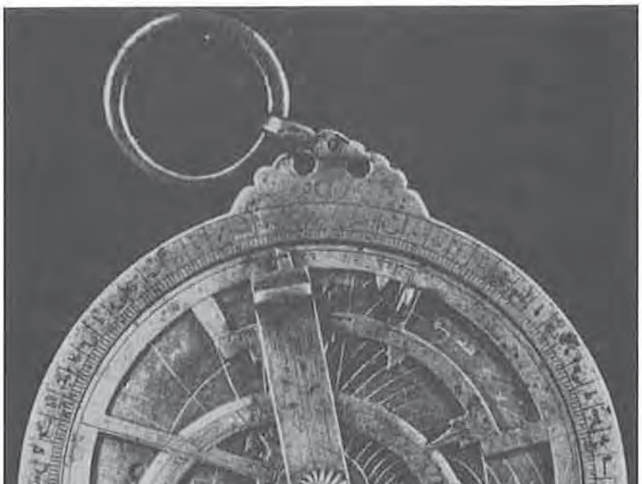
وهناك نوع آخر عرف باسم **عصا الطوسي** نسبة إلى مخترعه **المظفر بن المظفر الطوسي** (المتوفي سنة ٦١٠هـ) ، وهو يشبه بهيئته مسطرة الحساب ، فإن مسقط الأسطرلاب العادي للكرة المسطحة ، يقع فيه على خط من خطوط مسطحة المستوى بنفسه ، فهذه الأداة تمثل إذن خط تقاطع سطح الهاجرة من سطح مسقط أسطرلاب الكرة المسطحة .

وتشير النقط المعلمة على العصا إلى الصعودات المستقيمة والمائلة ، كما تشير إلى أقسام الدائرة الكسوفية والمقنطرات .

وجاء في « **دائرة المعارف الاسلامية** » عن الأسطرلاب المسمى (عصا الطوسي) : (وفي الأسطرلاب خيوط مربوطة بالعصا وهي تصلح لقياس الزوايا) .



★ آلة رصد النجوم وتحديد الاتجاهات .. ظهرت في إيران عام ٦٨٤هـ ـ ١٢٨٥م ، من اختراع عبد الرحمن الصوفي ★



★ آلة قياس اتجاهات الريح وسرعتها وتحديد ساعات الليل والنهار ، يرجع تاريخها إلى القرن التاسع الميلادي ★

وهناك الأسطرلاب المعروف بـ (**الأسطرلاب الكروي أو الكري أو الأكري**) يصفه (**نللينو**) بأنه يمثل الحركة اليومية للكرة بالنسبة لأفق مكان معلوم، دون الالتجاء إلى مسقط، فهو إذن صالح لقياس ارتفاعات الكواكب عن الأفق وتعيين الزمن، وحل طائفة من مسائل علم الفلك الكبرى. وقد ذكر **ابن السنبدي** (١٠٤٠م)، أن مكتبة القاهرة كانت تضم كرتين فلكيتين، وفي **المتحف العراقي** اليوم أسطرلاب كروي من هذا النوع.

ومن أنواع الأسطرلاب الأرباع، كالتام والجيب والمقنطرات والشكازي والأفاقي ودائر المعدل وذات الكرسي.

وهناك نوع آخر عرف **بالزرقالة** نسبة إلى **الزرقالي من علماء الأندلس**، الذي استطاع أن يحول الأسطرلاب من خاص إلى عام باستبداله من المسقط القطبي الاستريوجرافي، إلى المسقط الأفقي الاستريوجرافي، وبمقتضى هذا التحويل يكون موضع عين الراصد في نقطتي الاعتدالين. ويكون مستوى المسقط هو بعينه مستوى الدائرة الكبرى المارة بنقطتي الانقلابين. وهذا الأسطرلاب مطور عن الأسطرلاب (**العبادي**) نسبة إلى (**عبادة**) **ملك اشبيلية** (٤٦١ - ٤٨٤هـ/ ١٠٦٨ - ١٠٩١م).

وسمي هذا الأسطرلاب أيضاً بالصحيفة الزرقالية، وشاع في أوروبا باسم Saphaea أي الصحيفة.

وجوه استعمال الأسطرلاب

وتعددت الوجوه والأغراض التي كانوا يستعملون الأسطرلاب فيها، فقد كانوا يعملون به في استخراج **البرج** الذي تكون **الشمس** فيه وعدد الدرجات التي قطعتها منه، وفي معرفة وقت **الظهر والعصر** وآخر أوقات **النهار** وأوقات **الليل**، وما مر من ساعات زمانية منها، ومعرفة يوم **مجهول** مساو ليوم **معلوم**، ومعرفة ما هو مجهول من كواكب السماء الموضوعة في شبكة الأسطرلاب من قبل معلوم منها، ومعرفة أي درجة تتوسط السماء مع أي كوكب شئت، ومع أي درجة يطلع ويغرب، ومعرفة **القبلة** بالليل والنهار، ومعرفة **الطول والعرض**، وأخذ عرض كل بلد وأخذ طوله ومعرفة **الظل** من قبل ارتفاع الشمس وارتفاع الشمس من قبل الظل، ومعرفة ظل نصف النهار الذي هو ظل الزوال ومعرفة ظل وقت الظهر ووقت العصر في أي يوم من أيام السنة. ومعرفة **ارتفاع** ما بين مكانين وما يزيد الأعلى منهما على الأخفض، ومعرفة موضع **القمر** من البروج ومواضع الكواكب السيارة فيها على المقارنة ومعرفة **المشارق والمغارب** وما إلى ذلك من المسائل.

وقد استعمل الأسطرلاب بالاضافة إلى ما تقدم، في قراءة الفأل والمستقبل وتفسير الأحلام، كما فعل البعض من المنجمين.

وقد جاء في كتاب «**خلاصة الذهب المسبوك**»، لعبد الرحمن **الأربلي** من أهل القرن السابع، أن أبا شجاع بويه استدعى منجماً ليفسر له حلماً رآه في منامه «... ما خبره فجعل يحسب ويرفع الأسطرلاب وينظر»!

٢ - اللبنة

ومن مخترعات **تقي الدين الراصد**، آلة اللبنة، وهي جسم مربع مستو يقاس به الميل الكلي وأبعاد الكواكب وعرض البلد.

مجلة الفيصل - ص ١٠٢

٣ - الحلقة الاعتدالية

وهي حلقة تنصب في سطح دائرة المعدل، ليعلم بها التحول الاعتدالي

٤ - ذات الأوتار

وهي أربع اسطوانات مربعات تغني عن الحلقة الاعتدالية، ويعلم بها تحويل الميل، وقد اخترعها تقي الدين الراصد.

٥ - ذات الحلق

وهي أعظم الآلات هيئة ومدلولا، وتركب من حلقة تقوم مقام منطقة فلك البروج، وحلقة تقوم مقام المارة بالأقطاب، تركب إحداهما في الأخرى بالتنصيف والتقطيع، وحلقة الطول الكبرى وحلقة الطول الصغرى، تركب الأولى في محدب المنطقة والثانية في مقعرها. وجاء في **فوات الوفيات**: «إن ذات الحلق، خمس دوائر متخذة من النحاس، الأولى دائرة نصف النهار، وهي مركوزة على الأرض، ودائرة معدل النهار، ودائرة منطقة البروج، ودائرة الميل. وكذلك الدائرة الشمسية التي يعرف بها سمت الكواكب».

ويعزى إلى الفيلسوف العربي العالم الأندلسي **عباس بن فرناس**، أنه صنع هذه الآلة ورفعها إلى **الأمير عبد الرحمن ابن الحكم** (٢٠٦ - ٢٧٨هـ)، مرفقة بهذه الأبيات التي تفصح عن وظيفتها وفائدتها:

قد تم ما حملتني من آلة
أعيا الفلاسفة الجهابذ دوني
لو كان بطليموس ألهم صنعه
لم يشتغل بجداول القانون
فإذا رأته الشمس في آفاقها
بعثت إليه بنورها الموزون
ومنازل القمر التي حجبت معا
دون العيون بكل طالع حين
يبدون فيها بالنهار كما بدت
بالليل في ظلماتهن الجون

٦ - ذات الشعبتين

وهي ثلاث مساطر على كرسي يعلم بها الارتفاع.

٧ - ذات السمت والارتفاع

وهي نصف حلقة قطرها سطح من سطوح أسطوانة متوازية السطوح، يعلم بها السمت وارتفاعها، وهي من مخترعات العلماء العرب ولم يسبقهم إلى اختراعها أحد.

٨ - ذات الجيب

وهي مسطرتان منتظمتان انتظام ذات الشعبتين.



★ آلة ملاحظة الأبراج ـ كما تبدو الأسماء مكتوبة على الشريط المعدني الدائري في الوسط ـ (الميزان ، العقرب ، القوس) ، وقد اكتشفت عام ٦٥٧هـ ـ ١٢٥٩م ، واستخدمها العالم الكبير ناصر الدين الطوسي ★

٩ ـ المشبهة بالناطق

وهي ثلاث مساطر ، اثنتان منتظمتان ، انتظام ذات الشعبتين ، ويقاس بها البعد بين كوكبين **وهي من مخترعات تقي الدين الراصد .**

١٠ ـ الميقاتة

وتسمى أيضاً بـ (**المنقانة ـ المنجانة**) ، وهي **البنكان** أو **البنكام الفارسية** ، وهي الساعة أو آلة لحساب الوقت .

وتدل على الجهات وتحدد أوقات الصلاة . **وهي من مخترعات عباس ابن فرناس أيضاً** ، قدمها هدية **للأمير عمر بن عبد الرحمن** (٢٣٨ ـ ٢٧٣ هـ) ، منقوشاً عليها الأبيات التالية :

ألا أنني للدين خير أداة
إذا غاب عنكم وقت كل صلاة
ولم تر شمس بالنهار ولم تنر
كواكب ليل حالك الظلمات
بيمن أمام المسلمين محمد
تجلّت عن الأوقات كل صلاة

★ ★ ★

وقد اعترف الأفرنج بأن العرب اتقنوا صناعة هذه الآلات . وجاء أن ذات السمت والارتفاع وذات الأوتار والمشبهة بالناطق وعصا الطوسي والمربع التام .. كلها من مخترعات العرب عدا ما اخترعوه من البراكير والمساطر ، وعدا التحسينات التي أدخلوها على كثير من آلات الرصد المعروفة عند الاغريق ، وعند غيرهم من الأقوام التي تقدمتهم .

وبهذا نجد أن علم الفلك قد ارتقى على يد العلماء العرب ، وأصبح علماً استقرائياً يستند على الملاحظة الحسية ، ومبنياً على الأرصاد لتعليل حركات الكواكب والأجرام السماوية ، وتفسير الظواهر الفلكية .

أما الجزء النظري منه ، فقد أصبح علماً تعليمياً يستند إلى المسائل الرياضية في حل معضلاته . وظل هذا العلم يتداول حتى وقت ظهور الطباعة ، بل ما زالت الاضافات العلمية التي ابتدعها العرب ، فيه تثير الاعجاب في العصر الحديث .

أهم المراجع

١ ـ أنور الرفاعي :
تاريخ العلوم في الإسلام : دار الفكر ١٩٧٣م .
٢ ـ قدري حافظ طوقان :
تراث العرب العلمي : القاهرة ١٩٦٣م .
٣ ـ حكمت نجيب عبد الرحمن :
دراسات في تاريخ العلوم عند العرب : جامعة الموصل ١٩٧٧م .
٤ ـ جرجي زيدان :
تاريخ التمدن الإسلامي ـ جـ ١ طبعة دار الهلال .
٥ ـ ناجي معروف :
المراصد الفلكية ببغداد في العصر العباسي ـ بغداد ١٩٦٧م .
٦ ـ د . عبد الحليم منتصر :
تاريخ العلم ودور العلماء العرب في تقدمه ـ دار المعارف بمصر ١٩٧٥م ، الطبعة السادسة .
٧ ـ بشير فرنسيس وناصر النقشبندي :
الأسطرلاب في دار الآثار العربية في بغداد ـ مجلة (سومر) المجلد الثالث عشر ١٩٥٧م ، بغداد .
٨ ـ عبد الله أحمد محمد :
في التراث العلمي العربي ـ مجلة الشباب وعلوم المستقبل ، العدد الرابع ـ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧٧م ، القاهرة .
٩ ـ خير الله طلفاع :
كنتم خير أمة أخرجت للناس ، الجزء الثاني ، بغداد ١٩٦٩م .
١٠ ـ الدكتورة سعاد ماهر :
البحرية في مصر الإسلامية ، دار الكاتب العربي ، القاهرة .
١١ ـ حاجي خليفة :
كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون ، القسطنطينية .
١٢ ـ طاس كبري زاده :
مفتاح السعادة ومصباح السيادة (طبعة حيدر آباد) .
١٣ ـ ابن شاكر الكتبي :
فوات الوفيات جـ ٢ .
١٤ ـ دائرة المعارف الإسلامية (الترجمة العربية) جـ ٢ .
١٥ ـ الموسوعة العربية الميسرة ، القاهرة .

من أمثال العرب

(عِشْ رَجَباً تَرَ عَجَباً)

أي رويدك حتى ينقضي رجب الذي هو من الأشهر الحرم فإنك ترى العجب من الحرب بعد انقضائه ولا يبقى الحال على ما تراه من الهدوء والمسالمة .. يضرب في تنقل الدهر .

(مَعَ الخَوَاطِىءِ سَهْمٌ صَائِبٌ)

يضرب لمن يأتي منه الصواب فلتة ، وإنما دأبه أن يخطىء .



(عُرْفُطَةٌ تَسْقِي مِنَ الغَوادِقِ)

العرفطة : شجرة من العضاه خَشِنَةُ المس ، والغَدَق : الماء الكثير ، وهو في الأصل مصدر يقال : غَدقَتْ عين الماء ، أي غَزُرت ، ثم يوصف به فيقال : ماء غَدَق ، ويقال : سحابة غادقة ، والغوادق : السحاب الكثير الماء .. يضرب للشرير يكرم ويبخل .

(عَادَةُ السُّوءِ شَرٌّ مِنَ المُغْرَمِ)

قيل : معناه من عودته شيئاً ثم منعته كان أشد عليك من الغريم ، وقيل : معناه أن المغرم إذا أديْته فارقك ، وعادة السوء لا تفارق صاحبها ، بل توجد فيه ضَرْبَةَ لازب .

(عَوْرَاءُ جَاءَتْ والنَّدِيُّ مُقْفِرٌ)

العوراء : الكلمة الفاحشة ، والندي والنادي : المجلس ، والمقفر : الخالي .. يضرب لمن يؤذي جليسه بكلامه وتعظمه عليه من غير استحقاق .



(أَصُوصٌ عَلَيْهَا صُوصٌ)

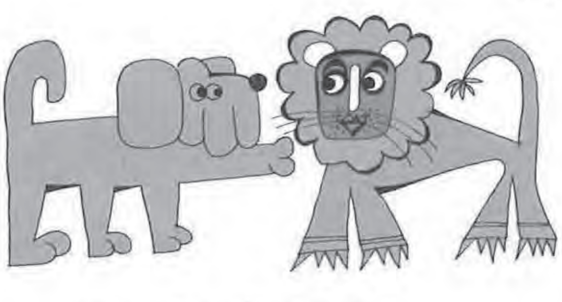
الأصوص : الناقة الحائل السمينة .. والصوص : اللئيم .

قال الشاعر :

فألفيتكم صُوصاً لُصُوصاً إذا دجا الـ
ظـلامُ وهَيَّابينَ عند البَوَارِقِ

(عاد الرَّمْيُ على النَّزَعَةِ)

أي رجع على الرماة رميهم .. يضرب لمن أراد شراً لصاحبه فوقع هو فيه .



(كَلْبٌ اعْتَسَّ خَيْرٌ مِنْ أَسَدٍ رَبَضَ)

ويروى : كلب عس ، ويروى : من أسد اندس .. ويروى : كلب عائر خير من كلب رابض .. والعائر المتردد .. ومنه العير لتردده في الفلاة .. والعامة تقول : كلب طواف خير من أسد رابض .. يضرب في تفضيل الضعيف إذا تصرف في المكسب على القوي إذا تقاعس .

من أمثال الشعوب







في الزواج

● الزواج إما أن يكون أكبر الأوجاع .. أو أكبر الثروات .

● الزواج هو الترجمة النثرية لقصيدة الحب .

(فرنسا)

● الزواج على عكس الحمّى .. يبدأ بالحرارة وينتهي بالبرودة .

● الحب أعمى .. لكن الزواج يعيد إليه البصر .

● عندما يتزوج رجل كهل من شابة يتصابى .. لكن المرأة تهرم .

(ألمانيا)

● الزواج هو الشر الوحيد الذي يبحث عنه الإنسان .

(اليونان)

● افتح عينيك جيداً قبل الزواج ، واتركهما نصف مغمضتين بعده .

(أميريكا)



● الزواج والموت شنقاً هما من الأمور المكتوبة في لوح القدر .

(بريطانيا)

● كل جديد جميل .. لكن في الزواج على العكس .

(تركيا)

● المرأة تبكي قبل الزواج .. والرجل يبكي بعده .

(بولندا)

● عدد الذين تزوجوا كبير جداً .. لكن عدد الذين ندموا على الزواج لا يقل عنهم .

(إسبانيا)

● الزواج كالرعد بعد الطلقات الأولى يتنفس الإنسان الصعداء ثم يأتي البروق .

(ملغاشي)

● إذا احترق خبز التنور فقد خسرنا أسبوعاً كاملاً .. وإذا كان الموسم الزراعي رديئاً فقد أضعنا عاماً بأكمله .. وإذا كان الزواج مشؤوماً فقد خسرنا العمر كله .

(استوني)

أفلام سينمائية فورية

من بولارويد

نعم.. الآن تستطيع أن تلتقط فيلمًا سينمائيًا ملونًا وتراه معروضًا فى منزلك على الشاشة بعد لحظات. «بولافيزن» من تقنية «بولارويد» ومهاراتها الفنية. فقط عبئ آلة التصوير بكاسيت الفيلم وابدأ التقاط الصور، ثم ضع كاسيت الفيلم فى جهاز العرض «بولافيزن» وفى أقل من دقيقتين تستطيع أن تستمتع أنت وعائلتك بمشاهدته مرات وعشرات المرات.



٢,٠٠ بعد الظهر

أنت الآن تصور !

ضع كاسيت الفيلم فى آلة التصوير وابدأ التقاط الفيلم بالألوان الزاهية ..



٢,٠٨ بعد الظهر

تم شاهد !

ضع كاسيت الفيلم فى جهاز العرض «بولافيزن» فيتم تحميضه أوتوماتيكيًا، وتستمتع أنت وعائلتك بمشاهدته فى دقائق على شاشة متنقلة حجمها ١٢ بوصة .

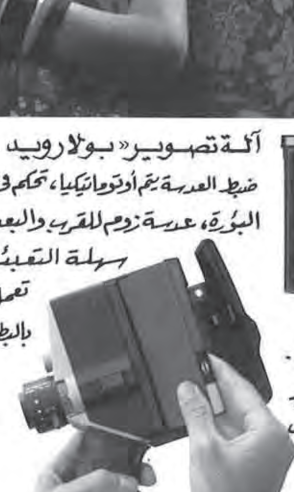
بولافيزن من بولارويد

الفيلم السينمائى الفورى الوحيد فى العالم !



جهاز العرض

شاهد الفيلم السينمائى بألوانه الطبيعية الزاهية فورًا.



آلة تصوير «بولارويد»

ضبط العدسة يتم أوتوماتيكيا، تحكم فى البؤرة، عدسة زوم للقرب والبعد، سهلة التعبئة، تعمل بالبطارية.



كاسيت الفيلم

لست بحاجة إلى لمس الفيلم أو لفه. بعد التقاط الفيلم بآلة التصوير أخرج الكاسيت، وضعه فى جهاز العرض فيحمض الفيلم تلقائيًا ..

افـريـقـيـا

بقلم : د. محمود سلام زناتي

في ظل النظام القبلي يكون ولاء المرء لقبيلته ولا ولاء عنده لغيرها . ويسود بين أفراد كل قبيلة شعور الاعتزاز بالانتماء إليها والاعتقاد في أن بني جلدتهم أشرف الناس وأكرمهم وأجدرهم بالحياة . وتنعكس هذه النظرة في الجوانب المختلفة للعلاقات بين أفراد القبيلة فيما بينهم ، والعلاقة بينهم وبين أفراد القبائل والشعوب الأخرى ، والقاعدة في هذا الخصوص أن المبادىء الأخلاقية ، والقيم السلوكية ، والضوابط القانونية يرتبط بها أفراد القبيلة فيما بينهم ، لكنهم في حل منها في علاقاتهم بالآخرين .

فالسرقة مثلاً إذا وقعت على ماشية مملوكة لأحد أفراد العشيرة أو القبيلة كانت عاراً ليس بعده عار وجرماً ليس كمثله جرم ، ولكن إذا كان محلها ماشية مملوكة لقبيلة أخرى كانت على العكس مدعاة للفخر ومصدراً للثناء . **والقتل** إذا وقع من أحد أعضاء القبيلة على عضو آخر بها كان من الممكن تسويته بالزام القاتل وأقاربه بدفع دية أو تعويض آخر إلى أقارب القتيل . أما إذا وقع من أحد أفراد قبيلة على فرد من قبيلة أخرى فليس هناك سوى الثأر والانتقام .

الزواج .. والقبيلة

وأفراد القبيلة يتزوجون فيما بينهم . وقلما يسمح العرف لأفراد قبيلة بالزواج من أفراد قبيلة أخرى . ومن القبائل ما يحرم مجرد الاتصال الجنسي بين أفراده وأفراد القبائل الأخرى . ويصل التحريم ، في بعضها ، إلى حد اعتبار الرجل الذي كانت له علاقة جنسية بامرأة من قبيلة أخرى نجساً ومن ثم غير صالح على الاطلاق للزواج ، وبصفة دائمة ، من إحدى نساء القبيلة .

مفاهيم .. وأعراف

وكل قبيلة تتصور نفسها محبوبة الخالق ومحظية الأرباب . وتعتقد أن الخالق قد فضلها على العالمين . وتعتبر أسلافها أعظم الأسلاف ، وتقاليدها أفضل التقاليد ، وأسلوب حياتها أحسن الأساليب . والنتيجة الطبيعية لذلك أن يسود بين القبائل شعور بالاحتقار المتبادل . فينظر أبناء كل قبيلة إلى أبناء القبائل الأخرى نظرة ازدراء . وهم يسخرون من تقاليد هؤلاء إذا اختلفت عن تقاليدهم ، ويهزأون بأسلوب حياتهم إن غاير أسلوبهم .

لدى **البوران** Beran مثلاً يجري العرف بأن يترك الذكور **ذؤابة** من شعر رأسهم ، وهم ينظرون إليها باعتبارها ميزة اختصهم الخالق بها دون باقي الخلق ، علامة على محبته لهم ، وتفضيله إياهم . وهم ينظرون إلى هذه الذؤابة ، بصفة خاصة ، باعتبارها مظهراً من مظاهر امتيازهم على جيرانهم **الصوماليين** الذين لا يربون مثلها .

ووصف الذين اختلطوا **بالقبائل النيلية** انطباعاتهم عنها بأن سلوك تلك القبائل ينزع إلى الكبرياء والفردية والشراسة . وتنعكس هذه الصفات في موقف الواحد منهم تجاه الآخر وبوجه خاص في موقفهم من الأجانب . وهم يعتبرون بلادهم أفضل بلاد العالم ويتعتقدون أنهم يتفوقون على غيرهم من الشعوب .

ويشير **هنتنجفورد** إلى موقف **الناندي** في هذا الخصوص بقوله « ان اعتزاز الناندي بأنفسهم واحتقارهم لكل من لا ينتمي إليهم ونفورهم من الأجانب ، كل ذلك ما زال قائماً حتى يومنا هذا على الرغم من بعض التعديل الذي أصابه . . . وكان أول تقويم لهم للأوروبيين وصفهم بأنهم أشبه النساء منهم بالرجال نظراً لأنهم يقيدون أنفسهم بالملابس التي يرتدونها » .

الاسلام يلغي العصبية

والإسلام لا يقر العصبية القبلية وما تستتبعه من احتقار متبادل ، وكراهية متقاسمة بين القبائل ، وإنما يبشر ، على العكس ، بالمودة والأخاء بين بني الإنسان . قال تعالى : ﴿ يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا . إن أكرمكم عند الله اتقاكم ﴾ . وقال تعالى : ﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منها رجالا كثيراً ونساءً ﴾ .

قال **ابن جرير الطبري** في تفسير هذه الآية الكريمة : « وعرف عباده كيف كان مبتدأ انشائه ذلك من النفس الواحدة ونبههم بذلك على أن جميعهم بنو رجل واحد وأم واحدة ، وأن بعضهم من بعض ، وأن حق بعضهم على بعض واجب وجوب حق الأخ على أخيه ، لاجتماعهم في النسب إلى أب واحد وأم واحدة ، وأن الذي يلزمهم من رعاية

بعضهم حق بعض ، وأن بعد التلاقي في النسب إلى الأب الجامع بينهم ، مثل الذي يلزمهم من ذلك في النسب الأدنى وعاطفاً بذلك بعضهم على بعض ليتناصفوا ، ولا يتظالموا » .

واعتناق الاسلام سبب هام في اضعاف العصبية القبلية وبالتالي في تحقيق التوافق والانسجام بين أعداد كبيرة من البشر مختلفة العروق والأنساب . فالإسلام يحرر الفرد من اطار القبيلة الضيق ويدمجه في مجتمع أوسع وأرحب ، يضم أفراد قبيلته كما يضم أفراد غيرها من القبائل . يصف **ادون سمث** Edwin Smith أثر الإسلام في هذا المجال بقوله : « **إن كثيرا من الرجال الانجليز الذين يعدون أنفسهم مسيحيين طيبين لن يجول بخاطرهم الاقرار بالزمالة مع المسيحيين من سود البشرة . أما المسلمون فلا يفرقون . فالعرب والزنوج والبربر والهندوس أخوة في الدين ، ولا يختلط بعضهم بالبعض الآخر في العبادة فحسب ، وإنما يعاون بعضهم البعض عن طيب خاطر في شؤون الحياة اليومية** » .

ويقول كذلك إن الحياة القبلية تتفكك تحت ضغط الحضارة الأوروبية ، لكن عندما يعتنق رجال القبائل الإسلام يجدون نظاماً رائعاً للدين والأخلاق ، وتعطى لهم قيم أخلاقية جديدة ، عوضاً عن تلك التي لم تعد تناسبهم . **وقد أدمج المسلمون في غربي إفريقية القبائل المتناثرة في ممالك قوية شغل فيها الزنوج مناصب رفيعة .**

والإسلام وإن كان يعجل بتفكيك النظام القبلي إلا أنه لا يترك الفرد القبلي فريسة الشعور بالضياع ونهب التمزق النفسي . . وإنما يمنحه بديلاً لمجتمعه السابق مجتمعاً أرحب تسوده أيضاً قيم المودة والأخاء .

والإسلام بادخاله الإفريقي في المجتمع الإسلامي لا يجعل منه عضواً من الدرجة الثانية بل يسوي بينه وبين غيره من المسلمين ، أياً كانت صورهم وألوانهم ، وأياً كانت ألسنتهم وأوطانهم . وقد أقر بذلك رجال الغرب أنفسهم ، فها هو أحدهم - **مورل** Merel يقول : « **إن الاسلام يأخذ بيد الزنجي ويمنحه المساواة مع الناس جميعا** . فمن اليوم الذي يعتنق فيه الوثني الإسلام لا يقدر أي مسلم من الساميين أن يتمسك في مواجهته بسمو في الجنس ، فالإسلام بالنسبة للزنجي سُلّم نحو مفهوم أسمى للوجود ، حيث يلقي في صدره بالثقة في مصيره ، ويشرب روحه إيماناً قوياً بنفسه وجنسه » .

الاسلام وحقوق النساء في الميراث

القاعدة في المجتمعات القبلية الإفريقية ، عدم المساواة في الميراث بين الذكور والإناث .

ففي بعض المجتمعات تحرم المرأة من وراثة الأموال التي تشكل عناصر الثروة الرئيسية . ففي **المجتمعات الرعوية** مثلاً يجري العرف بحرمان المرأة من وراثة الماشية . فالماشية حق الرجال ليس للنساء فيه نصيب . ويصل الأمر في بعضها إلى حد حرمان المرأة من تملك الماشية ، ولو عن طريق آخر غير الميراث . وحرمان المرأة من وراثة الماشية في المجتمعات الرعوية ، يفسره نظرة المجتمعات إلى الماشية بوصفها أوثق صلة بالرجال منها بالنساء ، كما يفسره أن قطعان الماشية تعتبر عماد تلك المجتمعات ومصدر قوتها ، وكل أسرة تعتز بما تحوزه منها ، وتسعى جاهدة إلى زيادة ما لديها من الماشية ، والحؤل دون ضياعه أو نقصانه . ومن الطبيعي ، والأمر كذلك ، أن ينكر على النساء كل حق في وراثتها . فالنساء مصيرهن إلى الزواج من غرباء ، والاعتراف لهن بوراثة الماشية يستتبع انتقالها إلى أسر أجنبية ، وهو أمر غير مرغوب فيه .

فلدى **الهوتنتوب** (في جنوب افريقيا) مثلاً كان الذكور وحدهم هم الذين يرثون ، أما البنات فلا يرثن على الاطلاق . وإذا لم يكن للميت أبناء ، آل الميراث إلى أقرب أقاربه الآخرين من الذكور . ولدى **البوندو** (من أقصى طرف القارة الجنوبي) لا حق للنساء في وراثة أي مال . ولدى **التسوانا** (دولة بوتسوانا) لم تكن البنات تحصل على أية ماشية على الاطلاق . ولا يعترف **النياكيوسا** (في مالاوي) للمرأة بأي حق في الميراث . ويحرم **الكمبا** المرأة من وراثة الماشية والحقول . ولدى **الكبسجي** (في كينيا) تقسم الماشية بين الأبناء دون البنات . ولدى القبائل الوثنية في **نيجيريا الشمالية** النساء محرومات من كل حق في الميراث .

وفي مجتمعات أخرى يعترف للمرأة بوراثة أقاربها إلا أن حقها أضعف من حق الرجال من نفس درجة القرابة أو حتى من درجة أبعد . فالذكر يفضل على الانثى إذا كانا من درجة واحدة ، وقد يفضل الذكر الأبعد على الانثى الأقرب ، والأعم الأغلب في هذه المجتمعات أن تكون مجتمعات أمية .

فلدى **النياموزي** (في تنزانيا) للقريبات من جهة الأم الحق في الحصول على تركة الميت إذا لم يترك وراءه وريثاً من الذكور . ولدى **الاشانتي** (في غانا) يتقدم الرجال على النساء بالنسبة لتركة الرجل . والقاعدة ، لدى **السرير** (في السنغال) أن النساء لا يرثن ، ومع ذلك فإذا لم يوجد في الأسرة سوى نساء فإن كبراهن ترث ، وعند موتها تؤول الأموال إلى فرعها من الذكور .

وعلى خلاف ما تجري به التقاليد القبلية يقر الإسلام للنساء ، لا سيما البنات والأمهات والأخوات ، بالحق في الحصول على نصيب من التركة . وترث المرأة في كثير من الحالات جنباً إلى جنب مع الرجل ، وإن كان نصيبها في الغالب أقل من نصيبه ، تطبيقاً للآية الكريمة ﴿ **للذكر مثل حظ الانثيين** ﴾ . وقد كان الإسلام سبباً في الاعتراف للمرأة في كثير من جهات القارة الإفريقية ، بحق المشاركة في التركة . ولم يجد الباحثون الغربيون مفراً من الاعتراف بفضل الإسلام في هذا الصدد . فكثير منهم يذكر ، في دراسته لهذا الشعب أو ذاك ، أن تقاليده القديمة لم تكن تعترف للمرأة بأي حق في الميراث ، وأن الاعتراف لها في الوقت الحاضر بهذا الحق مرده إلى تأثير الإسلام .

فالمجتمعات القبلية تتجه إذن ، تحت تأثير الاسلام ، إلى الاعتراف للنساء بحق في الميراث . ولكن ينبغي ألا نتصور أن هذا

الأمر يتحقق في سهولة ويسر . فكل الشواهد تدل على أن الاعتراف للمرأة بالحق في الميراث يلقى مقاومة عنيدة . فهناك مجتمعات اعتنقت الإسلام ولا زالت ، مع ذلك ، تنكر عليها كل حق في هذا المجال . وهناك مجتمعات اعترفت ، تحت تأثير الإسلام ، للنساء بالحق في الحصول على نصيب من التركة . غير أن هذا النصيب يقل ، عادة ، عن النصيب المقرر لهن في الشرع الإسلامي . وكثيراً ما يتحايل الناس للحيلولة دون وقوع الأموال بين أيدي النساء عن طريق الميراث . من ذلك أن يوزع الرجل ثروته على أبنائه أثناء حياته ، حتى يحول دون بناته والحصول على جزء منها . وفي كثير من الجهات قل أن تعرض المسائل المتعلقة بالميراث على القضاء . وكثيراً ما يتجاهل الأقاب الأحكام التي تصدر من القضاة المسلمين مقررة حقوق النساء في التركة .

ففي بعض جهات غمبيا ولدى البمبارا (**في مالي**) فيما مضى لم يكن يعترف للمرأة بأي حق في الميراث . بينما لدى **مسلمي داهومي** يتراوح نصيب البنت بين ثلث وخمس نصيب الذكر . ولدى **الكيل تاديليه** (من قبائل الطوارق في الصحراء الكبرى) تتم قسمة الأموال بمعدل أربعة أنصبة للابن ونصيب للبنت . ويتحدث **هوبن** عن الميراث لدى **فولا جواندو** (في غربي إفريقية) بقوله : (إن الرعاة لا يحبون نظام الميراث المالكي ، حيث تحصل البنت على نصف نصيب الابن . **فالماشية** طبقاً للتقاليد تعتبر ملك الرجال ، وأي نظام يخول النساء حق اكتساب الماشية لا يلقى ترحيباً) . ولدى **فولا وودابي** (في غربي افريقية) يؤول الميراث إلى العصبة ، ولا تشارك فيه النساء من نفس درجة القرابة اطلاقاً ، فيما عدا الحصول على نصيب تافه غير محدد تحديداً دقيقاً . كذلك لا زالت المرأة محرومة ، في بعض المجتمعات التي اعتنقت الإسلام ، من الحق في وراثة الأرض . كما هو الحال لدى **قبائل البجة والصوماليين .**

والقاعدة في التقاليد القبلية عدم وجود حق ميراث متبادل بين الزوجين . فالميراث أساسه القرابة - سواء كانت أمية أم أبوية - والزواج لا ينشيء بذاته رابطة قرابة بين الزوجين . ومع ذلك فإن التقاليد القبلية تقر بحقوق معينة لكل من الزوجين على أموال زوجه الميت .

لدى قبائل **البوندو** (في اتحاد جنوبي إفريقية) مثلاً يرث الابن أموال أبيه ، لكن من الواجب عليه استشارة أمه بخصوص التصرف فيها طالما بقيت الأم على قيد الحياة . ولدى **التسوانا** تبقى حقول البيت بين يدي الأرملة ولا تقتسم إلى حين وفاتها . ولدى **الاينسو** (في اوغندا) للأرملة الحق في البقاء في بيتها واستعمال الأرض التي كانت تستعملها أثناء حياة زوجها . ولدى **الكيكويو** (في كينيا) تحتفظ كل أرملة بحقلها السابق وتزرعه لحساب أسرتها . ولدى **الجوسي** (في اوغندا) تزداد عند وفاة الزوج سلطة الزوجة على الأموال المخصصة لبيتها ، ولا يمكن تقسيم الأراضي أو الماشية بصفة رسمية بين الورثة طالما هي على قيد الحياة .

وإذا توفيت الزوجة آلت أموالها إلى أولادها ، وليس للزوج أي حق في الحصول على نصيب منها . ومع ذلك فإذا كان الأولاد صغاراً فإنه يحوز هذه الأموال لحسابهم . ولا يسمح العرف بأن يخصص الزوج هذه الأموال لبيت زوجة أخرى . وإذا توفيت الزوجة دون أن تترك وراءها ذرية ، فإن أموالها تؤول إلى أقاربها . وقد يجري العرف في حالة وفاة الزوجة ، دون ذرية ، باعطاء إحدى قريباتها للزوج وهنا تخلف المرأة البديلة الزوجة في بيتها وأموالها .

وقد أعطى الإسلام ، خلافاً للتقاليد القبلية ، كلًا من الزوجين حقاً في تركة زوجه . فللزوج نصف تركة زوجته إذا لم يكن لها ولد وربعها إذا كان لها ولد . وللزوجة ربع تركة زوجها إذا لم يكن له ولد وثمنها إذا كان له ولد . **وقد كان من آثار اعتناق المجتمعات القبلية الاسلام الاعتراف بحق ميراث بين الزوجين** . ولكن الملاحظ أن هذه المجتمعات لا تتقبل بسهولة الاعتراف بهذا الحق . والمقاومة التي تبديها المجتمعات القبلية في هذا الشأن أشد منها بالنسبة للاعتراف بحق ميراث للإناث من ذوي القربى ، وليس من شك في أن مرد هذه المقاومة الزائدة إلى أن الميراث ، في تصور هذه المجتمعات ، مبناه القرابة ، والزواج لا ينشيء بين الزوجين قرابة . فضلاً عن أن العرف الشائع ، في هذه المجتمعات ، هو الزواج من الغرائب . ويظل هذا العرف بعد اعتناق الإسلام ، سارياً وقتاً غير قصير . لكن عندما يشرع الافريقيون ، تحت تأثير الإسلام ، في السماح بالزواج بين الأقاب يكون لهذا الاعتبار أثره في تمهيد الطريق نحو الاعتراف بحق ميراث متبادل بين الزوجين .

ويبدأ التطور بظهور شعور بأنه لا ينبغي حرمان الزوج الذي بقي على قيد الحياة من تركة زوجه كلية . وبأنه ينبغي اعطاءه نصيباً دون اقتضاء أن يكون هذا النصيب هو ، بالضرورة ، نصيبه المقرر شرعاً . **وبازدياد تأثير الاسلام تزداد أهمية ما يحصل عليه الزوج في تركة زوجه حتى يصبح مطابقا لنصيبه الشرعي . وفي وسعنا أن نعاين ، في تقاليد المجتمعات القبلية الاسلامية ، درجات متفاوتة نحو الاعتراف بهذا الحق .**

فهناك مجتمعات تنكر على الأزواج كل حق في وراثة أحدهما الآخر . كما هو الحال مثلاً لدى **مسلمي ساحل العاج وفولا ووداني والبمبارا** . وهناك مجتمعات قطعت شوطاً طويلاً أم قصيراً في طريقها إلى الاعتراف بحق الميراث بين الزوجين دون أن تتوصل إلى تطبيق القاعدة الإسلامية تطبيقاً كاملاً . فلدى **الدندي والكوتوكولي والبيل** (في غربي إفريقية) بصفة خاصة من المتفق عليه أن المرأة يجب أن تحصل على نصيب في تركة زوجها ، غير أن هذا النصيب ليس محدداً على الاطلاق ويتوقف على قيمة التركة وحسن استعداد الورثة .. الخ ، ويمكن القول بأنه يبلغ **١/٢٠** من التركة . فلدى **البيل** مثلاً تعطى الأرملة عند رحيلها رأساً من الماشية إذا كان الميت فقيراً ، ورأسين إلى أربعة إذا كان متيسراً ، وخمسة إلى عشرة إذا كان لديه قطعان كبيرة . ولدى **الفولا** (في غينيا) يعترف للزوج الباقي على قيد الحياة بالحق في الحصول على نصيبه الشرعي فيما يتعلق بالحبوب والقطعان والمنتجات الزراعية . ولكن هناك أموالا أخرى لا يعترف لاي من الزوجين المشاركة في اقتسامها وهي **الكتب والأسلحة والثياب** من ناحية ، **والأراضي والبيوت** من ناحية أخرى .

عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك بن مروان

فاتح شطر بلاد الروم

بقلم: محمود شيت خطاب

نسبه وأيامه الأولى

هو عبد الملك بن الوليد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي القرشي الأموي (١) .

أبوه : أمير المؤمنين الوليد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم ، أعظم خلفاء بني أمية فتحاً ، وأكثرهم جهاداً .

وأمه : أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان بن الحكم (٢) ، فهو أموي من جهة الأب ومن جهة الأم أيضاً .

نشأ وترعرع في أحضان البيت المالك : **أبوه خليفة ، وجده خليفة ، وجد أبيه خليفة ، وأهل بيته خلفاء وأمراء وقادة وولاة .**

عاش أيامه الأولى في العصر الذهبي للأمويين : أيام استعادة (الوحدة) والاستقرار للدولة الإسلامية ، التي استعادها عبد الملك بن مروان سنة ثلاث وسبعين هجرية (٢) (٦٩٢م) بعد فتن واضطرابات داخلية طاحنة وضع حداً لها بما عرف عنه من كفاية عالية وحنكة ودهاء(٣) .

وقد كان عبد الملك بن مروان يدفع الأتاوة لإمبراطور الروم في (**القسطنطينية**) منذ توليه الخلافة حتى استعاد (الوحدة) (٤) ، فانطلق الفتح الإسلامي بعد سنة (الوحدة) حتى توفي عبد الملك بن مروان سنة ست وثمانين هجرية (٥) (٧٠٥م) ، فاستأنف هذا الفتح الوليد بن عبد الملك الذي فتحت في أيامه فتوحات عظيمة (٦) ، فكانت أيامه في الفتح كأيام **عمر بن الخطاب رضي الله عنه** انطلاقاً وسرعة وضخامة .

وفي هذا المناخ الذي يتسم بالاستقرار والفتح ، نشأ عبد الله وترعرع ، في ظروف ملائمة لاستكمال مزاياه الشخصية بالعلم والتدريب .

وكان التعليم النظري لاستيعاب العلوم المتيسّرة السائدة ميسوراً حينذاك ليس لبني أمية وحدهم ، بل لسائر الناس ، وربما يكون الفرق الوحيد بين تعليم أبناء الخلفاء وغيرهم من المسلمين ، هو أن أبناء الخلفاء يتلقون العلم على أساطين العلماء وجهابذة الشيوخ ، فقد استقدم الوليد بن عبد الملك **صالح بن كيسان** وضمه إلى ابنه عبد العزيز ليؤدبه ويعلمه (٧) ، وصالح هذا أحد الثقاة العلماء (٨) ، وكان جامعاً من الحديث والفقه والمروءة (٩) ، وكان من فقهاء المدينة المعدودين ، وقد استقدمه الوليد بن عبد الملك من **المدينة المنورة** خصيصاً لابنه عبد العزيز (١٠) .

وقد نشأ عبد العزيز في **دمشق** عاصمة الخلافة ، ليتعلم القرآن وعلومه ، **وكان أبوه شديد الاهتمام بحفظ القرآن وتلاوته : يبر حملة القرآن ويكرمهم ويحمل عنهم ديونهم (١١) ، ويختم القرآن كثيرا في رمضان وفي سائر الأيام (١٢) ، ويشجع الناس على حفظه (١٣) ، فلا عجب أن يهتم اهتماما بالغا بتعليم ابنه عبد العزيز القرآن وعلومه على أبرع العلماء ، كما درس عبد العزيز الحديث النبوي الشريف وعلومه ، وتعلم التاريخ والسير وأيام العرب قبل الاسلام وبعده ، وأتقن علوم اللغة العربية نحوا وصرفا وبلاغة وبيانا وشعرا ونثرا ، كما تعلم فنون الأدب في مجال الشعر والنثر ، وحفظ نماذج من نتاج الخطباء والأدباء والشعراء ، ولم يغفل الحساب والهندسة وتقويم البلدان .**

وكان الخلفاء في تلك الأيام ، يعتبرون اللحن في اللغة عيباً من أشنع العيوب ، كما كانوا يهتمون بحفظ القرآن الكريم وتفسيره ، والحديث الشريف وحفظ ما تيسر منه ، كما كانوا يروون البليغ من كلام العرب شعراً ونثراً ، ويبذلون غاية جهودهم لتعليم أولادهم ومن يلوذ بهم هذه العلوم والآداب والفنون .

وكما كان الخلفاء يحرصون على تعليم أولادهم العلوم المختلفة والآداب والفنون ، كانوا يحرصون أيضا على تعليم أولادهم العلوم العسكرية العملية والنظرية .

وقد تعلم عبد العزيز العلوم العسكرية النظرية : اقامة المعسكرات ، تنظيم المعسكر ، اختيار مناطق التعسكر وشروط المعسكر الجيد ، فنون التعبية كاخراج المقدمات والمؤخرات والمجنبات ، وأساليب الحماية ، والاستفادة من الأرض ، وزرع الربايا والكمائن ، ومعالجة المشاكل غير المتوقعة ، وتأمين القضايا الإدارية في الميدان ، وطرق رفع المعنويات ... الخ . وكل هذه العلوم تلقن من قادة مجربين لهم في الحروب باع طويل .

كما تدرب على الفنون العسكرية العملية : **ركوب الخيل ، والرمي بالسهام ، والتصويب الدقيق ، والضرب بالسيوف ، والطعن بالرماح ، والسباحة** ، وتحمل المشاق العسكرية سيراً على الأقدام مسافات طويلة في أيام متعاقبة وظروف قاسية صيفاً وشتاءً ، والحرمان من الطعام والشراب مدة من الزمن ، وتناول الطعام الخشن والماء العسر ، والابتعاد عن المآكل اللين والشراب السائغ ، وهذا ما نطلق عليه في المصطلحات الحديثة تعبير : التدريب العنيف .

ولكن هذا التدريب العسكري وحده لا يكفي ، لأنه تدريب (**فردي**) ، فلا بد من تلقي التدريب (**الاجمالي**) ، وهو ممارسة الجهاد قائداً وجندياً في ساحة القتال ، ليطبق ما تعلمه (فرداً) من فنون عسكرية عملية ، على القتال ضمن المحاربين تطبيقاً عملياً ، وهذا ما نطلق عليه : تعليم المعركة .... إذ لا فائدة من التدريب الفردي ، إلا إذا طبق عملياً في التدريب الإجمالي ، وأفضل أنواع التدريب الإجمالي هو ممارسة القتال عملياً .

وقد كان أسلوب التدريب على القتال ، شائعا في أيام خلفاء بني أمية عامة بالنسبة لأولاد الخلفاء ، أما الوليد بن عبد الملك فقد دأب على زج أولاده في معارك الجهاد ، وكان يرسل بنيه في كل غزوة إلى بلاد الروم (١٤) ، وقد أرسل عبد العزيز في غزوة تدريبية للعمل تحت اشراف عمه مسلمة بن عبد الملك ، فلما وثق بقدرته القيادية ولاه غزوة مستقلة ، كما سيرد تفصيل ذلك في : جهاد عبد العزيز .

وقد كان التدريب العملي في الأمور السياسية والإدارية ميسوراً لعبد العزيز ، فهو إلى جانب أبيه الخليفة وقريب منه ، والخليفة كان هو المرجع الأعلى في تصريف تلك الأمور ، وعنه تصدر القرارات الخطيرة ، كما أنه كان إلى جانب الحكام من بني أمية وغيرهم ، فكان يرى ويسمع ما يحدث في القمة من تصريف أمور الدولة ، وهذه تجارب عملية مفيدة له أعظم الفائدة في تكوين شخصيته وإكمال تعلمه وتدريبه .

لقد تهيأ لعبد العزيز العلم المكتسب والتدريب العملي والتجربة ، مما كان له أثر عميق في تكوين شخصيته قائداً وإدارياً وسياسياً .

جهاده

١ - في سنة إحدى وتسعين هجرية (٧٠٩م) غزا عبد العزيز الصائفة(١٥) ، وكان عبد الجيش **مسلمة بن عبد الملك** (١٦) ، **وكان ميدان هذه الغزوة أرض الروم ، ولكن هذه الغزوة لم تقتصر على بلاد الروم ، بل تغلغلت باتجاه الشمال الشرقي مخترقة (اذربيجان)** (١٧) ، حتى بلغ مسلمة ومعه عبد العزيز مدينة **الباب**(١٨) ، فَفُتِح على يديهما مدائن وحصون (١٩) .

وكانت هذه الغزوة بالنسبة لعبد العزيز غزوة تدريبية على فنون القتال ، تعلم فيها الكثير من أبرز قادة الأمويين في أيامه مسلمة بن عبد الملك ، وأغنى بها تجربته العملية .

وكان في غزوته هذه قائداً مرءوساً على قسم من جيش مسلمة ومن المحتمل أن يكون على جيش (**دمشق**) ، لأنه كان على هذه المدينة في أيام والده الخليفة الوليد بن عبد الملك بن مروان .

وقد شهد عن كثب كيف تدار المعارك ، وكيف يجري القتال ، وما هي التدابير التعبوية التي يتخذها القائد في سير الاقتراب وفي القتال وفي العودة بعد انتهاء الواجب ، وما هي التدابير الإدارية في اختيار المعسكرات والتعسكر والتموين والتنقل واخلاء الجرحى .

ومن الواضح أنه تحمل أعباء كثير من الواجبات الإدارية والقتالية قبل نشوب القتال وفي أثنائه وبعده ، قائداً لقسم من الجيش الغازي .

وهذا هو الأسلوب الناجع لتدريب القادة على فنون القتال ، وأفضل طريقة لأسلوب : تطعيم المعركة .. والظاهر أنه أثبت جدارة في مهمته التي جرت باشراف عمه مسلمة ، وهو قائد متمرس قدير .

٢ - وفي سنة أربع وتسعين هجرية (٧١٢م) غزا عبد العزيز بلاد الروم ، فبلغ حصن (**غزالة**) (٢٠) ، في هذه الغزوة (٢١) وفتحها(٢٢) .

ومن المعروف أن هذا الحصن كان قد فتحه سنة ثمان وثمانين هجرية (٧٠٧م) . مسلمة بن عبد الملك بن مروان (٢٣) ، مما يدل على أن الروم استعادوه من المسلمين بعد فتحه ، فأعاده عبد العزيز إلى سيطرة المسلمين مرة أخرى

لقد كانت حياة عبد العزيز في مجال القيادة قصيرة حقا ، فما الذي صرفه عن تلك الحياة الخصبة المثمرة ؟!

الانسان

كان عبد العزيز بالنسبة إلى والده الوليد بن عبد الملك أفضل أولاده ، فكان حين يذكر والده يقول : **عبد العزيز سيدهم** (٢٤) .

وقد بذل الوليد بن عبد الملك قصارى جهده لتعليم ولده عبد العزيز ، فاستقدم لتأديبه أبرز علماء المدينة المنورة في حينه إلى (دمشق) وأوكل إليه أمر تأديبه - كما ذكرنا - بالاضافة إلى أبرز علماء عاصمة الأمويين (دمشق) الذين اختارهم الوليد لتأديب ولده ، مما يدل على أن الوليد أولى ابنه عبد العزيز عناية خاصة ميزه بها على سائر إخوته .

ولكي يكون قريباً منه يحظى برعايته الكاملة ، ولاه (دمشق) ، **فبقي** عبد العزيز في منصبه هذا حتى مات الوليد (٢٥) سنة ست وتسعين الهجرية (٢٦) (٧١٤م) .

ولا بد أن يكون عبد العزيز استحوذ على ثقة أبيه الوليد ، فأراد أن يخلع أخاه سليمان بن عبد الملك ويبايع لولده عبد العزيز ، فأبى سليمان . وكتب الوليد إلى عماله ودعا الناس إلى ذلك ، فلم يجبه إلا **الحجاج بن يوسف الثقفي وقتيبة بن مسلم الباهلي وخواص من الناس** . وكتب الوليد إلى سليمان يأمره بالقدوم إليه ، فأبطأ وتلكأ ، فعزم الوليد المسير إليه ليخلعه وأخرج خيمه ، فمات قبل أن يسير إليه(٢٧) .

ولم يكن خلع سليمان بن عبد الملك عن ولاية العهد أمراً سهلاً ، فقد كان الوليد وسليمان وليّيّ عهد عبد الملك بن مروان (٢٨) ، وفي عنق الناس بيعة سليمان والوليد على حد سواء ، فليس من السهل التخلي عن هذه البيعة . وركوب الوليد مخاطر خلع سليمان ، يدل على مبلغ ثقته بعبد العزيز ، واستعداده لبذل كل جهوده من أجله .

ولم يكن الوليد ليحرص على أن يخلفه عبد العزيز ، ويركب من أجل تحقيق هذا الهدف أصعب المراكب ، ويعرض نفسه والدولة إلى احتمال نشوب تمرد يقوده سليمان وأنصاره وإلى احتمال تذمر الناس من فعلته ، فقد نصحه أحد المقربين إليه بقوله : « إن الناس لا يجيبونك إلى هذا ، ولو أجابوك لم آمنهم على الغدر بابنك » (٢٩) ، إلا لثقته الكاملة بابنه عبد العزيز وحبه الشديد له ، وهذه الثقة لا تأتي عفواً ولا تكون لأسباب عاطفية ، فلا بد أن الوليد حازها لأنه أثبت جدارته في الخلافة ذكاء وفطنة وقابلية إدارية وعسكرية وسياسية ، بعد أن جربه أبوه الوليد في تلك المجالات كافة ، فنجح قائداً وإدارياً وسياسياً .

ويبدو أنه كان ملتزماً بتعاليم الدين الحنيف ، بعيداً على مزالق الشباب ، والدليل على ذلك أن أباه ولاه إمرة الحج سنة ثلاث وتسعين الهجرية (٣٠) (٧١١م) ، واختلف فيمن حج بالناس سنة أربع وتسعين الهجرية (٧١٢م) ، فقيل : مسلمة بن عبد الملك أو عبد العزيز بن الوليد (٣١) ، ولا يمكن أن يتولى الحج بالناس إلا متدين عميق التدين .

وكاد **يزيد بن عبد الملك** سنة ثلاث ومئة هجرية (٧٢١م)، أنّ يعهد إليه بولاية العهد ليتولى الخلافة من بعده، ولكن مسلمة بن عبد الملك صرفه عن عزمه قائلاً: «أيها أحب إليك، أخوك أم ابن أخيك؟» فقال: «بل أخي» ثم عهد لأخيه **هشام بن عبد الملك** من بعده (٣٢).

ولا يمكن أن يفكر يزيد بن عبد الملك أن يعهد بولاية العهد لعبد العزيز مفضلاً إياه على إخوته، لو لم يكن عبد العزيز متحلياً بمزايا تؤهله لتولي هذا المنصب الرفيع.

ولعل أفضل وصف لعبد العزيز ما قاله رجل من أهل الشام: «ليس من ولد الوليد أحد إلا ومن رآه يحسب أنه أفضل أهل بيته، ولو وزن بهم أجمعين عبد العزيز لرجحهم (٣٣).

ولا عجب - وتلك هي مزاياه - أن يثق بنفسه ثقة كاملة، وأن يعرف قدره ومكانته، فيرى أنه أحق بالخلافة من سائر بني أمية بعد موت سليمان بن عبد الملك.

فقد بلغ عبد العزيز - وكان غائباً - موت سليمان بن عبد الملك، ولم يعلم ببيعة الناس **لعمر بن عبد العزيز** وعهد سليمان إلى عمر، فعقد لواء ودعا إلى نفسه، ثم بلغته بيعة الناس عمر بعهد سليمان، فأقبل حتى دخل على عمر بن عبد العزيز، فقال له عمر: «قد بلغني أنك كنت بايعت من قبلك، وأردت دخول دمشق!» فقال: «قد كان ذاك، وذلك أنه بلغني أن الخليفة سليمان لم يكن قد عقد لأحد، فخفت على الأموال أن تنتهب»، فقال عمر: «لو بويعت وقمت بالأمر ما نازعتك ذلك، ولقعدت في بيتي»، فقال عبد العزيز: «ما أحب أنه ولي هذا الأمر غيرك»، وبايع عمر (٣٤).

وهكذا تخضع الرجولة المتكاملة للحق عندما يظهر لها، دون تردد، ولكنها لا ترضخ بالتنازل عن حقها قبل أن ينبلج لها الحق واضحاً جلياً. فهي تطالب بحقوقها عندما ترى الحق معها، ولكنها تتخلى عن مطالبتها إذا وجدت من هو أحق منها، وهذا دليل على قوة الشخصية السوية التي تخضع للحق ولا تخضع لغير الحق.

عبد العزيز والشعر

وقد مدحه الشعراء، ولست أجهل أن مدائحهم - وبخاصة لذوي السلطان، لا تنطبق على الواقع ولا تصلح أن تكون دليلاً على أن من مدحوهم يتحلون بالسجايا الواردة في قصائدهم، وأن وراء تلك المدائح رغبة أو رهبة أو تزلفاً، ولكن بعد حديثنا عن سجايا عبد العزيز، لا بد من ذكر لمحات من الشعر الذي قيل في مدحه، لا للاعتماد على ما ورد فيها من مديح دليلاً على سجاياه، لأن سجاياه برزت قبل ايراد شواهد المديح، بل لتكون الأمثلة الشعرية في مدحه آخر الدلائل على سجاياه وحسب.

فقد أراد الوليد أن يكون عبد العزيز ولي عهده، فدس في ذلك إلى القواد والشعراء، فقال **جرير**:

إذا قيل أي الناس خير خليفة؟
أشارت إلى عبد العزيز الأصابع (٣٥)

رأوه أحق الناس كلهم بها
وما ظلموا إذ بايعوه وسارعوا (٣٦)

وقال جرير أيضاً يحض الوليد على بيعة عبد العزيز:

فماذا تنظرون بها وفيكم
جسورٌ بالعظائم واعتلاءُ (٣٧)

إلى عبد العزيز سَمَتْ عيون الـ
رعيّة إذ تحيَّرتِ الرِّعاءُ (٣٨)

إليه دَعَتْ دواعيه إذا ما
عِمادُ الملكِ خَرَّت والسَّماءُ

وقال الو الحُكومَةِ من قُرَيْش
علينا البَيْعُ إن بلغَ الغلاءُ (٣٩)

رأوا عبدَ العزيز وليَّ عهدٍ
وما ظلموا بذاك ولا أساءُوا

فَزَحلفْها بأزْفُلِها إليه
أميرَ المؤمنين إذا تشاءُ (٤٠)

فأن الناس قد مدُّوا إليه
أكفَّهُمُ وقد برح الخفاءُ

ولو قد بايعوكَ وليَّ عَهْدٍ
لقامَ القِسْطُ واعْتَدَلَ البناءُ (٤١)

وقال جرير يمدح عبد العزيز:

إذا قُلْتَ لي: عبد العزيز كَفَيْتَني
زَماناً فَشَتْ عِلاَّتُهُ ومَبَاخِلُه

فَيَوْمان من عبد العزيز تفاضَلا
ففي أيِّ يَوْمَيْه تلومُ عَواذِلُه

فيومٌ تحوطُ المسلمينَ جيادُهُ
ويَوْمُ عَطاءٍ ما تغِبُّ نَوافِلُه

وللتُرك من عبد العزيز وَقيعَةٌ
وللرُّوم يومٌ ما تَتِمُّ حَوامِلُه (٤٢)

فما وَجَدوا عبد العزيز مُغَمَّراً
ولا ذي سِقاطٍ عند أمرٍ يُحاوِلُه

ولا جافياً عن قائم السَّيف قَبْضُهُ
إذا الفَشِلُ الرِّعْديدُ قَفَّتْ أنامِلُه

يُقلصُ بالفَضْلَيْنِ: فَضْلِ مُفاضةٍ
وفَضْلِ نِجادٍ لم تَقَطَّعْ حمائلُه (٤٣)

فلا هو في الدنيا مُضيِّعٌ نصيبَهُ
ولا عَرَضُ الدنيا عن الدين شاغِلُه (٤٤)

فهذا بديعٌ ليس في الناس مثلُه
وهذا مديحٌ لا يُكَذَّبُ قائِلُه

أبَيْنا، فما يدعو إلى غيرِكَ الهَوَى
وما من خليلٍ بابْنِ ليلى (٤٥) نبادِلُه

أتى زَمَنُ البَيْضاء بعدك فانتحي
على العَظْم حتى أسلمتْه حوامِلُه (٤٦)

فَرِش لي جناحي واتخذني بازياً
تخطفُ حَبّاتِ القُلوبِ أجادِلُه (٤٧)

وقد أكثر الشعراء من مدح عبد العزيز، نكتفي بما أوردناه نماذج لتهافت الشعراء عليه بالمديح، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على جوده وكرمه، والجود والكرم من مزايا الرجال.

وقد ذكرنا إخوته في سيرة أخيه **العباس بن الوليد**، فلا نعيد ذكرهم هنا (٤٨) وأم عبد العزيز ومحمد، هي أم **البنين ليلى بنت عبد العزيز بن**

مروان بن الحكم [٤٩] ، وفي رواية أن أشقاءه محمد ومروان وعنبسة أبناء الوليد بن عبد الملك [٥٠] .

وأم والدته : ليلى بنت سهيل بن حنظلة بن الطفيل بن مالك بن جعفر بن كلاب [٥١] .

وتزوج عبد العزيز ميمونة بنت عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق ، فولدت له عبد الملك وعتيقاً ، وفي عتيق يقول الشاعر :

ذهبَ الجودُ غير جود عَتيقٍ
ابن عبد العزيز من ميمونهْ
بنت قرم مهذّب من قُرَيْش
قد أبى الله أن تكون هجينهْ [٥٢]

وابن عتيق بن عبد العزيز ، كان يرشح للخلافة ، قتله **عبد الله بن علي العباسي** كما قتل أبا بكر بن عتيق [٥٣] .

وميمونة زوجة عبد العزيز ، تزوجت بعده أخاه محمد بن الوليد بن عبد الملك [٥٤] ، مما يدل على أن عبد العزيز توفي قبل شقيقه محمد بن الوليد .

وتزوج **أم حكيم بنت يحيى بن الحكم [٥٥] بن أبي العاصي الأموية .**

وذكر أن عبد العزيز لم يُعْقِب [٥٦] ، وهذا ليس صحيحاً .

كما تزوج عبد العزيز **أمة الله بنت الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان .**

وقد تولى عبد العزيز أول قيادة له سنة إحدى وتسعين الهجرية (٧٠٩م) ، كما ذكرنا في موضوع : جهاده .

وكان الخلفاء يولون أبناءهم المناصب القيادية إذا بلغوا سن العشرين من العمر ، يزيد ذلك قليلا ، أو ينقص قليلا .

ومعنى هذا أن عبد العزيز ولد حوالي سنة إحدى وسبعين الهجرية (٦٩٠م) ، وقد بقي حياً حتى سنة ثلاث ومئة الهجرية (٧٢١م) ، إذ أراد يزيد بن عبد الملك أن يجعله ولي عهده ، ولكن لا نعرف سنة وفاته بالضبط ، لأن المؤرخين وكتّاب السِّيَر سكتوا عن تاريخ وفاته ، كما سكتوا عن تاريخ أخيه محمد الذي خلفه على زوجه أمة الله بنت الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان .

وليس من المحتمل أنه عاش حتى سنة اثنتين وثلاثين ومئة الهجرية (٧٤٩م) ، وهي السنة التي أباد فيها **العباسيون** كل من قدروا عليه من الأمويين بعد استيلائهم على السلطة .

ولم يتحدث المؤرخون وكتاب السير على المناصب التي تولاها عبد العزيز بعد وفاة والده الوليد بن عبد الملك بن مروان .

والظاهر أنه زهد في المناصب ، لأنه كاد أن يصبح خليفة ، فتجاوزته الخلافة ، فكل منصب بالنسبة للخلافة تافه ، لذلك وضع هذا المنصب وحده نصب عينيه ، فدعا إلى نفسه بعد وفاة سليمان بن عبد الملك ، ثم رضخ للخليفة القائم عمر بن عبد العزيز ، كما أن عمه يزيد بن عبد الملك عزم على توليه من بعده ، لولا أن صرفه عن عزمه مسلمة بن عبد الملك .

ومهما يكن من أمر ، فإن طموحه إلى الخلافة لم يتحقق ، فخسر قمة المناصب ، ولم يربح المناصب التي دون القمة .

وهكذا تجمدت كفايات عبد العزيز العالية في مجالي القيادة والإدارة ، بعد وفاة أبيه الوليد بن عبد الملك بن مروان ، فحرمت الدولة من جهوده وهو لا يزال في ريعان الشباب وأوج العطاء ، حتى توفاه الله مأسوفاً عليه .

القائد

عمل عبد العزيز في القيادة العسكرية سنتين : سنة قائداً مرءوساً لعمه مَسْلَمَة ابن عبد الملك ، وهي سنة تدريبية على واجبات القيادة في الميدان ، وسنة قائداً مستقلاً يتحمل واجباته القيادية مسؤولا مباشراً ، ليضع ما تعلمه من الفنون العسكرية النظرية والعملية موضع التنفيذ العملي .

كما عمل في جبهتين مختلفتين من جبهات القتال خلال حياته العسكرية العملية : جبهة (**أذربيجان**) حتى بلغ مع مسلمة (**الباب**) على بحر (**الخزر**) ، وجبهة الروم في منطقة (**ملطية**) ففتح حصن (**الغزالة**) وعاد من غزوته منتصراً .

وعلى الرغم من أن حياته العسكرية في القيادة كانت قصيرة جداً ، لأن أباه الوليد بن عبد الملك استأثر به فآثر أن يكون إلى جانبه والياً على (دمشق) عاصمة الأمويين في المشرق ، ومستشاراً يتدرب عملياً على اعطاء القرارات العسكرية والإدارية والسياسية التي تصدر من أعلى سلطة في الدولة ، وتؤخذ آراؤه فيما يعترض الدولة من مشاكل ومعضلات ، ويستشار في اصدار القرارات الحاسمة السَّوْقِية ، ويعد إعداداً مناسباً باشراف الخليفة لتسنّم الخلافة من بعد الخليفة القائم . . . إلا أن مدة قيادته القصيرة تنمّ على قابلية متميزة في القيادة بالاضافة إلى قابلياته المتميزة الأخرى ، أهّلته للترشيح إلى منصب ولاية العهد ، ليكون الرجل الثاني في الدولة خلال حياة الخليفة ، وليكون الرجل الأول في الدولة بعد موت الخليفة ، مما يدل على نجاحه في قيادته ، ونجاحه في مهامه الأخرى .

وإذا كان للعاطفة نصيب ما في ترشيحه ولياً للعهد ، لأن الوالد يحب لولده ما يحبه لنفسه ، ولكن العاطفة وحدها لم تكن السبب الأول والأخير لترشيحه ، خاصة وأن الوليد كان له تسعة عشر ولداً من الذكور ، وترشيحه لولاية العهد دون سواه من أشقائه وإخوته دليل قاطع على أنه كان أفضل منهم جميعاً في كفايته وقابليته وحسن تصرفه وأخلاقه قائداً وإنساناً .

لقد كان عبد العزيز ذكياً ألمعي الذكاء ، وكان متزناً مكيثاً غير متهوِّر ، وكان بعيد النظر يحسب لكل شيء حسابه ، وكان آلفاً مألوفاً يحب رجاله ويحبونه ، وكان ذا شخصية نافذة رصينة مما يوحي بالثقة به من رجاله ، فيثق بهم كما يثقون به .

وكان جواداً كريماً ، وهذه الصفة لها مكانتها في قلوب الذين يحبون المال حباً جماً ، ولها مكانتها في قلوب الذين لا يحبون المال أيضاً ، فليس هناك من يكره الجواد الكريم .

وصفة الجود والكرم ، تؤدي بصاحبها إلى استقطاب الرجال من حوله ، الذين يقاتلون جهاداً في سبيل الله ، والذين يقاتلون كسباً للمغانم .

وكان ملتزماً بتعاليم الدين الحنيف ، ملتزماً بمتطلبات الحياة ، فهو يعمل لآخرته كما يعمل لدنياه .

وكان لا يتخلى عن مثله العليا ، دمث الأخلاق ، سليم القلب ، طيب السَّرِيرة ، حسن الطويّة ، مأمون النقيبة ، لا يلحق الأذى بالمحسنين بل يشد أزرهم ويسندهم ويدافع عنهم ، ولكنه لا يتغاضى عن المسيئين بل يعاقبهم ويحاسبهم ويحملهم على الطريق السَّوِيّ .

وكان قائداً (**تعرضيا**) ، يتخذ أسلوب الهجوم السيّار للدفاع عن الحدود الإسلامية والثغور ، ويتجنب أسلوب الدفاع المُسْتَكِنّ ، لأنه في أحسن نتائجه يصد المعتدي ولا يؤدي إلى النصر ، كما أن نقل ساحة القتال إلى ميدان العدو في حالة الهجوم ، يؤدي إلى ايقاع الخسائر في بلاد العدو ويصون بلاد المسلمين من الدمار . لقد كان عبد العزيز يطبق مبدأ : الهجوم خير وسائل الدفاع . وكان يطبق مبدأ (**التحشد**) ، فكان يوجه القوات المناسبة لتحقيق هدفه من القتال .

وكان يطبق مبدأ : (**الاقتصاد بالقوة**) ، فلا يسرف في حشد قوات كبيرة

بالنسبة للهدف المقصود .

وكان يطبق مبدأ : **(الأمن)** في مسير الاقتراب ، فيخرج المقدمات والمجنبات والمؤخرات لحماية جيشه ، ويحمي معسكراته أثناء التعسكر ، ويطبق ترتيبات القتال الشائعة حينذاك في أثناء القتال : ميمنة وميسرة وقلب ومقدمة ومؤخرة ، وهي ترتيبات أمنية لحماية قواته من المباغته ، كما يهتم بالمسافات في أثناء الانسحاب من بلاد العدو ، حماية لقواته من المطاردة .

وكان يطبق مبدأ : **(توخي الهدف)** ، فيقرر سلفاً الهدف الذي يريده وينظم خطته لفتح ذلك الهدف ، دون أن يحيد عنه إلى هدف آخر ، دون مسوّغ .

وكان يطبق مبدأ : (القضايا الادارية) ، فيعد عدته للتموين والاعطيات والنقلية والطبابة والبيطرة ، حتى ليكاد جيشه لا يفتقد شيئاً من قضاياه الإدارية .

ويجب أن نتذكر أن بني أمية كانوا ماهرين إلى أبعد الحدود في إعداد الخطة الادارية وتنفيذها ، مع الاعداد مسبقا لأدق التفاصيل الادارية ، حتى المخيط والخيط يعدونها للجيش ، بحيث تكتفي قواتهم اكتفاء ذاتيا منذ رحيلها عن قواعدها للفتح حتى عودتها إلى تلك القواعد .

وكان يطبق مبدأ : **(ادامة المعنويات)** ، ويبذل قصارى جهده أن تتحلى قواته بالمعنويات العالية ، وخير وسيلة لادامة المعنويات هو النصر .

لقد توفر في عبد العزيز العلم العسكري النظري والعملي بما لا يزيد عليه باعتباره من أبناء الخلفاء ، وبذلك حاز على شرط من شروط القيادة المتميزة وهي : العلم المكتسب .. وشهد غزوتين من غزوات الفتح ، فحاز على شرط آخر من شروط القيادة المتميزة وهي : التجربة العملية .

ولكن يجب أن نتذكر أن تجربته العملية كانت قصيرة على كل حال .

أما الشرط الثالث من شروط القيادة المتميزة وهي : الطبع الموهوب ، فإنه كان يتحلى بصفات ذكرناها في صدر صفاته القيادية ، وهي تدل على طبع موهوب ، كما أن تسنّمه القيادة يدل على رغبته في خوض غمار الحرب ، إذ لا يمكن للخليفة أن يولي منصب القيادة إلا من يحب المسؤولية ويميل إلى القتال ولا يخشى الأخطار ، ويتحمل مشاق الحرب ، ويكون شجاعاً مقداماً .

ومن دراسة سير القادة من أبناء الخلفاء ، يظهر لنا بما لا يقبل الشك ، أن الخلفاء لم يولوا القيادة كل أبنائهم ، بل ولوها قسماً منهم ، وهذا القسم الذي تولى القيادة لا بد أن يتولاها لرغبته في الجهاد وتيسر الكفاية لتحمل جميع متطلباته ، وإلا فالمجال واسع لابن الخليفة غير القادر على تحمل أعباء الحرب ، أن يتولى المناصب المريحة الأخرى .

وبالرغم من تمتع عبد العزيز بسمات الطبع الموهوب أو ببعض سمات هذا الطبع ، ولكن انتصاراته كانت انتصارات تعبوية ذات أثر محدود في الفتح ، والعهد بأصحاب الطبع الموهوب ، أن يحققوا انتصارات سوقية حاسمة ذات أثر باق في الفتح .

ولعل محاولة أبيه الوليد بن عبد الملك بن مروان أن يوليه ولاية العهد ، ليصبح خليفة المسلمين بعد وفاته ، حرم عبد العزيز من ابراز كفايته القيادية في فتح مستدام ، فخسر الخلافة ولم يربح الفتح .

وقد برز في أيام الوليد بن عبد الملك بن مروان قادة من ذوي الطبع الموهوب ، ففتحوا فتحاً مستداماً ، **كمحمد بن القاسم الثقفي وقتيبة بن مسلم الباهلي في فتوح المشرق وموسى بن نصير وطارق بن زياد في فتوح المغرب ، وربما حرم الفتح من قيادة عبد العزيز لأن أباه أراد أن يخلفه في قيادة الأمة ، فجرت الرياح بما لا تشتهي السفن .**

عبد العزيز في التاريخ

يذكر التاريخ لعبد العزيز جهاده في الدفاع عن الدولة ، وفتحه حصن **(الغزالة)** في بلاد الروم .

ويذكر له أنه تولى مدينة (دمشق) عاصمة الدولة وقاعدة الفتح الإسلامي الرئيسة في أيام والده الخليفة الوليد بن عبد الملك بن مروان الذي كانت أيامه أيام العصر الذهبي للفتح في عهد بني أمية ، وكان العصر الذهبي الأول للفتح في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وقد أحسن عبد العزيز في إدارته غاية الإحسان لهذه القاعدة الرئيسة ، مما كان له أثر حاسم في الفتح .

ويذكر له أنه لمع مبكراً ، وهو في ريعان الشباب ، فاستحق أن يتولى المنصب الثاني في الدولة : **ولاية العهد** ، من أجل أن يخلف أباه الوليد بن عبد الملك ، فيصبح من بعد أبيه خليفة المسلمين .

ولكن الأقدار حرمته من اعتلاء سدة الحكم ، إذ مات أبوه قبل أن يحقق لعبد العزيز البيعة .

ويذكر له أن عمه يزيد بن عبد الملك بن مروان قرر أن يستخلفه مفضلاً له على أولاده وإخوته ، ولكنه صرف في آخر لحظة عن قراره .

ويذكر له تمسكه بالمثل العليا ، وتحليه بالخلق الكريم ، والتزامه بالسجايا الخلقية الرفيعة ، فكان موضع ثقة الناس به وتقديرهم واعجابهم .

يرحمه الله بقدر ما قدم للدولة من خدمات وما قدم لآخرته من أعمال حسنة ، وجعله قدوة يحتذي به الشباب من العرب والمسلمين .

(١) أنظر التفاصيل في طبقات ابن سعد (٥/٢٢٣) وتهذيب الأسماء واللغات (١/٢٠٩)، وجمهرة أنساب العرب (١٠٣ ـ ١٠٥) وفوات الوفيات (٢/٣١) وقادة فتح المغرب العربي (٢/٩٥) .

(٢) الطبري (٦/٤٩٦) والعيون والحدائق (١٢) .

(٣) أنظر التفاصيل في كتابنا : قادة فتح المغرب العربي (٢/١١٣ ـ ١١٤) .

(٤) ابن خلدون (٣/١٥٣ ـ ١٥٤) .

(٥) تاريخ بغداد (١٠/٢٩١) وتاريخ الخميس (٢/٣١١) والعبر (١/١٠٢) وشذرات الذهب (١/٩٧) .

(٦) الطبري (٦/٤٩٦) وابن الأثير (٥/٩) وابن خلدون (٣/١٤٨) والبداية والنهاية (٩/١٦٤) .

(٧) المحبر (٤٤٧) .

(٨) ميزان الاعتدال للذهبي (١/٤٥٩) .

(٩) تهذيب التهذيب (٤/٣٩٩) .

(١٠) المحبر (٤٧٧) .

(١١) البداية والنهاية (٩/١٦٥) .

(١٢) البداية والنهاية (٩/١٦٢) .

(١٣) الطبري (٦/٤٩٦) .

(١٤) البداية والنهاية (٩/١٦٤) .

(١٥) الصائفة : الغزوة في الصيف ، وبها سميت غزوة الروم ، لأنهم كانوا يغزون صيفاً اتقاء البرد والثلج .

(١٦) الطبري (٦/٥٥٤) وابن الأثير (٤/٥٥٥) والبداية والنهاية (٩/٨١) والنجوم الزاهرة (١/٢٢٢) .

(١٧) أذربيجان : معناها في الفارسية أرض النار أو معابد النار ، وقد أطلق عليها هذا الاسم لكثرة معابد النار التي كانت موجودة فيها حينذاك ، وأذربيجان : صقع جليل ومملكة عظيمة ، والغالب عليها الجبال ، أنظر التفاصيل في معجم البلدان (١/١٥٩) والمسالك والممالك للاصطخري (١٠٨) وآثار البلاد وأخبار العباد (٢٨٤) .

(١٨) الباب : مدينة باب الأبواب ، ميناء كبير على بحر الخزر ، وهي مدينة كبيرة محصنة ، أنظر التفاصيل في المسالك والممالك للاصطخري (١٠٩ ـ ١١٩) ومعجم البلدان (٢/٩) وآثار البلاد وأخبار العباد (٥٠٦) وهي مدينة دربند كما يطلق عليها في الوقت الحاضر .

(١٩) الطبري (٦/٤٥٤) وابن الأثير (٤/٥٥٥) وابن خلدون (٣/١٥٤) والبداية والنهاية (٩/٨١) والنجوم الزاهرة (١/٢٢٢) وأنظر تاريخ الإسلام (٤/٣٠٢) .

(٢٠) غزالة : لا ذكر لهذا الحصن في المصادر الجغرافية القديمة المتيسرة بين أيدينا ، والظاهر أنه حصن صغير ثانوي ، وهي في منطقة (ملطية) من أرض الروم ، أنظر ابن خلدون (٣/١٥٤) .

(٢١) الطبري (٦/٤٨٣) وابن الأثير (٤/٥٨٢) وتاريخ ابن خياط (١/٣١١) وابن خلدون (٣/١٥٤) .

(٢٢) البداية والنهاية (٩/٩٥) وابن خلدون (٣/١٥٤) .

(٢٣) الطبري (٦/٤٣٦) وابن الأثير (٤/٥٣٢) .

(٢٤) العيون والحدائق (١٤٩) .

(٢٥) تاريخ خليفة ابن خياط (١/٣١٦) .

(٢٦) الطبري (٦/٤٩٥) وابن الأثير (٥/٨) والعبر (١/١١٢) .

(٢٧) أنظر التفاصيل في الطبري (٦/٤٩٨ ـ ٤٩٩) ، وأنظر ابن الأثير (٥/١٠) والعيون والحدائق (٨٢) والعقد الفريد (٤/٤٢٣) والنجوم الزاهرة (١/٢٣٣) .

(٢٨) الطبري (٦/٤٩٨) .

(٢٩) الطبري (٦/٤٩٩) .

(٣٠) الطبري (٦/٤٨٢) وابن الأثير (٤/٥٧٨) وتاريخ ابن خياط (١/٣٠٩) والنجوم الزاهرة (١/٢٢٧) والمحبر (٢٦) .

(٣١) الطبري (٦/٤٩١) .

(٣٢) ابن الأثير (٥/٩١) والعقد الفريد (٤/٤٤٢) .

(٣٣) العقد الفريد (٤/٤٢٣) .

(٣٤) الطبري (٦/٥٥٣) وابن الأثير (٥/٤١) .

(٣٥) أنظر ديوان جرير (٣٥٧) .

(٣٦) الطبري (٦/٥٠٦) ، وقد وردت : «فبايعوه وسارعوا» ، وفي نسخة أخرى كما ذكرناه في أعلاه .

(٣٧) هذا البيت من ديوان جرير (٩) ، والاعتلاء : القوة على الشيء ، يقال : اعتليت الشيء إذا قويت عليه .

(٣٨) هكذا ورد في الطبري (٦/٥٠٦) ، أما في ديوان جرير (٩) ، فورد : إن تخيرت الرعاء .

(٣٩) ويروى بفتح العين وكسرها ، والغلاء من المغالات ، المسابقة .

(٤٠) فزحلفها إليه : أي ادفعها . بأزفلها : بأجمعها .

(٤١) الطبري (٦/٥٠٦ ـ ٥٠٧) وديوان جرير (٩) .

(٤٢) أي تسقط أجنتها .

(٤٣) أراد أن يرفع فضل الدرع الطويلة ، فتكون قصيرة عليه ، وكذلك حمائل سيفه .

(٤٤) ورد هذا البيت في الطبري (٨/٦٦٣) ، وفي ابن الأثير (٦/٤٣٨) : يضيع .

(٤٥) ليلى بنت عبد العزيز بن مروان أم البنين أخت عمر بن عبد العزيز ، وهي أم عبد العزيز بن الوليد .

(٤٦) السنة البيضاء : المشمسة الصائفة التي لا سحاب فيها .

(٤٧) أنظر القصيدة كاملة في ديوان جرير (٤٣٤/٤٣٥) ـ شرح ديوان جرير ـ تأليف محمد إسماعيل عبد الله الصاوي ـ القاهرة ـ ١٣٥٣هـ .

(٤٨) أنظر اسماء إخوته في الطبري (٦/٤٩٦) وجمهرة أنساب العرب (٨٩) والعيون والحدائق (١٢ ـ ١٣) .

(٤٩) الطبري (٦/٤٩٦) .

(٥٠) العيون والحدائق (١٢) والعقد الفريد (٤/٤٢٢) .

(٥١) أنظر جمهرة أنساب العرب (٢٨٥) والعيون والحدائق (١٢) .

(٥٢) المحبر (٤٤٨) وأنظر جمهرة أنساب العرب (٨٩) .

(٥٣) المحبر (٤٤٨) .

(٥٤) المحبر (٤٤٥) .

(٥٥) المحبر (٤٤٩) .

(٥٦) العقد الفريد (٤/٤٢٢) .

خير الدين الزركلي

- كاتب ومؤرخ . ولد ببيروت في ٢٥ يونيو ١٨٩٣م ونشأ بدمشق .
- أصدر مجلة « الأصمعي » فصادرتها الحكومة العثمانية ثم أصدر جريدة (لسان العرب) مع أحد أصدقائه بدمشق عام ١٩١٨م وشارك في اصدار مجلة « المفيد » .
- غادر سورية إلى فلسطين فمصر فالحجاز وصدر حكم الفرنسيين بإعدامه وحجز أملاكه .
- التحق بخدمة الأمير عبد الله بالأردن . كما عين مستشاراً للوكالة العربية السعودية بمصر عام ١٩٣٤م .
- اشترك في التوقيع على ميثاق الجامعة العربية نيابة عن الحكومة السعودية ومثل المملكة في عدة مؤتمرات دولية كما عين وزيراً مفوضاً من قبلها لدى الجامعة العربية فسفيراً لها في المملكة المغربية .
- عضو مجمعي اللغة العربية بدمشق والقاهرة .
- من أهم مصنفاته موسوعته المعروفة بالأعلام .
- له شعر ينهج فيه نهج الشعر القديم . وله ديوان مطبوع وكتابان ضمنهما تجاريه السياسية .
- توفي بالقاهرة في ٢٥ نوفمبر سنة ١٩٧٦م .

ابن كثير .. وكتابه

أ - التعريف بابن كثير ، ووفاته (٧٠٠ أو ٧٠١ - ٧٧٤ هـ)

هو : « أبو الفداء ، عماد الدين - إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضو بن درع بن كثير بن زرع .. البصروي الدمشقي الشافعي القرشي الاشعري » .

جاء جده « **ضو** » باسم « ضوء » في معجم المؤلفين ولم يذكر المعجم « **درعا** » قبل « كثير » الثاني . وانما ذكر « زرعا » بعد « كثير » الثاني .

وجاء في نسختين من « **الدرر الكامنة** » لابن حجر العسقلاني : القيسي أو العبسي .

وجاء في هامش ترجمته بمعجم المؤلفين « **ضو** » اعتماداً على ما جاء بالبداية والنهاية ج ١٤ ص ١٨٤ .

ولد بـ « **جندل** » كما في طبقات الحفاظ **للذهبي** وفي كتاب « الرد الوافي » : « **مجيدل** » من أعمال « **بصرى** » .. وانتقل إلى **دمشق** ونشأ بها مع أبيه سنة ٧٠٦ هـ ورحل في طلب العلم **وتوفي بدمشق** في شعبان سنة ٧٧٤ هـ وقد أضر في آخر عمره ودفن بمقبرة « الصوفية » عند شيخه « **ابن تيمية** » .

كان ابن كثير - رحمه الله - محدثا مؤرخا مفسرا فقيها وهو شافعي في الفقه أشعري في العقيدة رغم أنه تلميذ ابن تيمية .

ب - مؤلفات ابن كثير

١ - طبقات الشافعية :

ألفه قبل « البداية والنهاية » وأحال إليه كثيراً .. وهو الآن **مخطوط** بمعهد المخطوطات بجامعة الدول العربية .

٢ - التفسير :

ألفه في عشرة أجزاء وطبع مرات كثيرة في أربعة مجلدات ، **وطبع في لبنان** في سبعة مجلدات .

٣ - مختصر علوم الحديث لابن الصلاح :

ويعرف بـ « **الباعث الحثيث** » .. ولقد **طبع** بتحقيق الشيخ **أحمد شاكر** - رحمه الله - قال عنه « **حاجي خليفة** » في « كشف الظنون » « أضاف إلى ذلك الفوائد الملتقطة من المدخل إلى كتاب السنن .. كلاهما للبيهقي » .

٤ - البداية والنهاية :

وهو موضوع دراستنا هذه .

٥ - الكواكب الدراري :

إنتخبه من « البداية والنهاية » .. ذكره في « كشف الظنون » ١٥٢١/٢ .

٦ - الفصول في سيرة الرسول ﷺ :

طبع في مجلدين أحال إليه في البداية ص ٢٧١ .

٧ - جامع المسانيد :

مخطوط في ثمانية مجلدات .. قال في « كشف الظنون » جمع فيه السنن والمسانيد الاربعة .. وقال « **ابن حجر** » في « أنباء الغمر » : ولما رتب الحافظ « شمس الدين ابن المحب المعروف بالصامت » مسند « **احمد** » على ترتيب حروف المعجم .. حتى في التابعين المكثرين عن الصحابة : أعجب « **ابن كثير** » فاستحسنه . ورأيت النسخة بدمشق بخط ولده « عمر » **فألحق** ابن كثير ما استحسنه في الهوامش : من الكتب الستة ، ومسندي ابي يعلي .. والبزار

الباقلاني

- هو القاضي ابو بكر محمد بن الطيب المعروف بالباقلاني البصري، الفقيه. ولد بالبصرة عام ٩٥٠هـ.
- عاش ببغداد وكان عضد الدولة قد استدعاه إلى شيراز لمجادلة علماء المسيحيين وتغلب عليهم.
- ولي القضاء وعمل بالتدريس العام ثم لأبناء عضد الدولة.
- ألف ما يزيد على خمسين كتاباً في الفقه وغيرها.
- له (إعجاز القرآن) وهو أشهر مؤلفاته حيث ألفه رداً على الأدباء والبلاغيين والمتكلمين.
- توفي ببغداد عام ٤٠٣هـ (١٠١٣م).

حاجي خليفة

- هو مصطفى بن عبد الله المؤرخ التركي العثماني المشهور بحاجي خليفة، ولد باسطنبول عام ١٠١٧هـ (١٦٠٨م).
- حج إلى مكة عام ١٠٤٤هـ (١٦٣٤م) وفي نحو هذا التاريخ زار حلب فأكب أثناء اقامته بها على جمع المخطوطات العربية وتدوين أسماء الكتب لا سيما كتب التاريخ والطبقات.
- منذ عام ١٠٥٥هـ (١٦٤٥م) استقر باسطنبول وانصرف إلى التدريس والتأليف.
- وضع جملة مؤلفات اكثرها باللغة العربية أشهرها (كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون).
- وله (تقويم التواريخ) و (تحفة الأخيار في الحكم والأمثال والأشعار) و (سلم الوصول إلى طبقات الفحول) وغيرها.
- وله بالتركية (جهانما).
- توفي باسطنبول عام ١٠٦٧هـ (١٦٥٦م) في سن الخمسين.

"البداية.. والنهاية"

بقلم: أبو عبد الرحمن بن عقيل

ومعجمي الطبراني: ما ليس في المسند.. وسمى الكتاب «**جامع المسانيد والسنن**» وكتبت منه عدة نسخ نسبت اليه.. وهو الآن في المدرسة «**المحمودية**».

المتن: ترتيب ابن المحب، والالحاقات بخط ابن كثير في الهوامش.. وقد كنت رأيت منه نسخة بيضها «**عمر بن العماد بن كثير**» مما في المتن والالحاق.. وكتب عليه اسم المذكور. أ هـ.. وقال عنه المقدم لكتاب النهاية لابن كثير «الهدى والسنن في أحاديث المسند والسنن جمع فيه الأمهات وأحمد والبزار وأبا يعلي وابن أبي شيبة.. وهو جامع المسانيد» ويوجد منه الآن أجزاء **بمعهد المخطوطات بجامعة الدول العربية** اتم ابن كثير جمعه عام ٧٦٣هـ وتاريخ النسخ في ٧٨٩/٩/٦هـ.

٨ ـ التكميل في معرفة الثقات والضعفاء والمجاهيل:

وهو خمسة مجلدات في رجال الحديث.. وقد سماه حاجي خليفة «التكملة في أسماء الثقات والضعفاء» وقال عنه في الكشف ٤٧١/١ «وقد جمع فيه بين التهذيب للمزي والميزان للذهبي». ولقد أحال إليه في البداية والنهاية كثيراً وفي الباعث الحثيث ص ١٠٨ وص ١٦ وص ٣٥ و١٣٧.

٩ ـ كتاب في السماع:

أي الغناء. ذكره في كشف الظنون ١٠٠٢/٢.

١٠ ـ شرح قطعة من أول البخاري:

ذكره في كشف الظنون ٥٥٠/١ وقد أحال إليه ابن كثير في البداية والنهاية ج٣ ص٣، وج١١ ص ٢٤-٣٣، وقال عنه «وقد رمزنا في الحواشي على زيادات مسلم ورواياته».

١١ ـ أحكام التنبيه:

ذكره البغدادي في كتابه هدية العارفين ص ٢١٥ وقال ابن حجر في «أنباء الغمر» «إنه ألفه في صغره» وقال في «الدرر الكامنة» إن له كتاباً في تخريج أدلة التنبيه. وأحال ابن كثير إلى أول هذا الكتاب في البداية والنهاية ج ١٢ ص ١٢٥ وسماه شرح التنبيه لأبي اسحاق وسماه المقدم للنهاية «تخريج أدلة التنبيه».

١٢ ـ الأحكام الصغرى:

في الحديث. ذكره في الكشف ١٩/١ وسماه «الاحكام الصغير» في كتابه الباعث الحثيث ص ١٠٨.

١٣ ـ كتاب الاحكام الكبير:

وهو في شرح الحديث ويبدو أنه كان يراوح بين تاليفه له وتأليفه للبداية والنهاية، لأنه أحال إلى أوائل هذا الكتاب في كتابه البداية، وأشار إلى أن هذا الكتاب لم يتم تأليفه بعد.

راجع البداية والنهاية ٢٤٣/١ و١٥٩/٢ و١٧٠ و٢٥٤/٣ و٨/٦ والباعث الحثيث ص ١٠٨.

١٤ ـ جزء مفرد في تكذيب كتاب فيه:

وضع الجزية عن يهود خيبر، وتزوير شهادة لبعض الصحابة.. ذكره في البداية والنهاية ٣٥٢/٥.

١٥ ـ مصنف مفرد عن الحديث في عدم تزوج الرسول ﷺ بعزة بنت أبي سفيان التي عرضها عليه ذكره في البداية والنهاية ٢١/٨.

١٦ ـ سيرة أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ وما أسنده من الأحاديث وما

روى عنه من الأحكام مروية على أبواب العلم . . وقد ذكر هذا الكتاب والذين بعده في الجزء الخامس والسادس من البداية والنهاية في مواضع متفرقة .

١٧ ـ مجلد ضخم في الأحاديث التي رواها عمر والآثار والاحكام المروية عنه .

١٨ ـ سيرة عمر :

١٩ ـ مسند الشيخين :

ذكره المقدم للنهاية . . ولعله أفرد هذا الكتاب من مؤلفاته عن أبي بكر وعمر رضي الله عنهما .

٢٠ ـ تخريج أحاديث مختصر ابن الحاجب :

ذكره المقدم للنهاية . . ولقد وعد بافراد ترجمة لابن تيمية في البداية والنهاية ج ١٤١/١٤ .

٢١ ـ الاجتهاد في طلب الجهاد :

وهو رسالة كتبها للأمير «**منجك**» لما حاصر الأفرنج قلعة ايـاس . . وتوجد منه نسخة مخطوطة بمعهد المخطوطات بجامعة الدول العربية ذكره في كشف الظنون ١٠/١ .

٢٢ ـ الواضح النفيس في مناقب الامام محمد بن إدريس . . ذكره في كشف الظنون ١٨٤٠/٢ .

٢٣ ـ مختصر المدخل الى كتاب السنن للبيهقي وقد وصف، ابن كثير هذا المختصر بأنه من غير وكس ولا شطط «انظر كتابه» الباعث الحثيث ص ٤ .

ترجم له **شيخه الحافظ الذهبي** في المعجم المختص وفي تذكرة الحفاظ ١٥٠٨/٤ **وتلميذه ابن حجر العسقلاني** في «انباء الغمر» ٤٥/١ـ٤٧ وترجم لولديه وهو يعتبره من محدثي الفقهاء . . وله كلام جيد عنه في انباء الغمر ٦٢/١ في الموازنة بينه وبين ابن رافع .

وترجم له ـ أيضاً ـ في «**الدرر الكامنة**» ٣٩٩/١ـ٤٠٠ وفي ترجمة ابن حجر لابراهيم ابن الإمام **ابن قيم الجوزية** ٦٠/١ ذكر أن ابن كثير أشعري . وترجم له ابن ناصر الدين في الرد الوافر . . **وابن تغري بردي** في النجوم الزاهرة ج ١١ ص١٢٣ـ١٢٤ ، **وابن العماد** في شذرات الذهب ٢٣١/٦ـ٢٣٢ ، والنعيمي في الدارس ٣٦/١ـ٣٧ ، **والشوكاني** في البدر الطالع ١٥٣/١ ، **وطاش كبري زاده** في مفتاح السعادة ٢٥١/١ـ٢٥٢ ، **وحاجي خليفة** في كشف الظنون ص ١٠ ـ ١٩ ـ ٢٢٨ ـ ٢٨٠ ـ ٤٣٩ ـ ٤٧١ ـ ٥٥٠ ـ ٥٧٣ ـ ١٠٠١ ـ ١٠٠٥ ـ ١١٦٢ ـ ١٥٢١ ـ ١٨٤٠ ، **والبغدادي** في ايضاح المكنون ١٩٤/٢ والبداية والنهاية للمؤلف ٣١/١٤ـ٣٣ و ص٤٦ وص١٥٨ . والاعلام **للزركلي** ٣١٧/١ـ٣١٨ . ومعجم المؤلفين **لكحالة** ومعجم اليان سركيس ٢٢٥/١ـ٢٢٦ وقد أحيل في هذه الكتب الثلاثة إلى المصادر المخطوطة والدراسات المعاصرة .

من التاريخ الإسلامي العام ، على نسق كتاب الكامل **لابن الاثير** . . طبع مرتين بدون النهاية في أربعة عشر مجلداً بالقاهرة سنة ١٩٣٥م طم السلفية ، وسنة ١٣٥١ هـ طم السعادة ، وطبع بدون النهاية في سبعة مجلدات سنة ١٩٦٦م ببيروت نشر **مكتبة المعارف ومكتبة النصر بالرياض** مصوراً عن طبعة السعادة .

وكل هذه الطبعات غير محققة والتحريف والتصحيف فيها كثير وتخلو من الفهارس سوى فهارس الموضوعات .

وقد اعتمدنا في دراستنا هذه على طبعة السعادة وقد كانت الطبعة الثانية إلى سنة ٧٣٨ هـ ، اما النهاية فقد طبعت مستقلة في جزأين بمصر : إلا أن ناشره تصرف فيه بالحذف وهو تصرف لا يجوز . . وطبع في الرياض بتحقيق شيخنا **إسماعيل الأنصاري** ط م النور في ١٣٨٨/٢/١٢ هـ .

والكتاب يتألف من الموضوعات التالية :

البداية . . عن مبدأ تاريخ الخليفة والكلام عن العرش والملائكة والجن والأفلاك .

تاريخ ما قبل الإسلام من الأمم والأنبياء .

سيرة الرسول ﷺ ومعجزاته .

الفتن والملاحم وهو النهاية .

وعمدته في هذه الموضوعات على النصوص الشرعية وأقوال المفسرين والمحدثين والفقهاء . . وهو مصدر هام في التفسير والحديث والفقه . . وقد مهد لاستيلائه على هذه المعارف مؤلفات له سابقه كالتفسير والاحكام والطبقات . . وكان يمايز بين الصحيح والسقيم والخبر الاسرائيلي .

تاريخ المسلمين بعد وفاة الرسول ﷺ وقد رتب الحوادث على السنين منذ هجرة الرسول ﷺ واعتنى بالترجمة للأعلام ترجمة موجزة ، ولكن لاحظ عليه ابن شيبة بقوله : «وهو ممن جمع بين الحوادث والوفيات وأجود ما فيه السيرة النبوية وقد أخل بذكر خلائق من العلماء» .

وقال : «وقفت على مختصر منه لخصه بعض أصحابنا . . ووقفت عليه بخطه من سنة ٧٤١ إلى آخر ٧٥١ و ٧٥٩ ومن سنة ٧٦٢ إلى آخر سنة ٧٦٨ وما عدا ذلك وقفت على مختصر منه لخصه بعض أصحابنا .

والمشهور أن تاريخه انتهى إلى آخر سنة ٧٣٨ وهو آخر ما لخصه من تاريخ البرزالي وكتب حوادث إلى قبيل وفاته بسنتين . . ولخصه **العيني** في تاريخ البدر . . واختصره ابن حجر العسقلاني . . وأظن أن مختصر ابن حجر هو «ما ورد من الرواية في البداية والنهاية» توجد منه نسخة بدار الكتب المصرية وبمعهد المخطوطات .

ورأيت في التعريف بهذا المخطوط ما نصه : «اختصر فيه ما ذكره ابن كثير في البداية من أخبار الأوائل من الأنبياء وغيرهم إلى زمن **نبينا محمد** ﷺ **ولم يتعرض فيه للسيرة النبوية وأخبار الخلفاء لكثرة التصانيف فيه . أهـ» .**

يورد النصوص ويخرجها ، ولكنها إذا تضافرت لم يخرجها ـ وان كانت أسانيدها أو أسانيد بعضها ضعيفة مكتفياً بتعاضدها . . ولعله يأخذ بمبدأ أن الضعيف يقوي الضعيف كما في ٥٩/١١ـ٦١ .

وهو يشير إلى ظاهرات تعين على تبيان منهجه فيذكر إسرائيليات **كعب الأحبار** وأن عمر رضي الله عنه ـ يسمع منه تأليفاً وتعجباً وان فيما يرويه غلطاً كبيراً وخطأ كثيراً .

ونكلم عن زبيلي عبد الله بن عمرو بن العاص التي يحدث فيها بأشياء كثيرة عن الإسرائيليات وأن المعروف منها من طريق عبد الرحمن بن عبد الله ابن عمرو بن حفص بن عاصم بن عمرو وأن أحمد كذبه وضعفه الجمهور ٢٥/١ و ١٤٧/٢ .

وهو -رحمه الله- في تخريجاته لا يسارع الى تكذيب الكذب ما دام يستطيع أن يجد تخريجا ولو باردا .

ففي الشعر الذي بين آدم وابليس : مرضه بقوله : «وهذا الشعر فيه نظر ، وقد يكون آدم قال كلاماً يتحزن فيه بلغته فألفه بعضهم إلى هذا؟! ١٠٤/١ . وأحياناً يبين النقل عن الإسرائيليات فيقول : قال بعض أهل الكتاب ، أو هذه الاثار مأخوذة عن الإسرائيليات وأشار إلى منهجه في ٧/١ .

واطرح إسرائيليات كثيرة تزاحم عليها طائفة من العلماء فقال «لسنا نحذو حذوهم- ولا نذكر منها إلا القليل» ثم اورد حديث «وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج» وقال هو محمول على الإسرائيليات المسكوت عنها عندنا فيجوز روايتها للاعتبار وانظر أيضاً ١٩/١ .

وأحياناً لا يرى أن الضعيف يتقوى بالضعيف كما في أحاديث الخضر ٣٦٩/١-٣٧٠ و٣٥٣/٧ .

ويورد الأحاديث الصحاح والحسان والمستجادات عما سواها من الموضوعات والمنكرات ١٢٢/٨ . وهو يتعسف التأويل أحياناً كما في ٨/١ و١١٩/٨ وأحياناً يمرض دون تعليل كقوله عن قصيدة لورقة : «وعندي في صحتها نظر» ١١/٣ .

وأحياناً يتابع **ابن هشام** في تمريض بعض الشعر ٢٤٤/٣ وأحياناً يورد الأشكال ولا يتخلص منه كما في ٩٠/٧ .

ويترجم ويترضى على الصالحين ويلعن من يستحق اللعنة كما في ٣٤٣/٣ . وقد استوفى في تاريخه حجة الوداع ومعجزات الرسول ﷺ والمناقب .. الخ .

وهو يحرص على تفسير الأحداث بالأحاديث وذلك كثير .. على سبيل المثال انظر ٢٦٦/٧ و١٦١/٨ عن عمر وعلي ومعاوية .. واذا سنحت له الفرصة تكلف السجع ٢٨٦/٧ ولا يغفل عن الاشارة إلى دسائس الشيعة ١٦/٨ و١٧٢ و٢٠١ و٢٥٢ و٢٥٣ و١٩٢ و٢٠٢ .

وهو يتعاطف مع آل البيت ويترحم على **الاشتر** ويدعو على **الحجاج** ٢٧٤/٨ و١٣٢ و١٣٣ وأشار إلى منهجه ١٣٢/١١ . وأحياناً يخرج إلى أحكام فقهية ويطيل كحكم اللواط ١٦٢/٩-١٦٣ وص١٩٧-١٩٨ عن الاشهاد على وصية لم يقرأها على الشهود . وأحياناً يذكر الوفاة في موضوعين كبقي بن خلدون والأشعري .. وأحياناً ينقد ولا يعلل كقوله : هذا الشعر عليه ركاكة ١٠٩/٣ .

من مصادره كتب أحال اليها : كالروضتين **لأبي شامة** .. وذيل المرآة **لقطب الدين اليونيني** ١٣-٢٢٦ و **ابن الساعي** قال : وله تاريخ كبير عندي اكثره (٢٧٠/١٣) ، وتاريخ **البرزالي** ، وتاريخ **ابن جرير** ، وسيرة ابن هشام ، والصحيحين والسنن الأربع ، وسنن البيهقي ومسند أحمد ، ومسند البزار ، ومختارات الضياء ، وتفسير ابن جرير ، وتفسير **ابن الجوزي** ، وتفسير ابن ابي حاتم ، وتفسير السدي ، وتفسير عبد الرزاق ، وكتاب السنة لابن ابي عاصم الظاهري ، ومعاجم الطبراني الثلاثة ، وبيان الوهم والتخليط الواقع في حديث الاطيط **لابن عساكر** ١١/١ ، ومسند ابن ابي يعلى ، والتاريخ للبخاري ، والفصل لابن حزم الظاهري ٣٣/١ و٥٢-٨١ ، والسر المكتوم في مخاطبة الشمس والقمر والنجوم لأحد الحرانيين .. ورد أحمد على الجهمية . ونقل عن ابن سينا ٢٨/١ كما رجع إلى كتب بعض أهل الهيئة ولم يسميهم .. والتعريف والاعلام بما أبهم في القرآن من الاعلام **للسهيلي** ، والطوالات لحافظ ابي موسى المديني ، والمعارف لابن قتيبة ، والمفردات للراغب ، وتفسير **الماوردي** ، وتفسير **الرازي** ، وتفسير **القرطبي** ، وتفسير ابن عطية ، وتفسير الرماني ، وتفسير **منذر بن سعيد** ٨١/١ ، ومؤلف خاص لمنذر بن سعيد عن الجنة التي أسكنها الله آدم والزيادات لعبد الله بن احمد ، والمستدرك للحاكم ، وتفسير الثوري ، وصحيح ابن حبان ، وكتب ابن ابي الدنيا ، وتفسير عبد الله بن أحمد ، وتفسير **ابن مردوية** ، والاستيعاب لابن عبد البر ، وتاريخ ابن عساكر ، والتوراة نقل عنها مباشرة ٣٤٨/١-٣٤٩ ، والحلية لابي نعيم ، وكتاب ابن عدي في الرجال ، وكتاب العقيلي في الرجال ، ومسند الشافعي ، والافراد للدارقطني ، وسيرة **ابن اسحاق** ، والزهد **لابن المبارك** ، وتفسير **الثعلبي** ، وعجالة المنتظر في شرح حال الخضر لابن الجوزي ، وقد اثنى عليه ٣٤/٢ ، والقدر لابي داود ، واحكام القبور لابن ابي الدنيا ، والمستصفى في فضائل الاقصى لابن عساكر ، ومسند الطيالسي ، وتاريخ بغداد للخطيب ، والاكمال لابن ماكولا ، والزهد لأحمد ، والمبتدأ لاسحاق بن بشر ، والجواب الصحيح لابن تيمية ، وفتاوى **الحناطي** ، والموضوعات لابن الجوزي ، وجوامع السيرة **لابن حزم** ، وحجة الوداع لابن حزم ، والانساب لمحمد بن سلام البصري .. وهو ينقل عن البصري النسابة دون أن يعين اسم كتابه والتنوير في مولد البشير النذير لابن دحية ، وتفسير **النقاش** ، والمقالات **للاشعري** ، والقصد لابن عبد البر ، والتهذيب **للمزي** ، ومكارم الاخلاق **للخرائطي** ، وهواتف الجان **للخرائطي** ، ودلائل النبوة للبيهقي وكتب الواقدي ، وطبقات ابن سعد ، وكتاب للبافندي ، ودلائل النبوة لابي نعيم ، والشفاء للقاضي عياض ، والطبقات لخليفة بن خياط ، والجزء المنسوب لابن السكن ، واعلام الورى بأعلام الهدى لابن دحية ، وغريب الحديث لقاسم بن ثابت ، وكتاب للمدائني ، والروض الانف للسهيلي ، وكتاب مولد الرسول ﷺ لابي بكر بن ابي عاصم ، والمبتدأ لمحمد بن اسحاق ، والمغازي لسعيد بن يحيى بن سعيد الأموي ، وكتاب لأبي الحسن خيثمة بن سليمان ، ومسند الحافظ أبي بكر أحمد بن علي بن سعيد القاضي ، والاطراف لشيخه المزي ، وتنقل الأنوار لأبي زكريا يحيى بن مالك بن عائذ ، والذرية الطاهرة **للدولابي** ، واثبات إمامة أبي بكر لأبي بكر محمد بن حاتم بن زنجوية ، ومسألة في تصحيح رد الشمس وترغيم النواصب الشمس لأبي القاسم عبيد الله بن عبد الله بن أحمد **الحسكاني** ، ومشكل الحديث للطحاوي ، والإمامة لجمال الدين يوسف بن الحسن بن المطهر الحلي ، ومنهاج السنة **لابن تيمية** ، واعجاز القرآن **للباقلاني** ، ودلائل النبوة للفقيه أبي محمد عبد الله بن حامد ، ومولد مختصر من سيرة ابن اسحاق لشيخه **ابن الزملكاني** ، ولقد أبدى رأيه في هذا المصنف واثنى عليه ، والمجالسة لأحمد بن مروان المالكي ، وتاريخ شيخه الذهبي ، وسيرة علي لإبراهيم بن حسين بن ديزل ٢٥٤/٧ و ٢٦٣ و ٢٧٥ ، والخوارج للهيثم بن عدي ، والمنتظم لابن الجوزي .

وجزء للذهبي جمعه في الحديث المروي عـن فضـل علي في أكل الـطير وان الرسول ﷺ يحبه ٣٥٢/٧ .

قال ٣٥٣/٧ وكذلك جمع المصنفون فيها أجزاء مفردة **كابن جرير** . وذكر أنه وقف على مجلد كبير في رده للباقلاني .

وصنف فيه أبو بكر بن مروان والحافظ أبو طاهر محمـد بـن أحمـد بـن حمدان . ١ هـ والاحكام السلطانية للماوردي . ونقل عـن المجالسة لأحمد بن مروان بواسطة تاريخ ابن عساكر ، ومصنف لابن الجوزي في جواز لعنة يـزيد بن معاوية الفاسق ـ قبحه الله ـ ، **واسد الغابة** لابن الأثير ، والوفيات **لابـن خلكان** ، وأدب النفوس للآجري ، وسيرة عمر لابن الجـوزي ، والأخـلاص والرقة والبكاء والنية وكلها لابن أبي الدنيا ، والاشراف لأبي بكر بـن عيـاش ، وأفعال العباد للبخاري ، و السنة لابن أبي حاتم ، والعقد الفريد لأبي الحسين علي بن مقلد ، والميزان للذهبي ، والشافعي لداود بن علي الظاهري ، والبـلاغ الأكبر والناموس الأعظم لأحد الباطنيين ، والمسائل لأبي داود ، والـطبقات لأبي اسحق السيرافي ، وكتاب لابن جرير جمع فيه أحاديث ضم وصفه بأنه مجلـدان ضخمان ، وكتاب لابن جرير جمع فيه حديث الـطير ، ووقعـة صـفين **لابـن ديزل** مجلد كبير ٧١/١١ ، و الكامل لابن الأثير ، وتاريخ ثابت بن سنان بـن ثابت بن قرة . . قال ٣٦٣/١١ وانتهى تاريخ ثـابت وأولـه مـن سـنة ٢٩٥ ، وذيل المرآة لقطب الدين اليونيني ٢٢٦/١٣ .

وأحيانا تكون مصادر ابن كثـير في البـداية والنهـاية مشـافهة مشايخه وأحيانا يحيل إلى علماء ولا يشير إلى اسم المؤلف فربما نقـل عن مؤلفاتهم مباشرة وربما رجع إلى مؤلفاتهم بالواسطة .

فقد أكثر النقل عن القاضي أبي الفرج المعافي ابن زكريا الجريري فربما نقل عن كتابه الجليس والأنيس ٣٢٨/١١ ، ونقل عـن أبي العبـاس بـن عقـدة ، وجعفر بن محمد الفريابي ، وسيف بن عمر ، وابـن قـانع ، وابـن حـامد ، والصرصري ، وأبي عبيد القاسم بن سلام ، ومحمد بـن عـائد الـدمشقي ، وأبي معشر ، وابن دأب ، وزيد بن الحباب ، ومحمد بن عبد الله بن عمار الموصلي ، وأبي بكر بن دريد ، وعمر بن شبه ، وأبي القـاسم **الـلالكائي** ، وحفص بـن غياث ، وأبي بكر بن الأنباري ، وابن طراز البغدادي ، وعبد الحق الاشـبيلي ، والقاضي عبد الله بن أحمد بن زبر ، **والسمعاني** ، وعلي بن محمد المدائـني ، و **الجاحظ** ، وأحمد بن المعلى الراوية ، وأبي الـوفاء علي بـن عقيـل ، **وابـن بطة** ، ونفطويه هـ ١٩١/١٣ أن علي بن أبي القـاسم اليمـني أخـبره ، وابـن الكلبي .

ز - انتقادات مهمة

- في ٢٥٨/٦ **توسع في بحث المعجزات** وعلل هذا التوسع بـأن بعض أصحابه طلب منه تكميل وترتيب وتبويب وتهذيب المولـد الـذي اختصره ابـن الزملكاني من سيرة ابن اسحاق والزيادة عليه ص ٥٨ ـ ٧٢ .
- وفي ١١٣/١١ انتقد ابن خلكان بما انتقد به ابن كثير .
- وفي ٢١/١٠ **نبه إلى أن ابن عبد ربه متشيع تشيعا شنيعا** وربما لا يفهم الناس ذلك من كلام ابن عبد ربه وان شيخه الذهبي اغتر به ٢١/١٠ وفي ١٩٤/١١ قال الأولى أن يكون أموياً .
- وفي ٢٥٢/٢ روى حديثاً باسناده عن شيخه الذهبي وشيخه أحمـد بـن أبي طالب الحجار .
- وفي ج ١٣ ـ ١٤ ما بين مولد ابن تيمية ووفاته عناية به وبمشايخه .
- وفي ١٢٠/٨ **انتقد ابن عساكر لأنه لم يبين ضعف حديث** مـع أنه يطريه كثيراً كما في ص ١٢١ ـ ١٢٢ .
- وفي ٣٦٩/١ **انتقد مستدرك الحاكم** بـأنه روى حـديثاً مـوضوعاً ٣٦٩/١ .
- وفي ١١٩/٢ **قرط السهيلي** في رده على ابن هشام راوي السيرة .
- وفي ٢١٧/٢ **ابدى اعجابه بقصيدة للناشىء ٢١٧/٢ .**
- وفي ٥٧/٣ **اثنى على قصيدة أبي طالب الـلامية وفضـلها على المعلقات** وأثبت نسبتها لأبي طالب دون استدلال .
- وفي ٥٩/١١ ـ ٦١ **زيادات** لعله الحقها المصنف أو النساخ .
- وفي ٣٢١/١٤ ما يدل على أن **التكملة لتلميذ ابن كثير** .
- وفي ١٨٣/١٤ عن تاريخ انتهاء ما كتبه ابن كثير .

ابن تغري بردي

- هو المؤرخ أبو المحاسن جمال الدين يوسف بن تغري بردي بن عبد الله ويعرف كذلك بأبي المحاسن .
- ولد بالقاهرة عام ٨١٣هـ (١٤١٠م) وعـكف على دراسـة العلـوم في اللغـة والأدب والدين وعني خاصة بالتواريخ .
- اشتهر بمؤلفاته في التاريخ المصري وتراجم مشاهير عصره .
- من مؤلفاته (النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة) و (مورد اللطافة فيمـن ولي السلطة والخلافة) .
- وضع ذيلاً لكتاب (السلوك) للمقريزي بعنـوان (حـوادث الـدهور) وآخـر لكتاب الصفدي (الوافي) بعنوان (المنهل الصافي) .
- توفي عام ٨٧٤هـ (١٤٦٩م) .

إعداد: عـايض الـردادي

★ هل لك أن تشرحي لنا قصة إسلامك؟

● أول ما بدأت التعرف على الإسلام من زوجي وهو باكستاني .

★ في أي مكان كان ذلك؟

● كان ذلك في كلورادو في مدينة بولدر .

★ ما اسم زوجك؟

● الدكتور محمد معين الدين صديقي أستاذ الاحصاء في جامعة ولاية كلورادو في «فورت كلنز» .

★ هل عرفته قبل أن تسلمي وأسلمت على يديه أم أن إسلامك كان بعد زواجك منه؟

● اعتنقت الإسلام بعد زواجي منه .

★ منذ كم سنة؟

● منذ اثنتا عشرة سنة .

★ هل تأخر إسلامك كثيرا عن زواجك منه أم أعقبه مباشرة؟

● مكثت فترة طويلة بعد الزواج من الدكتور صديقي لم أسلم ، والسبب في ذلك أنه يوجد كثير من المسلمين لا يمثلون الإسلام تمثيلاً صحيحاً ، ولم أعتنق الإسلام إلا بعد أن عاشرت زوجي فترة كافية ، اقتنعت خلالها بالدين الإسلامي ومن ثم أسلمت .

★ هل هناك صفات معينة رأيت أن الدكتور صديقي تميز بها كمسلم وجذبتك للإسلام؟

● هو رجل لطيف ذو إيمان عميق وبسيط في معاملاته مع الآخرين .

★ هل دخلت في الاسلام بدعوة من الدكتور صديقي أو بدون دعوة منه وعن اقتناع بالاسلام؟

● لم تكن دعوة من الدكتور صديقي بقدر ما كانت مبادرة مني ، إذ قابلت كثيراً من المسلمين الطيبين رأيت فيهم المثال الصادق للدين الصحيح ، فأحببت أن أعتنق الإسلام وأمثّل الشخصية الإسلامية الصحيحة .

★ هل أحسست بتغيير كبير في حياتك بعد إسلامك؟

● أفضل أن يصاغ السؤال بصيغة : هل وجدت شيئاً جديداً في حياتك بعد أن صرت مسلمة؟

★ وذلك المقصود .

● نشأت في هذا المجتمع على قيم غربية مختلفة تماماً عن الإسلام ، بل غير مقبولة فيه وهذا يعني أن الإنسان عندما يقتنع بالدخول في الإسلام يتطلب منه ذلك أن يكون واضحاً ، صافي التفكير في نظرته للعالم خلافاً لما هو معهود في الأديان الأخرى .. كان يتطلب مني اقتناعي بالإسلام أن اغير جميع القيم التي رُبّيت عليها ، وأعيد النظر في جميع مجريات تفكيري لأدخل في الإسلام بصورة صحيحة ، وكان من تبعات اعتناقي للإسلام أن أنقطع عن عائلتي وأصحابي ومجتمعي في بلدي ، كل ذلك تتطلبه مني شخصيتي الجديدة .

بعد اعتناق الإنسان للإسلام لن يصبح منعزلا عن أهله ومجتمعه كما يتصور ، ولكن أصبحت له أمّة وبلاداً وقيماً جديدة تعوضه ، بل تزيد عما كان لديه في السابق .. أهلي الآن هم إخوتي وأخواتي في الإسلام ، هم عوّضوني كثيراً عن أهلي الذين ما زالوا في جاهليتهم ، وأهلي وإخوتي في الإسلام أهم عندي من ذوي رحمي الذين لم يسلموا .

★ بأي دين كنت تدينين قبل الاسلام؟

● كنت مسيحية متمسكة تمسكاً شديداً قبل اعتناقي للإسلام .

★ كيف تربي الأخت زيبا أبناءها وهي في ظل الاسلام؟

● الحمد لله ، تربية أولادي تربية إسلامية جيدة ، وأكبر أولادي عمره ثماني عشرة سنة واسمه (طاهر) فبنتي (أمينة) وعمرها ست عشرة سنة ، و(سليمة) وعمرها أربع عشرة سنة ، وهم في المدارس وتربيتهم وقيمهم إسلامية سليمة ، وعندي طفل وطفلة وهما (يوسف) و(هدية) وكلهم ينشأون التنشئة الإسلامية الطيبة .

★ هل أحسست بفارق بين الحياتين : عندما كنت مسيحية وبعدما أصبحت مسلمة؟

● المسيحية كما هي قائمة وممارسة في جميع انحاء العالم - في رأيي - مخالفة تماماً لما جاء به عيسى عليه السلام . المسيحية لا تعطي ارشادات للطريق الصحيح وأسس واضحة لما يجب أن يسلكه الإنسان ، لذلك يكون الإنسان دائماً غير واضح في علاقاته ومعاملاته مع الآخرين ، أما بالنسبة للإسلام فيوضح لك الطريق ، الحلال والحرام ، والصحيح والخطأ ، وماذا تفعل في جميع المواقف والمسالك .

★ ما المستوى الدراسي الذي وصلت إليه؟

● أنهيت الدراسة الثانوية وسنتين من المرحلة الجامعية ، ثم تزوجت وتفرغت لعائلتي وكتابة قصص للأطفال تصطبغ بالصبغة الإسلامية .

★ ماذا كنت تعملين قبل دخولك في الاسلام؟

● قضيت عدة سنوات أعمل سكرتيرة .

★ كيف تلقيت ثقافتك الاسلامية؟

● بالقراءة والتحدث مع العارفين بالإسلام والافادة منهم .

★ هل تحفظين شيئا من القرآن الكريم؟

● نعم أحفظ بعض سور القرآن الكريم .

★ في نهاية لقائنا نشكر لك ونرجو أن تكون حياتك حياة إسلامية موفقة ومرحبا بك أختا في الاسلام .

● أشكركم والحمد لله .. والسلام عليكم ورحمة الله .

لوحة و فنان

هذه اللوحة التي نراها على الصفحة المقابلة ، والتي أطلق عليها الفنان اسم : « **رؤية خشبية** » ، مجرد تسمية مباشرة تحتاج منا إلى « **رؤية غير خشبية** » ، لكي نتمكن من اكتشاف أعماقه :

إنها رؤية من داخل الفنان ، في لحظة شروده من واقعه ، حيث تمتزج اللحظة بالحاضر والمستقبل ، فهذا العصر بايقاعه السريع ، بالتكنولوجيا المتطورة ، أصبحت العواطف فيه تتناقص ، وأصبح إنسان هذا العصر - مضطرباً - **يرتدي الأقنعة لكي يستطيع المقاومة لكل ما يواجهه** ، ولكي يتمكن من معايشة الحياة اليومية وعلاقته بالآخرين ، لاغياً بذلك شعوره الحقيقي الصادق تجاه الأشياء والناس .

إن « **لعبة الأقنعة** » **واحدة من سمات هذا العصر الذي تتحول فيه الأحاسيس الانسانية إلى ايقاعات متنافرة لآلات الكمبيوتر والتكنولوجيا** ، التي بالفعل استطاعت أن تلغي وبقسوة ، تلك المشاعر الإنسانية العاطفية تجاه الأشياء المتنوعة بما فيها المخلوقات وأنواع الفنون .

فمن خلال هذا القناع الذي نراه في أعلى اللوحة ناحية الشمال ، إنما يعبر عن ذلك بتلك النظرة الجامدة والشاردة معاً إلى العصفورين ، رمزاً للبراءة « **المحنطة** » على « **الخشب** » ، والتي تحولت الحركة فيهما إلى سكون صامت .. بعد أن فقدا صفاء التغريد والرفرفة .. والانطلاقة الطبيعية .

.. وتحت العصفورين .. نشاهد سهمين لم يصيبا واحد منهما ، **لأن أسلحة هذا العصر المعنوية والنفسية ، أقوى من أسلحة القنص والقتال .**

وبجوارهما .. تظهر تلك « **الكوة** » **الصغيرة التي تشبه النافذة** .. حيث تظهر السماء بزرقتها الصافية .. ولكنها بعيدة بمسافات شاسعة .. **كأنها كالحلم داخل زمن قديم .. كالحلم المفقود .**

في أسفل اللوحة .. « **كوة** » أخرى تشبه باباً يؤدي إلى قرية أو مدينة « **مصنرة** » .. خالية من النبض الإنساني .. والتركيز على « **الجهاد** » **فيها ، تعبير عن الوحشة** .. واختفاء أهل هذه القرية الصغيرة أو المدينة داخل منازلهم خوفاً من المجهول .

ولكننا أيضاً .. إذا تأملنا هذه « **الكوة** » قليلاً .. والبقعة البيضاء فوقها .. **فسوف نجد فيها ناحية اليمين ، شكل « إنساني » .. رأسه أبيض .. بلا تفاصيل يشبه « البيضة » .. يقف فاردا إحدى ذراعيه وكأنه حارس ، في وقفته العصبية هذه .. يحاول منع المخلوقات من الدخول .. أو الخروج**

- من مواليد المبرز - المنطقة الشرقية - المملكة العربية السعودية .
- مساعد صيدلي بالاحساء .
- دبلوم المعهد الصحي .
- اشترك في كثير من المعارض الجماعية بالمنطقة الشرقية والوسطى .
- حصل على كثير من جوائز الرئاسة العامة لرعاية الشباب في المنطقتين .



لقاء مع:

الشاعر: عمر بهاء الدين الأميري



إعداد: محمد قرانيا

الحق والخير والجمال .. في الشعر والأدب

● الأدب في حد ذاته تعبير مرهف صادق منغم عن الحياة

● الحضارة الإسلامية حضارة إيمانية أخلاقية

● من خصائص الشعر الصدق والانطلاق وحب الخير وإشعاع الفجر

مارس الأستاذ عمر بهاء الدين الأميري الحياة الفكرية أديباً ومفكراً وشاعراً، فأبدع ابداع كبار الشعراء والكتّاب في العالم .. عاين المجتمع من حوله فهاله ما يعتمل فيه، وتطلع بنظره إلى الإنسانية فرآها تتخبط في متاهات بعيدة الأغوار. عند ذلك علم أن عليه أن يقوم بدور اصلاحي كبير، فأخذ على عاتقه مهمة التوازن من خلال الكلمة، وانطلق في شعره وفكره وسلوكه، يلح على تغذية الجيل المعاصر، بغذاء روحي مستمد من رسالة السماء، وهو في هذا اللقاء يضع أمام، عيوننا بعضاً من ملامحه الإنسانية، لنقف على معطيات الحق والخير والجمال .

شيء من البدايات

★ الشاعر أدرى الناس بنفسه .. فهل لنا بنبذة عن حياتك الأدبية؟

● درايتي بنفسي هي التي تجعلني لا أرغب في التحدث عنها . فما أنا إلا فرد في هذه الأمة التي أكرمها الله تعالى بحمل أسمى رسالة للعالمين، وفرد في هذه الأمة، في ظروف حرجة، تنتاب فيها الإنسانية غمرات من القلق والاضطراب الحضاري الإنساني .. من وجهة إلى وجهة . وما دمنا نقر إلى أنفسنا بأننا أمة الرسالة الخالدة التي هي رحمة للعالمين، فلا بد لنا أن نأخذ مقامنا الفعّال المشع المشرق الايجابي في تحول هذا الخط الحضاري الإنساني من

وجهة إلى وجهة ليكون هذا التحول من الضياع الإنساني أو من عـدم التـوازن الحضاري في كيان الإنسان إلى عودة الإنسان إلى توازنه الذي تعطى فيه الـروح حقها ، ويعطى العقل حقه ، ويعطى القلـب حقـه ، وينعـكس كل ذلك على السلوك فيكون سلوك إنساننا سلوكاً جامعاً لكل الجوانب التي تستطيع أن تحقق رسالته . لا أحب أن أتحدث عن نفسي ، وعن ثقافتي لأنني أرى أن حظي من كل ذلك حظ أيسر من اليسير .

★ بمن تأثرت في بداية حياتك الأدبية ؟

● تأثرت أكثر ما تأثرت ـ ومن فضل الله تعـالى ـ **بمدرسة القـرآن الكريم** ، وتأثرت باشعاع **الرسول الأمين** ﷺ ، وتأثرت بعظماء أفذاذ أمتنا عبر التاريخ الطويل ، بين الشعراء أحببت وآثرت شعراء على آخرين . ولـكني لا أستطيع أن أقول إني تأثرت بواحد منهم ، لا سيما وأنني بدأت نظم شـعري وأنا في التاسعة من عمري ، وأنني أحرقت ديواني الأول وأنا في الثـانية عشرة ، وعندي بعد ذلك من الشعر ـ جل شعري أو ما يقرب من ثلاثة أرباعه ـ منـذ الثالثة عشر حتى الآن ، وقد ضاع منه الربع في الأسـفار والتـوزع تحـت نجـوم السماء .

لا أستطيع أن أقول إن هناك شاعراً ، أو لا أذكر في حياتي أني تـأثرت أو أخذت قصيدة وحاولت النظم على منوالها ، أو أن هنـاك شـاعراً انـكببت على دراسته حتى يترك آثاره في نفسي . **كل مـا قـرأته أثـر فيّ ، ولم يـؤثر في الوقت نفسه** . أثر فيَّ لا شعوري لأنه كون مـن هـذه الأضـواء شـعوراً .. حيزاً .. ثم تفاعل في أعماق كياني ووجـداني ، فلما خـرج نتـاجي بعـد ذلك شعراً أو نثراً أو فكراً ، خرج ولا شك ، فيه نأمات وفيـه نسمات . مـن هـذا الذي دخل إلى شعوري ، وأما شاعر ما ، معين فلا أذكر أنني تأثرت به .

★ هل تذكر شيئا مما بدأت نظمه مبكرا حتى يتمكن الدارس من تلمس آثار التطور الشعري في هذا الفن لديك ؟

● شعري من التاسعة حتى الثانية عشرة أحرقته . ولم تكن عندي أية أصـول له . أذكر من طلائع شعري قولي :

نـــام كل النـــاس إلاي أنـــا
مقلـــتي لم تســـتطع غـــير الســـهر
فجميـــع الـــكون في رقـــدته
وأنـــا في وحـــدتي أرعـــى القمـــر
وإذا رمـــت ســـلواً عـــاقني
أنني مـــا لي مـــن الـــذكرى مفـــر
آه ، لـــو أن الهـــوى لم يـــأتني
أو أتـــاني وفـــؤادي مـــن حجـــر



عمر الأميري .. في سطور

★ ولد ونشأ في حلب ـ سورية .
★ درس الأدب وفقه اللغة في السوربون ـ باريس .
★ ليسانس حقوق .. جامعة دمشق .
★ عمل مدرساً في حلب ودمشق .. كما عمل في المحاماة .
★ مثل بلاده وزيراً مفوضاً في المملكة العربية السعودية .. وباكستان .
★ اشترك في حرب فلسطين متطوعاً في جيش الانقاذ عام ١٩٤٨م .
★ أسهم في عدد من المؤتمرات العربية الإسلامية في العالم .
★ عمل مدرساً لتدريس الحضارة الإسلامية في كلية الآداب ـ جامعة محمد الخامس في مدينة فاس .
★ يعمل حالياً أستاذاً لكرسي الدراسات الإسلامية والتيارات المعـاصرة في دار الحـديث الحسنية في الرباط ـ المغرب .. اضافة إلى قسم الـدراسات العليـا والـدكتوراه في جامعة القرويين .

وأستعيد الآن وقبل الآن هذه الأبيات وأنا أتلمس صدق ووعي هذا الهوى الذي أتحدث به في هذه الأشعار ، فأجده غائماً في تصوري وممزوجاً بـطفولتي ، وقد جمعت بعضه في مجموعتي (**رماد الفؤاد**) التي ما زالـت مخـطوطة ، ولا يزال بعضها مخطوطاً في ديباجات وأفـكار ، وعنـدي ديـوان (**أصـداء الطفولة**) ، يضم شعري من السـادسة عشرة حتى ذهـابي إلى **بـاريس** في الثامنة عشرة .. وبعد ذلك عنـدي (**بـواكير الشـباب**) . مخـطوطة ، ثم أخذت الدواوين تتعدد وتكون لها موضوعات مسـتقلة مـن شـعر أصـداء الطفولة ، لأني قلت إن بواكير الشباب ابتـدأ منـذ وجـودي في بـاريس .. قصيدة طويلة ستكون طليعة ديواني الجديد الذي فـرغت مـن كتـابته بخـطي وعنوانه (**أمي**) وهو ديوان قد يكون فـريداً في العـطاء الأدبي الشـعري لأنـه يتحدث عن الأم بكامله ، من منطلق أمي .

كنت في السادسة عشرة وسافرت لأول مرة في حياتي . غادرت كنف أمـي وأبي وسافرت إلى (**قطنا**) في وادي العجم **بسـورية** . حيث كان عمـي هناك (**قائمقام**) لقضاء أشهر الصيف ، فـكتبت مشاعري في هـذه الـرحلة الأولى في قصيدة « موئلي ومناري » ، وحرصاً على تقديم نفسي على حقيقتها ، وتقديم مراحل شعري وعمري للناس الذين يهمهم الاطلاع على هذا الأمر ، لم أطو هذه القصيدة الطفلة .

هذه القصائد المبكرة رغم أن عدداً من نقدة الأدب يقولون : « إن على الشاعر ألا يقدم للناس إلا المتألق المتفوق من شعره . . » أما أنا فأرى من النفاق تملق الأذواق ، وأرى تمام الصدق وتمام الاخلاص في تقديم نفسي للناس على حقيقتها ، ففيها المتفوق ، وقد يكون وفيها الشيء العادي . على كل حال هي انقداحات من ذاتي لا أقصد بها ثناء ولا مجداً ما أقصد أن تكون ثباتاً ووفاء لمعان معينة .

الأدب .. بين العقيدة والسياسة

★ القصيدة لديك تشكل وحدة عضوية متكاملة ، وهي بهذا تشكل وحدة مستمدة من تصور تام لكل من الكون ، والحياة ، والانسان ، أو ما يمكن أن نسميه بالالتزام . بينما يرى آخرون أن الأدب موقف سياسي ايديولوجي .. فما موقفك من ذلك ؟

● لا يمكن الحكم على شعري من خلال ما كتبه أحد النقاد . لأني لم أطبع منه إلا النذر اليسير . والكتّاب الذين كتبوا إنما كتبوا من خلال ما اطلعوا عليه .. لا أظن أن ما طبع من شعري يعادل خمسة بالمئة من مجموع هذا الشعر حتى الآن ، لم أطبع سوى **(مع الله)** و **(ألوان طيف)** و **(من وحي فلسطين)** و **(ملحمة الجهاد)** و **(الفجر)** و **(الأقصى وفتح القمة)** و **(ملحمة النصر)** و **(أب)** ، ثم أخيراً طبعت **وزارة الثقافة في المغرب** بمجموعة **(ألحان من وحي المهرجان)** ، وأنا الآن بصدد إخراج ديوان **(أمي)** .. عندي أكثر من ثلاثين ديواناً لم يطبع ، فالحكم على القصيدة في شعري ، وعلى شعري ككل هو ما يفترض الاطلاع عليه .

لقد نظمت الشعر بعفوية وتلقائية . لا أعرف هذا البيت من أي بحر ، ولا قرأت العروض ، ولكن الموسيقى في الشعر إذا كان فيها اختلال تجرح أذني تلقائيا ، فلا أتقيد فيما يصدر عني من شعر وفكر بمدارس النقاد واصطلاحات دارسي الأدب .. التزام أو لا التزام ، هذه الأشياء كلها لا أضعها في موازيني الشعرية الخاصة ، وإنما أصدر عن ذاتي وأصدر عن كلي « الإنسان » ، ومن فضل الله عليّ أني مؤمن برسالة الإسلام .. مؤمن بمجد أمتي . مؤمن بشأنية العروبة وبمقامها المرموق في هذه الرسالة .. مؤمن ببلادي .. اهتمامي ليس أرضياً .. انتمائي سماوي ولي منبت أرضي .. مؤمن بأن هذا المنبت الأرضي يجب أن يكون له شخصية في الماضي وفي الحاضر ، ويجب أن يكون له شخصية في المستقبل ، فالإنسان الذي يتكلم على هذا النمط لا بد أن تكون لعطاءاته الفكرية والشعرية



تأثر بذاته وبحقيقته . أنا أصدر عن ذاتي ، فيصدر شعري كما يصدر .

★ بالرغم من ذلك ألا ترى أن الدراسات التي كتبها نقاد عرب وأجانب والمثبتة في آخر الطبعة الثانية من ديوان ألوان طيف قد أتت على معظم الميزات والخصائص في شعرك ؟

● أولا كما قلت . عندما نظمت الشعر ، كما أقول في إحدى قصائدي :

هل لزهر الربى تساء شذاه
كل زهر كما تكون يعبق

أنا لم أتخير نفسي عندما نظمت شعري ، وإنما انطلقت هكذا من أصالتي ومن عمق عفويتي .. الشعراء ونقدة الأدب لهم شأن آخر .. يأخذون المادة الأدبية أو الفكرية ، ويضعونها على مائدة التشريح ، ويحاولون أن يلبسوها أثواب اصطلاحاتهم ، ويضعونها في المقامات التي تتراءى لهم . أنا لم ألحظ ذلك ، ولا أستطيع أن ألحظ ذلك عندما (أنشىء) ولا يهمني ، بل يسرني أن يكون ما أكتبه نافعاً ، ومتجاوباً مع عدد كبير من القراء ، ولكن إذا لم يكن كذلك فلا أكف عن ممارسة ذاتي ، لا أدري ما هي خصائصي ؟! . خصائص ، الصدق ، خصائص الانطلاق مع السجية ، خصائص حب



الخير واشعاع الفجر . هذا في الشعر ، وفي غيره هـم يفهمـون مـن معـنى. الخصائص شيئاً أكثر من هذا . يفهمون منه فهماً علمياً . فهماً نقـدياً . وأنـا لا أعتقد أن القدر الذي كان في أيدي الأساتذة والنقاد الـذين كتبـوا ودرسـوا في بعض ما أصدرت ، يكفي لأن يحكموا عليّ حكماً دقيقاً .

تذكرت الآن . وأنا أعد ديوان (أمي) وأقلـب بقـايا أوراقي في جبـل الأربعين **بأريحا السورية** ، وقد عدت إليه بعد سنوات عديدة حجـزتني مـن أن أنعم بهذا الركن الهادىء الجميل من بلدي العزيز ، ووجدت رسالة كان قد بعث بها إليّ الأستاذ **أمين شنار** مدير مجلة **الأفق الجديد** . كان قد سـألني عن قضية الالتزام ، وشعر العقيدة وما شاكل ذلك . ثم جاءت وفـاة الـوالدة رحمها الله فشغلتني عن الجواب ، فلما فرغت للرد على الـرسائل ، المتراكمـة ، أجبته بما يمكن أن يكون فيه فائدة حول هذه النقطة ، والرسالة مؤرخة في عـام ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٢ م ، ولسوف تتصدر ديوان « أمـي » الـذي سيصدر قـريباً قلت :

« تسألني في كتابك الأول ، فتقول : ما رأيك أيهـا الشـاعر الفنـان في أن تكتب عن صراع الفنان بين التزامه رسالة فكرية معينة ، وبين عفـوية إنسـانية الشاعر ، أو عن شعر العقيدة ، وهل سـينظم هـذا التعبير أم أن الشـعر إذا قرنته عقيدة ، وضبطه فكر اختنق وصار إلى الشعر والـنظم الميت أقـرب ؟ . وتؤكد في كتابك الثاني سؤالك ورجاءك أن يتسع وقتي للاجابة عنه فأجيبك :

الأدب في ذاته تعبير مرهف صادق منغم عن الحياة ، والحيـاة تشـمل كل الخوالج ، والنوازع ، والعواطف والأهواء ، والصور ، والملمات ، والأحـداث ، والمواقف . . . وقد يسجل الأديب شعوراً صادقاً أحس بـه ، هـو مـن صـميم الحياة . حياته ، أو الحياة الموفقة التي تحف به ولا يـكون هـذا الـذي سـجله هادفاً بناء ينفع الناس بل قد يكون تصويراً لانفعال مثير ، أو هوى مبتدع ، أو عاطفة حرام . . وربما لا يـكون على الأديـب في ذلك كبـير جنـاح لأن ذلك شعوره الصادق . إنما التثريب في نشر هذا الغثـاء على العـامة يهـدم أخـلاق الجيل ، ويفك روابط المجتمع ، ويسيء إلى مثل الأمـة العليـا ، أمـا أصـحاب العقائد من الأدباء . . أو الأدباء من أصحاب العقائد ، فلا بد أن تـظهر آثـار لعقائدهم في نتاجهم الأدبي . إن كل إنسان ينفعل بأحداث الحياة التي تحيط به وبالعقيدة التي تعتمل فيه . وحظ الأديب الحـق في ذلك أكبر ولا شـك . لأن حسه أرهف ، ونظرته أعمق ، فلا بد أن ينعكس أثـر ذلك في نتـاجه ، وهـو ينعكس فعلاً عاجلاً عندما تشرئب القصيدة ، أو ينفجر الحدث لثورة شاعرية ، ويلهب قلمه ويوحي قصته . . أو آجلاً بعد أن يختمر المذهب ، أو الحـدث في لا شعوره الواعي ، فيخرج تمجيداً لفكرة ، ودعوة لمبدأ ، أو فخـراً بمعـركة ، وعزة بحرب ، وعبرة بنكبة . أما أن يتعمد ذلك تعمداً ، ويكب عليـه كالـذي ينحت من صخر فذلك هو ما أشرت إليه . الإنتاج المختنق والنظم الميت .

بقي علي أن أشير ولو باقتضاب إلى المتاجرين بغـرائز النـاس ، والنـافخين ببوق المراهقة الذين يلتمسون الشهرة والمال ممـا يصـنعون صـناعة ، أو ينشرون انفعالا ، يصح أن يسمى « **أدب الفـراش** » ويـوزعونه على النـاس فـأولئك هم - والكلمة قاسية - أولئك هم الخونة ، لا خونة الأدب فحسب بل خـونة الأمة والشرف والمروءة ، وكل القيـم الإنسـانية السـامية ، وعلى الحـكومات والشعوب صحافة . ورأياً أن تقوم معوج هؤلاء . . . » .

. . . وقد تكون فكرة الرسالة قديمة ولكن روح الموضوع ، ولبابه عندي لم يتغير .

الشعر الحديث

★ ما رأيك بالشعر الحديث ؟

● سقت هذه النكتة انطلاقاً من انتظاري قرابة أربعين شهراً على أمل أن ألتقي رسوماً من بعض الفنانين تتلاقى مع صـور ألـوان طيف لنشرهـا خـلال قصائده ، ولكن جاءني الرد في رسوم تتخبط خبط عشواء . . أشياء بعضها فوق بعض ، فلم ترق ذوقي وفكري ولم أفهمها على مـا يقـدمها أربـابها ، فقلـت إن هؤلاء لهم نظراء في عالم القلم ، أناس ينسبون أنفسهم للتجديد ، ويخرجون على الناس بشيء غير واضح المعالم والقيم . يفرضون على المجتمـع الـذي مـني بـداء التقليد أن يقبل هذا ، والناس العامة . . السـواد ، حـتى لا يقـال إنهـم لا يفهمون ، وحتى يتعالموا ويتعاظموا ، فإنهم يشاركون الناس أقوالهم وآراءهم .

هذه في الحقيقة قضية على جانب عظيم من الأهمية . قضية يعيشـها العـالم بأسره . مؤامرة كسر الموازين في المجتمع الإنساني . كسر الموازيـن في كل شيء . **في الرسم . في الموسيقى . في الشـعر . في الأزيـاء . في (التهـبي)** . . وإذا كان في الشعر قديم وحديث فالشعور مستمر . الشعور عمره الأبد . منـذ وجد الإنسان خليفة في الأرض يحمل رسالة وجد عنده الشعور . التعبـير عـن الشعور إذا كان صادقاً أصيلاً ، وكلما كانـت سـاحته الإنسـانية أوسـع وكان انقداحه من الذات أبرع وأصدق ، كانت قيمته الأدبية أكثر . ليـكن شـعراً أو نثراً . **ليس المعول على وصف الكلمات وموافقتها مـع التفعيـلات التي لا أفهم منها شيئا وأنها من قافية واحدة أو مـن بحـر واحـد .** ليس المعول على هذا . . **المعول في القـدرة على ابـراز هـذا التـوقد الشعوري في عبارات سليمة يمكن أن تتـلاقى في صـدق عـاطفة صاحبها فتكون شعرا له** ، أو أن تتلاقى مع ساحة إنسانية واسـعة فتـكون شعراً للإنسانية ، يتسع مداه بمقدار ما تتسـع سـاحته ، وسـاحة المشـاركة الإنسانية فيه . . **فأنا أقدر كل شعور يعـبر عنـه تعبـيرا سـليما ، ولا**

لقاء مع:

يهمني أن يكون نثرا أو شعرا ، ولا يهمني أن يكون نثراً ويصطلح بعض الناس على تسميته شعراً . . أنا يهمني أن يكون الأثر أصيلاً وجميلاً . ويهمني في أبناء أمتي المسؤولة ، أمة الرسالة الربانية الخالدة ، أن يفهموا هذه المعاني ، ويصدروا عنها ، ويعطوا هذا العطاء لأنفسهم ولرسالتهم وللإنسانية التي هي أسرتهم الكبيرة .

الفقه الحضاري

★ يتهمك البعض بقلة النشر ، في الزمن القلق الذي نحتاج فيه إلى أشعارك وفكرك ، لأننا نجد فيه غذاء روحيا . . ما رأيك ؟

● عقيدتي في نفسي وتقويمي لذاتي لا يضعني في المقام الذي تحدثت عنه ولكنني لا أتواضع ـ وليس في هذا تواضع ـ فأنني عن نفسي توقد الشعور ، وإرادة الخير ، والتشبث بسمو الرسالة والتطلع دائماً نحو ، الأعلى لا سيما ونحن في ترابيتنا من معدن الانشاء والتقويم . هنا لا بأس أن استشهد بحادثة طريفة ، نصبت نفسي في نهايتها محامياً عن الجنس البشري . كنت ألقي محاضرة فيما أذكر ، عن **الانسان في الاسلام** ، فاعترضني شاب يحمل ما يسمى بايديولوجية خاصة ـ وأنا أستخدم كلمة العقائدية بدل من الايديولوجية ، وأستخدم كلمة العقيدة بالنسبة لأساس المذهب (**دوكتريم**) ـ فقال : هل تسمح ، فأذنت . قال : ما رأيك في قول بشار :

إبليس خير من أبيكم آدم
فتبينوا يا معشر الأشرار
إبليس من نار وآدم طينة
والطين لا يسمو سمو النار

سكت الجمهور ، طبعاً ، ثم وقفت دقائق وقلت له :

إبليس من نار وآدم طينة
والنار لا يسمو سمو الطين
النار تفني ذاتها ومحيطها
والطين للانبات والتكوين

نحن في ترابيتنا من طين التكوين ولسنا من السقط المهين ، والله تعالى أعلم حيث يضع رسالته ، وعندما قضت حكمته أن يخلقنا قالت الملائكة ما قالت ، قال : « إني أعلم ما لا تعلمون » وكان ما كان .

المهم أنني ـ مع الأسف ـ لا أجد على القدر الذي أملكه من العطاء ومن المشاعر ومن النتاج ، ولا أجد جهازاً يعينني ولا ظروفاً تأخذ بيدي على طبع ونشر كل ما لدي وليس ذلك في الشعر فقط ، بل وفي الفكر . . أيضاً وقد يكون عالم الفكر لدي أساساً لعلم جديد قد يأخذ سمته في الوجود الإنساني في المستقبل ، وهو **علم الفقة الحضاري** ، وقد كنت بتوفيق الله تعالى وعطائه واضع أسس هذا البحث . والفقة الحضاري ، بعد أن يلم بالأوليات الحضارية والمتعارف عليها ، وبعد أن يبحث عن الاطار الحضاري بين الحد والمد . بين محدودية الأرض والزمان والإنسان ، وبين المد بين امتلاء الساحة في الزمان والمكان ، يبحث أيضاً عن السلم الحضاري الذي يرتب لكل حضارة سلم قواعدها وأركانها تأخذ هويتها بهذا الترتيب . لشرح ذلك بايجاز نقول : إن كل حضارة لا بدأن تقوم على أربع قواعد :

نزع السلاح ...

« ارتجالا ، عقب تحدث وكالات الأنباء عن الدورة الاستثنائية لمنظمة الأمم المتحدة ، المخصصة للبحث في نزع السلاح » :

« نَزْعُ السلاح » . . وما الذي
تجدي لـه الخُطبُ الجميلة
في ظلِّ « مُنْتَظَم » التَهاتر
والمتاهاتِ الطويلةْ . . .
ما دام « إنسانُ الحَضَارَة »
لا سَلامَ ، ولا فَضيلةْ
« فالأمن » في نزْعِ الشرور
مِنَ الصُدور ولا وَسيلَةْ
إلا الرّجوعُ إلى هُدَى
رَسَمَ الإلـه لنا سَبيلَةْ

٢٦/٥/١٩٧٨ م



- **القاعدة الايمانية الأخلاقية .**
- **القاعدة العرفانية الثقافية .**
- **القاعدة الجمالية الفنية .**
- **القاعدة التقنية الصناعية .**

والحضارة التي لا تتوفر على جماع هذه القواعد الرئيسية تكون حضارة تراب ، وتتميز حضارة عن أخرى بتسلسل هذه القواعد بحيث تكون القاعدة الأولى هي التي تقيد وتضبط وتهيمن على القواعد التي تليها ، وبذلك تتحدد هوية الحضارة ، **فالحضارة اليونانية والحضارة الرومانية حضارة جمالية .. والحضارة في زمن سان سيمون حضارة عرفانية ثقافية .. والحضارة في الزمن المعاصر تقنية .. والحضارة الاسلامية ، ونظائرها - وليست لها نظائر على مستواها - هي حضارة إيمانية ، أخلاقية .**

بعد ذلك ، وبعد أن نلم بهذه المعاني جميعاً ننتقل إلى صلب موضوع الفقه الحضاري الذي يتكون من عناصر عدة منها :

١ - **الاستعاب الحضاري** الذي يقتضينا أن نستوعب القضية من كل أطرافها وجوانبها . سواء أكانت شخصية أم عادية أم محلية أم واسعة النطاق .. يجب أن تستوعب من كافة جوانبها ثم أن نعمق هذا الاستيعاب بالنظر الحضاري . فالنظر الحضاري هو خصوص من عموم الاستيعاب الحضاري .

٢ - **استيعاب + نظر = ادراك حضاري** فندرك القضية ادراكاً حضارياً ثم إخراج هذا الفقه الحضاري من حيز النظرية إلى مجال التطبيق ، فيكون السلوك الحضاري .

كل هذه الأشياء مع الأسف أحاضر عنها وأتحدث فيها خلال عملي في **قسم الدراسات العليا في الرباط** ، وفي بعض المقابلات الاذاعية والتلفازية وفي المواسم الثقافية التي أدعى إليها كثيراً سواء في **الجزائر** أو في **ليبيا** أو في **الكويت** أو في **مصر** أو في **الأردن** أو في **لبنان** ... هذه البحوث بالاضافة إلى ما لدي من دواوين كبيرة بعضها ضخم تتجاوز صفحاته (٥٠٠) صفحة . لا يوجد لدي جهاز يعينني على إخراجها .

وأنا مولع بالاتقان . لا أستطيع أن أخرج شعري وآثاري على ورق هش وبحروف مكسرة وفي طباعة مليئة بالأخطاء ، فلا بد لي أن أخرج الشيء بشكل متقن ، ولذلك آثرت أن أطبع ديوان (أمي) بخط يدي في قصائده ومقدماته ، ثم ازددت في هذا خطوة أخرى ، فديوان أمي كتبته بمقدماته جميعاً بخطي ، وزدت على هذا ، فاعتضت عن لوحات الرسامين بآيات بينات ، وبحكم من جوامع الكلم النبوي ، في صفحات معدودة جعلتها خلال القصائد تتلاءم مع معاني القصائد ، وقمت بموضوع جديد لم يسبق لي أن غافلت نفسي فيه ، وهو عالم التزيين والرسم فجعلت رسوم الصفحات ، وتزيين اللوحات والزوايا وما شابه ذلك كله من وضعي ورسمي .

لقد تقدم بي العمر شيئاً ما ، ثم أصبت في السنوات الأخيرة بنوبات من **الذبحات الصدرية** ، ولكني - بفضل الله تعالى - لا أستشعر معنى المرض ، وأعالج المرض بخمس كلمات : الصبر ، وبالشكر ، وبممارسة الذات ، وبعدم الحديث عن المرض ، حتى لا أزيد فيه ، وبالأخذ بما يستطاع من نصائح الأطباء وعلاجاتهم . وهذا في المرتبة الأخيرة . وكان أثر هذه النوبات القلبية كبيراً . وقد قال الأطباء : عليك أن تستريح .. ولكني خاطبت قلبي . وقلت له :

يا قلب إن شذا الشهادة من ربى الجنات فاح
فاغنم دقائقك البواقي في المراقي والفلاح

وخاطبت إخواني وأبنائي فقلت لهم :

أبنائي الأحباب شدوا العزم ، ولا تلقوا السلاح
أحيا بكم أبداً بآمالي وأمعن في النجاح
فإذا غفوت منية ، فأنا بكم في الخلد صاح
صقر سينبت ريشه من رمسه شجر الرماح

وكانت أكثر سنة تحركاً حيث لبيت دعوة أربع جامعات ، كأستاذ زائر ، أو محاضر أو مشارك في موسم ثقافي ، ولبيت ثلاثة مؤتمرات عالمية ، هي السنة التي تلت اصابتي بنوبات القلب ، وقلت ، ليكن ما يشاء الله ، ولم يبق لدي مجال للتمهل .

من عادتي ألا أعرض نفسي ، ولا أقترح ذاتي على المواقف ، ولكن لا أذكر أنني امتنعت عن تلبية طلب مجلة أو جريدة لها مقامها المرموق في عالم الأدب والفكر إلا وأمددتها بداراً أو متأخراً شيئاً ما بحسب الظروف بما أستطيع مما تطلب مني .



★صورة الفنان بيده رسمها عام ١٩١٨م★

هنري ماتيس والفن الإسلامي

بقلم: محمد غالب سالم

هو دعامة من دعامات الفن الحديث ، عمل على قلب مفاهيم الفنون وتبديل قوانين الرسم رأساً على عقب ، وغير هو ونديده (**بيكاسو**) الأسس المتعارفة والمفاهيم والأعراف المسلمة ، خلال النصف الأول من هذا القرن ، وبعده وقبله بقليل .

كان عميق الفكر ، بعيد الادراك ، قوي الحجة ألمعياً . وكان ضالعاً في الأدب والفلسفة ، والثقافة الفنية ، بكل جوانبها واتجاهاتها وغاياتها وأهدافها .

هو عميد الطريقة الوحشية (**الفوفيزم**) Fauvisme ... ولا تعني هذه الكلمة في الفن ، ما تعنيه في عالم الحيوان من صفات الافتراس والاصطياد ... بل لأن جماعتها كانوا مندفعين في أهدافها ، كاندفاع الضواري وهجوم السباع ، للوصول إلى مراميهم وتطلعاتهم ... لا يثنيهم انتقاد ناقد ولا شنآن مثبط. يعملون بشجاعة واقدام وعزيمة واقتدار ، ولا يعرفون الكلل ولا الملل .

وكان ماتيس رساما ونحاتا ، ومخططا ونقاشا ، يعمل في الحفر والطباعة وصاحب نظريات في الفن وعلم الجمال. ومن الغريب العجيب ، أنه عمد في أول شبابه إلى دراسة **الحقوق** ، وفي **باريس** نفسها ، دون أن يهتم بأمر الفن اطلاقاً ... حتى ولا بزيارة متحف من المتاحف ... إلى أن قدمت له أمه هدية بسيطة هي (**علبة ألوان مائية**) ... رأى نفسه بعدها مدفوعاً ، إلى طلب الاذن من والده .. بالتوجه إلى باريس من جديد ، لا لدراسة الحقوق ... بل لدراسة الفن والرسم ... وذلك بعد أن أمضى بعض الوقت في ممارسة الرسم ببلدته وبهذه العلبة السحرية .

* * *

★ذات الرداء الأزرق ، عام ١٩٣٧م★



★قبعة الريش الأبيض★





★في أواخر أيامه .. ونرى آثار الفن العربي .. ظاهرة★

★عزف وتحليق في عالم الشرق★



وفي المدينة الكبيرة ، مدينة الفن والجمال ، دخل (**أكاديمية**)[1] جوليان الليلية . وبقي فيها ما شاء لـه هـواه أن يبـقى ... إلى أن شاهد أعماله الأستاذ (**غوستاف مورو**) أستاذ (**البوزار**) Beaux Arts مدرسة الفنون الجميلة ... فادخله قاعته الشهيرة ، بدون فحص . لما توسم فيه من استعداد ونبوغ ... وهنا صحب (**رواو**) Rouault ، **وديفالير** وغيرهما ممن صار يشار إليه بالبنان فيما بعد ... وراح يتمتع بنعيم الحرية الممنوحة له في أبهاء الأستاذ مورو الواسعة الحارة . حتى طلع علينا هو ورفاقه بالطريقة المسماة (بالوحشية) ... والتي تكلمنا عنها في بداية موضوعنا .

عمل بجد وجلد ، وأخذ يتعمق في اكتشاف أسرار الصنعة ، وما استغلق عليه من أمور التخطيط والتلوين والإخراج والتشكيل . بدأ أولا بنقل لوحات (**كلاسيكية**) سلفية في متحف **اللوفر** ، ثم اتجه إلى تمثيل ما تقع عليه عيناه من مناظر خارج المتحف . وكان في عمله ، يتحرى القيم والحجوم والترابط والوزن ، قبل وضع اللون ذاته .

عرض بعضاً من أعماله في بهو **المعرض الوطني** ، لكنها لم تلق نجاحاً ... إذ كان ينقصها الابتكار والجدة والعزيمة في تخطي المألوف . وفي أواخر العصر المنصرم تعرف (**بجون روسل**) الاسترالي . وكان

هذا ، صديقاً للفنان الشهير (**فان غوخ**) . وكان (جون) يملك بعض اللوحات للفنان المذكور .

عملت هذه الرؤية عملها السريع على تغيير أنماط رسمه وطرقه في الإخراج . كما أن روسل عرفه بالنحات الشهير (**رودان**) والمصور (**بيسارو**) والشاعر الناقد (**ابولينير**) .

وقر رأيه بعد ذلك ، على مشاهدة أعمال الفنان الانجليزي (**تورنر**) فسافر إلى **لندن** . كما رأى أن يزور جزيرة (**كورسيكا**) وموانىء **البحر المتوسط** الفرنسية ... ليتمتع بالجو الجنوبي الصاحي الصافي ، الذي أصبح جوه المحبوب ومحيطه المفضل المرغوب ، بعدئذ .

أمضى بعض الوقت هناك ... ثم رجع إلى باريس . وقرر ترك عمله ليسير وفق هواه ، على الرغم من حاجته إلى المال .

حينا تأسس **معرض الخريف** سنة (**١٩٠٣م**) عرض لوحاته فيه .. ثم أقام معرضاً خاصاً له ، عند (**فولار**) . استطاع ، بدخله ، تحسين حالته المادية ، كما حقق فيه بعض الأمجاد الفنية .

في هذه الحقبة من الزمن ، اعتمد على أعمال الرسام (**سيزان**) ونحا نحوها ... وعنه أخذ قوله :

« إن اللون وحده هو القوة في اللوحة » ... ومن اللون يجب ايجاد التناسق والتوازن والتوافق ... فقلل من عدد ألوانه ، بعد هذا الوقت ، وأعطى الحجم والشكل أهمية خاصة .

وفي عام ١٩٠٥م ، عرض لوحاته في **بهو المستقلين** . والتقى بصيف هذا العام بأحد رفاقه (**غوغان**) ، وكان يملك لوحات مجهولة لهذا الفنان النقّاب[٢] . رسمها في المحيط الهادي .. وهنا حدث التطور الكبير عند ماتيس ... فقد تبنى طريقة غوغان في بسط الألوان المحصنة ، ونشرها على اللوحة بمساحات مدروسة معينة قال عنها : « إنها حقيقة النور والضياء والمسافات معاً ... » . وفي هذا الوقت رسم لوحة أسماها ـ **ذات الخطوط الخضراء** ـ قال بعد انجازها : إن (الفوڤيزم) كان لي جسراً واشارة للمضي في وضع الألوان متجاورة متعاقبة ، حسب احساسي الجديد ... الأزرق والأحمر والأصفر ... كلها مدت بطريقة انشائية تعبيرية ، وهي نتيجة حتمية وعضوية ، كما أنها ليست اتجاهاً معيناً أردته أو خطوة سعيت إليها ، ومشيت نحوها .

حوى معرضه الثاني الذي أقامه ، جميع اتجاهاته وأساليبه الفنية وفي جميع الوسائل ... **الرسم** ، **والتخطيط** ، **والنحت** ، وطائفة من المطبوعات رسمها بالأسود الحالك ، وزين المسافات بزخارف عديدة ؛ أضفت على أعماله الموسيقى والغناء ... وكان ذلك عام ١٩٠٦م .

الهزة الكبرى

بعد هذين المعرضين ، عقد العزم على السفر إلى الشمال الافريقي ... باحثاً ومنقباً عن العوامل التي أوحت إلى الفنان (**ديلاكروا**) بألوانه الوضيئة المشعة ، و(رينوار) Renoir النقاء والصفاء ... والأنق .

وتعددت رحلاته إلى إفريقيا ، مأخوذاً بأشعة شمسها الساطعة ، وبأثر **الفن الاسلامي** الخلاب ، السائد هناك . وأقام في (**بسكرة**) إحدى مدن الجزائر مدة أسبوعين ، درس فيها **الخزف والأقمشة العربية** .. وظهرت آثار هذه الزيارة بصورة واضحة في زخارف أعماله كلها .

ثم رجع إلى فرنسا ... وضاعف من إنتاجه للمناظر والوجوه والطبيعة الصامتة ، وعمل على إذاعة اكتشافاته ونشرها في جميع الأوساط وخاصة ايجاده الحجوم والخطوط المحيطة ، والألوان والزخارف العربية الباهرة . ومن أمثلة أعماله في هذه الحقبة لوحاته الموجودة في متحف (**غرونوبل**) .

* * *

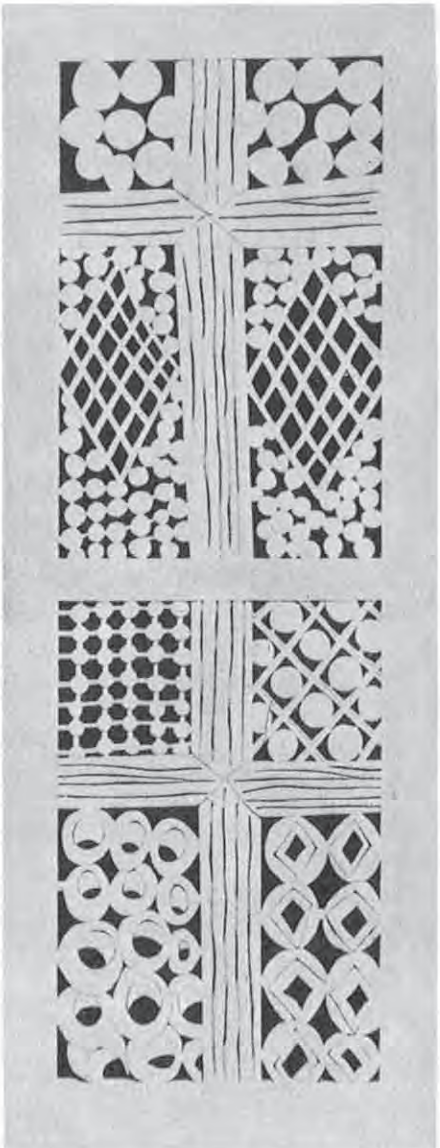
وهكذا ... انتصرت المدرسة الوحشية الجديدة في ألوانها الصافية الصرفة المنبسطة ، وفي خطوطها المبسطة الميسرة . وقام نفر كبير من أتباع الطريقة الملتفين حول (ماتيس) بعرض أعمالهم في جو من (**الحميا الفنية**) كما قال الناقد (**فوكسيل**) .

ومن أقوال الفيلسوف (برغسون) في أعمال ماتيس : **« لا أقدر على التفريق بين أعمال ماتيس وبين أحاسيسي للحياة ... التي أحياها ... ولا بين الأشياء المرئية بالذات ، والمشاهد التي تعبر عنها رسومه في لوحاته الباسمة ... إذ كلها واحدة وكلها متطابقة ... ومتوافقة »** .

أما ماتيس فقد قال في هذه الفترة : إن الأشكال والمحتويات هي وحدة متكاملة مشتركة ، لا يمكن فصلها عن بعضها ، بعضاً ... والاحساس يأتي من المساحات الممتدة بالألوان المختلفة ، التي يشاهدها الرائي في دخيلة نفسه ... **وإن الفنين الشرقي والبدائي هما فنان حقيقيان لهما كل الخصائص الفنية والمميزات والصفات الأصيلة ، وقد طغت عليهما تعاليم الفن الغربي المعروف** .

تبنى بيكاسو النظرية **التكعيبية** ، وأدار ظهره للوحشية ، وبقي ماتيس يصارع التيارات ، ويقاوم الحملات ، ويكافح من أجل بقاء الوحشية وتقدمها ... هو ومن معه من المخلصين ... ولهذا أراد أن يدعمها وينعشها . فبحث وقدر (**دفنشي**) و (**سبر**) حتى توصل إلى أساليب جديدة وقواعد مبتكرة طريقة أخذ بها نحو الازدهار ... والكمال الفني المنشود ... وقد حالفه التوفيق .

وفي ذاك الوقت كانت المدرسة (**التأثرية**) تشق طريقها ، وتمضي قدماً نحو غايتها وأهدافها ... وهنا وهناك ... كثير من المدارس المختلفة تتحدى طريقة (**الضواري**) والعمل على الطغيان عليها ... وكان هو وحده ، أو قل هو وأنصاره ، يصاعون هذه التيارات ويتخطون هذه المنغصات ... وفي أتون هذا الصراع طلع علينا برسومه (**العراة**



★ تزينات باب ١٩٥١ م ، في أواخر أيامه

الزرق) ، وقد عمل فيها على التوفيق بين لون الجسم البشري والخلفيات والجوانب لهذا الجسم ، وذلك بوضعه **الزخارف العربية** والمسطحات اللونية المبسطة التي عمل على جعلها ممتدة منشودة . وجابه بقوة مخالفيه وأنداده . . . كما قام بارساء نظرياته وتأكيدها وتثبيتها . . . على دعائم متينة من العلم والنظريات والخبرات الحسية .

زار **ميونيخ** عام ١٩١٠ م ، لمشاهدة **آثار الفن الاسلامي ، والأيقونات الشرقية** ، المعروضة في معرض خاص أقيم هناك ، ثم رحل إلى طنجة . حيث شعاع الشمس هو السائد ، وضياء النهار المشرق هو العامل وهو الأساس ، في كل المناظر والمشاهد ، وبقي يتمتع بسحر الجو الصافي النقي ، وبعظمة فطرة الثقافة الأصيلة الذاكية ، ثلاث سنوات .

وتطور فنه واتجه نحو الشرق والفن العربي الجميل ؛ بصورة واضحة جلية . ومن أمثال أعماله في هذه الفترة : لوحتا « الرقص والموسيقى » اللتان جسد فيهما طريقته الفذة ، في الألوان المبسطة الممتدة ، والأجسام الهادئة الناعمة . . . وبألوان ثلاثة فقط : هي الأزرق السماوي ، وحمرة الجسد ، واخضضاب الهضاب .

لقد تحققت فراسة أستاذه فيه . . . حينما كان يدرس عنده في (البوزار) . إذ قال له يوماً : **« يا سيد ماتيس سوف تصل إلى ما لم يصل إليه أحد قبلك . . . سوف تبسط الرسم وتسهل قواعده »** .

لقد سحره جو طنجة وأخذ بمجامع قلبه ، وهو جو عاطر هادىء ، فأثر في أعماله كلها . . . وكانت الحدائق المنسقة والمفعمة بأريج الرياحين والورود . . . والجنائن والقصور المصفوفة والعامرة بشتى أنواع الأشجار الظليلة الوارفة ، قد عملت عملها في روحه ، ونفسه أجمل الأثر وأعذب الرؤى وأمتع الأحلام . . . فإذا بنا نشاهده وقد رص بناء لوحاته وقواها وأحسن سبكها وتشكيلها . وها هو يطلع علينا بلوحته الجميلة **(المراكشيون)** بألوان قليلة معدودة هي الأسود والأخضر والليلكي الخفيف . وهي لوحة بلغت حد الاعجاب والفتنة والسحر .

العودة إلى باريس

ورجع إلى باريس . . . حيث قام برسم لوحته الشهيرة : **(درس الموسيقى)** . ولكن الحرب كانت قد قرعت طبولها . . وانطلقت مدافعها . . . فرأى نفسه مجبراً على الخلود إلى الراحة والسكون .

وبعد انتهاء الحرب عاد إلى العمل . . . وكانت ألوانه في هذه الفترة صارخة وقوية . . . وبقي يعمل في **الزخرفة** فقط . ورأى أن يزور **(تاهيتي)** جزيرة الفنان (غوغان) في **المحيط الهادىء** . وبقي فيها ثلاثة أشهر . . . وقد أثرت هذه الاقامة القصيرة في أعماله أثراً بيناً . . . ثم اتجه نحو **الحفر** . وزار **أميريكا** مرتين وحقق فيها أعمالا جبارة . وحينما رجع إلى بلده رسم لوحات **المتجردات والموسيقى** ؛ وغيرهما .

وفي أخريات أيامه وجه جهوده كلها لتزيين **قاعة الرهبان** . وقد وفق فيها كثيراً . كما زين نوافذها بالزجاج الملون .

النهاية

وأخيراً . . . وافاه الأجل المحتوم سنة ١٩٥٤ م ، ووري جدثه على رابية **(سيميه)** ونام نومته الأبدية ، بين أحضان الريف الحنون . . . قريباً من المتحف الذي ضم آثاره وذكرياته .

لقد قال : **« كانت غايتي ايجاد فكر سعيد نقي غير معقد ، يشع ضياء وبهجة وسرورا » وقد وصل إلى غايته بعد أن ارتوى ، برحيق الفن العربي الاسلامي .**

هوامش

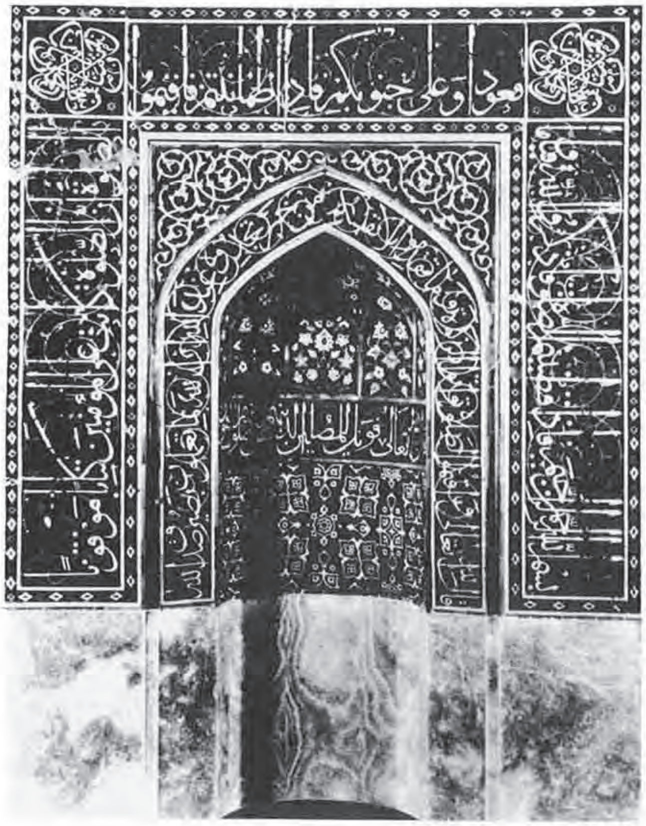
(١) أنشأ افلاطون في بساتين أثينا مدرسته وسماها أكاديمية . ويقال إنه نعتها باسم الضاحية هناك .

(٢) النقّاب : النافذ البصيرة في الأمور .

المسلمون داخل المجتمعات الأوربية

٢٥ مليون مسلم يبحثون عن هوية

بقلم: محمد ابراهيم



« ليس هناك شك في أن المسلمين داخل المجتمعات الأوروبية يواجهون نوعاً من الغربة الدينية والفكرية ، بل إن ارتباطهم بالمعتقدات الإسلامية قد لا يقوى على الصمود طويلاً أمام التأثيرات المدمرة للمجتمع المسيحي الغربي ، سواء كان ماركسياً يقدس المادة أم رأسمالياً تسوده الصراعات والتناقضات . وخطورة استمرار هذا الوضع هو أن يلجأ المسلمون في أوروبا إلى تكوين أنواع جديدة من « الجيتو » - وهي تلك الأحياء أو المناطق التي عاش فيها اليهود خلال عصور طويلة من التاريخ الأوروبي في حالة انغلاق وعزلة عن المجتمع - إن ذلك الوضع هو ما يهدد المسلمين الآن ، حيث سيضطرون إلى التقوقع على أنفسهم والانعزال عن المجتمع من أجل الحفاظ على ذاتيتهم » .

هكذا - وبهذه الكلمات - عبر أحد المسلمين الأوروبيين عن جوهر مشكلة المسلمين الذين يعيشون داخل المجتمعات الأوروبية ، وذلك في مقال نشرته مجلة « **إمباكت** » الانجليزية والناطقة باسم المسلمين في أوروبا .

والواقع أن مشكلة المسلمين في أوروبا ترجع إلى عدة سنوات مضت حينما شهدت أوروبا موجة هائلة من الوافدين من البلاد الإسلامية للعمل في المصانع والشركات الأوروبية ، مما أدى إلى أن قفز **عدد المسلمين في أوروبا إلى ٢٥ مليون مسلم** . وكان طبيعياً أن تهتم الدول الأوروبية بمعالجة المشكلات الاجتماعية والثقافية لهؤلاء القادمين الجدد ، وأن تعمل على دمجهم في المجتمع الأوروبي . وقد شهد شهر نوفمبر عام ١٩٧٤م ، مؤتمراً نظمه مجلس أوروبا بالاشتراك مع المؤتمر الدائم لوزراء التعليم في أوروبا لبحث كيفية تزويد هؤلاء المهاجرين بالخبرات اللازمة لاندماجهم في المجتمع الجديد ، سواء كانت هذه الخبرات تعليمية أم ثقافية أم تكنولوجية .

لا توجد مساجد للصلاة

أما عن التعليم الديني الإسلامي لتلك الأعداد المتزايدة من المسلمين ، فلم يلق أي اهتمام من جانب الحكومات والمنظمات الأوروبية . وتبدو خطورة هذا الوضع حينما نرى أن المجتمع المسيحي الأوروبي لديه دائماً مؤسساته القادرة على ربطه بمعتقداته الدينية مثل الكنائس المحلية والمدارس ـ حيث تؤدى الصلوات أثناء فترات الدروس الدينية ـ وكذلك وسائل الإعلام من صحافة وإذاعة وتليفزيون . أما المسلمون الذين يمثلون أقلية ضئيلة داخل هذا المجتمع فهم يفتقدون أي وسيلة من هذه الوسائل التي تقدم لهم الثقافة الإسلامية وتحافظ على ذاتيتهم وتربطهم بالقيم الإسلامية . حقاً توجد بعض **المساجد والمراكز والجمعيات الإسلامية** في كثير من الدول الأوروبية ، ولكن الملاحظ أن جميع المؤسسات ذات إمكانيات ضعيفة ، ولم تستطع حتى الوقت الحالي أن يكون لها دور فعال في التكوين الثقافي للمسلمين في الدول الأوروبية . بل إن الكثير من الدول الأوروبية ما زال يفتقر إلى وجود أماكن مناسبة لكي يؤدي فيها المسلمون الفرائض الدينية والأنشطة الثقافية ، كما يضطر بعضهم إلى الالتقاء ببعض في منازلهم الخاصة لتأدية **الصلاة** والاستماع إلى الدروس الدينية .

وفي غيبة هذه المؤسسات الإسلامية الفعالة لجأ المسلمون إلى وسائل ـ يرى الكثيرون أنها عديمة الجدوى ـ مثل ارسال أطفالهم لحفظ القرآن الكريم ـ بطريقة آلية ـ وتعلم بعض المبادىء الأولية عن الإسلام .

المجلس الإسلامي لأوروبا

في عام ١٩٧٣ م **عقد في لندن أول مؤتمر للمراكز والجمعيات الاسلامية في أوروبا** . وكان من نتائج هذا المؤتمر تكوين « **المجلس الاسلامي لأوروبا** » ، كهيئة عليا تتولى التنسيق بين المراكز والجمعيات الإسلامية الموجودة في كل أنحاء أوروبا .

وتتلخص **رسالة المجلس** في التعريف بالثقافة الإسلامية وزيادة الفهم لمبادىء الإسلام بين أصحاب المعتقدات والثقافات الأخرى . إن إيجاد وسائل من التفاهم والتعاون المتبادل بين المسلمين وغير المسلمين من شأنه أن يقضي على الأفكار الخاطئة عن الإسلام والمسلمين والتي ترسبت في أذهان الغربيين عبر عصور القطيعة بين الشرق والغرب . وتبدو أهمية هذه الرسالة في الوقت الحالي حيث تتزايد العلاقات وتتوطد بين **العالم الغربي والعالم الإسلامي** في المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية .

ومن أجل تحقيق هذه الرسالة يقوم المجلس بعدة نشاطات لعل من أبرزها تزويد الجمعيات الأعضاء داخله بكل وسائل المساعدة الممكنة مثل إنشاء المساجد والمراكز الثقافية وطبع وتوزيع الكتب الإسلامية والعمل على تطوير التعليم الإسلامي . كما يساعد في إنشاء مراكز إسلامية جديدة لنشر الوعي الإسلامي ، وكذلك زيادة فعالية المركز والجمعيات الإسلامية الموجودة فعلاً .

وللمجلس برنامج طموح لنشر الكتب والمطبوعات الإسلامية والتي تساعد المسلمين وغير المسلمين على فهم الإسلام وطريقة معالجته لمشكلات الحياة المعاصرة . ومن أبرز الكتب التي نشرها المجلس باللغة الإنجليزية : **الاسلام وأزمة العالم المعاصر لمحمد قطب ، روح الاسلام لمحمد أسد ، حياة النبي عليه الصلاة والسلام لعبد الرحمن عزام ، القرآن وأثره على التاريخ البشري لمستر بروهي ، وأهداف النظام الاقتصادي الاسلامي لمستر شابرا** .

ويتعاون المجلس مع الدول الإسلامية والحكومات والمنظمات القومية والعالمية من أجل تعميق وتطوير نشاطاتها الإسلامية . وقد كان له الفضل في انعقاد **المؤتمر الاسلامي العالمي بمدينة لندن** في أبريل عام **١٩٧٦** م ، حيث عقد بالتعاون بين المجلس **وجامعة الملك عبد العزيز بجدة** . وتحت عنوان « **الاسلام**

المسلمون في يوغوسلافيا

● يرجع تاريخ دخول الاسلام يوغوسلافيا إلى عام ١٤٦٣م حينما فتح المسلمون بلاد البوسنة .. والهرسك .

● عدد المسلمين في يوغوسلافيا ثلاثة ملايين مسلم .. يتواجدون في أربع جمهوريات هي (جمهورية البوسنة والهرسك ـ جمهورية صربيا ـ جمهورية مقدونيا ـ جمهورية الجبل الأسود) .

● عدد المساجد في يوغوسلافيا (٢٠٣٧ مسجدا) .. وبها معهدان على مستوى الثانوية .

● قام العلماء المسلمون في يوغوسلافيا بترجمة معاني القرآن الكريم باللغة اليوغوسلافية ، كذلك كتاب صحيح البخاري .

● سوف ينشيء المسلمون في «سارابينو» كلية إسلامية .. ومعهدا للبنات .. ومعهدا آخر في «اسكوب» عاصمة مقدونيا .

● في يوغوسلافيا آثار تاريخية من الفنون الاسلامية .. وخاصة الفن المعماري .. فهناك عدد من الجوامع .. والجسور .. والقصور .. والتكايا .. والقلاع .. كما توجد مخطوطات قرآنية .

(المجلة)

وتحدي العصر» تحدث وتناقش الحاضرون في المؤتمر وهم من كبار قادة الفكر الإسلامي والأساتذة والوزراء ورجال السياسة الإسلاميون. وفي يوليو عام ١٩٧٧ م، نظم المجلس مؤتمراً ضخماً حول الاقتصاد الإسلامي، ألقيت فيه الأبحاث والدراسات المستفيضة في مختلف الجوانب الاقتصادية. وفي نهاية المؤتمر طالب الأعضاء بنظام نقدي دولي جديد يتميز بالعدالة، ودعوا إلى اختيار الفكر الإسلامي وتجربة قدرته على تحقيق هذا النظام.

أوضاع المسلمين في أوروبا

وعلى الرغم من النشاط الذي يقوم به المجلس الإسلامي لأوروبا والمراكز والجمعيات الإسلامية، فما زالت تلك الحقيقة ماثلة وهي أن المسلمين يعانون من العزلة داخل المجتمع الأوروبي. وفي أكتوبر الماضي وأمام **المؤتمر الثامن لمجمع البحوث الاسلامية بالقاهرة**، عرض **إسماعيل باليتش** مندوب المسلمين في النمسا بحثاً حول أوضاع المسلمين في أوروبا جاء فيه:

إن النتائج الهزيلة التي تحققها مراكز الدعوة الإسلامية المنتشرة في أوروبا لا تتفق بحال من الأحوال مع الجهود المبذولة والنفقات الطائلة التي تبذل في هذا السبيل. كما أن هذه المراكز لم تستطع أن تبني دعاية طيبة للإسلام، لأنها ممزقة وجهودها متشعبة وتفتقر إلى الترابط والتركيز. وقد أدى ذلك إلى نتيجة في منتهى الخطورة، وهي أن عقائد المسلمين في المجتمعات الأوروبية لن تستطيع الصمود طويلاً في مواجهة المدنية الغربية!!

وفي أوروبا نجد التحيز الجائر والذي يظهر الإسلام لدى الرأي العام الغربي على أنه دين غير ذي شأن بين الأديان. ومثل

الاسلام في رومانيا

● أول مسلم جاء إلى رومانيا.. وعمل على نشر الاسلام فيها هو (سالي سالتيك التركماني) في عام ١٢٦٣م.. وقد استوطن «دوبرودجيه».

● يتواجد المسلمون حاليا في مقاطعة دوبرودجيه.. ومدينة «كونستانزا» التي يوجد بها مركزا لدار الافتاء.. والمقر الرئيسي للمفتي الذي يرجع إليه في جميع القضايا التي تتعلق بالمسلمين.. كما يتواجدون في مدينة «بخارست».. ومدينة «مانغاليا».. ومدينة «المجيدية» التي انشأها السلطان عبد المجيد.. وقرية «تيكيركول».

● عدد المسلمين في رومانيا يتجاوز (٧٠ ألف مسلم).. وأغلبهم من أصل تركي.. وتتاري.. وهم يتبعون المذهب الحنفي.. ويتكلمون التركية.. والرومانية.

(المجلة)

المسلمون في بلغاريا

● يرجع تاريخ دخول الاسلام إلى بلغاريا إلى أوائل القرن العاشر الميلادي (بداية القرن الرابع الهجري) على عهد المقتدر العباسي بعد اعتناق ملكهم (الماس-خان بن سلكي خان) الاسلام.

● نسبة المسلمين في بلغاريا إلى عدد السكان البالغ تسعة ملايين نسبة ١٣٪.

● كان يوجد في بلغاريا مجموعة من مدارس تحفيظ القرآن الكريم.. وبعض المدارس الثانوية الاسلامية بلغ مجموعها احيانا الف مدرسة.. كما يوجد مئات المساجد الكبيرة والصغيرة اندثر أغلبها.. ومن أبرز المساجد الباقية مسجد صوفيا المسمى (مسجد بيوك).

(المجلة)

هذه الصورة عن الإسلام ترجع بطبيعة الحال إلى ظروف تاريخية قضت باتباع سياسة الافتراء والتشنيع ضد الإسلام طوال مئات السنين. وقد أسهم المسلمون أنفسهم - بسلوكهم - في هذا التصور الخاطىء. فالمواطن الغربي يربط بين الإسلام وسلوك المنتمين إليه. والملاحظ أن عدداً كبيراً من المسلمين في أوروبا الغربية هم من العمال. وهؤلاء العمال ليس لديهم ثقافة إسلامية واسعة أو تمسك بالسلوك الإسلامي بحكم أنهم نشأوا بعيداً عن الجو الإسلامي. ولكن المواطن الأوروبي يعتبرهم ممثلين حقيقيين للعالم الإسلامي، ويحكم على سلوكهم على أنه السلوك الإسلامي.

والمسلمون في غربي أوروبا لا يربط بينهم أي نوع من الشعور بالانتماء الجماعي، ولا يوجد أي نوع من التنظيم يوحد بين صفوفهم. فهم لا يجتمعون إلا لمناسبة صلاة العيدين والجمعة في بعض المساجد القليلة، والعناصر الأساسية للتعليم الديني ورعاية الأسر تكاد تكون معدومة تماماً. وهذا يرجع بصفة أساسية إلى أنه **لا يوجد اعتراف رسمي بالاسلام إلا في دولتين اثنتين فقط هما: بريطانيا وبلجيكا!!**

ومن مساوىء عدم الاعتراف الرسمي بالإسلام في المجتمعات الأوروبية أن المنظمات الإسلامية ينظر إليها على أنها قائمة على أسس خاصة بين أفرادها. وهذا يعني أنه لايحق لهم المطالبة بتدريس الدين الإسلامي لأطفالهم في المدارس ولا ينظر إليهم كطائفة دينية من الوجهة الرسمية، وبالتالي لا يستطيعون التصدي لهجمات الساقطين من الكتاب والصحفيين ضد الإسلام. وأيضاً لا يستطيعون تحصيل رسوم خاصة ومنتظمة من الأعضاء للانفاق على المساجد والمؤسسات الدينية أسوة بالرسوم التي تحصل للانفاق على الكنائس.

وبالاضافة إلى ذلك هناك أيضاً الأزمة الاقتصادية الحالية في أوروبا وما أدت إليه من انكماش اقتصادي ، وبالتالي زيادة المشكلات التي يعاني منها المسلمون داخل المجتمعات الأوروبية . لقد أدى الانكماش الاقتصادي إلى اتخاذ عدة وسائل من أهمها الاستغناء عن بعض العمال الأجانب ومعظمهم من المسلمين . وهذه التصرفات التمييزية العنصرية أدت ـ في محيط القلق الاقتصادي ـ إلى زيادة الاحساس لدى العمال المسلمين بوطأة الغربة والخوف من المستقبل .

وفيما يلي نعرض نموذجاً واحداً لما يتعرض له المسلمون في أوروبا من مظاهر التفرقة والتمييز . فقد تقدم أحد المسلمين الأوروبيين ـ والمتزوج من امرأة ألمانية ـ بطلب إلى إحدى الدوائر الألمانية للحصول على الجنسية الألمانية ، وكان نصيب الطلب هو الرفض . أما مبررات الرفض فكانت غريبة حقاً . فقد جاء من بينها : « إن تسمية الأطفال بتلك الأسماء [الإسلامية] يعطي انطباعاً غير مشجع على سيطرة الطابع الأجنبي على عائلة مقدم الطلب . إن المجال الحضاري الإسلامي بعيد في جوهره عن المجال الحضاري الألماني بدرجة تجعل في غير مصلحة البلد المضيف كدولة لها اهتماماتها الحضارية الذاتية أن تضم إليها أشخاصاً قادمين من المجال الحضاري المذكور ليصبحوا جزءاً من المجال الحضاري الألماني » .

المسلمون في تركستان الشرقية

● يرجع تاريخ الاسلام في تركستان الشرقية إلى عهد عبد الملك بن مروان (٨٦هـ-٧٠٥م) .

● عدد المسلمين فيها حاليا ١٥ مليون مسلم .

● تقوم حكومة الصين الشيوعية بتذبيح المسلمين ومحاربتهم .. وقد أعلن رسميا أن الاسلام خارج القانون او يعاقب كل من يعمل به .

● الغت حكومة الصين الشيوعية التي تحتل تركستان الشرقية المؤسسات الاسلامية .. وهدمت أبنيتها .. واتخذت من مساجد المسلمين أندية ومقاه لجنودها .. كما استخدمت بعضها دورا للسينما والمسرح .. والغت تدريس اللغة التركية .. ومادة التاريخ الاسلامي من المدارس والمعاهد واستبدلتها بتاريخ الصين واللغة الصينية .. وتعاليم ماوتسي تونج .. كما استبدلت الكلمات العربية والفارسية الموجودة في اللغة التركية بكلمات أجنبية .. وجعلت اللغة الصينية هي اللغة الرسمية في البلاد ، كما نصبت صينيا رئيسا للحكومة المحلية يساعده أحد أهل البلاد ممن تمرسوا بالدعاية للشيوعية .. وأمعنت في اضطهاد المسلمين بأن أجبرتهم على تربية الخنازير .. والتزاوج مع الصينيين .. واكرهوا العامل المسلم على العمل ١٨ ساعة يوميا .. وحين قامت الثورة الثقافية في الصين كان من ضمن شعاراتها (الغوا تعاليم القرآن) .

(المجلة)

مسؤولية العالم الاسلامي

وحسب تقديرات **العالم الهولندي هيرمانس** فإنه حتى عام **١٩٧٤م ، فقد حوالي ١٠٠ ألف شاب مسلم قادمين من** العالم الإسلامي هويتهم القومية والدينية ، **ويضع العالم الهولندي** المسؤولية في ذلك على البلدان الإسلامية . **وذلك لأن بعض الدول الأوروبية تسمح بادخال تدريس الدين الاسلامي في المدارس مثل المانيا** التي وضعت مادة الدين الإسلامي ضمن منهاج التعلم والتدريس في مقاطعة **نوردراين فيستفالن** . ورغم ذلك لم يتم حتى **الآن تطبيق ذلك عملياً** لعدم توفر مدرسين لمادة الدين الإسلامي . **والبلدان الإسلامية لا تبدي أي اهتمام لسد هذا النقص . ومن جهة أخرى فإن دروس عطلة الأسبوع الدينية والتي ينظمها العمال أنفسهم لا يلقي فيها الدروس متخصصون في الدين بل عمال لديهم نزعات عدائية تجاه كل ما هو أجنبي . وبالتالي يحرضون الأطفال على الانعزال عن هذا المجتمع ويربونهم على نوع من العزلة الفكرية . أما الموظفين الدينيين الملحقين بعدد من السفارات والقنصليات التركية ، فهم مرشدون اجتماعيون أكثر منهم معلمون دينيون** ويتركز نشاطهم في ترتيب أمور الدفن والمساعدة على حل المشكلات الاجتماعية ذات الطابع الديني . إلا أنهم يمثلون رسمياً دولة تركيا العلمانية ولا تجيز لهم الحكومة العمل في مجالات التعليم الديني .

ويشرح إسماعيل باليتش الأبعاد الحقيقية **لمشكلة التعليم الديني** للعمال **المسلمين في أوروبا** فيقول : « إن افتقاد الإرشاد الديني للعمال المسلمين في أوروبا يؤثر تأثيراً سيئاً على وضعهم الفكري والروحي . فهم لا يجدون ـ وهم يعيشون في ذلك المجتمع الغريب عليهم ـ ما يربطهم بتقاليدهم وتراثهم ومعتقداتهم . وبذلك تصبح غربتهم غربة مزدوجة : مكانية وحضارية ، مما يزيد في حدة الأزمات النفسية التي يتعرضون لها . هذا بينما العامل الغربي المسيحي يتلقى الرعاية من قبل منظمات عديدة في إطار المبادىء السائدة في ذلك المجتمع . أما العامل المسلم فيقتصر تعليمه على بعض مبادىء اللغة الأم وجغرافية البلاد والتاريخ القومي ، وهذا هو كل الجهد التربوي المبذول . حقيقة هناك بعض المعلمين تم احضارهم من تركيا ويوغوسلافيا ، ولكن هؤلاء المعلمين ليس لديهم المؤهلات الكافية لتجعلهم قادرين على تفهم سلوك تلاميذهم وخلق الثقة المتبادلة فيما بينهم ، وبالتالي تحقيق الانسجام الاجتماعي بينهم وبين المجتمعات التي يعيشون فيها .

والأدهى من ذلك أن العمال يقابلون هؤلاء المعلمين بالحذر المشوب بالشك، حيث إن هؤلاء المعلمين يأتون كممثلين للسياسة الثقافية الرسمية في مواطنهم الأصلية، مثل يوغوسلافيا اللادينية بل الالحادية وغيرها، في حين أن ولاء العمال المسلمين ديني بحت إلى حد كبير. وعلى الرغم من أنهم تأثروا بعوامل كثيرة عملت على تشويه تفكيرهم وطرق معيشتهم، إلا أن الطابع الديني يبرز بوضوح في شخصيتهم بصفة عامة، ويبدو ذلك من خلال ما أقاموه لأنفسهم - في مراكز تجمعهم - من هيئات وتنظيمات ومدارس وصحف خاصة تهتم أساساً بتراثهم الحضاري والديني في مواطنهم الأصلية.

احترام الشخصية الاسلامية

لقد كانت كل هذه الحقائق أمام أول مؤتمر من نوعه عقد في نوفمبر عام ١٩٧٦ م في ڤينا عاصمة النمسا، لبحث أحوال المسلمين في أوروبا. والمؤتمر نظمته **اللجنة البابوية** للعلاقات الدينية مع الاسلام بدولة **الفاتيكان** وحضره ٣٥ خبيراً أوروبياً من الخبراء الكاثوليك في الشؤون الإسلامية، وهم يمثلون المسلمين والأسقفيات الأوروبية والمجلس المسكوني للكنائس والكنيسة الإنجيلية.

وكان الإحساس السائد في المؤتمر هو ضرورة أن يكون للمسلمين صوت في المجتمع مثل أي أقلية دينية أخرى. كما أعلن المؤتمر في توجيهاته تضامن المسيحيين مع مسلمي أوروبا من أجل حل مشكلاتهم، والتي تتلخص في ظروف الحياة والعمل والمسكن وتعليم الأطفال، وكذلك الصعوبات التي يواجهها الطلبة المسلمون.

وطالب بيان المؤتمر باحترام الشخصية الثقافية والدينية للمسلمين في أوروبا، ووقف عمليات التبشير بين هؤلاء المسلمين، كما اعتبر التعاون بين الكنيسة والطائفة الإسلامية شيئاً مفيداً في حد ذاته وله انعكاساته الطيبة على دول أخرى يتعايش فيها المسيحيون والمسلمون. وأعلنت الكنيسة الكاثوليكية من جانبها أنها تستعد للقيام بحملة في كل الكنائس لصالح العمال المسلمين ومن أجل تفهم أفضل لعقيدة وثقافة المسلمين.

وأخيراً.. وبعد أن قال ممثلو الإسلام في أوروبا كلمتهم وعبروا عن معاناة المسلمين داخل المجتمع الأوروبي، **ما هو الدور الذي يمكن أن تساهم به الهيئات والمنظمات الاسلامية في العالم الاسلامي؟**

المسلمون في أمريكا الجنوبية

● يبلغ عدد المسلمين في «غيانا» ٨٠ ألف مسلم من مجموع السكان البالغ عددهم ٨٠٠ ألف نسمة.

● بها سبع جمعيات تقوم على البدع والخرافات.

● أما جزيرة «ترينداد» فعدد المسلمين فيها يقدر بحوالي عشرة آلاف مسلم من مجموع سكان الجزيرة البالغ عددهم ١٠٠ ألف نسمة.

(المجلة)

هناك عدة مجالات يمكن أن تتحرك فيها **الدعوة الاسلامية في أوروبا**، ولكن من المهم أن يكون نصب أعيننا تحقيق الأهداف التالية:

●● أن تبذل الدول الإسلامية كافة الجهود الممكنة - رسمياً وجماهيرياً - من أجل الاعتراف القانوني بالإسلام في الدول الأوروبية، وبذلك تتساوى الطائفة الإسلامية في كل دولة أوروبية بالطوائف الدينية الأخرى.

●● أن تعمل هذه الدول على وقف جهود المبشرين بين المسلمين في أوروبا، لما لذلك من نتائج خطيرة لا يجب السكوت عليها.

●● نظراً لتفكك العالم الإسلامي سياسياً وعدم وحدة الجهود التي تبذل لنشر الدعوة الإسلامية في أوروبا، فمن الضروري أن نطالب بإنشاء «**منظمة إسلامية**» قوية تشترك في تمويلها كل الدول الإسلامية، وتكون بعيدة عن التيارات السياسية، وتضم نخبة من أفاضل العلماء المسلمين الذين يتولون وضع الخطط لنشاطات المراكز الإسلامية في كافة أنحاء العالم وكيفية نشر الوعي الإسلامي الصحيح بشكل علمي مدروس وبأسلوب يناسب العصر.

وبذلك نكون قد ساهمنا فعلاً في انقاذ هذا الجيل والأجيال القادمة لخمسة وعشرين مليون مسلم يعيشون في أوروبا!!

الاسلام في كوريا

● انقسمت كوريا إلى قسمين احدهما شيوعي في الشمال.. والآخر غير شيوعي في الجنوب وذلك في أعقاب الحرب العالمية الثانية.

● وكوريا الجنوبية «غير الشيوعية» يبلغ عدد سكانها حوالي ٣٠ مليون نسمة.. معظمهم لا دين خاص لهم.. والذين اعتنقوا المسيحية بتأثير التبشير المسيحي الجاد وانفاق ملايين الدولارات يتراوح عددهم بين العشر الى السدس من السكان.

● خمس سكان كوريا الجنوبية بوذيون.. ومجوس.. والبقية ليس لهم دين خاص.

● قبل عام ١٩٥٢م لم يكن في كوريا مسلمون.. ثم أسلم فيها بعد أشخاص قليلون أخذوا يتزايدون إلى أن بلغ عددهم الآن حوالي ٢٠٠ مسلم.

● تعتبر كوريا الجنوبية حاليا أرضا صالحة ومناسبة للدعوة إلى الاسلام.

(المجلة)

قصة قصيرة

بقلم: حسن محسب

مسألة خاصة

هبت رياح حارة .. هوجاء .. فأثارت سحابات كثيفة من الرمال، وغطت بيتنا الخشبي، وجعلت نوافذه تهتز باضطراب .. وازداد فزعنا، وأخذنا نرقب الأفق من خلف شبكة سميكة من المسلك الضيق الفتحات، ولفنا صمت ثقيل. وأخافنا عواء الذئاب المختلط بنباح الكلاب وثغاء الشياه، وعويل الإبل .. وصيحات التحذير المتبادلة بين الرعاة من رجال ونساء البدو المتناثرين هنا وهناك حول منزلنا الخشبي .. الذي بدأ يهتز تحت قسوة العاصفة.

كنا قد وصلنا الى هذه الواحة النائية، في الصحراء الغربية .. لكي نقوم بمهمة رسمية لمدة شهر أو شهرين على الاكثر، ولم يكن في الحسبان أن تطول الايام بنا – في الفرافرة – لتصل الى نصف العام .. وأصبحت أنا – على وجه الخصوص – اكثر تشاؤماً .. وازداد يقيني من اننا لن نعود مرة اخرى الى القاهرة .. ولست ميالاً بطبعي للتشاؤم .. لكن جفاف الحياة في عمق الصحراء، وتزايد العقبات والمشاكل أمامنا يوماً بعد يوم زرع اليأس في قلبي .. وان ظل عقلي قادراً على استعادة قدرته الغامضة على التفكير .. هذا ما أدعيه لنفسي على الاقل .. منذ وصلت الى الثلاثين من عمري، في العام الماضي، وكنت يومها – أؤمن بحكمة هندية تقول: **ان التعقل يدفع الانسان الى المناصب الرفيعة، وان المناصب الرفيعة تتلخص في اجادة العمل أياً كان شأنه، وان العمل باتقان يفتح مناهل الثروة .. وان الثروة تثمر للانسان الصبور: خيراً وسلاماً»** .. وخيل الي في البداية ان هذه الحكمة

الهندية يمكن أن تتساوى تماماً مع اقامة بيت للزوجية السعيدة، وتفتح امامي ابواب الاستقرار، ولكنني منذ حوصرت في واحة الفرافرة النائية، فقدت صلتي بأمي وأبي و .. خطيبتي .. ثم وصلني – فجأة – خطاب واحد انهت فيه خطيبتي كل علاقاتنا السابقة واللاحقة. وشرحت لي – في وجه الورقة وظهرها أيضاً – تلك الحيثيات. وذكرت عشرات الأسباب التي يمكن أن تخطر على البال – أو لا تخطر بالمرة – وخلاصة الموقف الآن – على حد قول رئيس بعثتنا الوقور جداً – أنني صرت وحيداً حتى من الحب .. نعم .. فقد كنت أحب «**عايدة**» – هذا صحيح .. لكنني – وبعد ان صدمتني بخطابها المشئوم، اقتنعت تماماً بأنها ليست أهلاً لحب انسان مثلي .. لقد اعترفت لها – قبل السفر – بأنني حرمت نفسي، وبالذات قلبي من كل متعة متاحة او مباحة .. وكتبت لها من الفرافرة – اعترافاً جديداً – فقد كدت أنحت لها صومعة في باطن التلال الصخرية – التي تقف الآن كالشبح في اطراف الواحة! .. وقررت أمس بيني وبين زملائي ان أفكر جدياً في الزواج من ابنة شيخ القبيلة التي يقع مشروعنا في ديارها .. وضحك زملائي طبعاً. ونهض اطولنا قامة، وأخفنا دماً، وأعلانا صوتاً .. وأقصد به طبعاً «**فتحي السمري**» .. وارتجل قصيدة عصماء مطولة ينعي في أبياتها حياة المأسوف على شبابه «**حسام الدين القرنفلي**» .. وهذا هو اسمي المتواضع جداً..

ثرت معترضاً على اضطهاد زميلي فتحي .. واتهمته بأنه يصر على تحطيم كل احلامي .. ثم سألته:

* هل لك شقيقة حسناء

ضحك وقال

* نعم .. لكنني لن أغامر بتزويجها لواحد مثلك

اعتبرت المسألة، اهانة مقصودة. واعلنت اعتراضي التام .. وقلت لهم جميعاً:

—أنا مضطر لمهادنتكم .. واحتمال سخافاتكم .. لأنني في حاجة الى ذهابكم معي الى الحاج قنديل شيخ القبيلة .. وأضفت محرجاً من صمتهم المريب:

* واذا كان أهلي في القاهرة .. فأنتم أسرتي .. فأرجوكم لا تتركوني أجتر احساسي باليتم و..

لابد أن صوتي كان عالياً .. وانني تكلمت كثيراً .. لانني شعرت فجأة بجفاف حلقي، وبألم رهيب يدق رأسي. وبحثت عن مسكن ولم اجد .. وأعطاني «السمري» قطعة من نبات الصبار فمضغتها ليخف الدوار .. وقهقه السمري، وأعلن بصوته الجهوري المخيف:

أيها السادة أعضاء بعثة الكشف عن آثار النهر القديم .. في واحة الفرافرة يهمني أن أنبهكم من الآن – انني غير مسؤول عن تصرفات السيد حسام الدين القرنفلي .. لكنني من باب الانسانية فقط .. اعلن تعاطفي مع حسام القرنفلي لأن خطيبته خدعته. فصحت غاضباً: من فضلك .. هذه مسألة خاصة وأنا امنعك نهائياً من..

أضاف السمري:

خذوا حذركم .. وتوقعوا أشد النكبات التي سوف تقع على رؤوسكم جميعاً لو تهاونتم .. فنحن في مهمة رسمية. وقد تأخرنا فيها كثيراً .. ولا مكان هنا للعبث او الاستهتار .. واذا لزم الامر فسوف أقتل السيد حسام الدين القرنفلي اذا أصر على تهوره وأغضب شيخ القبيلة الذي يقوم..

لم أتركه يكمل تحذيراته الفارغة، لأنني قفزت لأعلى – بكل ما في حياتي من قوة الحرمان، والضيق، وخوف من العاصفة الرملية الكاسحة، وتعلقت في رقبته ودفعته الى جدار بيتنا الخشبي .. وكدنا نحطم الدنيا الصغيرة التي صنعناها سوياً بصبر وحب ذات يوم منذ نصف عام وبضعة أيام و.. ..

أضطر رئيس بعثتنا – الوقور – أن يتدخل ويأمرنا بالكف فوراً عن هذا العبث الصبياني – ومن المؤكد أنه كانت لدي الأسباب الكافية للكف فوراً عن العراك .. أحد هذه الاسباب – مثلاً – أن حجم فتحي السمري ضعف حجمي مرتين .. لكن المؤكد أنني كففت عن محاولة ضربة لسبب قد يبدو لكم غريباً، وهو: انني اكتشفت فجأة ان رئيس البعثة – الوقور – لم يتخلص أبداً من رباط عنقه .. الوحيد .. رغم ما أصابه من العرق والتراب والرمال .. وكدت أصارحه بدهشتي. لكنني كنت يائساً من قدرتي على اضحاك نفسي ذات يوم قريب..

وبشكل مباغت أعلن لنا سكرتير البعثة – **الأستاذ محمود علي** – ذو النظارة الطبية السميكة – ان العاصفة الرملية سوف تتوقف قبل صلاة العشاء .. كانت هوايته الوحيدة القيام بعمل مصلحة الارصاد الجوية، ويظل واقفاً في صهد الشمس – في الايام التي تخلو من العواصف أو الامطار – وهو يطير أوراق الازهار البرية شمالاً ويميناً ليكتشف لنا اتجاهات الرياح أو يتنبأ بمواعيد الهبوب – كما حاول عدة مرات أن يوهمنا أنه يملك اخطر انف على ظهر الارض. وان حساسيته في دقة احدث الأجهزة الالكترونية لكنه عجز في كل مرة عن أن يتنبأ بتقلبات الجو .. ومع ذلك اضطررت – أنا على الأقل – ان اصدق محمود .. بل اقتربت منه وداعبت أنفه بسبابتي وقلت في توسل ورجاء:

أعد محاولة الشم من أجلي .. وجه أنفك في كل الاتجاهات الاصلية والفرعية واخبرني .. هل ستتوقف العاصفة فعلاً قبل صلاة العشاء أم لا؟..

لكنه لأمر ما .. ثار في وجهي وأعلن انني انسان مختل العقل، ومتشكك في مقدرته على الدوام. وزاد الطين بلة - كما يقولون - واخبر الجميع، انني سأثير زوبعة اخطر من كل زلازل الدنيا - اذا غامرت وتقدمت **للحاج قنديل** طالباً يد ابنته المحترمة .. وان ذلك سوف يؤثر حتماً على مهمتنا، وسيعطلنا في البحث عن مجرى النهر القديم..

وأضاف فتحي السمري «تأكيداً لتقدير «محمود علي»

وحيث ان بحثنا عن آثار النهر القديم، مهمة تتصل بخطط التنمية وتتعلق بتطوير اقتصادنا وحياتنا بشكل عام، فان تعطيلنا عن تنفيذها ولو ساعة واحدة يعتبر - بالتأكيد - خيانة وطنية .. وسوف يكون الامر في غاية الخطورة وقد تنتهي المسألة كلها بأعدام السيد المحترم حسام الدين القرنفلي لانه تسبب في .. ومن جديد ضحك الجميع، وازدادت احزاني، ودخلت حلقي كمية اكبر من رمال العاصفة التي تخترق الفواصل الموجودة بوضوح بين ألواح الخشب في جدران وسقف وارضية بيتنا المتواضع الذي صنعناه كله من خشب النخيل.

كنا قد مللنا الانتظار، ومللنا الكلام .. لكنني لم أمل التفكير في حياتي .. واحلامي الخاصة .. انني في هذه الواحة المحاصرة بالرمال والهضاب والمكشوفة على الدوام لنزوات العواصف والأمطار. أشعر بالرغبة الشديدة في ان أحب .. أن أقع في مغامرة عاطفية عاصفة .. تزلزل جسمي .. تزيل صدأ العقل والقلب .. تجدد حياتي .. ولكن مثل هذه الامنية محكوم عليها بالاعدام الفوري في لهيب الصحراء .. وتقاليد القبائل المحيطة بنا من كل جانب .. حاولت .. حاولت طوال الشهور الماضية أن أقوم بغزوات عنترية، وان اقلد أشعار **قيس بن الملوح** .. وان انافس **جميل بثينة** وان اعيد أمجاد **ابن زيدون** أو **فارس بني حمدان** .. لكنني فشلت في اختراق سياج الخيام المضروبة على مسافات شاسعة من الرمال. كما فشلت في تسلق سيقان النخيل المزروعة في مربعات ومستطيلات ضخمة حولنا. وتكسرت كل محاولاتي للتقرب الى رجال وشباب وفتيات القبيلة .. حتى اولئك الذين غرتهم ثرواتهم الكبيرة التي جمعوها من أثمان التمر والبلح والعجوة .. وبنوا بيوتا من خشب النخيل في جانب مرفه .. فوق هضبة الواحة - حتى هؤلاء الذين ظننتهم متحضرين اكثر عجزت عن التفاهم معهم .. وكثيراً ما ادعيت لهم انني اجيد ركوب الخيل، او قيادة الجمال والنوق وصغارها الشاردات.

لكنني في كل مرة كنت أصاب بجراح أوكسور خفيفة من جراء المحاولات والاكاذيب. وكنت ازداد انطواء على نفسي - لكنني - وهذا شئ عجيب - كنت أحاول واعاود المحاولة بلا ملل، بل في عناد اغلب الاحيان .. فقد كنت اخشى الملل واخاف الغربة .. هذه أول مرة في حياتي اغترب فيها عن أمي وأبي واخوتي وأخواتي .. كنت منذ طفولتي أكره التنقل .. كالطير بلا اجنحة .. أحياناً اتفاخر مثلما يفعل الكتاكيت حول امهاتهم .. لكنني أبداً لم أكره الحب .. بل اظنني عشت حياتي كلها ابحث عن حب صادق يملأ حياتي الخاوية .. يجعلني ازداد نجاحا .. يجعلني اصلح لشئ ذي قيمة في هذه الحياة .. وكان حبي الاول هو الاخير .. ودعوت الله ان يعفو عن حبيبتي عايدة .. اقصد .. خطيبتي التي ارسلت الى قرار انهاء خطوبتنا بالبريد الجوي المستعجل الى واحة الفرافرة، وازعجت - بخطابها كل السلطات المحلية في القاهرة والاسكندرية ومرسى مطروح والوادي الجديد - وربما قنا وأسيوط أيضاً - لكي يدبروا أفضل وسيلة ممكنة لارسال خطابها هذا مع أية طائرة هليوكبتر تتجه للوادي في اقرب فرصة، مع ما يلزمنا من طعام وفواكه وصحف ووعود بعلاوات ومكافآت مالية اذا ما عثرنا على أية آثار تكشف عن ذلك النهر القديم..

بحثت عن خطاب عايدة .. كنت أريد ان اعيد قراءته .. كنت اظن انني سوف اعثر على سبب واحد يقنعني برفضها المفاجئ لحبي .. لزواجنا .. كانت - المجنونة - تشاركني احلامي .. كانت متأكدة من نجاح مهمتي في واحة الفرافرة .. وكانت تعدني بالانتظار .. والصبر .. وتدعوني للاحتمال .. وفي ليلة السفر اقسمت لي أن فرحنا لابد ان يكون اعظم افراح الدنيا كلها .. فلماذا نسيت كل هذا .. مرة واحدة .. لماذا حقاً؟

اقتربت من زميلي **محمود علي** ونظرت الى أنفه .. والى نظارته الطبية السميكة .. وكان بجواره .. **فتحي السمري** .. وصارحتهما بمأساتي .. وفجأة .. انهمرت الكلمات منهما .. تسابقاً في رواية قصص متشابهة عن حبهما المفقود .. عن خطيبة هاجرة .. عن احلام مؤجلة .. فصرخت:

كفى .. ارجوكم .. لم يعد لدي متسعاً للاخرين .. فقط ساعدوني .. كونوا أسرتي وأهلي .. وعشيرتي .. وقبيلتي .. واذهبوا معي - ارجوكم - الى خيمة الحاج قنديل .. لاخطب ابنته..

قال محمود، وهو يعدل من وضع نظارته الطبية السميكة فوق أنفه الشهير:

سوف اذهب معك .. والامر لله .. فالعمر واحد، لكن **فتحي السمري** قال شيئاً كاد يحطم احلامي كلها:

ومن أين لكم بالاغنام والابل والماعز واكياس النقود والسيف المذهب او المفضض .. والجياد الاصيلة ذات الصهيل الشجاع.

.. كانت الصدمة في عنف العاصفة التي تكاد تقتلع بيتنا الخشبي .. لقد نسيت تقاليد البدو هنا .. منذ شهرين فقط، دعانا الحاج قنديل لحضور زواج كبرى بناته ورأينا العريس يقدم مائة رأس غنم، وخمسين من الماعز، وعشرين جملاً وناقة، وكيساً مملوءاً بالنقود الفضية ذات الرنين، و.... شحب وجهي، لابد أنه شحب، لان **فتحي السمري** رش جردل ماء على وجهي وصفعني لكي افيق من أغمائي .. واخيراً قلت:

—الامر .. لابد .. يختلف معي .. فأنا غريب هنا .. ولا أملك حتى مرتبي الذي حولته لاسرتي في القاهرة..

قال محمود، وهو يخلع نظارته حتى لا يراني:

اذن .. انس الموضوع نهائياً..

وعاد فتحي السمري يؤلمني .. قال:

عندي اقتراح

قلت صائحاً:

موافق .. ما هو؟ ..

قال: تسرق عدداً من الاغنام والماعز و....

رفضت الاقتراح، وكدت اتعارك معه مرة أخرى .. وقلت:

صديقي محمود .. ادفع أنفك المحترم اذا سمحت .. وحركه في جميع الاتجاهات .. واكشف لي عن حال الطقس الآن .. وأسرع محمود الى حافة النافذة والى الباب .. ونظر بين الواح خشب النخيل .. وابتلع كميات من التراب والرمال، وحاول أن يرى الأفق النهائي وسط زوابع العاصفة الجامحة، وأخيراً استدار مرهقاً، وقال بصوت يخنقه التراب.

انها عاصفة غادرة ياحسام الدين .. ثق انها سوف تستمر الى الصباح .. أكيد سوف تنتهي في الصباح .. صدقني..

اندفعت نحو الباب، وفتحته، وهرولت الى الصحراء تدفعني العاصف بعنف وترميني فوق الصخور، وبين الكثبان، وتحملني بقسوة لأصدم بحافة الهضبة الصخرية المخيفة وتلصقني بجذع نخلة ولكنني لم أتوقف .. اجتزت مضارب البدو .. وتعثرت في أوتاد خيامهم وطاردتني كلابهم الأمينة، وامتزج نباحها بعواء الذئاب واصوات مفزوعة متداخلة من الاغنام والجمال والخيول والرجال والنساء والاطفال، ولامني شاب بدوي صلب العود لأنني صدمت بحبيبته الشابة البدوية التي لمعت عيناها بفزع عندما رأت وجهي، واخفت رأسها داخل عباءتها عندما اعتذرت واسلمت جسمي النحيل لاذرعة أخطبوط العاصفة المجنونة، وحملتني على بساط خشن سميك مصنوع من الرمال والتراب والزلط الطائر بعنف الرياح الصارخة في ارجاء الواحة .. لكنني سقطت الهث وقد ارهقتني صفعات العاصفة ورمالها، وأخذت أعض في الرمال، وكدت ابتلع زلطة ملساء باردة، فبصقتها بضيق، ونهضت أشد اصراراً على الوصول الى خيام الحاج قنديل شيخ القبيلة واخيراً رأيت جذع نخلة تهتز في العاصفة فاحتضنته، وتشبثت به، وعواء مجهول رهيب يحاصرني ويعتصر قلبي واخيراً تعثرت في حبال خيمة ضخمة، وسمعت صوتاً غليظاً ينهرني — من أنت؟..

صحت بفزع:

حسام الدين .. عضو بعثة البحث عن..

قال الصوت بغضب:

لن تجدوا أي اثر للنهر القديم .. لن تجدوا .. قلت:

من يدري .. ثم اننا لابد ان ..

قال بملل:

منذ وصلتم الى هنا .. والعواصف والزوابع تصب علينا غضبها .. عودوا الى بيوتكم .. دعونا في حالنا .. فلدينا ما يكفي من عيون المياه .. ولنا في حاجة الى نهركم القديم الذي تركنا — بجبن وخسة — نواجه العطش وحدنا:

حاولت الدفاع عن كل احلامي .. قلت بعناد:

لو أعرف من أنت .. لشرحت لك أشياء كثيرة عن هذا النهر المفقود .. اننا لو عثرنا على آثاره .. فسوف نرتب على ذلك مشاريع ومشاريع .. سوف تستقيم في أيدينا وعقولنا أشياء اكثر مما يخطر على البال .. لكن..

قاطعني الصوت التائه في دوامات الرمال والتراب والرياح:

أنا لا اعرف ياولدي ما تعرفه أنت .. لكنني أكاد أفقد صبري .. المهم .. اعطني يدك حتى لا تقذفك العاصفة الى جوف البئر القريبة.

ازداد فزعي .. استيقظ خوفي .. صرخت، اخذت احاول اختراق جدران العاصفة السميكة بعيني ويدي وقدمي لكي اقترب من محدثي .. أخيراً لمسته .. أمسكت بذراعه .. كان على مسافة متر واحد مني .. صحت به:

لا تغضب منا .. اننا لم نحمل العواصف والزوابع معنا .. وحاول ان تفهمني .. إن هذا النهر القديم لوكشف لنا عن مجراه المجهول الغامض .. فسوف تنقلب الحياة هنا .. سوف تمتلئ

الصحراء بالخير بلا حدود .. و..

قال الرجل في قنوط واضح:

اعرف هذا ياولدي .. لكنني اخاف من احوال الدنيا هذه .. الجفاف طالت ايامه .. والشعير لم يزرع بعد .. وهذه العواصف تكاد تردم كل آبار وتفسد مياهنا..

وصمت لحظة ظننتها دهراً طويلاً .. ثم أضاف:

آه لوكان حلمكم حقيقة .. آه لو ظهر النهر القديم هذا .. وآه لو عرفنا كيف نمد ذراع النهر الخاص بكم هناك .. الى هنا .. و..

تنهد الرجل، أو اختنق صوته بتراب العواصف، فصمت .. قلت:

هذا عظيم .. لكن قل لي .. هل خيام الحاج قنديل .. قريبة من هنا؟

فسألني بصوت لاهث مخنوق:

وماذا تريد منه ياولدي

قلت بارتباك والتراب يملأ حلقي وعيني وانني بلا رحمة:

أريده في مسألة خاصة جداً..

فقال:

انه .. أنا ..

صحت: أنت

وأسرعت احاول تقبيل يديه، احتراماً لمهابته وسنه .. فهو أكبر من أبي بعشرين سنة على الأقل، لكن شعره الاشيب الجاف المعفر حال بيني وبين تقبيل وجهه او جبهته .. فقلت:

لقد دعوت نفسي على العشاء عندك ياحاج:

قال:

على الرحب والسعة ياولدي ..

ثم سألني ونحن نتجه الى الخيمة:

هل الجوع حل بكم ياولدي .. أين زملاءك

قلت: في البيت

قال: اذن هيا معي .. لنحمل لهم بعض خيرات الله .. هيا

أمسك الرجل بذراعي في قوة حالت دون وقوعي، ثم سندني بذراعين عندما تعثرت في حبال خيمته، ودخلنا الى رحابه، فشعرت بالامان واعطاني اناء من لبن الغنم فابتلعته في جرعات سريعة ثم قلت:

أنت مثل والدي .. وتعرف أنني – مثل زملائي – غريب هنا لكن..

قاطعني الرجل بأبوة حميمة، قال:

انكم جميعاً ابنائي منذ حللتم بدياري .. والآن .. صارحني .. هل انتم في ضائقة؟ .. انني وأهلي وعشيرتي مسؤولون عنكم أمام الله .. هذا هو واجب الضيافة ياولدي .. فاطلب ما تشاء انت وزملاءك .. طعاماً .. مالاً .. أرضاً .. أغناماً .. ابلاً .. ماعزاً .. خياماً .. سيوفاً .. جياداً .. كل ما نملكه لا يغلو عليكم أبداً..

استبشرت خيراً، وتشجعت، وقلت:

انني اطلب يد ابنتك .. أريدها زوجة على سنة الله ورسوله ياحاج قنديل.

صمت الرجل قليلاً .. وادار وجهه بعيداً عني .. وسيطر صوت العاصفة الغاضب علينا .. وسمعت همهمات، نساء وأطفال خلفي مباشرة .. ثم سألني:

ومن أدراك ياولدي أن لي ابنة اخرى.

قلت .. وأنا اشجع نفسي، مستعيناً بالظلام وضجيج العاصفة:

رأيتها .. يوم زواج ابنتك الكبرى ..

سألني بانزعاج:

رأيتها!

قلت:

كانت ترقص بالسيف مع صويحباتها .. يوم الفرح .. كانت رائعة وعظيمة وساحرة .. ولقد وصفت جمال عينيها السود لأبي و..

صمت فزعاً .. فقد تذكرت فجأة، انني كتبت ايضاً الى خطيبتي عايدة، اصف جمال بنت الحاج قنديل، واتغزل في سحر عينيها وفتنتها الطاغية وبراعتها في رقصة السيف و.. نهضت مرتبكاً .. فصدمت رأسي بالخيمة، وجلست وتلعثمت .. واخذت أكرر قولي:

على سنة الله ورسوله ياحاج .. انني في أشد الحاجة الى من يؤنسني .. ويشد من أزري .. اريد أن أشعر بانني احيا .. انني - اخاف البقاء وحيداً .. الاحساس باليتم يخنقني و..

قال الرجل فجأة:

هيا بنا .. سوف اصحبك الى بيتكم الخشبي .. وبالمناسبة .. اتعرف ان اطفالنا يتندرون ببيتكم هذا .. يظنونه اعجوبة .. وليتكم تستعملون الخيام فهي اكثر امناً في وقت العاصفة والأمطار و.. خرجت معه في صمت، فوجئت به يحمل طعاماً كثيراً على ذراعيه وصدره وكتفه، سرت بجواره، اخترقنا صفوف الخيام المتناثرة .. مررنا بمئات الاغنام والابل والماعز والجياد القلقة في عنف العاصفة، وصحبتنا عدة كلاب في حراسة أمينة .. حين اقتربنا - من البيت الخشبي .. اعطاني الحاج قنديل ما يحمله من طعام .. عيش الشعير برائحته التي لا تضيعها أعتى العواصف، زلعة ممتلئة زبداً، قربة من جلد الخراف يترجرج فيها اللبن الحليب .. وشد على يدي بقوة وصلابة ومودة .. وقال:

ما كان يصح ياولدي أن تسمح لنفسك بإطالة النظر الى ابنتي.

أسرعت أقول في ارتباك:

لكنني شريف القصد والنية ياحاج.

فقال:

الله اعلم بما في الصدور .. لكنني أريدك أن تعرف شيئاً عن حالنا وطباعنا هنا .. اننا ياولدي نمنع البنات عن الاولاد .. ونبعد الحريم عن الرجال .. لكنني لا أسمح بزواج بين اثنين، الا اذا قام الدليل على قبولهما كل للاخر .. ومن طباعنا ايضاً ان يثبت العريس لاهل القبيلة جميعاً، أنه فارس صنديد، يقدر على انتزاع عروسه بحد السيف من بيننا جميعاً .. وبيني وبينك .. نحن نتساهل احيانا في هذا الشرط - خاصة اذا رأينا العروس تقذف نفسها على جواد عريسها لتسهل له عملية انتزاعها من بيننا.

وضحك الحاج قنديل، واخذ يداعب شعرات ذقنه وهو يرمقني بنظرات لم تحل العاصفة الرملية بيني وبين رؤية عمقها، ثم سألني:

هل يطول بحثكم عن النهر القديم ياولدي؟

قلت:

ربما .. لكن تأكد أننا لن نرحل قبل أن ..

قاطعني وهو يعيد مصافحتي:

على بركة الله .. وسوف ارسل لكم شباب القبيلة غداً ليعاونوكم .. فهي مسألة حياة أو موت لنا جميعاً كما ترى ياولدي.

وانصرف مسرعاً .. بخطوات ثابتة لا تهزها العاصفة الرملية الهوجاء، واخذت أنا ارتب الاجابات التي يجب أن اقولها رداً على سيل الاسئلة التي سوف يحاصرني بها زملائي و.. فجاة سمعت صراخ محمود:

العاصفة تزداد عنفاً .. العاصفة تستمر لمدة .. ..

وكدت اقول لهم جميعاً، انني فشلت في مهمتي .. وانني احاول اقناع نفسي بعدم العودة للقاهرة .. وانني يجب ان اتعلم الفروسية و.. لكنني وجدتهم يحاولون باستماتة ان يمنعوا بيتنا الخشبي من الانهيار امام هبوب العاصفة التي ازدادت ضراوة، واخذت تزأر بتوحش، وهي تهز البيت وتبعثر في أجزائه المصنوعة من خشب النخيل .. وأسرعت اجمع مع زملائي الواح الخشب المتطايرة.

الحرب

قصة: لوجي برانديللو ● ترجمة: اليس مرجان

كان على المسافرين الذين تركوا «**روما**» في قطار «**الاكسبريس**» الليلي أن ينتظروا في محطة «**فابينو**» الصغيرة حتى الفجر ليواصلوا رحلتهم في عربات قديمة لتنقلهم إلى الخط الرئيسي إلى «**سلمونيا**».

وعند الفجر حيث أمضى خمسة رجال ليلتهم ركبت سيدة ضخمة ككتلة لا شكل لها ترتدي ملابس الحداد، يتبعها زوجها لاهثاً، رجل رفيع ذو وجه شاحب وعينان ضيقتان لامعتان يبدو عليه القلق.

وعندما استقر في مقعده شكر الرجال على مساعدتهم له ولزوجته.. التي أفسحوا لها مكاناً.. ثم التفت إلى زوجته محاولا أن يخفض لها ياقة معطفها.. وسألها بأدب: «**هل أنت بخير يا عزيزتي..؟**» وبدلا من أن تجيبه الزوجة على سؤاله رفعت ياقة معطفها ثانية لتخفي وجهها.

«**عالم سيء**» تمتم الزوج بابتسامة حزينة ثم شعر أن من واجبه أن يشرح للمسافرين ان امرأته اليائسة تستحق العطف لأن الحرب قد انتزعت منها ابنها الوحيد، شاب في العشرين كرسوا له كل حياتهم حتى إنهم تركوا منزلهم في «**سلموينا**» ليتبعوه إلى «**روما**» حيث كان ينبغي عليه أن يكون ليكمل دراسته ثم سمحوا له بالتطوع في الحرب متأكدين أنه لا يمكن أن يرسلوه إلى الخطوط الأمامية في خلال ستة إشهر.

المرأة ذات الياقة الكبيرة تزمجر مثل حيوان متوحش وتشعر تماماً أن كل هذه التعليقات لن تثير عطف هؤلاء.. فهم يعانوا نفس المأساة.

لكن واحد ممن كانوا يسمعون كان يصغي باهتمام ثم قال:

«يجب أن نشكر الله أن ابنك يرحل الآن فقط إلى الميدان أما ابني فقد أرسل إلى هناك منذ اليوم الأول للحرب.. وعاد جريحاً مرتان.. ثم عاد ثانية.. وقال راكب آخر: أما أنا فلي هناك ابنان وثلاثة أولاد عم.

انطلق الزوج قائلاً: «ربما ولكن ولدنا الوحيد»!!

- «ما الفرق» أكمل الرجل الأول.. «ربما تفسد ابنك الوحيد برعايتك الزائدة ولكن لن تستطيع أن تحبه أكثر من أولادك الآخرين إذا كان لديك عشرة.. **إن الحب الأبوي ليس كالخبز الذي يمكن أن تقسمه إلى أجزاء لتعطي أولادك أنصبة متساوية**.. إن الأب يعطي كل حبه إلى كل واحد من أبنائه بلا تمييز سواء أكانوا واحداً.. أو عشرة، وإذا كنت أعاني الآن من أجل أولادي الاثنين فأنا لا أعاني النصف لكل واحد منهم.. ولكن الضعف...».

«حقاً.. حقاً» تنهد الزوج المهذب.. ولكن إفترض.. ولو أننا لا نرجو أبداً أن يحدث ذلك.. افترض أن أباً له ولدان في المقدمة وفقد واحد منهما - فلا زال هناك واحد آخر - ليعزيه ويريحه.. بينما...».

«نعم.. فعلاً» أجاب الآخر واقترب أكثر ليصغي «ابن يبق ليعزيه ويفرج عنه وينبغي على الأب أن يعيش من أجله.. بينما في حالة الأب الذي له ولد واحد إذا مات هذا الابن فإن الأب سيموت أيضاً ليضع نهاية لأحزانه.. فأي الحالين أسوأ..»؟

«.. ألا ترى أن حالي سيكون أسوأ من حالك..»؟

«مستحيل».. قالها راكب آخر له وجه ممتلىء وعينان بلون الدم وشعر يملؤه الشيب، تكلم الرجل وكأنه يلهث من التعب، أما عيناه الحمراوان فكأنهما سينفجران من ضغط قوة داخلية لا يستطيع جسده الضعيف أن يتحملها.

«**مستحيل**» قالها ثانية محاولا أن يغطي فمه بيده ليخفي أسنانه الأمامية المفقودة «**فهل نهب أطفالنا الحياة لمنفعتنا الشخصية..**»؟

وحملق فيه الجميع.. وتنهد الرجل الذي أرسل ابنه إلى المقدمة في اليوم الأول من الحرب قائلاً: «إنك على حق.. إن أولادنا لا ينتمون إلينا، بل ينتمون إلى الوطن..».

- «هراء» رد المسافر ذو العينين الحمراوين «**هل نفكر في الوطن عندما نعطي أولادنا الحياة..**»؟



إن أولادنا يولدون لأن . . حسناً إنهم يجب أن يولدوا . . وعندما يأتون إلى الحياة فإنهم يأخذون حياتنا معهم » .

« هذه هي الحقيقة . . نحن ننتمي إليهم ، ولكنهم أبداً لن ينتموا إلينا . . وعندما يبلغون العشرين يصبحون تماماً كما كنا نحن في مثل أعمارهم » .

« نحن أيضاً لنا آباء وأمهات . . ولكن هناك أشياء أخرى كثيرة ، البنات . . والسجائر . والاوهام والروابط الجديدة والوطن بالطبع ونحن لن ننسى إلى أي نداء اندفعنا عندما كنا في سنهم في العشرين حتى لو رفض الآباء والأمهات » .

« والآن . . ونحن في سننا هذا ، حبنا للوطن ما زال عظيما بالطبع . . ولكن الأقوى هو حبنا لأولادنا » .

« أليس كل واحد منا يتمنى وبكل سرور أن يكون مكان ابنه في المقدمة . . إذا كان ذلك ممكناً . . » .

وساد الصمت بينهم . . وهز كل واحد رأسه موافقاً . .

ولكن لماذا إذن . . ؟ استمر الرجل ذو العينين الحمراوين في الحديث قاطعاً صمت الجميع .

« لماذا إذن لا نحس بمشاعر أولادنا وهم في العشرين أليس من الطبيعي في مثل سنهم أن يهتموا بوطنهم - إنني اتحدث عن الأبناء المهذبين بالطبع - أكثر من اهتمامهم بنا » .

أليس من الطبيعي أن يكون ذلك . . وأيضاً يجب عليهم فوق ذلك أن ينظروا إلينا كأولاد كبار لا نستطيع التنقل والحركة أكثر من ذلك » .

« بل يجب أن نستريح في منازلنا » **وإذا كان الوطن يجب أن يعيش وأنه ضرورة طبيعية مثل الخبز الذي يجب أن يأكل منه كل منا حتى لا يموت جوعا . . إذن يجب أن يحمل بعضا منا عبء الدفاع عنه وقد ذهب أولادنا عندما بلغوا العشرين وهم لا يريدون منا الدموع لأنهم إذا استشهدوا فسيكونون سعداء . . إني ما زلت اتحدث عن الأولاد المهذبين طبعا .**

والآن إذا مات إنسان صغير وسعيد بدون أن يرى الجانب القبيح من هذه الحياة ، دون أن يرى ملل الحياة وأعبائها - حضارتها وخيبة الآمال فيها - ماذا نطلب من أجله ؟

« أيها الأصدقاء . . يجب أن يكف كل منا عن البكاء والصراخ . . يجب أن يبتسم كل منا كما افعل أنا ، أو على الأقل أن يشكر الله أيضا كما أفعل أنا ، لأن ابني قبل أن يستشهد بعث إلي برسالة يقول فيها إنه إذا استشهد فسوف يموت راضيا لأنه سينهي حياته بأحسن الطرق التي كان يتمناها » .

« هذا هو السبب كما ترون الذي يجعلني لا أرتدي ملابس الحداد » .

قال هذا وأمسك بمعطفه الأصفر الفاتح ليريهم إياه وأنهى حديثه بضحكة مجلجلة أقرب إلى الشهقة الباكية . . بشفاه داكنة تخفي بعض أسنانه الباقية ، أما عيناه فكانتا ساكنتين بلا حركة ممتلئتين بالدموع .

« نعم . . نعم . . » وافق الآخرون .

وفي الركن تكومت المرأة تحت معطفها تصغي باهتمام . . ترجع بذاكرتها لتتذكر الثلاثة شهور الأخيرة وكيف أنها حاولت أن تجد في كلام زوجها وأصدقائه شيء . . أي شيء . . يستطيع أن يغريها ويخفف عنها حزنها العميق . . شيء يستطيع أن يعلمها كيف تستسلم الأم وترسل ابنها ليس إلى الموت ولكن حتى إلى حياة مليئة بالمخاطر . ولكنها لم تجد كلمة واحدة من كل ما سمعت . . بل لقد أصبح حزنها أعظم عندما رأت . . كما نعتقد . . أنه ليس هناك من يستطيع أن يشاركها أحزانها .

لكن الآن أدهشها ما سمعته من هؤلاء حتى أصبحت في ذهول وتأكدت فجأة أنه ليس، الآخرين . . ليس الناس جميعاً مخطئين . . ولا يستطيعون فهمها بل هي التي لا تستطيع أن ترتفع إلى مستوى هؤلاء الذين يستسلمون بلا بكاء . . ليس فقط لـيرحل أولادهم . . بل أيضاً إلى موتهم .

. . رفعت المرأة رأسها وانحنت تصغي باهتمام أكثر إلى التفاصيل التي يحكيها ذلك الرجل لأصدقائه عن الطريقة التي استشهد بها ابنه البطل من أجل وطنه .

لقد استشهد . . وهو سعيد راض بلا ندم .

وخيل إليها أنها في دنيا لم ترها من قبل ، دنيا بعيدة تماماً عن دنياها . . وسرت في جسدها رعشة وهي تستمع إلى كل منهم يقدم التهنئة لذلك الأب الشجاع الذي يملك أن يتحدث برباطة جأش عن موت ابنه .

وفجأة وكأنها استيقظت من حلم ، التفتت إلى الرجل وسألته .

« إذن هل مات ابنك حقاً » . . ؟

نظر إليها الجميع وحملق الرجل بعمق في وجهها ، ولفترة قصيرة حاول أن يرد عليها ، ولكن خانته الكلمات وظل ينظر إليها محدقاً كما لو كان الآن فقط . . وبهذا السؤال تأكد فجأة من موت ابنه .

تأكد أنه ذهب إلى الأبد وبلا رجعة ، فتقلصت ملامح وجهه فزعاً وأخرج منديله بسرعة من جيبه .

وفي وسط دهشة الجميع وذهولهم انخرط في بكاء محزن يمزق الفؤاد .

اتجاهات القصة اليونانية الحديثة

بقلم: د. نعيم عطية

الأدب والحرب

على الرغم من أن الحرب العالمية الثانية وضعت اوزارها منذ ما يزيد على ثلاثين عاما. فلا زالت اصداء هذه التجربة الانسانية المريرة تتردد في القصة اليونانية الحديثة. ولعل من انضج النماذج على ذلك مجموعة قصصية صدرت عام ١٩٦٩ بعنوان «الليلة الطويلة» لواحد من اشهر الادباء اليونانيين المعاصرين هو **بيتروس خاريس** عضو الاكاديمية اليونانية، ورئيس تحرير مجلة «**نيااستيا**» التي يرجع انشاؤها الى عام ١٩٢٨. وتحكي الاحدى عشرة قصة التي تتألف منها هذه المجموعة عن معاناة شعب اليونان اثناء الحرب العالمية الثانية تحت وطأة الاحتلال النازي. وعلى **كثير من صفحات هذا الكتاب يبدو الانسان بكل تشوقاته الى الحرية محاطا بصنوف من العسف والقهر. دون ان تنطفئ في الأعماق ذبالة الأمل**. وابطال هذه المجموعة مدنيون من سكان الحضر والقرى والجزر يواجهون بصمود نبيل جندا غاشمين لا يعرفون سوى طلقات البنادق وسيلة للتفاهم. وعلى الرغم من ذلك يحقق هؤلاء القوم البسطاء لوجودهم توازناً وجدانياً يعينهم على تجاوز هؤلاء المحتلين العتاة بل وهزيمتهم.

وقد عبر **ايليا فينيزي** أديب اليونان الكبير عن ذلك ابلغ تعبير في مقدمته لأحدى رواياته، فيقول:

«**ان الشعب الذي ننتمي اليه. شعب اليونان. شعب حزين بطبعه. فقد توالت عليه النكبات والكوارث والحروب والأزمات الاقتصادية. اننا نسكن أرضاً جدباء ولكنها مع ذلك عزيزة علينا. واذا كان البحر يحوطنا فان حياة الصيادين حياة شاقة وعرة. وليس لدينا من الخيرات ما يخفف عبء الحياة عن كواهلنا. زيتوننا ينبت في الصخر. وعلى الجبال الجرداء. وقد روته دموعنا اكثر مما روته الامطار. ان اجدادنا كان لهم من الحكمة ما جعلهم يدركون أن الألم بالنسبة لمن لا يعرفه فكرة مجردة. وأن ما تلمسه بيدك وقلبك. وما تدفع ثمنه بدمك هو ما تعرفه فحسب. اننا بحق شعب شقي كثيرا. وتعذب كثيرا. وراءنا وداخلنا عذاباتنا تطاردنا في صمت. لقد اصبح الموت بالنسبة لشعبنا وجها ملموسا. وكان على امهاتنا ضمن كل الاعباء الملقاة على كواهلهن. ان يحافظن في صناديقهن على اكفان الأسرة**».

على ان **ايليا فينيزي** الذي لفت أدبه أنظار النقاد الأجانب فكتبوا عنه. وفي مقدمتهم الناقد الفرنسي الكبير **جايتون بيكون**. استطرد في هذا المقام يقول:

«ان اكثر الناس مرارة على أي حال هم ايضا اكثرهم طموحا. لأن هؤلاء هم الذين يثقون في الانسان. ويأملون في الغد، ومن اجل هذا يواصلون الحياة أو بعبارة أخرى يمضون في الجري وراء الأوهام».

أدب المعركة

واذا كان الوسط الذي تحرك فيه «**أدب المعركة**» اكثر ضراوة وخشونة، الا أنه بدأ ايضا يعول كثيرا على عامل الارادة في دفع الوسط الاجتماعي: **ومن ثم اصبح الصراع بين الارادة واطارها اكثر ايجابية**.

وقد كان لهذه اليقظة في فهم دور الارادة والتنبه الى انها ليست مجرد طرف متلق فحسب في العلاقة الاجتماعية. اثره على الرؤية القصصية خارج «**كتابات الحرب**» ايضا. فأصبح القصاصون المحدثون ينزعون الى عرض الكائن الانساني في خضم الحركة، ومن خلال تعدد الأوساط التي يتنقل بينها وتنوع

الاحداث التي يمر بها، ما ينبيء عن تعقد روحه وتشابك حياته. وبذلك اخذت الكتابات القصصية تكتسي بطابع اكثر ديناميكية. فظهرت الى جانب «**القصة الاجتماعية**» «**القصة السيكولوجية**» و «**القصة الخيالية**» و «**القصة الفلسفية**» و «**القصة الرمزية**».

وبعد أن كانت القصة قبل الحرب العالمية الأولى تكتفي بتسجيل العادات والتقاليد، وتعرض الأنماط البيئية ممزوجة بوصف الطبيعة المحلية، تعددت مناحي القصة ومشاربها واهتماماتها.

كتاب القصة الشعبية

على ان تصنيف الكتاب تبعا لذلك التصنيف الذي عرضناه للقصة ليس بالأمر السهل، لأن الكتاب تنقلوا بين انواع القصة جميعها. بل اننا نجد في القصة الواحدة أو المجموعة القصصية الواحدة اكثر من منحى جنبا الى جنب. ولنضرب مثلا على ذلك بكتابات القصاص **ديموستينيس فوتيراس**. فإننا نجد النقد الاجتماعي عنده يمتزج بالخيال. وقد كان لهذا الكاتب تأثيره على جيل لاحق من الكتاب عرفوا «**بكتاب القصة الشعبية**» وتتصف اعمالهم بالبساطة المتناهية في السرد. وقد انجذب هذا الجيل من القصاصين على الأخص الى «**النزعة الواقعية**» فترجموا في اعمالهم التشاؤم المخيم نتيجة احباطات ما بعد الحرب وانعكاساتها على الأوساط الدنيا والفقيرة. ونذكر على سبيل المثال في هذا المقام المجموعة القصصية «**سيمفونية الخريف**» لانجلوترساكيس عام ١٩٢٩.

أما «**النزعة الخيالية**» فقد ارتبطت بكتابات استقيت من التاريخ والأساطير على الأخص. ونجد **فوتي كوندوغلو** يدخلنا في مغامرات يلعب فيها الزمن بالنفس البشرية. كما نجد جيلا اكثر حداثة من كتاب «**النزعة الخيالية**» يرتبطون في قصصهم بالكشوف العلمية في مجال الفضاء والحياة على كواكب أخرى. ولعل من ابرز النماذج في هذا المجال قصة «**المرأة ذات العينين البريئتين**» **لكانيليس**. كما ينجح **خادزوبولوس** في الأنحاء بأجواء غامضة وعلاقات مبهمة مريبة، دون التردي في اسار الرواية البوليسية. ومن أفضل ما كتبه في هذا المقام قصته «**حلم فتاة**».

أما «**النزعة الفلسفية**»، فقد تميزت بطابعها الشجني الشاعري ونجد نموذجا طيبا لها في «**الليلة الأخيرة على الأرض**» التي بدأ بها **بيتروس خاويس** انتاجه القصصي. ونجد في قصة «**المغني**» للقصاص اليوناني الكبير **بانايوتوبولوس** تطبيقا بارعا لهذه النزعة في عمل جمع بين التركيز وطلاوة الفكرة. ولا يمكن أن نغفل في هذا المقام ايضا الصفحات الوضاءة التي ضمنها **نيقوس كازندزاكي** عملاق الأدب اليوناني الحديث آخر كتبه بعنوان «**رسالة الى الجريكو**» عام ١٩٥٦.

المجتمع والنزعة الانتقادية ·

وقد اتجهت القصة اليونانية الحديثة نحو الأدب الاجتماعي. وكان في طليعة القصاصين الذين نزعوا الى ذلك **ثيوتوكيس** صاحب «**الشرف والمال**» عام ١٩٢٠. **وباروتييس** صاحب مجموعة قصصية صدرت عام ١٩٢١ بعنوان «**الأب**» والسيدة **ايلي اليكسيو** في مجموعتها «**معارك خشنة من أجل حياة صغيرة**» عام ١٩٣١.

وقد اصبحت النزعة الاجتماعية حافلة بالمطالب والدعوات الاصلاحية. **والواقع ان المشكلات الاجتماعية وان كانت تشغل مقاما كبيرا في القصة اليونانية الحديثة الا انه يمكننا ان نقول ان القصة الاجتماعية قد سارت في مسارين. الأول**: عني بدراسة البيئات الاجتماعية. **والثاني**: عني بتقصي انعكاسات الصراع الاقتصادي على النفس البشرية. وقد جمعت بين هذين المسارين النزعة الانتقادية. فمصير الفرد في مفهوم القصة الاجتماعية اليونانية يتوقف على ادراك متناقضات الوضع الاجتماعي، والجهد المبذول لتعديله وتصحيحه.

قضية المرأة

ومن الافكار الاجتماعية في القصة اليونانية الحديثة «قضية المرأة» وقد تجلت هذه القضية على الأخص في قصص السيدة **ليليكاناكو**. وقد ولدت هذه الأديبة الكبيرة في اثينا عام ١٩٠٥ ودرست الموسيقى في سويسرا واشتغلت بالصحافة. وكتبت مجموعات قصصية عديدة، بعضها بالفرنسية نشرت في امهات المجلات الأدبية في فرنسا. وبعضها باليونانية، منها «**الذين ضلوا الطريق**» وقد قدم لمجموعتها القصصية الاولى الكاتب الفرنسي الكبير **رومين رولان**. وتعتبر ليليكاناكو من انضج المواهب القصصية في الحياة الادبية اليونانية. وعندما سئلت عن احب كتبها الى نفسها قالت:

«أحب كتبي الى نفسي مجموعتي القصصية «**جحيم الأطفال**» فقد ضمنتها قصصا واقعية جمعتها عندما عملت ممرضة بمستشفى الاطفال، الذي كان يستقبل افواج الاولاد الذين يموتون من الجوع. وكان ذلك اثناء الاحتلال النازي لأثينا. ومن افواه هؤلاء الاولاد استمعت الى قصصهم. عرفت هؤلاء الاولاد عن كثب. وتألمت لهم اكثر مما تألمت لأي شيء في الوجود. لقد كانوا أفضل من أنجب وطننا على الاطلاق. اذكر منهم ولدا في الثانية عشرة من عمره تقريبا، ضمر عوده ونفرت عظامه بشكل مخيف، جذبني من ثوبي ذات يوم عندما كنت امر بجواره وقال: **سيدتي الممرضة، علمت انك تؤلفين كتبا. اكتبي عنا اذن حتى لا يطوينا النسيان عندما نموت**! كان يتكلم عن الموت بكل بساطة، كما لو كان من الطبيعي جدا ان يموت الأولاد الصغار».

القصة السيكولوجية

على ان ثمة كتابا آخرين جديرين بالاعتبار ايضا. وقد ساهموا بكتاباتهم في مجال «القصة السيكولوجية او النفسية» واحدى النزعات في هذا المقام دراسة الانسان الذي لا يستطيع ان يتأقلم بالأوضاع الجديدة التي يمليها الوسط الاجتماعي. وتبدو هذه النزعة بجلاء لدى **نيقوس نيقولائيدس** الأديب القبرصي الذي عاش في حي بولاق الشعبي بالقاهرة في قصته «**المشاكس**» عام ١٩٢٢ وفي «**قصة سجين**» **لدوكاس** عام ١٩٢٩ وفي «**الجذور الاولى**» عام ١٩٣٦ للقصاصة **تاتياناستافرو**. وهي تدرس في عملها هذا الصعاب التي يلاقيها اللاجئون للتأقلم بالبيئات التي ينزحون اليها.

وتتجلى القصة النفسية ايضا في اتجاه الكتاب الى ابراز دور الاوهام عند الشخصية التي تهرب بارادتها من الواقع. كما في «**الحب ناسج الاحلام**» **لناريس** عام ١٩٢٦ ويمكن ان تقف القصة السيكولوجية عند الصراعات العاطفية كما في «**النار ذات الشعلتين**» التي كتبها **ليدورأكيس**. أو عند الانحرافات السلوكية، مثل التقصي بلا أمل عن مثل أعلى، أو عند الاخفاق في اشباع العاطفة كما في «**غابة الليمون**» عام ١٩٣١ **لكوزمابوليتيس**. وقد تصل العاطفة المستبدة الى هوى جامح يحيل الفرد الى ضحية لغرائزه كما في «**الجسد**» **لكانيليس** عام ١٩٣١ وقد تقف القصة عند الافكار المتسلطة كما في «**نظرة الثعبان**» **لفويوكلاكي** عام ١٩٣١ وقد يعكف كاتب القصة النفسية على تحليل ذاته واستكشاف مجاهلها كما فعل **كسيفلوداس في** «**السيمفونية الداخلية**» عام ١٩٣٣. وقد عمد البعض الى دراسة أوضاع الحياة الحديثة وانعكاساتها على النفسية الفردية بحملها على الاستسلام لها. وقد يمضي البطل رغم كل شيء، في تخبطه بالأوضاع الخارجية، وهذا ما نجده في رواية **ثيوتوكاس** «**آرغو**» عام ١٩٣٣ وعند **بيتساليس في** «**مفرق الطريق**» عام ١٩٣٤ وعند **تيرساكيس في** «**المدينة الضارية**» وهنا نجد الأقوياء يواجهون الضعفاء ويسحقونهم.

ولا شك ان تعدد الحالات والمخططات في القصة السيكولوجية يترتب عليه تنويعات عدة في التركيب التكنيكي للعمل. **ولكن الملاحظ بصفة عامة على القصة السيكولوجية ان المغامرة ليست عنصرا خارجيا متميزا بل هي مواكبة لحركة النفس الداخلية كما ان الحدود الفاصلة بين الواقع والخيال تتلاشى من العمل الأدبي. ويصبح الوسط الخارجي عرضيا. والفرد عالما زاخرا بالفانتازيا والانطباعات والتجارب الذاتية.**

وتمضي القصة السيكولوجية عند **تيرساكيس** ونجد عرضا لاحلام الطفولة في «**صفاء النجوم**» عام ١٩٤٥ **لبانايوتوبولوس** ولعاطفة الامومة عند السيدة **بوكوفالافي في** «**العذراء**» عام ١٩٤٧ ويربط **لونديميس** السيكولوجية بالفلسفة في «**طابت ليلتك. ايتها**

الحياة» عام ١٩٤٦. وهو ما نجده ايضا عند **كاراجاتسيس في «النوم الطويل» وعند نيقوس كازندزاكي في «اليكس زوربا»** وهي رواية كريتية، تضع وجها لوجه شابا يقضي ساعاته في قراءة الكتب ورجلا حنكته تجارب الحياة. وتحملنا الذكريات بعيدا الى الماضي في «**الاحياء القديمة**» **لديمترياديس** عام ١٩٤٧. اما **نيقولائيدس** فقد مزج المعالجة السيكولوجية بالوصف التفصيلي للتقاليد والمشاهد المحلية في «**ابعد من الخير والشر**» عام ١٩٤٣ و«**المسامير الثلاثة**» عام ١٩٤٨ وهذان العملان صدرا في القاهرة انذاك.

القصة الرمزية

وفي مجال «**القصة الرمزية**» ظهر تيار من القصص يقوم على وصف المناظر الطبيعية وكثيرا ما لا يقصد وصف الطبيعة لذاته، او يطعّم بتأملات فلسفية او خلجات نفسية وتقترب قصص وصف الطبيعة من كتب الرحلات، وهي ضرب من «**النثر القصصي**» تفوق فيه **كازندزاكي واورانيس وفينيزي وبانيوتوبولوس** الذي اصدر كتابه «**الجعران...**» وصف فيه تفاصيل رحلته الى مصر في اوائل الخمسينات...

الكتابات اللامحلية

ولقد سعت التيارات الأدبية في اليونان – **على الأخص في مجال القصة والرواية** – الى الاستفادة بالتجارب المعاصرة. سواء في الشكل او المضمون، فقدم كتاب اليونان انتاجهم القومي في قالب عصري، ويفخر الادباء اليونانيون بأنهم يثرون بعطائهم الأدب الأوربي، ويرفضون التقيد بالمحلية، ومن ثم تخلصوا من الحذلقات والزخارف اللفظية، مقربين لغتهم الأدبية من لغة كل يوم. وقد أخذت شخصية الأديب اليوناني تتضح بجلاء، فقد طوع أسلوبه بحيث لم يعد يكتفي بأن يقدم لقارئه لوحات «**شعبية**» فحسب، بل استخدم لغته للتعبير عن رؤاه «**الذاتية**» من خلال اختيار موضوعاته وتفسيراته للمواقف والأبطال. كما ان ثمة تيارا جديدا بدأ يغزو القصة اليونانية الحديثة نجده على الأخص لدى **جورج ثيوتوكا، وذراسوس كاستاناكيس وكاراجاتسيس**. وهو تيار الكتابات اللامحلية عن احداث تدور في بقاع أخرى من العالم غير اليونان، أو بين شخوص من جنسيات أخرى. وقد جعل **بانايوتوبولوس** العديد من أبطاله في قصص مجموعته الأخيرة «**فلامينجو**» الصادرة عام ١٩٦٣ من الافريقيين السود يصارعون من اجل التحرر من اغلال العبودية. **وقد ساعدت هذه اللامحلية** على تجديد الاطار الخارجي للموضوع وعلى نقل المعالجة السيكولوجية الى مستويات أخرى غير تقليدية.

من المحلية الى العالمية

وقد مضت القصة اليونانية الحديثة تنمو وتزدهر في مختلف ضروبها أو مناحيها، وانطلق الأدب اليوناني بصفة عامة الى المستوى العالمي بخطى حثيثة، فترجمت الأعمال العديدة من اليونانية الى اللغات الأجنبية. وحظيت اعمال القصاص اليوناني المعاصر **اندوني ساماراكي** بالترجمة الى ما يربو على عشرين لغة. ونال **كازندزاكي وسفيريس** وغيرهما كثيرا من الجوائز العالمية.

ويستأهل أدب ساماركي القصصي مزيدا من التأمل، فهو نموذج فريد لما يجب ان يكون عليه أدب القصة المعاصرة ولنستمع اليه يقول:

«**ان قارئ هذه الأيام ما عاد يطيق الأطناب. انه يريدك ان تدخل الى الموضوع مباشرة. وان تنقل اليه ما تريد أن تقوله في ايجاز وسرعة.** لقد انتهى عهد الصفحات الضافية من الوصف المتمم لسحنة البطل وملابسه وللكرسي الذي يجلس عليه ولطريقة كلامه وايماءاته. كل ما ليس ضروريا يجب أن يحذف، فالإبقاء عليه خطيئة فنية بحسب مفاهيم العصر الحاضر. **ان القارئ يريد ماغلا ثمنه وخف حمله.** ولهذا فإن القصاص المعاصر، وان كان مطالبا بأن يحقق الأهداف التي يسعى اليها القصاصون الكبار السابقون، الا انه مطالب ان يحقق ذلك في لغة تتفق وروح العصر. ان «**لغة التلغراف**» هي لغة القصاص المعاصر. ومع ذلك يجب أن يكون ما يقدمه فنا. ان في هذا سهولة تقررت له، ولكن ثمة مصاعب جديدة القاها على كاهله مطلب الايجاز وسرعة التوصيل. وعلى مدى نجاح القصاص في اجتيازها واعطاء حلول لها يتوقف نجاحه اليوم».

ولئن تعددت القصص اليونانية التي تلت الحرب وتنوعت، فإنه يجمع بينها محاولة ربط القومي بالعالمي، واعلاء النظرة الديناميكية الى الوجود الانساني على النظرة الاستاتيكية. **واخيرا نجد الكتاب اليونانيين الجدد، سواء واجهوا الفرد أو واجهوا الجماعة، يصلون في اعمالهم الى مشكلات تتعدى الوسط اليوناني، وتقتضي حلولها التقصي عن مدلول اشمل للانسان. وبذلك يساهم الأدب اليوناني الحديث في اثراء التجربة الانسانية العالمية.**

دائرة المعارف

فلسفية

أ

الأنا :

الأنا عند مدرسة التحليل النفسي هو ذلك الجانب من النفس الذي يتميز نتيجة للاتصال بالعالم الخارجي ، والذي يقوم بوظيفة الوقوف على الواقع ، وبوظيفة قبول بعض الرغبات أو المطالب التي تصدر عن الدوافع الفكرية بعد ضبطها والانتقاء منها ، والأنا يتصف بالشعور على أن بعضه رغم ذلك . . . لا شعوري .

ب

برانويا :

اختلال بليغ في القوى العقلية ، يؤدي إلى اختلال جميع وسائل التكيف والتوافق العقلي والاجتماعي ، وإلى اضطراب كلي في الشخصية ، مع فقد للقدرة على الاستبصار ، والبرانويا نوع من الذهان المزمن من أعراضه الرئيسية الهذاء الثابت المنظم ، وقد يبدو المريض سليماً من حيث القدرة على الاستدلال والمحاجاة ، غير أنه يبني استدلاله على اعتقادات فاسدة وهمية ، ومقدمات بالجملة .

ت

تحليل نفسي :

طريقة ابتدعها سيجموند **فرويد** لعلاج الأمراض النفسية ، وعنده أن التحليل النفسي وليد الضرورة الطبية ، فهو يرجع إلى الحاجة إلى اسعاف ضحايا الأمراض العصبية الذين لا يمكن أن يسعفهم العلاج بالراحة أو الحمامات أو الكهرباء ، أما مهمة التحليل النفسي فهي الوصول إلى أعمق معرفة ممكنة للمنظمات الثلاث التي تكون في مجموعها الشخصية السيكولوجية ، وهي **الأنا والهو والأنا الأعلى** .

ث

ثأر :

دافع يلزم الفرد من عصبية خاصة بالانتقام ، أي الثأر لأحد أقربائه ممن قتله ، وأقرب أقرباء المقتول هو صاحب الثأر ، فإذا مات قبل أن يثأر ، ورثه في واجب الثأر من يليه من أقرباء القتيل ، والثأر عادة موجودة لدى كثير من الشعوب .

ج

جنون :

زوال العقل أو فساده ، ويستعمل هذا اللفظ في **الطب الشرعي** خاصة دون تحديد دقيق لمعناه ، فهو يشمل إما النقص العقلي الولادي ، أو زوال القوى العقلية بعد وجودها بحيث يكون الشخص في الحالتين غير مسؤول عن أعماله ، وتسمى حالات النقص العقلي الولادي أي منذ **الولادة** ، وحالات فساد القوى العقلية بعد وجودها **بالذهان** .

ح

حلم :

ما يراه النائم من صور ذهنية حية تتتابع عادة بدون ربط ولا نظام منطقي ، وأما عن مضمون الحلم ، فإن مدرسة التحليل النفسي تميز بين المضمون الصريح كما يراه النائم ، وبين المضمون الكامن الذي يكشف تأويل الأحلام عن دلالات ، والأول رمز للثاني ، وينطوي المضمون الكامن على الرغبات المكبوتة .

خ

خبرة :

الحالة الشعورية كما يعانيها الشخص ، والخبرة هي نشاط أكثر منها حالة ، وعندما تتكامل جميع الأحداث النفسية لفرد ما في لحظة معينة أو في أثناء فترة معينة من الزمان ، يطلق على ذلك خبرة ، والخبرة أيضاً هي ما يكتسبه الشخص من تجاربه اليومية لحسن تدبير الحياة .

د

دعوة :

في علم النفس ، الدعوة هي الميل القوي لمهنة أو فن أو حرفة عند شخص من الأشخاص ، حاصل على كفاية تلائم هذا الميل .

ذ

ذكاء :

القدرة على مواجهة المواقف الجديدة بنجاح ، أو حل المشكلات الجديدة بابتكار

الوسائل الملائمة لها ، ويميز بين أنواع الذكاء بالقياس إلى طبيعة المشكلة وطبيعة الوسائل المستخدمة لحلها ، **فالذكاء النظري** هو القدرة على معالجة المعاني والرموز ، **والذكاء العملي** هو القدرة على معالجة الأشياء ، **والذكاء الاجتماعي** هو القدرة على معالجة الأشخاص ، في مواقف اجتماعية ، ولم يقم بعد الدليل على أن هذه الأنواع الثلاثة من الذكاء متميزة بعضها عن بعض تمام التمييز .

ل

الرسم الكهربائي للمخ :

تسجيل النشاط الكهربائي الطبيعي للخلايا العصبية في المخ ، في صورة ذبذبات تختلف أشكالها باختلاف سن الشخص ونشاطه الحسي والحركي والذهني ، كما قد تختلف اختلافاً نوعياً في بعض الأمراض العصبية (عضوية أو وظيفية) وبعض الأمراض العقلية ، وقد بدىء باستخدام هذا الرسم في تشخيص بعض الأمراض **كالصرع وأورام المخ .**

ز

زهد :

في علم الأخلاق أصلاً ثم في علم النفس ، المبالغة في احتقار اللذة الحسية والزهد فيها والاعراض عنها .

س

سوي :

كا ما كان في حالة اعتدال طبيعية تتوسط طرفي الافراط والتفريط وهي حالة غير مطلقة ، كما أن السوي هو ما انعقد الاجماع على أنه يطابق أو يمثل نموذجاً أو معياراً أو مستوى ، واللفظ يستخدم أحياناً بمعنى سليم أو عادي ، وفي الحالة الأولى يقابله المرضى ، وفي الثانية الشاذ أو الخارق للعادة .

ش

الشخصية :

نظام متكامل من مجموعة الخصائص الجسمية والوجدانية والنزوعية والادراكية التي تعين هوية الفرد ، وتميزه عن غيره من الأفراد تميزاً كاملاً ، وللشخصية جانبان . . جانب **ذاتي** وآخر **موضوعي** ، أما الجانب الذاتي فهو ما يعبر عنه بالانية ، أي شعور الشخص بذاته ، على أن هذا الشعور ليس أولياً بل يتكون بالتدريج ويمر بعدة مراحل مبتدئاً بالشعور بالذات الجسمية ثم بالذات النفسية وأخيراً بالذات الاجتماعية ، على أن المرحلتين الأخيرتين منذ تان إلى حد كبير ، ولذا يطلق عليهما مجتمعتين الذات المعنوية في مقابل الذات الجسمية .

أما الجانب الموضوعي فهو ما يعرف بالخلق ، والخلق هو نظام متكامل من السمات أو الميول النزوعية التي تتيح للفرد أن يسلك إزاء المواقف الخلقية وأوضاع العرف سلوكاً متفقاً مع ذاته ، على الرغم مما قد يواجه من عقبات ، وقد أمكن دراسة الخلق دراسة موضوعية بما يسمى باختبارات الشخصية .

ص

صادية :

الحصول على اللذة الحسية أو على إشباع الرغبة الحسية أو عليهما معاً ، بانزال الأذى البدني أو النفسي بشخص آخر ، ويمكن أن تستقل وتصبح شكلاً من أشكال الانحراف . فتسيطر على حياة الفرد ، والصادية نسبة إلى **الماركيز الفرنسي المشهور دي صاد .**

ض

ضمير :

في علم النفس قوة حاكمة لضبط النفس وتوجيه السلوك ، وحرية الضمير ، معناها انقضاء الاكراه في الآراء والمعتقدات .

ط

الطب العقلي :

فرع من فروع الطب ، يتناول دراسة جميع الاضطرابات العقلية والنفسية وعلاجها ، وتوضيح وسائل الوقاية والصحة العقلية ، وهو يستند من جهة إلى علم النفس المرضي ، ومن جهة أخرى إلى علم النفس العام .

ظ

ظن :

الظن هو الاعتقاد الراجح مع احتمال النقيض ، ويستعمل في اليقين والشك ، وقيل الظن أحد طرفي الشك بصفة الرجحان ، أما الظن الحق ، فهو نوع من الالهام وليس اكتساباً عقلياً .

ع

عصاب :

مرض نفسي ، أو مجموعة أعراض نفسية تصحبها أحياناً مظاهر جسمية شاذة ناشئة عن عوامل نفسية كالانفعالات المكبوتة والصدمات والصراع بين الدوافع المتناقضة ، والمظاهر الجسمية الشاذة (كالأعراض الجسمية في الهستيريا) ، تعود فتؤثر بدورها في الحالة النفسية ، ومن أهم الأعراض العصابية النفسية المخاوف المرضية ، والحصر النفسي ، والأفكار الثابتة والشك المرضي . ويكون العصابي شاعراً بشذوذ حالته محتفظاً بقدرته على الاستبصار ، بخلاف الذهاني . . أي المصاب بمرض عقلي .

وقد فرقت مدرسة التحليل النفسي بين عصاب نفسي المنشأ ، وعصاب جسمي المنشأ أو عضوي المنشأ .

غ

غريزة :

الميل الفطري الذي يدفع الكائن الحي إلى العمل في اتجاه معين تحت ضغط حاجاته الحيوية ، ولا يقوم النشاط الغريزي على سابق خبرة أو تعلم ، والغريزة عنصر مشترك بين جميع أفراد النوع الواحد ، ويحسن قصر مفهوم الغريزة على وصف الجانب السلوكي ، وحتى في هذا الجانب فقد فقد مفهوم الغريزة قيمته الآن .

ف

فصام :

مرض نفسي ، من أهم أعراضه **انطواء المريض على نفسه ، والنكوص ، والتجول الذهني في عالم الخيال والوهم ، وعدم الاتساق بين المزاج والفكر ، فضلاً عن البلادة الوجدانية ، وفساد الحياة الانفعالية ، والتفكك العام في الوظائف العقلية . وللفصام أربعة أشكال رئيسية ، الفصام البسيط**، وعرضه الرئيسي الفرار من الواقع ، **وفصام المراهقة** وأعراضه الرئيسية تقمص الكون وأفكار العظمة ، **الفصام الهذائي** وعرضه الرئيسي هذيان الاضطهاد ، ثم **الفصام الكتاتوني** وأعراضه الرئيسية الجمود والصمت والمناومة السلبية أو الايجابية .

ق

قلق :

حالة نفسية غير سارة من التوتر العصبي ، تدل على أن المريض يتوقع خطراً في اللاوعي ، ويحدث القلق عندما لا يستطيع الشخص أن يتخذ اجراء ايجابياً تجاه هذا الخطر ، اما بمواجهته أو الفرار منه ، والأساس النفسي للقلق هو الخوف من الأذى ، أو من فقدان الحب . ويكثر القلق عند الأطفال والمراهقين وعند النساء في سن اليأس .

ك

كبت :

عملية نفسية لا شعورية ، تحول دون خروج الأفكار والرغبات المؤلمة أو المحرمة إلى نطاق الشعور ، رغم بقائها حية فعالة في اللاشعور .

ل

لا شعور :

هو الجانب المعزول من الحياة النفسية عن الشعور المباشر ، والذي لا يمكن استرجاع مضموناته بارادة الشخص لعدم ورودها من قبل في مجال الشعور ، كالدوافع الغريزية الدولية ، أو كبتها وعدم تذكرها لعدم ملاءمتها للواقع الخلقي أو لما تتضمنه من تهديدات لوحدة الذات وتماسكها ، كالرغبات الجنسية والعدوانية المحرمة ، والخبرات الانفعالية المؤلمة ، واللاشعور من المفاهيم الأساسية في **نظرية التحليل النفسي** ، لتفسير بعض جوانب النشاط العقلي ونشأة الأمراض النفسية .

م

ملانخوليا :

أو المرض السوداوي ، وهو ذهان ، من أهم أعراضه الاكتئاب ، وهبوط النشاط الحركي ، وانعدام الاهتمام بالعالم الخارجي ، والأرق ، ورفض الغذاء ، وطلب الانتحار ، ويعتبر أحد جانبي الذهان الدوري المعروف بذهان **الهوس والاكتئاب** .

ن

نرجسية :

اصطلاح مشتق من **الأسطورة الاغريقية** القديمة عن **نرجس** الذي هام بنفسه ، فطال نظره إلى مياه البحيرة معجباً بجماله ، حتى تحول إلى الزهرة المعروفة بهذا الاسم ، **زهرة النرجس** ، ويقصد بها في التحليل النفسي ، تلك المرحلة التي تتميز بميل الطفل إلى اتخاذ ذاته موضوعاً لعشقه ، وهو ميل يشتد في الحالات المرضية ، وخاصة في الأمراض العقلية .

هـ

هستيريا :

مرض نفسي ، من سماته البارزة القابلية الشديدة للايحاء والتقلب الانفعالي وضعف الشخصية الوجدانية وكذلك محتوى الشعور ، وينشأ عن صراع بين **الذات الشاعرة والرغبات اللاشعورية** بطريقة رمزية ، ويعتبر المرض الهستيري على الرغم من شذوذه ، ضرباً من ضروب **التكيف الناقص** . وعندما توجد أعراض جسمية يسمى المرض **بالهستيريا التحولية** ، وقد يبدو المريض في حالة من الفرح وعدم الاكتراث ، أما إذا كانت الأعراض مقصورة على المخاوف الشاذة والقلق ، فيسمى المرض **بالهستيريا الحصرية** .

و

وجدان :

يشمل الوجدان في علم النفس جميع الحالات النفسية من حيث تأثرها باللذة ذو الألم ، وهي الحالات غير المؤدية إلى المعرفة في مقابل عمليات التصور والتفكير ، **ويطلق الوجدان على الانفعالات والعواطف والأهواء** ، يستعمله بعضهم بمعنى **الحدس** ، أو بمعنى شبيه بالحدس ، وفي هذه الحالة يعتبر وسيلة ممتازة من وسائل المعرفة .

ي

يونج ، كارل جوستاف :

(١٨٧٥ - ١٩٦١ م) عالم نفسي **سويسري** ، وطبيب أمراض عقلية ، أسس **مدرسة علم النفس التحليلي** ، بعد انفصاله عن سيجموند فرويد في عام ١٩١٣ م ، يرى أن الليبدو أو **« الهو »** طاقة أولية لا جنسية ، شبيهة بالوثبة الحيوية عند **هنري برجسون** ، وأنه وراء اللاشعور الفردي ، لا شعور جماعي ، يتكون من أنماط قديمة من النزعات والتصورات الموروثة ، وضع اختبار تداعي المعاني للكشف عن العقد النفسية ، ونظريته في أنماط الشخصية ، نشرت مذكراته عام ١٩٦٣ م ، بعد وفاته .

سؤال و جواب

●● من القاهرة يسأل القارىء عبد الحميد محمد عثمان عن اسم الشاعر القائل :

أعلمه الرماية كل يوم ... فلما اشتد ساعده رماني
وكم علمته نظم القوافي ... فلما قال قافية هجاني

كما يسأل عن تاريخ ولادته .. ووفاته .

● قائل هذه الأبيات هو الشاعر «**معن بن أوس المزني**» ، وهو رضيع **عبد الله ابن الزبير** وصاحبه .. كف بصره في آخر عمره .. ولم نجد في الكتب والمراجع التي بين أيدينا ما يشير إلى تاريخ وفاته .. أو ميلاده .

وقد نسب «**ابن دريد**» في الاشتقاق هذه القصيدة **لمالك بن فهم الأزدي** . وقال **الخالديان** في الأشباه والنظائر عن الشطر «فلما اشتد ساعده رماني» إنه يروى بالسين من السداد .. وبالشين أكثر .



●● من السعودية يسأل الأخ عبد اللطيف خوجة عن ملحمتي (الالیادة) والأوديسا وعن ناظمهما .

● (**الالياذة**) بالذال وليست (الاليادة) بالدال ، نظمها هي و «**الاوديسا**» الشاعر اليوناني الأول «**هوميروس**» ، الذي يرجح أنه عاش في القرن الثامن قبل الميلاد .. وقد نظم الملحمتين باللهجة الأيولية .. وقيل إن «**هوميروس**» لم يوجد وإنه بالتالي ليس ناظم الملحمتين .. إلا أن الحفريات والدراسات اللغوية المقارنة ، أثبتت أن «**هوميروس**» وجد بالفعل وأنه ناظم الملحمتين .. وبرزت مشكلة أخرى ، هي ادعاء عدد من المدن أن «**هوميروس**» ولد وعاش بها مثل **أثينا وأزمير وخيوس وكولوفون** .

وتعتبر «**الالياذة**» و«**الأوديسا**» من شعر الملاحم ، ولذا ترجمتا إلى معظم اللغات الحية ، وقد ترجم «**البستاني**» الالياذة شعراً باللغة العربية .

قسم علماء الإسكندرية «**الالياذة**» أربعة وعشرين جزءاً ، تصب غضب أخيليوس وما أصاب اليونان من نتائجه ، وتبدأ الملحمة بخلاف بين أجاممنون ، قائد الحملة اليونانية ضد طروادة ، وبين أخيليوس الذي يقرر الانسحاب غضباً من أجاممنون ، فيصل وفد لاسترضائه ، ولكنه يردهم ، ويسمح لصديقه باتروكلوس بدخول المعركة بدلا منه ، فيلقى مصرعه على يدي هيكتور ، فيثور أخيليوس ويقتل هيكتور ، ثم يأسف ويتولى دفنه في حفل مهيب .

أما «**الأوديسا**» فتتكون من ٢٤ نشيداً ، وتبدأ بمحاولة تليماخوس البحث عن أبيه أودوسيوس الذي طال غيابه بعد سقوط طروادة .. وبعد فترة يعلم أن أباه وقع أسيراً ، فيقوم بمحاولات ينجح بعدها في فك أسره ، ويدبر معه حيلة للانتقام من هؤلاء الذين قهروا بنيلوبا أم تليماخوس وزوجة أودوسيوس .. وفي النهاية يعود أودوسيوس ليسترد حكمه ويعيش آمناً في وطنه مع ابنه وزوجته .

●● من دولة قطر تسأل الأخت (سمية درويش الفار) عن «بوذا» الذي تسمع عنه كثيرا ويتناهى إليها أن أهل الهند واليابان يؤمنون بديانته ، وهي تود أن تعرف نبذة عنه وعن حياته .

● كلمة «**بوذا**» تعني في اللغة السنسكريتية «المتنور» وهو اللقب الذي أطلق على الزعيم الهندي ومؤسس مذهب البوذية .. وتتسم حياة «**البوذا**» بطابع الأساطير وقد **ولد حوالي ٥٦٤ ق . م ، وتوفي حوالي ٤٨٣ ق . م** .. وكان ينحدر من أسرة من طبقة **الكشاتريا** الثرية ، فكان والده يشغل منصب حاكم أحد أقاليم **نيبال** .. تزوج «**بوذا**» أو «**سيد هارثا**» وهو في التاسعة والعشرين وانجب طفلاً .. لكنه نبذ حياة الترف وأصبح «**ناسكا**» يهيم على وجهه في البلاد .

جاء بفكرة «**رسالة التنوير الكبرى**» ووضع مبادىء المذهب البوذي ، فاجتمع حوله من المريدين من أصبحوا دعاة البوذية الأوائل الذين نشروا المذهب خارج البلاد .. وأطلق على «**بوذا**» ثلاثة أسماء هي «**باجافا**» أي «السيد» و«**تاجانا**» أي «الشخص الحاضر» أو «الحاضر» و«**بوذا**» ليصبح اسمه الكامل «**السيد الحاضر بوذا**» بدلا من اسمه الأول «**سيد هارثا**» .. وهو لم يأت بديانة .. ولكن مجرد أفكار أتى بها عقل مخلوق جاءت في وقت جذبت إليها الناس فتعلقوا بصاحبها .

مناقشات و تعليقات



الرؤيا والحلم

نشرت مجلة « الفيصل » الغراء في عددها الثاني **شهر شعبان** سنة ١٣٩٨هـ الموافق **يوليو ١٩٧٨م** . مقالا للأستاذ **سعيد حافظ يعقوب** بعنوان « **الأحلام عند ابن سينا** » حيث أجاد وأحسن الأستاذ في تطرقه واستيعابه لهذا الموضوع بالذات . ولكن ما أحب أن أذكره هنا ، أن الأستاذ وقع في خطأ بياني (قرآني) فقال في الهوامش في آخر المقال وبالذات في البند الثاني « **الأحلام : في القرآن الكريم ورد ذكرها في عدة مواضع كحلم سيدنا إبراهيم يذبح ابنه إسماعيل وحلم سيدنا يوسف وغيرها** » . **ص ١١٦**

وللتذكير والتنوير أحب أن أدلي بدلوي في هذه الفقرة بالذات وأقول **لو عدنا إلى استقراء الآيات التي وردت فيها كلمة الحلم لوجدنا ما يلي :**

عدم استخدام القرآن لكلمة الحلم «كرؤية صادقة» أي يمكن أن تتحقق . بل كل ما يتحقق ورد بلفظ رؤيا . **والحق أن أكثر المعاجم العربية جمعت بين الحلم والرؤيا في معنى واحد ولكن القرآن يبين لنا عكس ذلك ، فقد استعمل القرآن الحلم أو الأحلام ثلاث مرات ، يشهد السياق بأنها مجرد هواجس وأضغاث وأخلاط** . والغريب أيضاً أنها بصيغة الجمع لتدل على تعددها بحيث لا تتميز عن بعضها البعض .

﴿ بل قالوا أضغاث أحلام بل افتراه ﴾ الأنبياء وعلى لسان الملأ ، من قوم العزيز :

﴿ قالوا أضغاث أحلام وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين ﴾ « يوسف » .

وأما « الرؤيا » فوردت في القرآن في سبعة مواضع . كلها في الرؤيا الصادقة ولم تستعمل إلا بصيغة المفرد ، لماذا ؟ دلالته على التميز والوضوح والصفاء ومن بين المرات السبع هذه ، جاءت ـ أي الرؤيا ـ خمس مرات للأنبياء فهي من الإلهام ـ الوحي ـ أو من أقسام الوحي .

● ﴿ وناديناه أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا . . . . ﴾ « الصافات ١٠٤ـ١٠٥ » .

● ﴿ يا بني لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيداً . . . . ﴾ « يوسف ٥ » .

● ﴿ ورفع أبويه على العرش وخروا له سجداً وقال يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقاً ﴾ « يوسف ١٠٠ » .

● ﴿ وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس ﴾ « الاسراء ٦٠ » .

● ﴿ لقد صدق الله رَسُولَهُ الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله ﴾ « الفتح ٢٧ » .

فمن هذا الاستقراء نجد أن القرآن استعمل كلمة الرؤيا للأنبياء لصدقها والمرتان الأخريان في رؤيا العزيز .... وقد صدقت وتحققت .

حيث كانت واضحة ـ كما يبين سياق القرآن ـ للعزيز ، وإن بدت للملأ من قومه هواجس أوهام وأخلاط .

● ﴿ وقال الملك إني أرى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات ، يا أيها الملأ افتوني في **رؤياي** إن كنتم للرؤيا تعبرون ﴾ « يوسف ٤٣ » .

وفي نهاية سياق القصة يظهر لنا القرآن صدق رؤيا العزيز وإنها كانت من الالهام وليست أضغاث أحلام .

ولعلي بهذا استطعت أن أبين المراد وأن ما رآه إبراهيم ، ويوسف والرسول صلى الله عليهم جميعا وسلم لم تكن أحلاما بل رؤيا .. والله أعلم .

عدنان أبو اسلام
الأردن ـ الزرقاء

كتب وردت إلى المجلة

وردت للمجلة هذه الطائفة من الكتب في مختلف مجالات المعرفة الانسانية والمجلة ترحب بكل عطاء ثقافي جديد من شأنه أن يفتح أمام القارئ آفاقا أوسع وأرحب وأجد سبيلا .

المختصر

من كتاب نشر النور والزهر

كتاب يقدم تراجم أفاضل مكة المكرمة من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر . . والمؤلف **الشيخ عبد الله مرداد أبو الخير** يعني بالأفاضل علماء وأدباء أم القرى خلال القرون الخمسة الأخيرة . . وقد قدم في كتابه أو موسوعته بجزئيها ٦٠٥ ترجمة اختصرها ورتبها بحسب الحروف الأبجدية **محمد سعيد العامودي وأحمد علي** وقدم لها **عبد القدوس الأنصاري** . . يقع الجزء الأول في ٢٥٦ صفحة من القطع المتوسط، ويقع الجزء الثاني في ٢٢٤ صفحة من القطع المتوسط ، اصدار نادي الطائف الأدبي ضمن مطبوعاته بمؤسسة مكة للطباعة والإعلام ، رجب ١٣٩٨هـ ـ يونيو ١٩٧٨م .

اللسان العربي

مجلة دورية للأبحاث اللغوية ونشاط الترجمة والتعريب ، يصدرها مكتب تنسيق التعريب بالرباط (المملكة المغربية) تحت اشراف **المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم** بجامعة الدول العربية . . وقد ورد **الجزء الثاني من المجلد الثاني عشر** بعنوان « معاجم » ويحتوي على سجل أعمال مجامع اللغة العربية والمجالس العليا للعلوم والآداب والفنون ومجالس الجامعات والمعاهد العلمية ومجالس الهيئات والمراكز الوطنية للتعريب وآراء رجال الفكر والعاملين لإعلاء اللغة العربية وجعلها في مستوى اللغات العالمية الحية .

ومن موضوعات هذا الجزء من المجلة ١ ـ معجم النبات الأصيل . ٢ ـ لآلىء العرب . ٣ ـ الأصل العربي لمفردات طب العيون . ٤ ـ معجم الطيران العام . ٥ ـ قائمة مصطلحات علم التشريح . ٦ ـ معجم جيولوجيات المياه الجوفية . ٧ ـ مصطلحات المطبخ . ٨ ـ مصطلحات القطارة . ويقع هذا الجزء في ٤٧٠ صفحة من القطع الكبير ، صدر عام ١٣٩٥هـ ـ ١٩٧٥م . . المدير المسؤول للمجلة الأستاذ **عبد العزيز بنعبد الله** .

دور الامارة في التنمية

محاضرة ألقاها صاحب السمو الملكي **الأمير خالد الفيصل بن عبد العزيز** ، أمير منطقة عسير وصاحب دار الفيصل الثقافية التي تصدر عنها مجلة « الفيصل » ، في افتتاح الموسم الثقافي لكلية الآداب بجامعة الرياض . . وقد استعرض المحاضر نظام الإمارة منذ فجر الإسلام وحتى اليوم ، مشيراً إلى تغير التسمية من ولاية إلى مقاطعة واقليم إلى إمارة ، وعلاقة المسؤولين عنها بالوزارات المختلفة ثم بالحاكم نفسه أو ولي أمر البلاد أو ملكها . . والمحاضر إلى جانب الاستعانة بالتاريخ والشريعة الإسلامية ، يسترشد بنظم التطبيق التي عاشتها المملكة منذ توحيد أقاليمها عام ١٣٥١هـ ـ ١٩٣٢م حتى اليوم ، ويستشهد بدراسات عدة تناولت تاريخ وتطور نظم الإدارة . . طبعت المحاضرة في كتيب يقع في ٢٤ صفحة من القطع المتوسط ، أصدرته جامعة الرياض ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م .

مع الشعراء

كتاب يضم دراسات عن عشرين شاعراً من القدماء والمحدثين وآراء كبار الأدباء في أشعارهم . . كما يضم الكتاب خواطر أدبية عن هؤلاء الشعراء وعن بعض أدباء الغرب ومفكريه . . ومؤلف الكتاب هو الشاعر السعودي **محمد بن علي السنوسي** الذي يستشهد في دراساته وخواطره هذه بأشعار الشعراء دون أن يستشهد بأشعاره التي صدرت من قبل في أربعة دواوين . . يقع الكتاب في ١٥٤ صفحة من القطع المتوسط ، أصدره نادي جازان الأدبي ضمن مطبوعاته عام ١٣٩٧هـ ـ ١٩٧٧م .

متاعب المعلم

ديوان يضم ٢٤ قصيدة قصيرة من الشعر المقفى ، تدور جميعها حول مهنة المعلم ومتاعبه . . والمؤلف هو الشاعر السوري **محمد فهمي الحمدان** الذي أصدر من قبل ديوان بعنوان « زهرة من القنيطرة » والديوان يقع في ٦٤ صفحة من القطع الصغير صدر عن مطبعة الوطن العربي بحلب .

ليال لا تنسى

كتاب يضم سبع عشرة قصة قصيرة ، بعضها يميل إلى الأقصوصة أو الرواية القصيرة أو القصة الطويلة . . وكلها تصف أحداث ومواقف عاشتها الأمة العربية منذ الحملة الفرنسية على مصر إلى أن أشرق ضوء الفجر بانتصارات أكتوبر وأمجادها ، كما يقول المؤلف **غبريال وهبة** . . والمجموعة تقع في ٢٠٠ صفحة من القطع الصغير ، صدرت عن روايات الهلال بالقاهرة ١٣٩٥هـ ـ ١٩٧٥م .

على دروب الله

ديوان يضم ست عشرة قصيدة قصيرة من الشعر العمودي أحياناً ومن الشعر الحر أحياناً أخرى . . بعض القصائد يتخذ شكل الخماسيات المقفاة وبعضها يتخذ شكل القصيدة المتصلة بقافية واحدة . . وقد كتب الشاعر **محمد المنتصر الريسوني** صاحب الديوان مقدمة نثرية تحدث فيها عن الوجود والإسلام ، ثم تحدث عن الفن الشعري بين الجاهلية والإسلام . . يقع الديوان في ٨٢ صفحة من القطع الصغير ، وصدر في المغرب عام ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م .

المغرب عبر التاريخ

كتاب يعرض لأحداث المغرب وتطوراته في الميادين السياسية والدينية والاجتماعية والعمرانية والفكرية منذ ما قبل الإسلام إلى العصر الحاضر . . ويتناول هذا المجلد الثاني من الكتاب بداية المرينيين حتى نهاية السعديين . . والكتاب تأليف **إبراهيم حركات** ويقع في ٤٩٠ صفحة من القطع المتوسط ، أصدرته دار الرشاد الحديثة بالدار البيضاء عام ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م .

الموسوعة الموجزة

وهي موسوعة في المعارف الإنسانية مبوّبة حسب الحروف الهجائية . . تحتوي على معلومات وثائقية واحصائيات ودراسات موجزة في الأدب والتاريخ والاقتصاد والفلك وعلم النفس والتربية والفلسفة والقانون والدين والاجتماع فضلاً عن تراجم كبار المفكرين والأدباء والعلماء ، من وضع **حسان بدر الدين الكاتب** .

والموسوعة تصدر على أجزاء يضم كل جزء حرفاً من الحروف الهجائية بحيث تكتمل الموسعة باكتمال الحروف الثمانية والعشرين أي ٢٨ جزءاً في سبعة مجلدات .

وقد وصل إلى المجلة الأجزاء ٥ و٦ و٧ من المجلد الثاني ، ويقع كل جزء في ١٢٠ صفحة من القطع المتوسط ويصدر عن مطابع الأديب بدمشق .

تنمية القوى البشرية

كتاب يعطي فكرة عن معنى القوى البشرية ومعنى التنمية والمبادىء الأساسية التي تقوم عليها سياسات تنمية القوى البشرية وتطويرها في البلدان النامية والمتقدمة ، وكذلك أساليب التخطيط لهذه التنمية فيما يتعلق بالتعليم والصحة والهجرة العالمية . . وفي جزء خاص يستعرض الكتاب هذه الدراسات جميعاً من الناحية النظرية ليطبقها على المملكة العربية السعودية ، على اعتبار أنه موجه إلى الطالب السعودي في المقام الأول . . ويقع الكتاب المزود بالخرائط والرسوم البيانية والاحصائيات في ٢٧٠ صفحة من القطع المتوسط لمؤلفه **الدكتور مدني عبد القادر علاقي** الأستاذ المساعد بجامعة الملك عبد العزيز بجدة . . اصدار دار الشروق بجده عام ١٣٩٦هـ ـ ١٩٧٦م .

إعلان من

مؤسسة النقد العربي السعودي

إلى الجمهور الكريم

نظراً لعزم إدارة مؤسسة النقد العربي السعودي نقل مركزها الرئيسي من مدينة جدة الى مدينة الرياض ، يُرجى من الجمهور الكريم ممن له علاقة بالمركز الرئيسي أن يوجّه جميع مراسلاته البريدية والبرقية إعتباراً من أول ذي الحجة ١٣٩٨ الموافق أول نوفمبر ١٩٧٨ على العنوان التالي :

مؤسسة النقد العربي السعودي

المركز الرئيسي : صندوق بريد ٢٩٩٢
الرياض

العنوان البرقي : مركزي . الرياض

أرقام الهاتف :

٨٩٠٤٤
٨٩٠٦٦
٨٩٠٧٩

أرقام التلكس :

٢٠١٤٦٦ باللغة العربية

201734
201735
201736
201737
باللغة الإنجليزية

علماً بأن فرع مؤسسة النقد العربي السعودي بجدّة سيستمر في أداء نفس خدماته السابقة للجمهور الكريم والبنوك دون تغيير

ردود قصيرة

● **الأخ حمود محمد النويصر ـ القصيم ـ السعودية**

موضوع الاستطلاعات تحرص المجلة أن تقوم بها بنفسها لان لها أسلوبها الخاص في طرح الاستطلاعات . . كما أنها تستعمل الصور الملونة . . بواسطة الشرايح (السلايدز) . . نشكر لك مبادرتك .

● **الأخت نعمات والي ـ الاسكندرية ـ مصر**

نشكر لك مشاعرك نحو المجلة . . أما بالنسبة للكتاب الذي أشرت إليه في رسالتك فبإمكانك طلبه من الناشر أو المطبعة كما نشرنا عنه في المجلة على أساس أن ما يصل إلى المجلة من كتب كهدايا يكتب عنها في باب « كتب وردت الى المجلة » والذي يصلنا عادة نسخة واحدة .

● **الأخ عصام الطباع ـ دمشق**

لقد قسوت علينا كثيراً . . ولو راجعت أعدادالمجلة لوجدت أننا نعنى بحرص كبير على الأمور والقضايا التي أشرت اليها . . وثق أننا نسير وفق ما تدعو إليه شريعتنا السمحة ولن نحيد عن هذا الطريق . . ومع ذلك فنحن نقدر غيرتك . . وندعو الله أن يوفقنا لما فيه الخير . . والإنسان غير معصوم من الخطأ . . فاطمئن . . ولك تحياتنا .

● **الأخ ياسر أحمد عواك ـ دير الزور ـ سوريا**

انتظر الإجابة على سؤالك في الأعداد القادمة تحت باب « سؤال وجواب » .

● **الأخ محمد زكريا عبد الله ـ الرقة ـ سوريا**

بعض الفائزين في المسابقة يجيبون على جميع الأسئلة . . وبعضهم يحصلون على أعلى نسبة من العلامات لهذا توزع الجائزة الواحدة بين فائزين لعدم توافر الاجابات الكاملة الصحيحة .

● **الأخ عثمان أبو بكر صالح ـ الظهران ـ السعودية**

نشكرك عميق الشكر على ثنائك . . ونأمل أن يجد فيها القارىء دائماً كل مفيد وجديد . . ونتمنى أن تتحقق للرجل أمنيته في دراسة اللغة العربية . . موضوع رغبتك الاشتراك في المجلة أحيل إلى الجهة المختصة . . تحياتنا .

● **الأخ محسن عباس ـ تونس**

كاتب الموضوع الذي أشرت اليه لم يزودنا بمعلومات عن حياته . . وفي اعتقادنا أن قيمة الموضوع بمضمونه لا بكاتبه . .

● **الأخ محمد هميلة ـ مساكن ـ تونس**

لا نذكر شاعراً بالاسم الذي سمعته . . وربما التبس عليك الأمر فهناك شاعر اسمه « ابو الشمقمق » . . نشكر لك اهتمامك بالمجلة . . ونأسف لعدم تمكننا من تلبية طلبك في ارسال الأعداد التي تنقصك . . لك تحياتنا .

● **الأخ رياض حارس ـ**

المجلة تصدر في بداية كل شهر هجري . . والوقت المحدد للمسابقة يبدأ مع صدور المجلة . . وإذا حصل أي تأخير على المجلة فإن المهلة تمدد بقدر مدة التأخير .

● **الأخ عوض عبد الهادي يعقوب ـ مصر**

نشكر لك مشاعرك . . ونأمل عدم تكرار مثل تلك الأخطاء التي حدثت بفعل ظروف خارجة عن إرادة الجميع . . والتوفيق من الله .

● **الاخوان : (حسن علي ابراهيم الشيخ ـ الاسكندرية ـ مصر) ، (ممدوح محمد صالح مرسي ـ دمياط ـ مصر) ، (احمد خلدون ـ حلب ـ سوريا) ، (علي محسن مهدي ـ لبنان) ، (اسمهان مراش ـ دمشق ـ سوريا) ، (سعد محمصة ـ دمشق) ، (احمد عبد الرحمن ادريس ـ حلب) ، (عبد الفتاح عبد العاطي حبيب ـ كفر صقر ـ مصر) ، (محمد وليد حديد ـ دمشق) ، (حسن علي شكر ـ العين ـ ابو ظبي)**

لكم جميعاً عميق شكرنا وتقديرنا لمشاعركم النبيلة . . وندعو الله أن يوفقنا للقيام بأعباء المسؤولية الكبيرة . . وما ذلك على الله بعزيز .

● **الأخ محمد محب الدين ـ جامعة حلب**

موضوع زواج أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها تجد بحثاً عنه في العدد الأول من السنة الثانية لأحد العلماء الأفاضل وبالرجوع إليه ستجد ما يجيب على تساؤلاتك . . نشكرك على حسن ظنك واهتمامك .

● **الأخ حجاج ابراهيم حسين ـ المينا ج . م . ع**

نشكر لك اهتمامك ومتابعتك إلا أننا نعتذر عن تحقيق ما اقترحته ذلك أن المجلة للتثقيف وليست للتسلية . . وسوف تجد كثيراً من الصحف والمجلات التي تعنى بهذا الموضوع .

مسابقة مجلة الفيصل

نتائج مسابقة العدد الأول
السنة الثانية

أصحاب الأسماء التالية فاز كل منهم بجائزة مالية قدرها (٥٠٠ خمسمائة ريال سعودي) في مسابقة العدد الأول ـ السنة الثانية . . والمعروف أن أسئلة مسابقة العدد المذكور جميعها لم تخرج عن دائرة المواضيع التي نشرتها المجلة خلال سنتها الأولى .

●● عطا عمو ـ كلية الهندسة ـ جامعة حلب ـ حلب ـ سوريا .

●● إيناس محمود خليل ص . ب (٨٧٨١) ـ عمان ـ الأردن .

●● محمد عبد الرحمن محمد صالح ـ ورشة السكة الحديد ـ بواسطة عبد الرحمن محمد صالح ـ كسلا ـ السودان .

●● أحمد عارف الفاني ـ الصندوق الوطني للضمان الاجتماعي ـ كورنيش المزرعة ـ بيروت ـ لبنان .

●● فاطمة عباس محجوب ص . ب (٣٠١) ـ المدينة المنورة .

●● محمد صالح المدني ـ ٨٦ شارع ٢٠ مارس ـ باردو ـ حي صلاح الدين بوشوشة ـ تونس .

●● زينب عبد السميع محمد إبراهيم ـ مدرسة السيدة حنيفة السلحدار التجارية الثانوية ـ مصر الجديدة ـ القاهرة ـ مصر .

●● محمد الطاهر عبد القيوم أحمد ص . ب (٥١١٠) ـ الخرطوم جنوب ـ السودان .

●● محمد الصالح السلطان السحيباني ـ القصيم ـ معهد البدائع العلمي ٣٠/ت .

●● فيصل محمد شقير ـ كلية التربية ـ جامعة دمشق ـ سورية .

●● فاطمة غربيل ـ بلوك ـ ب ـ رقم ٢١٦ ـ برج مولاي عمر ـ مكناس ـ المغرب الأقصى .

●● صالح محمد الجاسر ـ كلية العلوم الاجتماعية ـ قسم الجغرافيا ـ جامعة الإمام محمد بن سعود ـ الرياض .

●● سحر الوفائي ـ جورة الشياح ـ شارع محيي الدين بن العربي ـ ٦٨/٣ ـ حمص ـ سورية .

●● سلطان محمد حربان ـ المعهد العالي للمعلمين ـ البحرين .

●● جابر محمد حسن خليل ـ كلية الآداب جامعة الإسكندرية ـ قسم اللغة العربية واللغات الشرقية ـ السنة الثانية ـ الإسكندرية ـ مصر .

●● ابتسام خليل كحيل ص . ب (٦٤) ـ الطائف .

●● عبد العزيز عبد الله إبراهيم ص . ب (٤٧٣٤) ـ دبي ـ الإمارات العربية المتحدة .

●● خديجة محمد عبد الله السباعي ـ ٦٦ ـ شارع موريطانيا وجدة ـ المغرب الأقصى .

●● محمد أحمد سعيد ص . ب (٢٣) ـ الشونة الشمالية ـ أربد ـ الأردن .

●● جمال عبد الله سعد الفويرس بواسطة مدير مدرسة موسى بن نصير ـ المبرز ـ الإحساء .

شروط المسابقة وإيضاحات أخرى

١ ـ قيمة المسابقة عشرة آلاف ريال سعودي . . موزعة على عشر جوائز على النحو التالي :

ا ـ الجائزة الأولى ٣٠٠٠ ريال
ب ـ الجائزة الثانية ٢٠٠٠ ريال
جـ ـ الجائزة الثالثة ١٥٠٠ ريال

إلى جانب سبع جوائز مالية اخرى قيمة كل جائزة (٥٠٠ ريال سعودي)

٢ ـ المطلوب الاجابة على جميع الأسئلة . . وارفاقها مع قسيمة العدد الخاصة بالمسابقة موضحا عليها الاسم ثلاثيا أو رباعيا ـ إن أمكن ـ مع وضع العنوان بوضوح لضمان وصول قيمة الجائزة إلى المشترك في المسابقة حالة الفوز .

٣ ـ ترسل الاجابات على العنوان التالي :
(الرياض ـ المملكة العربية السعودية ـ مجلة الفيصل ـ ص . ب . (٣) المسابقة) .
مع ذكر رقم المسابقة على الغلاف من الخارج .

٤ ـ أية إجابة تصل بعد ٤٥ يوما من صدور العدد لا يلتفت إليها .

٥ ـ ننصح بمتابعة أعداد المجلة لأن أغلب أسئلة المسابقة سوف يجدها القارىء في ثنايا المواضيع المنشورة فيها .

٦ ـ من حق القارىء أن يشترك باسمه في المسابقة الواحدة أكثر من مرة على شرط ارفاق قسيمة المسابقة مع كل رسالة .

السؤال الأول :

★ أحد حكماء العرب .. من تميم في الجاهلية .. قال عنه كسروى انوشروان : «لو لم يكن للعرب غيره لكفى» .. مات وهو في طريقه إلى المدينة المنورة ليعلن إسلامه .. من هو .. ومتى توفي؟

السؤال الثاني :

★ متى كانت هجرة الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة .. أذكر اليوم والعام؟

السؤال الثالث :

★ أحد محيطات العالم .. يطلق عليه «بحر الظلمات» .. ما أسمه .. وأين يقع؟

السؤال الرابع :

★ خرجت مع زوجها هبيرة بن عمرو يوم فتح مكة .. أسلمت وعدت من الصحابيات .. روي عنها الحديث .. تلقب بأم هاني .. من هي .. ومتى توفيت؟

السؤال الخامس :

★ أذكر أسماء مؤلفي الكتب التالية :-

كتاب الجيم - كتاب التكملة والذيل والصلة - كتاب الشفا - كتاب الصحاح - كتاب الواضح .

السؤال السادس :

★ جنرال انجليزي (١٨٥٧ - ١٩٤١) أسس الحركة الكشفية .. ما اسمه؟

السؤال السابع :

★ (الرابية - دبا - حباشة - المربد - هجر) من أسواق العرب التاريخية .. أين توجد؟

السؤال الثامن :

★ من هو مكتشف داء الكلب بالتلقيح؟

السؤال التاسع :

★ ألقت أميريكا قنبلتين ذريتين على مدينتين في اليابان .. ما اسمها .. ومتى كان ذلك .. وما اسم القائد الذي ألقى القنبلة الأولى؟

السؤال العاشر :

★ مدينة في تونس .. أسستها أميرة من لبنان .. ما اسم هذه المدينة .. وفي أي عام كان تأسيسها؟

قسيمة مسابقة مجلة الفيصل

العدد ١٨

الإسم : --

المهنة : --

العنوان : --

ج ١ المدن التي قدمتها المجلة في باب «مدينة وتاريخ» خلال سنتها الأولى حسب تسلسلها على النحو التالي :
(مكة المكرمة - الرباط - الجيزة - الطائف - سيدي بو سعيد - المدينة المنورة - مراكش - قرطبة - حلب - الدرعية - غرناطة - القاهرة) .

ج ٢ القضايا التي ناقشتها المجلة في ندوتها الشهرية هي :
أبناؤنا واللغة العربية - الأدب والتاريخ - حركة الاستشراق ما لها وما عليها - الانسان ومشكلة الغذاء - نحو دار نشر عربية إسلامية - الرحلات كمصدر للتاريخ - تكامل الانتاج الغذائي في العالم الإسلامي - المجامع العربية ما لها وما عليها - الإعلام العربي سلبياته وإيجابياته - الترجمة وأثرها في الفكر العربي والإسلامي) .

ج ٣ الكتاب الذين وردت تراجم حياتهم في باب «من كتاب هذا العدد» هم :
(محمد علي السنوسي - عبد الله عبد الرحمن جفري - أحمد عبد الغفور عطار - د . عباس صالح طاشكندي - أحمد محمد جمال - د . سمير سرحان - عبد القدوس الأنصاري - محمد موسى السليم - فتحي العشري - د . طلعت الرفاعي - عبد العزيز بنعبد الله - عبد الرحمن الحاج صالح - محمد حسين زيدان - محمد العيد الخطراوي - فاروق شوشة - د . عبد الله عبد المحسن التركي - د . عبد الله الطيب - د . عبد العزيز حامد أبو زنادة - عبد العزيز الرفاعي - جلال العشري - د . بدوي طبانة - بدر توفيق - د . عبده بدوي - محمود العابدي - عبد الله بن خميس - د . عباس الحراري - اليزابيث مونرو - فتحي سعيد - نديم صوالحة - نبيل وطفة - محمد حسن فقي - يوسف الشاروني - د . محمد مصطفى هدارة - أحمد صالح الصالح - د . صالح رياض - عبد الفتاح أبو مدين - د . عبد الفتاح الديدي - لزلي نيوسن - عبد الحافظ كمال - صلاح عز الدين - د . غازي القصيبي - عدنان الداعوق - فؤاد عنقاوي - عبد الله عريف - د . عبد العزيز شرف - عثمان بن سيار - ادوين ميكلبرة - عبد الله الماجد - د . عبد الرحمن زكي - جوليان فوكس - عبد الفتاح العدوي - سامي حداد - د . مدني عبد القادر علاقي - رؤوف مصري - د . عبد المحسن صالح - اسماعيل كتكت - محمد القاضي - د . ابراهيم حمادة - يحي محمود ساعاتي - محمد فهمي الحمدان - د . محمد بن سعد الشويعر - محمد عبد الله الوابل - محمد زياد كبة - د . سيد حامد النساج - محمد سلام مدكور - رستم كيلاني - د . حسين محمد نصار - د . مصطفى ماهر - طاهر زمخشري - كريستوفر شايلد) . أما الكاتب الذي نشرت صورته وترجمة حياته دون ذكر اسمه في العدد السابع فهو الأديب السعودي عبد الرحيم أبو بكر .

ج ٤ الأدباء والمفكرون الذين أجرت معهم المجلة لقاءات فكرية في باب «لقاء مع» هم :
(د . ابراهيم بيومي مدكور - محمد المزالي - محمد أبا حنيني - ناتالي ساروت - د . سهير القلماوي - الشاذلي القليبي - د . شوقي ضيف - عبد الله بن خميس - د . زكي نجيب محمود - د . عبد الهادي التازي - د . رشاد رشدي - عبد الحق فاضل) .

ج ٥ الكتب التي عرضتها المجلة في باب «رحلة في كتاب» هي :
(الرواية المغربية من أين وإلى أين ؟ تأليف عبد الكبير الخطيبي - رحلات الكابتن شكسبير - عبقرية الحضارة العربية تأليف عدد من العلماء والمختصين - قصة الأدب في اليمن تأليف أحمد محمد الشامي - الوسيلة هي الرسالة تأليف مارشال ماكلوهان - بلال تأليف هـ . أ . ل . كريج - رحلة كابتن نيبور في شبه جزيرة العرب - الصغير جميل تأليف اي . اف . شوميكر - مقدمة عن آثار المملكة العربية السعودية - الحضارة التونسية من خلال الفسيفساء تأليف المنجي النيفر - الإنسان المعاصر تأليف يانيس بانايوتوبولوس - جمال على معطف القيصر تأليف زيجريد هونكه) .

ج ٦ الهدايا التي قدمتها المجلة هي :
(رسالة الرسول الكريم ﷺ لمنذر بن ساوي صاحب البحرين - أول خارطة للعالم رسمها الأدريسي في ثلاثة أعداد - منظر عام لمدينة القدس - المسجد الحرام - المسجد النبوي - المسجد الأقصى - لوحة لسوق شعبي في مدينة الرياض - جامع كتشاوة في الجزائر - مسجد باد-شاهي - في لاهور - الباكستان - مدائن صالح) .

ج ٧ القصص والمسرحيات التي نشرتها المجلة هي :
(الظمأ تأليف عبد الله جفري - آرثر والاسيتون تأليف برنارد شو - النورس تأليف إيليا فيتيزي - نشنشي تأليف لويجي بيراندللو - النجمة تأليف د . نادية كامل - رحيل تأليف مجيد طوبيا - ثلاث رؤى معكوسة تأليف الان روب جرييه - الشامة تأليف ياسوناري كواباتا - الخلاص تأليف عبد العال الحمامصي - حكاية نادرة الحدوث تأليف أو . هنري - العودة تأليف فؤاد عنقاوي - الحلم ترجمها عن الانجليزية داود الزبيدي - جرنيكا تأليف فرناندو ارابال - وجه في الغربة تأليف اسماعيل كتكت - وتزايدت الشكاوى من أساليبي تأليف مارتن فالزر - تشاكا . . قصيد درامي تأليف ليوبولد سنجور رئيس جمهورية السنغال - الجرذ تأليف عبد الحفيظ عبد الفتاح قاري - رجل كريم تأليف رستم كيلاني - البحر تأليف الكيفيادیس بانوبولوس) .

ج ٨ الرسائل التي وردت إلى المجلة من الرؤساء والزعماء العرب ونشرت مصورة بتوقيعاتهم هي :
(رسالة صاحب السمو الملكي الأمير فهد بن عبد العزيز ولي العهد ونائب رئيس مجلس الوزراء - رسالة الرئيس أنور السادات رئيس جمهورية مصر العربية - رسالة سمو أمير دولة البحرين - رسالة سمو أمير دولة الكويت - رسالة سلطان عمان) .

ج ٩ كتب الرحلات التي قام بها الأجانب إلى البلاد العربية هي :
(رحلات الكابتن شكسبير - رحلات كابتن نيبور - رحلات موزيل) .

الفيصل

مجلة ثقافية شهرية
تصدر عن
دار الفيصل الثقافية

المراسلات
الرياض - المملكة العربية السعودية
مجلة الفيصل
ص.ب (٣)
هاتف : ٤١٩٦٨

ALFAISAL MAGAZINE

MONTHLY CULTURAL MAGAZINE
PUBLISHED BY
AL-FAISAL CULTURAL HOUSE

All Correspondence To:
Riyadh-Saudi Arabia
Al-Faisal Magazine
P.O.Box 3
Tel.: 41968

أسعار بيع النسخ في البلاد العربية

المملكة العربية السعودية	٦ ريالات
الكويت	٣٠٠ فلس
ابو ظبي	٥ ريالات
قطر	٥ ريالات
البحرين	٤٠٠ فلس
دبي	٤ ريالات
سلطنة عمان	٣٠٠ بسة
الشارقة	٤ ريالات
الأردن	٢٥٠ فلس
ج.ع. اليمنية	٣ ريالات
ج. اليمن الديمقراطية الشعبية	٤٠٠ فلس
مصر	٢٠٠ مليم
السودان	٢٥٠ مليماً
المغرب	٤ دراهم
تونس	٤٠٠ مليم
الجزائر	٤ دنانير
العراق	٣٠٠ فلس
سوريا	٣٠٠ قرش
لبنان	٣٠٠ قرش
ليبيا	٤٠٠ درهم

في أوروبا.. وأمريكا.. وآسيا

بريطانيا وايرلندا	١,٢٥ جنيها استرلينيا
فرنسا	١٠ فرنكات
هولندا	٧,٥ فلورن هولندي
بلجيكا	١٠٠ فرنك بلجيكي
سويسرا	٧ فرنكات سويسرية
المانيا الغربية	٧ ماركات ألمانية
ايطاليا	٢٠٠٠ ليرة ايطالية
اسبانيا	١٠٠ بيزيتا اسباني
البرتغال	٨٠ اسكودو
اليونان	١٠٠ درخما
الدانمرك	١٥ كرونا
النرويج	١٥ كرونا
السويد	١٥ كرونا
فنلندا	١٥ كرونا
الولايات المتحدة الاميريكية	٢,٥٠ دولاران ونصف
الباكستان	١٠ روبيات

أسعار الاشتراكات السنوية

للأفراد ١٠٠ ريال سعودي
لغير الأفراد ٢٠٠ 〃 〃
ترسل قيمة الاشتراك باسم مجلة الفيصل

مطابع شركة الطباعة العربية السعودية العمارية ، الرياض